الطالب صحح المطلوب

أعضاء اللجنة

١- الدكتور محمود أحمد خفاجي — ١٤١٥/١/١٧

الدكتور عثمان عبد المنعم يوسف

الدكتور صلاح عبد العليم إمام

١٤١٥/١/١٧هـ

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة

الدراسات العليا

ابن كمال باشا وآراؤه الاعتقادية

دراسة نقدية على ضوء عقيدة السلف

إعداد الطالب: سيد حسين سيد باعجوان

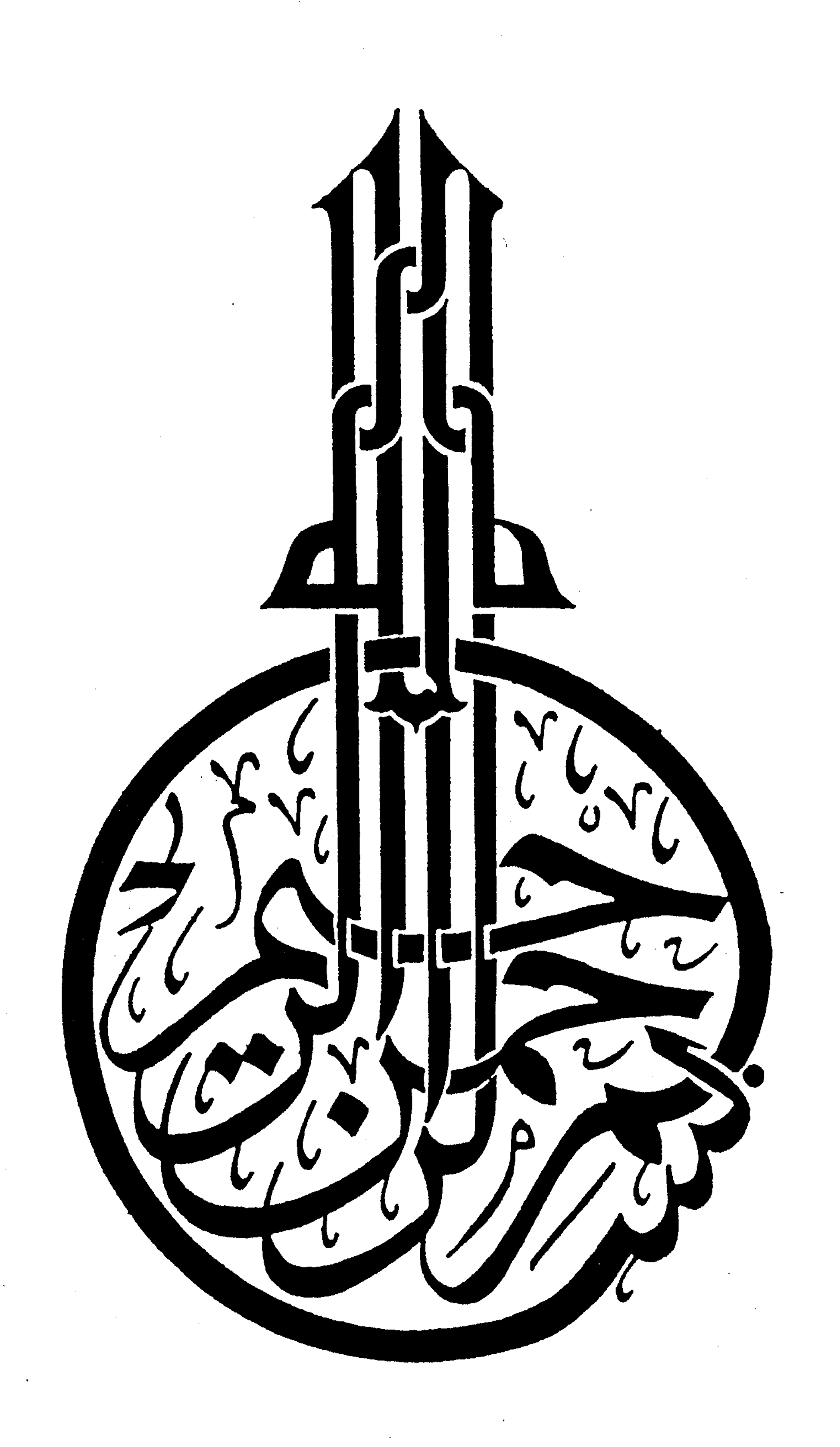
إشراف الأستاذ الدكتور محمود أحمد خفاجي

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة



١٤١٣ — ١٤١٤هـ

١٩٩٢ — ١٩٩٣م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص رسالة الدكتوراه

بعنوان : « ابن كمال باشا وآراؤه الاعتقادية ـ دراسة نقدية على ضوء عقيدة السلف »

الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه ... وبعد :

فهذه الدراسة تتكون من مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة .

فالمقدمة في بيان أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، والمنهج الذي اتبعته ، وخطة الدراسة .

الباب الأول : خصصته للتعريف بابن كمال باشا ، والحديث عن عصره سياسياً واجتماعياً وعلمياً ـ وهو الفصل الأول ، ودراسة نشأته وأطوار حياته ، وهو الفصل الثاني ، وشيوخه الذين تلقى عنهم العلم ، وتلاميذه الذين أخذوا على يديه العلم ، وهو الفصل الثالث ، واستقصاء مؤلفاته المخطوطة والمطبوعة مرتبة على فروع العلم ، وهو الفصل الرابع .

والباب الثاني : كان عن آرائه في الآلهيات ، عرضت فيه رأيه في كل المباحث المتعلقة بالآلهيات ، ثم نقدتها من خلال عقيدة أهل السنة والجماعة ، وكان ذلك في أربعة فصول .

الفصل الأول كان عن رأيه في معرفة الله تعالى وأدلته على وجوده تعالى ، والنقد الموجه إليه .

والفصل الثاني : كان عن وحدانية الله تعالى وأدلته عليها .

أما الفصل الثالث : فكان عن رأيه في الصفات بعامة والصفات الخبرية وصفة الكلام بخاصة معقباً عليه بالنقد والتحليل .

والفصل الرابع : في أفعال الله تعالى من الحسن والقبح ، والحكمة والتعليل ، وخلق أفعال العباد ، والقضاء والقدر ، والرؤية ، ثم النقد والتحليل .

أما الباب الثالث : فتناولت فيه آراءه في مباحث النبوات ، مبينا رأيه في تعريف النبي والرسول والفرق بينهما ، وهو الفصل الأول ، وإمكان البعثة وهو الفصل الثاني ، والمعجزة : تعريفها ، وأركانا ، وشروطها ، ووجه دلالتها ، وهو الفصل الثالث .

أما الباب الرابع : فكان عن السمعيات ، تناولت فيه رأيه في الموت والحياة البرزخية ، وهوالفصل الأول ، وأشراط الساعة ، وهو الفصل الثاني ، واليوم الآخر وأحداثه ، وهو الفصل الثالث .

أما الخاتمة فكانت عن أهم النتائج التي انتهيت إليها ، منها :

١ ـ أن ابن كمال باشا من العلماء الذين قرن العلم بالعمل ، حيث قضى أولى مراحل حياته في الجيش ، مشاركاً في الحملات الجهادية ضد الصليبيين في أوربا ، ثم تحول منه إلى صفوف العلماء بعد الرابع والعشرين من عمره ، وترقى في مراتب التدريس والقضاء حتى وصل إلى منصب المشيخة الإسلامية ، وخلف مؤلفات كثيرة ، بلغ عددها (٣٦٩) كتاباً ورسالة ، وحظيت مؤلفاته بالانتشار في عصره .

٢ ـ أثبت البحث في مدى علم الباحث أن هذه الدراسة أول دراسة كتبت عن آراء ابن كمال باشا العقدية على ضوء عقيدة السلف الصالح واستطاعت بفضل الله وتوفيقه أن تجمع مؤلفاته الكثيرة والمبعثرة والمطمورة وتزنها بالميزان الصحيح بالكتاب والسنة .

٣ ـ لقد ذهب في معرفة الله تعالى إلى أن العقل يمكن أن يدرك وجوبها ، ولكن الموجب هو الله تعالى ، فأشرت إلى الفرق الدقيق بين رأيه ورأى المعتزلة ، إذ أن العقل موجب عندهم ، وآلة لمعرفة الوجوب عند ابن كمال باشا والماتريدية ، مخالفاً بذلك السلف .

٤ ـ استدل في وجود الله عز وجل بدليل الآفاق والأنفس ، وهو أمر اتفق فيه مع السلف ، إلا أنه تابع المتكلمين في استدلاله بدليل الحدوث على طريقة المتكلمين .

٥ ـ وفي الاستدلال على الوحدانية بدليل التمانع وافق المتكلمين ، وخالف فيه السلف ، إذ الغاية الأسمى من إرسال الرسل هو توحيد الإلهية التي يتضمن توحيد الربوبية ، وهو أمر فطرى ضرورى .

٦ ـ وفي باب الصفات أثبت ثمان صفات متفقاً فيه مع الماتريدية ، إلا أنه قال بثبوت الصفات الذاتية والفعلية دون تفرقة بينهما في القول بأزلتيهما ، متفقاً فيه مع السلف ، وتابع المتكلمين المتأخرين في تأويله الصفات الخبرية على أحد قوليه ، إلا أنه تابع إمامه أبا حنيفة وبقية أئمة السلف في رسالته « المنيرة » ، وهي من أواخر مؤلفاته كما ثبت عندى ، وترك التأويل .

٧ ـ وافق ابن كمال باشا السلف في بعض أفعال الله تعالي كالحسن والقبح ، والحكمة والتعليل ، والقضاء والقدر ، وخالفهم في خلق أفعال العباد متابعاً في ذلك الماتريدية .

٨ ـ أما رأيه في مباحث السمعيات فيوافق مذهب السلف في جميع مسائلها .

هذا ، وهناك نتائج أخرى لم أر ذكرها في هذا الموجز توخياً للاختصار ، وبالله التوفيق . ،،،

عميد كلية الدعوة وأصول الدين	المشرف	الطالب
د . عبد الله بن عمر الدميجى	د . محمود أحمد خفاجى	سيد حسين سيد باغجوان
	١٤١٥/١١/٢٦	

(شكـــــر وتقدير)

الحمد لله رب العالـمين،والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين،وعلى آله وصحبه أجمعين،ومن تبعهم بإحسان الى يوم الديـــــن وبعـــــد :.-

فانه لمن دواعي السرور أن أقدم شكري الجزيل لسعادة القائميـــــن على جامعة أم القرى لما يبذلونه من الجهود المتواصلة فى خدمة العلـــــم وطلابه ، أخص منهم بالذكر معالى مدير الجامعة الدكتور / راشـــد الراجـــح ، وسعادة عميد كلية الدعوة وأصول الدين الدكتور / على العليانـــــــــــى ، وسعادة رئيس قسم العقيدة الدكتور / سفـــــر الحوالى .

كما أتوجه بخالص شكرى الجزيل وتقديرى العميق لفضيلة الاستـــــاذ الدكتور / محمود أحمد خفاجى الذى تفضل بالإشراف على هذه الرسالة، والـــذى لم يدخر وسعا ولم يأل جهدا فى تقديم كل إرشاد ونصح وتوجيه، وأقول بحـــق إنه قد منحنى كل ما من شأنه أن يخرج هذا البحث المتواضع الى حيز الوجـــود ، وكان يستحثنى على الجد والنشاط والعمل المتواصل ، وكثيرا ما كنت أضيـــق بما ألاقى من صعوبات وعراقيل فأجد عنده الصبر الجميل والإصرار القـــوى ، كنت أريد أقطع وهو يصل، وأمل حتى أشارف اليأس فيأبى الا التعلق بالامـــل ، وقد كان لى قدوة فى الصبر والعمل الجاد والوفاء والبر، فلم يكن مشرفـــا فحسب بل كان أبا عطوفا ..... فلا أملك الا أن أبتهل الى الله تعالى أن يديم لفضيلته الصحة والعافية ويبارك فى عمره ويوفقه لخدمة العلم والديـــن ، ويجزيه عنى أحسن الجزاء إنه سميع مجيب .

كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل من كانت له يد العون والتوجيه والارشاد . من الإخوة والزملاء والاساتذة الفضلاء، وأرجو من المولى الكريم أن يتولـــى جزاءهم عنى بما يكافئهم ازاء ما قدموه لى من الجهود ، انه على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

المقدمـــــة

ان الحمد للـه ، نحمده ونستعينـه ونستغفره ، ونتوب اليه ،ونعـوذ بالـلـه من شرور أنفسنـا ومن سيئآت أعمالنا ، من يهده الله فلا مضـل لـه ،ومن يضلل فلا هادى لـه . وأشهد أنلا إلـه الا الله وحده لاشريـك لـه ، وأشـهد أن محمدا عبده ورسولـه ، ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقـوا الله حق تقاتـه ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ﴾ (١) ، ﴿ يا أيها النـاس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهمـا رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون بـه والأرحام ان الله كان عليكم رقيبـا ﴾ (٢). ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسولـه فقد فاز فوزا عظيمـا ﴾ (٣)

أما بعـد :

فيقول الامام ابن عبد البر في " جامع بيان العلم وفضلـه "(٤) :

" وقالوا : لا كلمة أضر بالعلم والعلماء والمتعلمين من قـول القائل : ماترك الأول للآخـر شيئـا " .

وما أصدق كلمة الامام ابن مالك النحوى - الذى يؤيد مانقلـه الامام ابن عبد البر - في أولكتابه " التسهيل "(٥) اذ يقول رحمه اللـه تعالى :

" واذا كانت العلوم منحا إلهية ،ومواهب اختصاصية ،فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ، ماعسر على كثير من المتقدمين ، نعوذ بالله من حسد يسد باب الإنصاف ، ويصد عن جميل الأوصاف ".

ولعل الإمام العلامة ابن كمال باشا من هؤلاء " البعض من المتأخرين " ، إذ هو من أعلام العلماء الذين تعددت مواهبهم ،وتنوعت شخصيتهم.

(١) آل عمران /١٠٢ .
(٢) النسـاء / ١ .
(٣) الأحزاب/ ٧٠ - ٧١ .
(٤) ٩٩/١
(٥) ص ٢.

فقد استوعب أصول العلوم ، وأحاط بفروعها على نسق يكاد يكون متسقا ، واستقصى غرائب المسائل ونوادرها ، وضمنها كتبه ورسائله التي جمعت شتيت الفوائد ، ومنثور المباحث، ومتشعب الأغراض ، كل ذلك بوضوح محكم ، وتبويب متناسق، وتحقيق تام .

فهو إمام القرن العاشر في الديار الرومية من غير مدافع ولا معارض في فنون عديدة .

فهو الفقيه البصير الذى اعتبره مترجموه من المجتهدين الذين وصلوا الى درجة الترجيح في المسائل الفروعية .

وهو المفسر المقتدر الذى أعد العدة لعمله في التفسير ، من تضلع من لغة العرب وأشعارها، وروائع نثرها الذى يمتاز بإيجاز اللفظ وجزيل المعنى .

وهو الأديب الذى يغوص على المعنى ، ويتفنن في التعبير عنه ، واستخراج العبرة من مطاويه .

وهو المؤرخ الذى يقارن بين الروايات ،ويميز صوابها من خطئها ،ولايكتفي بايرادها كما هو شأن بعض المؤرخين .

وهو المتكلم الذى درس عيون كتب الكلام على أساتذته المشهورين فيه ، ونظر فيها نظرات فاحصة مستقلة ، لايعنيه الا كشف الحق ودحض الباطل .

وان من نعم الله تعالى علي أن وفقني الى دراسة عقيدة السلف الصافية من شبهات الكلاميين ،وطفرات العقليين ،ووثبات الخياليين ، بل من الله تعالى عليّ بالتخصص في العقيدة ، فدرست مباحثها الدقيقة ،وقضاياها العويصة على يد أساتذة فضلاء بمنهج قويم ،وسنن لاحب ،ولما كانت الدراسات الكلامية ببلادنا الديار الرومية على المنهج الأشعرى والماتريدى ،

ولايخفى مالهذا المنهج من مزالق وعثرات ، رأيت من الواجب المتعين على – وعلى أمثالي ممن درسوا عقيدة السلف الصالح – أن أساهم في تقويم تراثنا العقدى من وجهة نظر عقيدة السلف الصالح ،والتعليق على كل المواطن التي تنكب فيها الخلف طريق السلف .

ولما كان ابن كمال باشا من أبرز علماء القرن العاشر الهجري الذى استطاع أن يثرى المكتبة الاسلامية بمؤلفات واسعة وعميقة في مجال العقيدة بخاصة ، والعلوم الاسلامية بعامة متأثرا بعقيدة الماتريدية والأشعرية مما دفعني أن أكشف عن الجانب العقدى في فكر العلامة ابن كمال باشا – الذائع صيته في الآفاق- وجمعه ، واخراجه منقحا خاليا من مواطن الاشكال والزلل ، حتى يسهل على الباحثين ، وطلبة العلم الرجوع اليه ، والاستفادة منه في يسر لايشوبه عسر ، وصفاء لاتكدره شبهة ، بعد مقارنته بعقيدة السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، والتنبيه على المواطن التي خالف فيها عقيدة السلف .

ان الباحث الذى يكون جل مصادره من التراث المخطوط يجد نفسه أمام خطة منيعة و أمر معضل ، لأن نساخ المخطوطات يتفاوتون في جودة الخط وحسنه ، بل بعضهم ينمنم خطه ويقارب بين سطوره بشكل دقيق لايكاد يظهر ، وقد صعب الأمر عليّ وتعسر عانيت فيه صعدا ،الا أنني – بتوفيق من الله ، ومساعدة الاستاذ المشرف وتشجيعه – استطعت بعد المحاولات المتكررة ، والامعان في النظر أن أخرج من ظلمات الغموض والابهام فوفقت الى القراءات السليمة ، وتصحيح التحريفات الواردة التي استعنت بها في عرض الآراء العقدية للعلامة ابن كمال باشا .

وأما تلمس آراء العلامة ابن كمال باشا العقدية فهو أمر صعب الممارسة ، وعر الملتمس ،قد عانيت فيه مشقة وصعوبة اذ أن جل

كتبه لايزال مخطوطا الى يومنا هذا ، موزعا على مختلف مكتبات العالم ، مما كلفني خطة شديدة ،ومطلبا صعبا ، فرحت أتتبع آثاره في المكتبات الخاصة والعامة في العالم ،وفي كتابات العلماء المتقدمين ،وقد استغرق جمع مؤلفاته المخطوطة – وكذلك المطبوعة ،لأنها في حكم المخطوطة باعتبار مضي قرن على طبعها تقريبا – زمنا طويلا من الدهر، أمضيت فيه السنتين الأوليين من كتابة الرسالة ، سافرت خلالها الى مصر وتركيا برحلة علمية ، الهدف منها جمع مؤلفات ابن كمال باشا المخطوطة والمتعلقة بالبحث حتى تسنى لي أن أجمع – بفضل الله عز وجل – ماتيسر من كتبه المخطوطة ثم انصب عملي بعد ذلك على قراءتها قراءة فحص وتدقيق ، وتجريد ماورد فيها من وقفات واشارات عقدية ،وتحصل لدى من هذه القراءات ،وهذا التتبع جمع مادة كلامية وافرة ، استعنت بها في عرض آرائه العقدية ، وتحليلها ، والتعقيب عليها ، حسب قدرتي العلمية ، ومبلغي من الفهم والمعرفة .

والتزاما بالمنهج العلمي السديد فقد اجتهدت في عرض آراء العلامة ابن كمال باشا كما وردت في كتبه ورسائله ،والتزمت غالبا بألفاظه ، حتى تكون العبارة أبلغ في التعبير عن المراد ،وأكون في حل من التصرف الذى يؤدى أحيانا الى غموض الفكرة ،أو تحريف الكلام.

وبعد عرض رأى ابن كمال باشا ثنيت بالنقد والتعقيب عليه ،وتقويمه ، فان وجدته صوابا أتيت بما يؤيده من الأدلة ،ونصوص المحققين من علماء السلف رضي الله عنهم، وان وجدته قد جانب فيه الصواب ، حاولت أن أكشف عن منبع الحق والصواب بالأدلة الواضحة والحجج الملزمة، مستشهدا بنصوص علماء السلف كذلك .

هذا ، وقد تكونت الرسالة من مقدمة وأربعة أبواب ،وخاتمة

أما المقدمة فبينت فيها أسباب اختيار الموضوع ، والصعوبات التي لاقيت في أثناء مراحلها ، والمنهج الذى سرت عليه .

وأما الباب الأول : خصصته للتعريف بابن كمال باشا ،ويشتمل على أربعة فصول :

الفصل الأول : تحدثت فيه عن عصره سياسيا واجتماعيا وحضاريا وعلميا .

الفصل الثاني : درست فيه حياة ابن كمال باشا ،وذكرت فيه اسمه ونسبه ،ومكان ولادته ، ونشأته ، وطلبه العلم على أساتذة معروفين في العلوم ، والوظائف التي تقلدها ، وثناء العلماء عليه من المعاصرين والذين جاءوا بعده ، وصفته وحليته ، كما تطرقت الى الموازنة بينه وبين الامام السيوطي ، والعلامة أبي السعود العمادى ، ودفاعه عن عقيدة أهل السنة أمام خطر انتشار التشيع ، وكفاحه ضد البدع والمنكرات ، وحققت تاريخ وفاته أيضا ..

والفصل الثالث ذكرت فيه شيوخ ابن كمال باشا الذين تلقى على أيديهم العلم ،والذين أثروا في تكوين شخصيته العلمية ، كما ذكرت أشهر تلا ميذه الذين أخذوا على يديه العلم ،مع ترجمات مختصرة لهم .

الفصل الرابع عنيت فيه باستقصاء مؤلفات ابن كمال باشا المطبوعة والمخطوطة ، مرتبة على فروع العلوم والمعارف .

أما الباب الثاني فقد كان عن دراسة آرائه في الإلهيات على ضوء عقيدة السلف ، واشتمل على أربعة فصول :

الفصل الأول بينت فيه رأى ابن كمال باشا في معرفة الله تعالى والطريق الموصل اليها ، والأدلة التي استدل بها على وجود الله تعالى ، والنقد الذى يوجه اليها .

الفصل الثاني فكان عن وحدانية الله تعالى ، تكلمت فيه عن الأدلة التي عرضها ابن كمال باشا، موضحا مدى موافقته ومخالفته مذهب السلف .

الفصل الثالث : تناولت فيه الصفات ، وعرضت فيه للصفات التي تناولها ابن كمال باشا بعامة ، وصفة الكلام التي أفرد فيها الحديث والصفات الخبرية بخاصة ،ثم بينت موقف السلف من آرائه في هذه الصفات من خلال العرض والنقد .

الفصل الرابع : تحدثت فيه عن رأى ابن كمال باشا في أفعال الله تعالى ، وقد تناول هذا الفصل تعليل أفعال الله تعالى ، وخلق أفعال العباد ، وحسن الأفعال وقبحها ، والقضاء والقدر ،ورؤية الله تعالى في الآخرة ،وفي النوم كذلك ، وبينت أن رأيه في هذه المباحث يوافق مذهب السلف في معظم الأحيان .

وأما الباب الثالث فكان عن آراء ابن كمال باشا في النبوات ، واشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : النبوة والرسالة ،وضحت فيه تعريف ابن كمال باشا للنبي والرسول ، والفرق بينهما ، وموقف السلف من تعريفه .

الفصل الثاني تحدثت فيه عن رأى ابن كمال باشا في امكان البعثة وحكمها .

الفصل الثالث تكلمت فيه عن رأى ابن كمال باشا في المعجزة ، وتعريفها وأصل لفظها ، وركنها ، وشرائطها ، ووجه دلالتها على صدق من يدعي الرسالة ، مبينا وجه الحق في ذلك من خلال مذهب السلف .

الباب الرابع : موضوعه السمعيات ، واشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في الأمور المتعلقة بالموت ،وسؤال القبر ،وعذابه ، أو نعيمه ،ورأى ابن كمال باشا فيها .

الفصل الثاني : تحدثت فيه عن رأى ابن كمال باشا في الساعة وأشهر علاماتها — كما وردت في الاحاديث — من ظهور الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها ،وخروج الدابة .

الفصل الثالث تكلمت فيه عن رأى ابن كمال باشا في اليوم الآخر وأحداثه من بداية اليوم الآخر ، والبعث والحشر ، والشفاعة ،والعرض وأخذ الكتب وقراءتها ، والحساب ، والميزان ، والصراط والجنة ،مبينا موقف السلف من رأيه في هذه المسائل .

أما الخاتمة فذكرت فيها أهم نتائج الرسالة .

الباب الأول

التعريف بابن كمال باشا

الفصل الأول : عصر ابن كمال باشا سياسيا واجتماعيا وعلميا .

الفصل الثاني : حياة ابن كمال باشا .

الفصل الثالث : شيوخ ابن كمال باشا وتلاميذه .

الفصل الرابع : مؤلفات ابن كمال باشا .

الفصل الأول

عصر ابن كمال باشا

أ ــــ الحالة السياسية .
ب ــــ الحالة الاجتماعية .
جـ ــــ الحالة العلمية .

— تمهيـــــــــــــــــــــــــــد —

لقد أثبت البحث العلمى اليوم أكثر مما مضى أن الظروف والأحوال التى تحيط بالشخص، والبيئة التى يقضى حياته فيها لهما أثر كبير فى تكييف حياته وتكوينه الشخصى .. فنوع التربية التى يتلقاها فى الأسرة وفى المدرسة، والروح التى تسود أساتذته ومعلميه، والمؤلفات التى يطالعها ، والأحوال السياسية، والاجتماعية القائمة فى عصره .. كل ذلك عناصر هامة فى تكوين الشخصية وتعيين اتجاهها ..

ولذلك كان من الضرورى عند دراسة شخصية من الشخصيات التى كان لها أثر بارز فى ناحية من نواحى الحياة، أن تدرس الظروف والبيئة المحيطة بتلك الشخصية حتى نرى ما هى العوامل التى أدت الى نبوغها وظهورها .. (١)

وابن كمال أحد هؤلاء الأشخاص البارزين فى القرن العاشر الهجرى، وكان له فى الناحية الفكرية فى الإسلام آثار خالدة، كما تشهد بذلك مؤلفاته ورسائله .

ولذا أردنا أن نلقى الضوء على الأحوال السياسية والاجتماعية والعلمية التى تحيط به، حتى نرى مدى تأثره بروح ذلك العصر واتجاهاته ..

---

(١) انظر: د. هراس: ابن تيمية السلفى ص ١٣ .

أ ـ الحالـــــة السيـــاســيـــة :ـ

لقد عاش العلامة ابن كمال باشا في العقد الأخير من القرن التاسع والنصف الأول من القرن العاشر الهجري. وكانت في هذه الفترة ثلاث دول كبيرة تتصارع على السيطرة والحكم في العالم الاسلامي، وهي :

١ ـ الدولة العثمانية (٦٩٩هـ ـ ١٣٤٢هـ)

٢ ـ دولة المماليك (٦٤٨هـ ـ ٩٢٣هـ)

٣ ـ الدولة الصفوية (٩٠٧هـ ـ ١٢٠٠هـ)

وكانت الخريطة السياسية للعالم الاسلامي على النحو التالي :
كانت العراق وإيران تحت حكم أسرة "آقْ قُويُونْلُو" (١)، ثم تحت سيطرة الصفويين.

وكانت مصر وجزيرة العرب بما فيها بلاد الشام والحجاز وجزء من اليمن يحكمها المماليك، ثم العثمانيون..

لقد قضى ابن كمال باشا عمره في ظل الدولة العثمانية، وتسلم السلطة في فترة حياته (٨٧٣ ـ ٩٤٠هـ) أربعة من السلاطين

---

(١) وهم طائفة من التركمان، كانت مساكنهم القديمة بلاد تركستان، ثم تحولوا عنها الى بلاد آذربيجان، ثم الى بلاد ديار بكر، واستولوا على الملك، وأول أمرائهم بهاء الدين قَرَايُولُكْ بن فخر الدين (٧٨٠ ـ ٨٣٠هـ)، وآخرهم مراد بن يعقوب ابن أُوزُونْ حسن (٩٠٧ ـ ٩٠٨هـ). وكلمة آقْ قُويُونْلُو: كلمة تركية معناها : أصحاب القطيع الأبيض. (انظر: دائرة المعارف الاسلامية ١/١١٩).

العظماء ، وهم :

١ ـ محمد الثاني الفاتح ابن مراد (٨٥٥ ـ ٨٨٦هـ)

٢ ـ بايزيد الثاني ابن محمد الثاني (٨٨٦ ـ ٩١٨هـ)

٣ ـ ياوز سليم بن بايزيد (٩١٨ ـ ٩٢٦هـ)

٤ ـ سليمان القانوني ابن سليم (٩٢٦ ـ ٩٧٤هـ) .

إن الدولة العثمانية التي أسسها السلطان عثمان الغازي بن أرطغرل بن سليمان في سنة ٦٩٩هـ ـ ١٢٩٩م في سُوگُوْد في غربي الأناضول كانت في بداية أمرها عبارة عن إمارة ثغر ، ثم توسعت نحو الدولة البيزنطية النصرانية ، إلى أن وصلت في القرن العاشر الهجري الذي عاش فيه ابن كمال باشا ـ إلى ذروة مجدها وأوج عظمتها في أوربا وآسيا وأفريقيا . وهي دولة قُدِّرَ لها أن تعيش طويلا ، وتتولى قيادة العالم الاسلامي مايقرب من خمسة قرون ، أخضعت فيها لسلطانها دولا كثيرة ، امتدت عبر قارات ثلاث ..

وقضى ابن كمال باشا أيام طفولته في عهد السلطان الغازي محمد الفاتح الذي يعتبر المؤرخون فتحه القسطنطينية بداية العصر الحديث ، ونهاية العصور الوسطى ، " وكان العالم في تلك الفترة مشغولا بفتوحات العثمانيين في أوربا وبالصراع العثماني ـ الأوربي حين كانت الفكرة التي تحكم العثمانيين هي جمع العالم في دولة واحدة تحت رايتهم ، والانطلاق نحو الغرب للجهاد " (١) .

(١) د . محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة ص ٦٧ . انظركذلك محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ١٧٧ .

وأما السلطان سليم الأول الملقب بـ " ياوز " أى القاطع - الذى قدم فى زمنه ابن كمال باشا أعمالا جليلة وفعالة - اضطر ان يترك جهاده وفتوحاته فى أوربا واتجه الى الشرق الاسلامى ليحاربه ، ويفرض عليه سلطانه. وقد يقال : ان الأولى به الحرب فى أوربا حيث التكتل الصليبى ضد الدولة العثمانية.

" وللاجابة عن هذا التساؤل لابد من فهم عهد السلطان سليم منذ أن كان أميرا وحتى نهاية حياته.

تولى سليم إمارة طِرَابْزُون فى عهد والده السلطان بايزيد الثانى ، وعهد بايزيد هذا كان يقابل تاريخيا عهد قيام الدولة الصفوية فى إيران. وجَدّ الشاه اسماعيل الصفوى فى مدّ نفوذه على آذربيجان ، واستولى على كل الأراضى " الآق قويونلو " ، ورأى هذا الشاه أن من مصلحة دولته الشيعية الاستيلاء على الأناضول ، وكان الأناضول عثمانيا سنيا.

أرسل الشاه اسماعيل الصفوى دعاته لنشر مذهبه فى الأناضول وما لبث هؤلاء أن وجدوا بعض المؤيدين ، وما لبثت جماعة القيزيل باش (١) (أى العلويين) فى منطقة انطاكيا العثمانية أن قاموا بأوامر من الشاه اسماعيل بالتمرد على سلطة الدولة العثمانية استجابة لهذه الأوامر. وقاد هذا التمرد شخص عرف

---

(١) كلمة تركية ، معناها : أحمر الرأس. كان الترك يطلقونها على حاشية شاه ايران بعد أن صار الغلو فى الرفض أساس المذهب عندهم فى أيام الصفويين الى الآن. (هامش سمط النجوم العوالى ٤/ ٧١).

باسم شاه قولو (أي عبد الشاه) ، وكان هذا التمرد رهيبا ، استخدم العثمانيون كل قوتهم حتى استطاعوا إخماده ، لأن التأييد الخارجي كان متلاحقا لمساعدة المتمردين ، وكان لابد بالطبع من إعدام عبد الشاه.

اعتبر هذا التمرد الشيعي بدء مرحلة هامة في تاريخ الدولة العثمانية ، بل وفي تاريخ العالم الاسلامي ، إذ لو قام السلطان بايزيد الثاني بسرعة لإخماد التمرد لانتهى أمره قبل استفحاله ، لكن تلكؤ السلطان في قمعه أدى لأن تتجه الأنظار: أنظار الجيش العثماني وأنظار الشعب العثماني الى الأمير سليم الابن الأصغر للسلطان بايزيد ، وكان سليم واليا على ولاية طرابزون (١) العثمانية ، وهي قريبة من إيران ، وكان سليم معروفا بأنه عدو الشيعة اللدود . وكان يميل - وهو على رأس هذه الولاية - الى الاحتكاك بالقوة الشيعية الناهضة بصخب ، رأى الأمير الصغير أن والده متهاون في ضرب الدولة الصفوية ، لذلك اتجهت الأنظار - كما قلنا - الى سليم.

ولما اعتزل بايزيد العرش ، وتولى ابنه سليم الحكم عام ٩١٨هـ - ١٥١٢م جاءت الرسل من كل أنحاء العالم لتهنئة السلطان الجديد ، ولم يحضر أحد من إيران الصفوية عدوة سليم ، لكن سليم كان يعد العدة نحو هدفه الواضح ، وهو: لا جهاد ولا غزو في أوربا طالما أن الدولة الصفوية تنمو وتكبر ، والنفوذ الشيعي

(١) مدينة تركية كبيرة على شاطئ البحر الأسود بالقرب من الحدود السوفيتية.

يمتد يمينا وشمالا مما سيؤدى إلى أن تضرب العثمانيين من الخلف. ومن هذا الهدف نبعت استراتيجية عصر سليم: القضاء على الدولة الصفوية والنفوذ الشيعى فى الأناضول.

ووجد سليم أن النفوذ البحرى البرتغالى قد أخذ يهدد العالم الإسلامى بعد أن ثبّت البرتغاليون وجودهم فى الخليج العربى وخليج عمان، وأصبحوا يهددون الجزيرة العربية، ولم تكن الدولة المملوكية وقتها بقادرة على حماية الجزيرة العربية ومكة المكرمة والمدينة المنورة خاصة وقد تحالف البرتغاليون مع إيران الصفوية الشيعية.

بدأ سليم بحصر أسماء العلويين (اى الروافض) فى الأناضول فوجدهم أربعين ألف نسمة، واستفتى فى قتلهم، فافتى له (١).

وقد كان يريد بذلك أن يكون ظهره آمنا وهو يحارب الشاه، ثم أرسل سليم الرسل الى الشاه اسماعيل يدعو الى "ترك الفتنة والتوبة والاسلام"، وتبودلت الرسائل بين الاثنين، وسليم آخذا طريقه الى إيران.

وفى ٢٣ أغسطس عام ١٥١٤م - (٢ رجب ٩٢٠هـ) حدثت موقعة جَالْدِيرَانْ، فانتصر سليم، وهزم الشاه اسماعيل، وكانت المعركة شديدة حتى أن الشاه الصفوى اسماعيل هرب فرارا بحياته،

(١) ويبدو أن الذى أفتى له هو العلامة ابن كمال باشا اذ أن له "رسالة فى إكفار الروافض"، ويقصد بهم جماعة الشاه اسماعيل ..

تاركا تاجه وعرشه وزوجته فى ميدان المعركة ، ودخل سليم العاصمة الإيراينة وقتها ، وكانت تبريز .

وعندما كان سليم فى طريق عودته الى استانبول ضم الى دولته أراضى ذى القادر ، لأن حاكمها علاء الدين - التابع لدولة المماليك - قد رفض مساعدة سليم عندما كان هذا فى طريقه الى إيران ، مما جعل الدولة المملوكية - فى الشام ومصر - تتوتر وتأخذ حذرها من العثمانيين . وقام بين الدولتين عداء ساعد فيه الاتفاق بين دولة المماليك فى مصر والشام وبين الصفويين فى إيران ضد العثمانيين (١) . وزاد الأمر تعقيدا عثور المخابرات العثمانية على خطاب تحالف سرى يؤكد العلاقة الخفية بين المماليك والفرس ، والخطاب محفوظ الآن فى أرشيف متحف " طوب قابو " فى استانبول .

ولما كان سليم يريد إعادة الكرة على إيران مرة أخرى ، فانه رأى الحرب مع المماليك وسيلة لتأمين ظهر القوات العثمانية فى حربها مع الفرس . والتقى الجمعان : العثمانيون بقيادة سليم ، والمماليك بقيادة قانصو الغورى (١٥٠٢ - ١٥١٦م) على مشارف حلب فى مرج دابق عام ١٥١٦م - ٩٢٢هـ ، وانتصر العثمانيون ، وقتل الغورى . لكن العثمانيون أكرموا الغورى بعد مماته ، فأقاموا عليه صلاة

---

(١) " وان الباحث يجد فى بعض معاهدات الدولة العثمانية مع الايرانيين نصوصا تفرض عليهم أن يكفوا عن شتم سيدنا أبى بكر وعمر وسيدتنا عائشة " (العثمانيون ص ٢٩٧ - ٢٩٧ نقلا عن موقف العقل لمصطفى صبرى ١/ ٨٥) .

الجنازة ، ودفنوه فى مشارف حلب ، ودخل سليم حلب ثم دمشق ، ودعى له فى الجوامع ، وسكت النقود باسمه سلطانا وخليفة .

ومن سوريا أرسل الى طومانباى (١٥١٦ ــ ١٥١٧م) فى مصر رسالة يعرض عليه فيها حقن الدماء بشرط أن تكون غزه ومصر تابعة لطومانباى على أن يدفع خراجا سنويا ويكون تابعا للدولة العثمانية . لكن المماليك قتلوا رسول سليم بعد أن سخروا منه ، فكان لابد من الحرب مع صعوبة اجتياز صحراء فلسطين بليلها الشديدة البرودة . لكن سليم قد عزم على الحرب ، وتحرك لها ، ولبس الفرو حماية له من ليل الصحراء فى فلسطين ... وانتصر العثمانيون على المماليك فى معركة غزة ، ثم معركة الريدانية ...

ودخل سليم القاهرة (١) ، ونودى به سلطانا خليفة خادما للحرمين الشريفين ، بعد أن تسلم مفاتيح مكة والمدينة المنورة ، وكان سليم كريما مع ابن أمير مكة الذى قابله فى القاهرة ، كريما مع أهل الحجاز ، فقد أرسله معززا مكرما الى مكة ، وأرسل معه الخيرات الكثيرة لأهل المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة .

وفى مصر أعاد سليم تنظيم البلاد ، وأصدر قانون نامه مصر لتنظيم مصر ولتداربه .

---

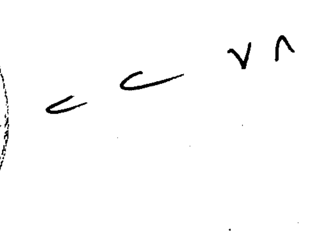
(١) يقول العلامة الدكتور محمود الطناحى فى الموجز ص ٢٧ نقلا عن ابن العماد فى شذرات الذهب (١٤٣/٨) فى صفة السلطان سليم ــ الذى وصفوه كذبا بأنه غازى مصر ــ : " انه من قوم رفعوا عماد الاسلام ، وأعلوا مناره ، وتواصوا باتباع السنة المطهرة ، وعرفوا للشرع الشريف مقداره " .

وعاد سليم الى استانبول بعد أن اتسعت رقعة الدولة العثمانية ، وتوحدت تحت رايتها البلاد العربية. عاد ليجد الشيعة وقد أشعلوا فتنة أخرى ليلهوه بها عن التصدى لهم ، وجد تمرد قام برياسته من يدعى جلال اليوزغادى ، وهو شيعى علوى ادعى المهدية ، وجمع حوله ٢٠٫٠٠٠ شخص ، وفرض الخراج على منطقة طوقاد فى الأناضول ، وكانت فتنة شديدة ، وكانت عام ١٥١٩م وأرسل اليهم سليم قائدا عثمانيا شجاعا ، وهو شَهْسُوَارْ أوغلو على بك ، فقام باخماد التمرد ، وقتل المهدى هذا ، وأعاد السكون الى المنطقة.

وفى عام ١٥٢٠م — ٩٢٦هـ ومن جراء خرّاج صغير ظهر فى ظهره مات سليم بعد أن أخمد الفتن ، وأدب الصفويين ، وأمن الأمن الداخلى ، ومهد للوحدة الاسلامية ، وأفسح الطريق لابنه ، ويسره لغزو أوربا مطمئنا » (١).

وأما عهد السلطان سليمان القانونى (٩٢٦ — ٩٧٤هـ) — الذى استمر ٤٦ سنة ، وهو أطول مدة حكم فيها سلطان عثمانى ، والذى قضى فيه ابن كمال باشا عقده الأخير من حياته الزاخرة بالتعليم

(١) د. محمد حرب: العثمانيون فى التاريخ والحضارة ٢٧ — ٣١. انظر كذلك : محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية ١٨٨ — ١٩٥ ، والمحلى الرمال : تاريخ غزوة السلطان سليم مع قانصوه الغورى ، مخطوط بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ، برقم ٣٧٩٣ (٤٧/ ٩٠٠) ؛ ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور ٥/ ٦٠ ، ٧٣ ، ١٥١ — ١٥٢ ، وصفحات أخرى متفرقة. ولعلى أطلت فى عهد =



٧٨

والتأليف والافتاء - فهو " قمة العهود العثمانية ، سواء في الحركة الجهادية ، وفي الناحية المعمارية ، والعلمية ، والأدبية ، والعسكرية. كان هذا السلطان يؤثر في السياسة الأوربية تأثيرا عظيما ، وبمعنى أوضح كان هو القوة العظمى دوليا في زمنه ، نعمت الدولة الاسلامية العثمانية في عهده بالرخاء والطمأنينة " (١) .

وتوغلت الجيوش الاسلامية في عهده في أوربا حتى وصلوا الى أبواب فينا ، وأصبح البحر الأبيض المتوسط وكذلك البحر الأسود بحرين اسلاميين آمنين ..

" ولم تقتصر أعمال العثمانيين الجهادية ضد الاوربيين في أوربا والبحر المتوسط فقط ، بل أخذ العثمانيون يناضلون ضد البرتغاليين في المحيط الهندى.

عندما فتح العثمانيون مصر في عهد والد سليمان ، كان البرتغاليون قد اكتشفوا طريق رأس الرجاء الصالح ووصلوا الى الهند ، وما لبثوا أن قاموا باعتداءات وحشية على مسلمي الهند . فاستنجد حاكم كجرات بالخليفة العثماني سليمان القانوني ، وكان

السلطان سليم الأول ولكن أردت توضيح حقيقة الأمر في دخول سليم الأول الى مصر ، حيث وجدت أسباب ذلك عند مؤرخ خبير عربي قد اطلع على المصادر العثمانية التركية والمصادر العربية ، وكتب في ذلك رسالته في الدكتوراه. وهو الدكتور محمد حرب .

(١) محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة ص ٨٩ .

طبيعيا أن يلبى الخليفة هذا الاستنجاد ، فقامت القوات البحرية العثمانية بأربع حملات بحرية لتأديب البرتغاليين ، كانت الأولى عام ١٥٣٨م ...

وتأتى أهمية هذه الحملات الى أهمية مضيق باب المندب وسواحل البحر الأحمر بالنسبة للاستراتيجية العثمانية " (١) .

ب - الحالة الاجتماعية والحضارية :-

إن الدولة العثمانية شملت تحت رايتها خليطا من الأجناس من أتراك وأكراد ، وأعاجم ، وعرب ، وأرمن ، وروم ، ويهود .. كما جمعت تحتها أيضا أصحاب ديانات ومذاهب مختلفة من مسلمين سنيين وهم القوة الحاكمة العظمى ، وشيعة (قيزيل باش = حمر الرؤوس اى الروافض) ومسيحيين ، ويهود ... وكان المسيحيون فى البلاد التى فتحها العثمانيون يقيمون شعائرهم الدينية بحرية كاملة دون أن يلقوا أى أذى من قبل المسلمين ، وكذلك اليهود ..

فالدولة العثمانية دولة عسكرية - جهادية ، ذات أنظمة إدارية واجتماعية واقتصادية دقيقة تقوم على أسس ومبادئ قوية . اذ ليس من المعقول أن يحافظ العثمانيون على وجودهم طوال ستة

(١) محمد حرب: العثمانيون فى التاريخ والحضارة ص ٩٩ - ١٠٠ .

قرون وربع قرن ، وكذلك ليس معقولا أن تحافظ دولة على كيانها كل هذه المدة إذا لم تقم على أسس ومبادئ سليمة في مجالات شتى وإذا لم تكن ذات حضارة عالية ..

يقول الجنرال النمسوي كونت فارسكلي - وهو القائد الذي أمضى حياته كلها في محاربة العثمانيين - عن التنظيم العثماني في المجال الاقتصادي: " وصل التنظيم الاقتصادي العثماني الى درجة عالية ، بحيث لم يكن يحاد لها نظير في الحكومات المسيحية من الممكن إيجاد موانع شتى في القوانين العثمانية والنظم الاقتصادية التركية تمنع الاستغلال ، وتشجب كافة المساوئ " .

وعن دقة تنظيم الطرق البرية العثمانية ووفرة الخدمات بها يثني هذا القائد على العثمانيين ، كما يمضي قائلا : " من أسباب القدرة على الحركة العسكرية الموفقة للجيش العثماني هو جودة الأطعمة والعناية بالحيوانات ، وهذه كلها أكثر دقة مما هي عليها عندنا ، وأكثر جودة في التنظيم ... " (١)

وفي المجال العسكري " حتى عام ١٧٠٠م كانت المدفعية العثمانية أقوى مدفعية في العالم ، فقد كان إعداد المدفعيين يتم باعداد متين الجذور . في عهد الفاتح (١٤٣٢ - ١٤٨١م - ٨٥٥ - ٨٨٦هـ)

---

(١) د. محمد حرب : العثمانيون في التاريخ والحضارة ص ٤١٩ - ٤٢٠ .

كانت الطوبخانة المتحركة (يعني مصنع المدافع المتحرك) تنقل على ١٢٫٠٠٠ جمل ، وتتحرك من استانبول حتى ألبانيا ، ثم تقف أمام مدينة مثل اشْقُوْدَرة (١) لكي تصب مدافع الحصار الثقيلة . ومدافع فتح القسطنطينية لاتحتاج الى الحديث عنها لتكنولوجيا متقدمة في ذلك الوقت . وكان هذا في القرن الخامس عشر .

أما مدافع الهاون فقد استخدمت لأول مرة في التاريخ في عهد الفاتح أيضا .

وكان السلطان سليم الأول هو أول من استخدم المدافع غير ثابتة الاتجاه والتي يمكن تحريكها بيسر . وكان ذلك في أوائل القرن السادس عشر الميلادي مظهر لدقة الاختراع العلمي والقدرة على استخدام التكنولوجيا الحديثة ـ بالنسبة لزمنه ـ ، وكانت القوات العثمانية قد انتصرت على القوات المملوكية في معركة الريدانية ، وهزمت المدفعية المملوكية الثقيلة الثابتة الاتجاه والوضع . كان لدى القوات المملوكية المدافع الضخمة التي كان يستخدمها بجانب المماليك خبراء جاءوا خصيصا لذلك من أوربا ...

أما عن الاسطول العثماني ـ كمظهر حضاري ـ فقد كان حتى عام ١٨٦٨م هو الأسطول الثالث في العالم قوة بعد الأسطولين

(١) مدينة اشقودرة تقع اليوم في شمال غرب ألبانيا .

الانكليزى ثم الفرنسى . وتشهد ترسانة السويس على دقة التنظيم العثمانى فى تنظيم اعداد الأسطول ، وسرعة تحركه من السويس الى مختلف الأماكن ، خاصة ماتحدثنا به وثيقة ، هى فرمان لوالى مصر بسرعة ارسال الأسطول لانقاذ "الأهالى المسلمين" فى "البحرين" الواقعة فى بصركُوْرفَزِى "خليج البصرة ـ الخليج العربى ، عام ٩٨١هـ ١٥ جمادى الآخرة من "الكفار" اى البرتغاليين الذين عاثوا فسادا هناك" (١).

"وعن الخدمات الاجتماعية كمظهر حضارى فى الدولة العثمانية نقول : "إن الدولة لم تكن متكلفة بالخدمات الاجتماعية ، بل كانت هذه تدخل فى اختصاص الوقف ، وكان ركنا أساسيا فى اقتصاد الدولة العثمانية . وعن طريقه نشطت الحركة العلمية فى جوامع استانبول (الجامع فى النظام العثمانى معماريا واداريا وحدة دينية وعلمية متكاملة ، فيها الجامع والمدرسة ، والمدارس الأقل من المدرسة والجامعة ، والمكتبة ، ومدينة الطلاب ، والمطعم الخاص بهم ، والمطعم الخيرى العام ، والحمام ، ومدرسة الطب ، والمستشفى...) كان صُوقُلِّلى محمد (٢) باشا ـ على سبيل المثال ـ ينفق على

(١) محمد حرب: العثمانيون فى التاريخ والحضارة ص ٤١٨ ـ ٤١٩ محيلا الى وثيقة بدار محفوظات رئاسة الوزراء ، ديوان همايون مهمات دفترى رقم ٢٣ ص ٦٤ ، حكم ١٢٤ ، وجَنْكِيزْ أُورْخَانْلُو : حبش أيالتى .

(٢) اشتهر بمحمدباشا الطويل ، ولد فى بوسنة سنة ٩١١هـ، وتخرج فى مدرسة أندرون التى تخرج الإداريين والعسكريين الكبار لتدبير أمور الدولة ، وأصبح الوزير الأعظم سنة ٩٧٢ للسلطان سليمان القانونى واستمر على هذه الوظيفة =

الحركة العلمية في استانبول من دخل وقف ٢٠٠٠ قرية عثمانية في تشيكوسلوفاكيا (وكانت تابعة للدولة العثمانية) . وأسعد أفندي قاضي عسكر الروملي (يعني البلقان) أوقف وقفين كبيرين على تجهيز الفتيات المعدمات اللاتي يصلن الى سن الزواج . وكان لدى العثمانيين أوقاف كثيرة ومتعددة .

مثال آخر ، كانت هناك أوقاف خاصة بصرف مرتبات للعائلات المعوزة – غير الأكل – ، لأن الأكل المجاني له أوقاف عامة أخرى تسمى (عمارت وقفي) أي وقف المطاعم الخيرية . وكانت الـ (عمارت) تقدم أكلا مجانيا لعدد يبلغ ٢٠٫٠٠٠ شخص يوميا مجانا ، وكان مثل هذا في كل الولايات .

(عمارت) السليمانية أي المطعم الخيري الملحق بجامع السليمانية بلغت ميزانيته عام ١٥٨٦م مايعادل (١٠) عشرة ملايين دولار أمريكي الا قليلا . ان وقفية السليمانية دليل على عظمة حضارة العثمانيين .

وبالطبع كان رصف الطرق [١] ، و (كروان سرايي) أي الفنادق المقامة على الطرق البرية في كل أرجاء الامبراطورية العثمانية بما في ذلك المأكل والمشرب والمبيت كان مجانا ، يصرف عليه من

---

١٤ سنة ، واستشهد سنة ٩٨٧ هـ .(الموسوعة الاسلامية التركية ٥/٥٩٥) .

(١) شوارع استانبول كما رآها أوليا جلبي – في القرن السابع عشر الميلادي – شوارع نظيفة مرصوفة ، ويلاحظ القارئ أن الأرصفة كانت مجهولة في أوربا في ذلك الوقت . (العثمانيون في التاريخ والحضارة ص ٣٩١) .

الأوقـــــــــاف ..

تلـك لمحـة عـن الحضـارة العثمانيـة حـتى أيـام الفتـح العثمـانـــــى للشـام ومصـر ، يعـنى مـن عـام ١٢٩٩م ـالـى عـام ١٥١٧م. مـع أمثلـــة طفيفـة عـامـــة "(١) .

وقـد اعتـاد العـثمانيـون أن يـرسلـوا مسـاعـدات مـاليـة كبيرة الـــى سكـا ن الحـرمـين الشـريفـين ، وأول مـن أرسـل هـذه المسـاعـدة وبالأخـرى هـذه الهـديـة الـى أمـير مكـة والـتى تسمـى " الـصُرّة " مـن السـلاطـــين العثمانيـين هـو محـمـد جلـبى بـن بـايـزيـد الصـاعقـة (٨١٦ ـ ٨٢٥هـ) (٢).

فـالصـرة عبـارة عـن قـدر معـين مـن النقـود يـرسـل الـى الأمـير ، لتوزيعه علـى فـقـراء مكـة والمـدينـة .. وقـال بعـض المـؤرخـين أن السلطـا ن سليم الأول هـو أول مـن أرسـل الصـرة فـى سنـة ٩٢٣هـ ـ ١٥١٧م بعـد فتـــح مصـــر (٣) .

وأمـر السلطـا ن سليمـا ن القـانونـى بشـراء بعـض القـرى بمصر مـــن أمـوالـه ، ووقـف وارداتهـا علـى الغلـة ترسـل مـن مصـر سنويـا لتوزيعهـا بمكـة المكرمـة بموجـب الـدفـاتـر السلطـانيـة ، كمـا أمـر بـزيـادة المبالـــغ

(١) محمد حرب: العثمانيون فى التاريخ والحضارة ٤٢٢ ـ ٤٢٣ .

(٢) يقول الدكتور محمد حرب فى كتابه العثمانيون فى التاريخ والحضارة ص٥٩ : ان أول " صرة " أرسلها العثمانيون الى الحرمين الشريفين كا ن فى عهد بايـــزيد الصاعقة (٧٩١ ـ ٨١٦) .

(٣) محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ١٥٢ .

التى ترسل صُرّة الى الحرمين .

كما أوقفت الحكومة العثمانية الجزية التى تحصل من قضاء أثينا (العاصمة اليونانية الآن) على الحرمين الشريفين (١) .

جـ ـ الحالة العلمية :ـ

على الرغم من اشتغال العثمانيين بالفتوحات والجهاد فى قارات ثلاث عامة ، وفى قارة أوربا خاصة ، لم يهملوا الاهتمام بالعلوم والثقافة الاسلامية ، والعلوم الرياضية وكذلك العلماء ، بل انهم وكلوا التخطيط الإدارى والتنفيذ منذ عهد مؤسس الدولة عثمان الغازى الى علماء الدين ، وهذا الاهتمام واضح تمام الوضوح فى وصية مؤسس الدولة لابنه أورخان الغازى (٧٢٦ ـ ٧٦١هـ) ، وهو على فراش الموت ، يقول فيها :

" يابنى ! اياك أن تشتغل بشىء لم يأمر به الله رب العالمين. واذا واجهتك فى الحكم معضلة فاتخذ من مشورة علماء الدين موئلا .

يابنى ! أحط من أطاعك بالاعزاز ، وأنعم على الجنود ، ولايغرنك

(١) محمد حرب : العثمانيون فى التاريخ والحضارة ص ٣٩٣ .

الشيطان بجندك ومالك ، وإياك أن تبتعد عن أهل الشريعة.

يابني ! انك تعلم أن غايتنا هي ارضاء الله رب العالمين ، وأن بالجهاد يعم نور ديننا كل الآفاق ، فتحدث مرضاة الله جل جلاله.

يابني ! لسنا من هؤلاء الذين يقيمون الحروب لشهوة حكم، أو سيطرة أفراد ، فنحن بالاسلام نحيا ، وللاسلام نموت ، وهذا ياولدي ما أنت أهل له " (١).

فنرى صدى هذه الوصية في حياة الموصي حيث يقول طاشكبرى زاده في ترجمة شيخ عثمان الغازي المؤسس المولى أَدَه بَالِي :

" ولد بالبلاد القرمانية ، وقرأ هناك بعضا من العلوم ، ثم ارتحل الى البلاد الشامية ، وتفقه بها على مشايخ الشام ، وقرأ التسفير والحديث والأصول عليهم ، ثم ارتحل الى بلاده ، واتصل بخدمة السلطان عثمان الغازي ، ونال عنده القبول التام ، وكانوا يرجعون اليه بالمسائل الشرعية ، ويتشاورون معه في أمور السلطنة ، وكان عالما عابدا زاهدا " (٢).

وبعد وفاته قام مقامه ختنه - اي ختن أده بالي - المولى

(١) د. محمد حرب: العثمانيون ص ١٦ نقلا عن المؤرخ العثماني عاشق جلبي.
(٢) الشقائق النعمانية ص ٦ ، انظر أيضا : الفوائد البهية ٧٤ - ٧٥ .

طُورْسُونْ فقيه ، فى أمر الفتوى ، وتدبير أمور السلطنة ، وتدريس العلوم الشرعية ، وكان عالما عاملا مجاب الدعوة (١) .

" ولعل هذه الوصية كان النبراس الذى جعل العثمانيين يهتمون بالعلم ، والمؤسسات العلمية ، والجيش والمؤسسات العسكرية ، والعلماء واحترامهم ، والجهاد الذى أوصل فتوحاتهم الى أقصى مكان وصلت اليه راية جيش مسلم ، والادارة والحضارة .

وكانت أول تطبيقاتها فى عهد الموصى اليه ــ أورخان بن عثمان ــ فقد أقام أول جامعة اسلامية فى الدولة العثمانية ، وأقام أول جيش نظامى فى تاريخ العالم (٢) " (٣) .

ويقول طاشكبرى زاده : " وبنى السلطان أورخان مدرسة فى بلدة إزْنِيقْ (٤) ، وهى ــ على ما سمعته ــ أول مدرسة بنيت فى الدولة العثمانية ، وعين تدريسها للشيخ داود القيصرى ، فدرّس هناك وأفاد ، وصنف وأفاد ... " (٥) .

(١) الشقائق النعمانية ص ٧ ، الفوائد البهية/ ٨٥ .

(٢) انظر فى وصف الدكتور احسان حقى هذا النظام بأنها فكرة عسكرية عبقرية ، فى تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٧٦٧ ــ ٧٦٨ .

(٣) محمد حرب: العثمانيون فى التاريخ والحضارة ص ١٦ ــ ١٧ .

(٤) مدينة يونانية قديمة بآسيا الصغرى ، أصل اسمها (نيقيه) ، واقعة شرق بورصة بنحو ٨٠ كيلو متر ، كانت مركزا علميا يلى استانبول مباشرة فى المكانة الدينية والعلمية المسيحية قبل الفتح .

(٥) الشقائق النعمانية ص ٨ ، انظر كذلك : تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ١٢٤ .

ثم ان السلاطين والوزراء والأمراء والأغنياء بل والقضاة والمدرسين بنوا كثيرا من المدارس، ودور العلم وخزانات الكتب، كما أبدوا اهتماما بالغا بالدراسات الاسلامية، فبنوا لها المدارس الكثيرة في المدن التي فتحوها ..

ومن أبرز المدارس التي ظهرت في هذا القرن هي " المدارس الثمان " التي أنشأها السلطان محمد الفاتح، حيث إنه لما فتح مدينة قسطنطينية جعل ثمان من كنائسها مدارس، وعين لكل منها مدرسا من فضلاء ذلك الدهر، ثم لما بنى المدارس الثمان بجوار مسجده، والتي اشتهرت بـ " مدارس فاتح " نقل التدريس من الكنائس - المحولة الى المدارس - الى هذه المباني الجديدة ..(١)
وكانت هذه المدارس ذروة في تاريخ العلم والحضارة ..

وقد اهتم السلطان محمد الفاتح ومن يليه من السلاطين بهذه المدارس اهتماما بالغا، فتخيروا لها نخبة العلماء في العالم الاسلامي، فاجتمع فيها مدرسون أفذاذ ..

إن أول كلية للطب عند العثمانيين قامت في عهد محمد الفاتح.

وكان بجوارها مؤسسة كبرى باسم مستشفى الفاتح للأمراض

---

(١) طاشكبرى زاده: الشقائق النعمانية ص ٦٠، ٧٥ .

العقلية بها (٧٠) حجرة، (٨٠) قبة ، (٢٠٠) خادم، الى جانب الأطباء المختصين [*] .

وكانت حياة السلطان محمد الفاتح زاخرة بالعلم وبالحرب، فمن الناحية العلمية أنه كان يجيد عدة لغات الى جانب لغته القومية ، فقد كان يجيد العربية واليونانية واللاتينية بجانب اللغة العبرية.

وعرف عن الفاتح (حب العلماء) واستقدامهم من البلاد الأخرى .

ومن أبرز علماء عصره الشيخ آق شمس الدين ، محمد بن حمزة [١] ، والمولى شمس الدين أحمد بن اسماعيل الشهير بالمولى الكوراني [٢] ، والمولى خسرو (ت ٨٨٥هـ) [٣] ، وعلى القوشجي [٤] ، والمولى مصلح الدين مصطفى بن يوسف الشهير بالمولى خواجه زاده [٥] ، والمولى مصلح الدين مصطفى القسطلاني [٦] ، أحد مشايخ العلامة ابن كمال باشا ، وغيرهم كثيرون [٧] .

(*) العثمانيون فى التاريخ والحضارة نقلا عن أوليا جلبى ص ٣٩٠ ، ٤٢٢ .

(١) ترجمته فى الشقائق النعمانية ص ١٣٨ ـ ١٤٢ .

(٢) ترجمته فى الشقائق النعمانية ص ٥١ ـ ٥٥ .

(٣) ترجمته فى الشقائق النعمانيية ص ٧٠ ـ ٧٢ .

(٤) ترجمته فى الشقائق النعمانية ص ٩٧ ـ ٩٩ .

(٥) ترجمته فى الشقائق النعمانية ص ٧٦ ـ ٨٤ .

(٦) ترجمته فى الشقائق النعمانية ص ٨٧ ـ ٨٩ .

(٧) انظر: محمد حرب: العثمانيون ص ٨٢ ، وكذلك حاجى خليفة: كشف الظنون ١ / ٦٨٠ .

ونقل الدكتور محمد حرب عن المؤرخ العثماني القديم لطيفي قوله (١) : " كان الفاتح اذا سمع بعالم متبحر متفرد في فن من الفنون في الهند كان أو في السند ، استماله بالاكرام ، ونفحه بالمال ، ومنّاه من المراتب والمناصب بكل عزيز المنال ، فحبب العلماء أن يزايلوا أوطانهم ويفدوا عليه . ومن المتعارف المشهور أنه استقدم العالم الكبير علي القوشجي السمرقندي ، وكانت له في الحكمة والفلك شهرة ، استقدمه الفاتح من ديار العجم ، وقدّر له ألف آقچه (٢) على كل مرحلة من مراحل سفره ، وأكرمه إكراما ، ووقره توقيرا " .

ثم اختار السلطان سليم الأول نخبة من علماء الأزهر لكي يدرسوا بمدارس فاتح ، بمقر الخلافة الجديد .

كما أنشأ السلطان سليمان القانوني كليته (٣) الشهيرة باستانبول وهي عبارة عن أربع مدارس (أي المدرسة الأولى ، والمدرسة الثانية ، والمدرسة الثالثة ، والمدرسة الرابعة)، ومدرسة الملازمين ، ودار الحديث ، ودار الطب — وهي مدرسة عليا لتدريس الطب) ، ودار الشفاء — اي المستشفى الخاص بدار الطب — ، ودار القراء — لتدريس القرآن الكريم : بقراءاته ورواياتها — ، ودار التعليم —

(١) العثمانيون في التاريخ والحضارة ص ٢٤٧ ، ٢٥٩ . انظر كذلك : الشقائق النعمانية/٩٨ .

(٢) وفي الشقائق النعمانية ص ٩٨ : وصرفوا له بأمره اليه في كل مرحلة ألف درهم .

(٣) الكلية في العمارة العثمانية تعني مجموعة المنشآت الخيرية ، والمدارس المحيطة بالجامع .

اى مدرسة الصبية ـ .. وجعل لهذه الكلية أوقافا كثيرة فى أماكن مختلفة (١) .

كما أسس سليمان القانونى المدارس السليمانية الأربع بمكة المكرمة على المذاهب الأربعة يدرس فيها علماء مكة المكرمة العلوم الشرعية ..

ويقول العلامة قطب الدين المكى عن تأسيس هذه المدارس ورواتب المدرسين والموظفين والدارسين فيها :

" وعين المرحوم سليمان وظائف المدرسين والطلبة وغير ذلك من أوقافه بالشام ، وعين لكل مدرس خمسين عثمانيا فى كل يوم ، وعين للمعيد أربعة عثمانية فى كل يوم ، ولكل مدرس خمسة عشر طالبا ، لكل طالب عثمانيين ، وللفراش كذلك ، وللبواب نصف ذلك ، يجهزها فى كل عام ناظر الأوقاف السليمانية بالشام ، مع الركب الشامى الى مكة المشرفة ، فيوزع على المدرسين .

ولم تكمل هذه المدارس الأربع الا فى دولة السلطان سليم الثانى ابن سليمان ، فانعم بالمدرسة المالكية السليمانية ، وهى رأس المدارس الأربع ، على قاضى القضاة القاضى حسين الحسنى ، وأنعم بالمدرسة الحنفية السليمانية على مؤلف هذا الكتاب ـ وهو العلامة الشيخ

(١) انظر: جاهد بالطه جى : المدارس العثمانية فى القرن الخامس والسادس عشر الميلادى ص ٥١٨ ـ ٥١٩ ، ومحمد حرب: العثمانيون ص ٢٣١ .

قطب الدين المكي رحمه الله - في أواسط جمادى الأولى سنة خمس وسبعين وتسعمائة ، فقرأت فيها قطعة من الكشاف، والهداية ، وقطعة من تفسير أبي السعود ، وقرأت فيها درسا في الطب ، ودرسا في الحديث وأصوله ، وأدرس تكميل شرح الهداية لابن الهمام ...

ثم قال : وأنعمت السلطنة الشريفة بالمدرسة السلطانية السليمانية الشافعية لإقراء مذهب الشافعية على بعض علماء الشافعية .

وأما المدرسة الرابعة السليمانية فقد جعلها المرحوم الواقف لإحياء مذهب الامام أحمد بن حنبل ، فعدل عنه الى علم الحديث الشريف ، وجعلت تلك المدرسة دار الحديث ، يقرأ فيها الصحاح الستة " (١) .

وقد اشتهر في أيام دولة سليمان بن سليم القانوني جمع من العلماء ، منهم :

المفتي على شلبي المعروف عندهم بـزَنْبِيلّي على أفندى أي علي الزنبيلي (٢) وهو المولى علاء الدين علي بن أحمد بن محمد الجمالي (ت ٩٣٢هـ) أحد دعائم الإفتاء في زمن السلطان سليم وابنه سليمان ، وبعد وفاته أسند أمر الفتوى في الدولة العثمانية الى ابن كمال باشا .

---

(١) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ٢٣٧ - ٢٣٩ .

(٢) ترجمته في الشقائق النعمانية ص ١٧٣ - ١٧٦ .

والعلامة ابن كمال باشا (ت ٩٤٠هـ) ، وسعدى جلبى (ت ٩٤٥هـ) وهو الذى تولى منصب المشيخة الاسلامية بعد شيخه ابن كمال باشا، وستأتى ترجمته ضمن تراجم تلاميذه .

وجوى زاده (١) : وهو العلامة محيى الدين محمد بن محمد بن إلياس (ت ٩٥٤هـ) تولى القضاء والإفتاء فى الدولة العثمانية ، فقيه ، له تعليقة على " الأشباه والنظائر " لابن نجيم المصرى .

والعلامة أبو السعود ، محمد بن محمد العمادى الشهير فى زمانه بخواجه شلبى (ت ٩٨٢هـ) (٢) ، وهو من تلاميذ العلامة ابن كمال باشا أيضا ، شغل منصب الإفتاء سنين طويلة بعد شيخه ..

والعلامة القاضى المدرس المؤرخ الشيخ عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصلح الدين مصطفى بن خليل ، الشهير بطاشكبرى زاده (ت ٩٦٨هـ) ، صاحب " الشقائق النعمانية فى تراجم علماء الدولة العثمانية "، و " مفتاح السعادة " .

وقد ترجم طاشكبرى زاده فى " الشقائق " أكثر من خمسمائة

(١) ترجمته فى الشقائق النعمانية ٢٦٥ـ ٢٦٦ ، وشذرات الذهب ٨/٤٣٦ـ ٤٣٧ ، والفوائد البهية ٢١٢ .

(٢) انظر: العصامى :سمط النجوم العوالى فى أبناء الأوائل والتوالى ٤/٧٣ حيث انه ظن أن المفتى خواجه شلبى شخص ، وأبو السعود أفندى صاحب التفسير شخص آخر غيره ، مع أنهما شخص واحد ، فالعلامة أبو السعود اشتهر بين الناس بخواجه شلبى .

عالم وشيخ من الذين عاشوا فى الدولة العثمانية منذ عثمان الغازى الى سليمان القانونى ، وهو العهد الذى عاش فيه المؤلف طاشكبرى زاده ، وكذلك العلامة ابن كمال باشا ، والكتاب ترجم من لغته العربية الى اللغة التركية فى عهد مؤلفه التركى ..

يقول محقق " الشقائق " الدكتور صبحى فرات فى المقدمة (١) :
" ان القسم الأكبر من تلك الشخصيات التى احتواها هذا الكتاب ، كان قد خلف مؤلفات كثيرة فى مجال العلوم الاسلامية ، كالفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام ، والأدب ، وهذا مايظهر لنا قوة نمو وتطور العلوم الاسلامية باللغة العربية على الساحة العثمانية من القرن السابع الى القرن العاشر الهجرى ، أى من القرن الثالث عشر الميلادى حتى القرن السادس عشر الميلادى .. " .

وهناك مدارس داخل القصر السلطانى بطوب قابى باستانبول تسمى " أندرون همايون " وهى عبارة عن جامعة خاصة داخل القصر ظلت أربعة قرون كمدرسة فنية لاعداد الموظفين الكبار من العسكريين والمدنيين حتى يشاركوا فى تسيير مؤسسات الدولة (٢) ..

" وفى هذه المدرسة كان يؤتى بشبان أكثرهم من المدارس السلطانية حيث يعدّون اعدادا عسكريا تربويا مع منحهم رتبة

---

(١) نقلا عن " العثمانيون فى التاريخ والحضارة " ص ٤٢٩ ــ ٤٣٠ .
(٢) المدارس العثمانية فى القرن الخامس والسادس عشر ص ١٦ ــ ١٨ .

الضباط ويمرتب مجز . كانوا يدربون فى القصر على ادارة الدولة من ناحية ، ويتلقون دراسات خاصة فى العلوم العسكرية والمواد العلمية والدينية ، ويتدربون على السباحة والرماية والفروسية. وكانت اللغة العربية فى هذه المدرسة لغة إجبارية ، اذا رسب الطالب الضابط فيها يرسب تماما . أما أعلى مراحل هذه المدرسة تسمى " خاص أوده سى " يعنى الغرفة الخاصة ، ولم يكن يقبل بها أكثر من (٤٠) طالبا فقط ، هم الصفوة ، حيث يعدون للمناصب الأكبر فى الدولة ... " (١) .

وهكذا يكون كل الضباط الكبار والموظفين الكبار فى الدولة على درجة عالية من المعرفة والثقافة ، وكان فيهم كثرة ملحوظة من العلماء .

ولقد عدّد الدكتور جاهد بالطه جى فى رسالته القيمة " المدارس العثمانية فى القرن الخامس والسادس عشر الميلادى " والتى طبعت فى استانبول ـ المدارس التى تأسست فى هذين القرنين فى الدولة العثمانية فبلغت خمسمائة مدرسة تقريبا ، ويصل هذا العدد الى الألف مع المدارس التى بنيت قبل العثمانيين والتى استعملوها لغرض التدريس فيها .

وقسم الدكتور بالطه جى المدارس الى قسمين :

---

(١) العثمانيون فى التاريخ والحضارة ٤١٧ ـ ٤١٨ ، وكذلك ص ٤٣٢ .

القسم الأول : المدارس العامة :

وقسمها الى :

أ - المدارس التى يعطى لمدرسيها عشرون درهما يوميا ، فبلغ عددها فى هذين القرنين حسبما ذكرها بالطه جى الى (٣٢) مدرسة.

ب - المدارس التى يعطى لمدرسيها ثلاثون درهما يوميا ، وعددها (٢٢) مدرسة.

ج - المدارس التى يعطى لمدرسيها أربعون درهما يوميا ، وعددها (٢٩) مدرسة.

د - المدارس التى يعطى لمدرسيها خمسون درهما يوميا ، وعددها (١٤٧) مدرسة.

هـ - المدارس التى يعطى لمدرسيها ستون درهما يوميا ، وعددها (١٨) مدرسة.

و - المدارس التى يعطى لمدرسيها أكثر من ستين درهما ، وعددها أربعة مدارس.

ز - وذكر تحت عنوان " المدارس الأخرى ، التى لم يصل الى معرفة ما يأخذه مدرسوها (٧٢) مدرسة.

وهذا التقسيم يفيد أيضا مراحل الدراسة فى الدولة العثمانية حيث ان الطالب يكمل الكتب المقررة فى المدارس التى يعطى لمدرسيها عشرون درهما ثم ينتقل الى التى يليها ، ثم الى التى يليها ، وهكذا ..

القسم الثاني: المدارس التخصصية:

وتنقسم الى :

أ - دور الحديث ، وعددها (٢٠) مدرسة.

ب - دور القراء ، وعددها (١٥) مدرسة.

ج - مدارس الطب ، وعددها (٧) مدارس (١).

فبلغ مجموع المدارس العامة التي ذكرها د. بلطه جي في دراسته الى (٣٢٤) مدرسة.

واذا أضفنا الى هذا العدد المدراس التخصصية فيصل العدد الى (٣٦٦) مدرسة.. والمدارس الإبتدائية للصبيان غير داخلة في هذا العدد. وقد انتشرت هذه المدارس في كل حي من أحياء المدن ، وكذلك القرى .. ويذكر أوليا جلبي في القرن السابع عشر الميلادي (١٩٩٣) مدرسة للصبيان في استانبول فقط ، واذا أخذ هذا العدد بعين الاعتبار فيمكن القول بأن عدد المدارس للصبيان في القرن السادس عشر لايقل عن (١٠٠٠) مدرسة في استانبول نفسها... (٢)

وهذا ان دل على شيء فانه يدل على مدى انتشار التعليم

(١) د. جاهد بالطه جي : المدارس العثمانية في القرن الخامس والسادس عشر الميلادي ، فهرس الموضوعات.

(٢) د. بالطه جي : المدارس العثمانية في القرن الخامس والسادس عشر الميلادي ص ١٩.

فى مراحله الأولى فى الدولة العثمانية ، واهتمام العثمانيين بالتعليم فى جميع مراحله .

وأما مصر – مقر الخلافة قبل دخول العثمانيين فيها ، وكذلك مقر الأزهر – فقد كانت أرضا صالحة للعلماء والأدباء والمؤرخين ، وقد بلغت الحركة العلمية والثقافية فى مصر ذروتها من التقدم والازدهار ، حيث كان الأزهر والمدارس الأخرى يتمتع باهتمام الحكام والأمراء وذوى الجاه والثراء فى وقف الأراضى والعمائر على العلماء وطلاب العلم لكى يتوفروا على دراستهم آمنين مطمئنين ..

وقد عدد ابن إياس فى حوادث سنة (٩٠١هـ) أن قايتباى أنشأ مدرستين بالشام ، ومدرسة بالاسكندرية ، ومدرسة بغزة ، ومدرسة عظيمة بمكة المكرمة عند باب السلام ، ومدرسة أخرى بالمدينة المنورة .. (١)

وكان لهذه المدارس المنتشرة فى البلاد العثمانية الاسلامية دور بارز وأثر كبير فى الحياة العلمية وازدهار العلوم الاسلامية ، وفّرت جهاز التدريس واحتياجات الطلاب والمدرسين ، فقد نشأ فيها علماء أفاضل ، ومشايخ كبار قاموا بالتدريس والإفتاء والقضاء والدعوة والارشاد فى جميع أنحاء الدولة العثمانية والبلاد الاسلامية .

(١) انظر فى : ابن اياس ، دراسات وبحوث ص ٥١ ، ٧٣ ، ابن العماد ، شذرات الذهب ٩/٨ ، ابن اياس بدائع الزهور ٢/٢٩٧ – ٢٩٨ .

اهتمام العثمانيين باللغة العربية :

هذا ، " وكانت اللغة العربية - سواء قبل الفتح العثمانى للبلاد العربية أو بعده - هى لغة الثقافة والأدب والعلوم عند العثمانيين كتبوا بها كل شىء من كتب الفقه أو الفتاوى أو الدين ، اصطلاحات العلوم العثمانية كانت كلها عربية ، كما كتبوا بها التراجم ، مثل " الشقائق النعمانية " لطاشكبرى زاده ، وكتبوا بها التاريخ ، مثل " جامع الدول " لمنجم باشى أحمد دده ، وتاريخ " العَيْلَمُ الزاخر فى علوم الأوائل والأواخر " للعالم التركى جنابى ، وكتبوا بها المقامات ، مثل مقامات عيدى .

وقد قرر العثمانيون اللغة العربية لغة أولى فى جميع المعاهد التعليمية من أولها الى آخرها ، ودرسوا بها كافة العلوم . أهمل الأتراك العثمانيون لغتهم التركية ، وألفوا الكتب المدرسية وغير المدرسية بما فى ذلك صرف ونحو اللغة العربية - بالعربية ، وكتبوا بها الرسائل (أنظر فهارس مخطوطات السليمانية) . واشتقوا من العربية اصطلاحات علمية كثيرة ، فى حين أننا الآن نشتق هذه المصطلحات من أوربا .

الغريب فى الأمر ، أن حركة تنقية اللغة التركية من الكلمات والمصطلحات العربية تنشط هذه الأيام . ان حديث المعاصرين الأتراك عن (العمل على التخلص من سيطرة اللغة العربية على اللغة التركية) لايخلو منه حديث فى الاذاعة ، ولاكتب اللغة التركية فى المدارس.

الأتراك المحدثون يتهمون العثمانيين ويتهمون الدولة العثمانية بأنها أهملت (لغتنا التركية الجميلة على حساب اللغة العربية) ، وأن العثمانيين أسهموا فى اثراء الثقافة العربية [١] ، وكان (الأولى أن يهتموا بتطوير ثقافتنا التركية) [٢] " .

ويقول الدكتور احسان فى ملحق تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ٧٣٩ : " فالاتراك كانوا مسلمين ، والمسلم أخو المسلم أينما كان ، هذا بالاضافة الى أن العرب كانوا شركاء الأتراك فى الحكم ، فكان منا الوزراء ، ومنا الولاة ، ومنا القادة ، ولم يكن مايفرق بيننا وبين التركى ، لا بل كانت اللغة العربية هى اللغة الرسمية المستعملة فى البلاد العربية فى القضاء والادارة الا ما كان منها ذا علاقة ببلاد الأتراك .. " .

ثم " هناك علامة بارزة على الاهتمام السامى باللغة العربية فى الدولة العثمانية ، وهى أن كل أمير وسلطان وخليفة عثمانى كان يجيد اللغة العربية ، تعلم ودرسبها ، واتخذها وسيلة لتعلم الدراسات الاسلامية المنصوص عليها فى نظام تربية الأمراء فى القصر العثمانى .

---

(١) واتهم احد المترجمين لابن كمال باشا من المحدثين وهو نهال آد سز بأنه أهمل لغته الام ، بل تجاهل عن وجودها ، وعدّ حشو الكلمات العربية والفارسية فى النثر التركى من شروط العالِمية . (انظر : نهال آد سز : ترجمة ابن كمال باشا ومؤلفاته ، مجلة الشرقيات العدد السادس/ ٧٤ ـ ٧٥) .

(٢) د . محمد حرب : العثمانيون فى التاريخ والحضارة/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥ .

وأحب هنا أن أنقل عبارة كتبها مؤرخ التربية التركية المشهور عثمان أركين فى كتابه تاريخ التربية التركية (فى خمسة أجزاء ، استانبول ١٩٣٩ ـ ١٩٤٣) هى :

" اتخذ السلاجقة الأتراك فى دولتهم السلجوقية ، اللغة الفارسية لغة رسمية لهم وهم أتراك . والعثمانيون ـ مع استخدامهم للغتهم التركية فى الأعمال الحكومية ـ الا أنهم لم يدرسوا هذه اللغة للشعب فى أى مؤسسة من المؤسسات . فاللغة السائدة والمسيطرة فى المدارس والجامعات عند العثمانيين كانت اللغة العربية . ولم تتنحى اللغة العربية عن المكانة الأولى فى المؤسسات التعليمية العثمانية الا مع الغاء النظام التربوى العثمانى عندما صدر قانون عام ١٩٢٣ " .

يعدد عثمان أركين أسماء المدارس فى عهد " اتخاذ التعليم العثمانى اللغة العربية أساسا لغويا " ، فيذكر مدرسة اعداد الأمراء ، ومدرسة أندرون (وهى مدرسة فى القصر السلطانى لإعدادا موظفين من الدرجة الأولى العالية لاستخدامهم فى القصر والجيش والحكومة) ، والمدارس العسكرية ، ومدارس الموسيقى العسكرية ، ومدارس الفنون العسكرية .

ونجد فى دور الأرشيف فى تركيا الآن الوقفيات العديدة مكتوبة باللغة العربية ، والأمثلة أكثر من أن تحصى ..

وحتى فى آخر ست سنوات من عمر الدولة العثمانية ، وأقصد بها فترة حكم حزب الاتحاد والترقى - وهو حزب ثار أساسا على وجود الدولة العثمانية ، ونجح بالفعل فى تقويضها - أقول انه حتى فى هذه الفترة القصيرة جدا من التاريخ ، والتى نادى بعض قادة الاتحاد والترقى فيها بالتتريك ، لم تستطع هذه السياسة أن تمسّ سلطة اللغة العربية فى معاهد التعليم بأنواعها ، ولم يتوقف التعليم بالعربية فيها ، ولم ينقص احترام العثمانيين للغة العربية " (١) .

ولعلى قد أطلت فى بيان مكانة اللغة العربية عند العثمانيين فى بلادهم ومدارسهم ، وذلك قصدت ، حيث إننا قد قرأنا فى مادة النصوص ونحن طلبة فى معهد اللغة العربية بالجامعة المقولة الشائعة عند بعض المؤرخين والأدباء ، وهى (ولولا الأزهر الشريف لأصيبت اللغة العربية ، والعلوم الدينية بأضرار ، ولغلبت عليها اللغة العربية التركية) .

ويجيب الدكتور محمد حرب على هذه الفكرة المستمدة من مصادر أجنبية بقوله :

" وهذه مقولة مجافية تماما لتاريخ التربية والتعليم ... من قال : ان العثمانيين تدخلوا فى مقررات الأزهر ، ولافى دراساته ؟ ! ومن قال انهم وقفوا ضد اللغة العربية ؟ ! بل من يستطيع

(١) محمد حرب : العثمانيون فى التاريخ والحضارة ٤٣١ - ٤٣٢ .

منا أن يقول ذلك ونحن نشتغل بالتاريخ ؟! من يستطيع أن يقول ذلك فى الدولة العثمانية التى حمت اللغة العربية ودافعت عنها ، وكانت اللغة العربية هى اللغة الرسمية فى مؤسسات التعليم العثمانية كلها ، فى أوربا الشرقية (بلاد الروملى) ، وفى الأناضول ، وفى بلاد الأكراد (التابعة للدولة) وفى بلاد الغرب : فى بلغراد ، وبودابست ، وبوخارست ، وصوفيا [1] ، واستانبول ، وقونيه ، وحلب ، وبغداد ، وصنعاء ، والقاهرة ، والحجاز ، والقائمة طويلة .

ثم ان انتاج العثمانيين باللغة العربية انتاج هائل وعميق ، وقائمة الأمثلة طويلة أيضا . حاجى خليفة صاحب "كشف الظنون" ، ومنجم باشى صاحب " جامع الدول " ، وجنابى صاحب " العيلم الزاخر " ، وخليل فوزى صاحب " السيوف القواطع " ، ومعلم جودت صاحب " ذيل على ابن بطوطة " ، والشيخ أبو السعود وتفسيره ، والبيضاوى وتفسيره [٢] ، ومصطفى صبرى وكتابه " موقف العقل " .

وأشير هنا إشارة الى جهود العثمانيين فى التأليف فى نحو وصرف اللغة العربية والى ابن كمال باشا ، الذى وصفه صاحب الفوائد البهية بقوله (وأقر له علماء القاهرة بالفضل) ، و (يكاد يكون ابن كمال باشا ، والسيوطى نجمى عصرهما) ، و (أن ابن كمال

---

(١) والبوسنة والهرسك ، وألبانيا وجميع بلاد البلقان .

(٢) هكذا ذكر الدكتور حرب ، ولعله يقصد أحد من كتب حواشى على تفسير البيضاوى ، مثل شيخ زاده عبد الرحيم بن على (ت ٩٤٤ هـ) ، وحاشيته مطبوعة مع تفسير البيضاوى (ت ٦٨٥ هـ) ، والا فالبيضاوى ليس من علماء الدولة العثمانية .

باشا أدق نظرا من السيوطي وأحسن فهما) (١) . لابن كمال باشا هذا رسائل لغوية عربية كثيرة ، منها (رسالة في تحقيق معنى كاد) ، و (رسالة في رفع مايتعلق بالضمائر من الأوهام) ، و(دقائق الحقائق في اللغة) ، و (رسالة الكلمات العربية) (٢) .

ونظرة الى المقررات الدراسية في مساجد ومدارس وكليات الدولة العثمانية على كل مراحل تطورها تشهد بالاهتمام البالغ الرفيع المستوى ، ليس باللغة العربية فقط ، بل وبآداب العربية أيضا " .

ثم يقول الدكتور محمد حرب في نهاية كلامه قائلا : " ثم أوجه لكم هذا السؤال : متى فرض العثمانيون اللغة التركية كلغة علم ، أو حتى لغة تحدّث في مدارس مصر ؟ ! " (٣) .

---

(١) الفوائد البهية ص ٢٢ ، انظر كذلك : التميمي : الطبقات السنية في تراجم الحنفية ١/٣٥٦ ـ ٣٥٧ ، ابن عابدين : رد المحتار على الدر المختار ١/٢٦ .

(٢) انظر في " جهود ابن كمال باشا في اللغة العربية " مقال للدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي ، في مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الأول ، المجلد الثامن والثلاثون (١٤٠٧) ص ٢٧٠ ـ ٢٨٩ .

(٣) العثمانيون في التاريخ والحضارة ٤٣٥ ـ ٤٣٦ .

الفصل الثاني

حياة ابن كمال باشا

١ــ اسمه ونسبه .
٢ــ مولده ونشأته وطلبه العلم .
٣ــ منزلته العلمية .
٤ــ ثناء العلماء عليه .
٥ــ علماء القاهرة أقروا له بالفضل والاتقان في العلوم .
٦ــ الموازنة بين ابن كمال والسيوطي .
٧ــ الموازنة بينه وبين العلامة أبي السعود تلميذه .
٨ــ ما تولاه من المناصب .
٩ــ دفاعه عن عقيدة أهل السنة وكفاحه ضد البدع والمنكرات .
١٠ــ صفته وحليته .
١١ــ وهل لابن باشا ذرية من بعده ؟
١٢ــ وفاته .

١ ـ اسمه ونسبه :ـ

هو الامام ، العالم ، العلامة ، شمس الدين أحمد (١) بن سليمان بن كمال باشا (٢) ، أحد الموالي الرومية (٣) .

فنسب الى جده كمال باشا ، واشتهر بابن كمال باشا ، أو كمال باشازاده (٤) ، أو ابن الكمال الوزير .

(١) ذكر جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية (٣/٢٥٣) أن اسمه محمد ، وهذا خطأ منه صريح ، كما ذكر أسعد طلس في مقال له بعنوان " دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها " في مجلة المجمع العلمي بدمشق أن اسمه محمد ، وذكر في الهامش أنه لم يهتد الى ترجمته .. لأنه ليس بهذا الاسم أحد ، وانما اسمه الصحيح هو أحمد .

(٢) انظر في ترجمته : طاشكبرى زداه : الشقائق النعمانية ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ، الكفوي : كتائب أعلام الأخيار ق ٣٨٠ ب ـ ٣٨٢ أ ، التميمي : الطبقات السنية ١/٣٥٥ـ ٣٥٧ ، الغزي : الكواكب السائرة ٢/١٠٧ ـ ١٠٨ ، حاجي خليفة : كشف الظنون ١/٢٨٣ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٨/٢٣٨ ـ ٢٣٩ ، ابن الغزي : ديوان الاسلام ق/٧١ ، اللكنوي : الفوائد البهية ٢١ ـ ٢٢ ، البغدادي : هدية العارفين ١/١٤١ـ١٤٢ ، جميل بك العظم : عقود الجوهر ١/٢١٧ـ٢٢٦ ، محمد طاهر البروسوي : عثمانلي مؤلفري ١/٢٢٣ـ ٢٢٤ ، البستاني : دائرة المعارف ٣/٤٨٢ ، سركيس : معجم المطبوعات العربية ١/٢٢٧ـ ٢٢٨ ، الزركلي : الأعلام ١/١٣٣ ، كحالة : معجم المؤلفين ١/٢٣٨ ، بروكلمان : تاريخ الأدب العربي (بالألمانية) ٢/٥٩٧ـ٦٠٢ ، والذيل ٢/٦٦٨ـ٦٧٣ ، ١٣٠٦ .
علميه سالنامه سي ٣٤٦ـ٣٥٦ ، قنالي زاده حسن جلبي : تذكرة الشعراء ١/١٢٢ـ ١٣٤ ، نهال آدسز : الكشف البيبليوغرافي لمؤلفات ابن كمال باشا في مكتبات استانبول ، مجلة الشرقيات ، العدد السادس ٧١ـ١١٢ ، والسابع ص ٨٣ـ١٣٥ (وهذه الثلاثة الأخيرة بالتركية) .

(٣) الكواكب السائرة ٢/١٠٧ ، شذرات الذهب ٨/٢٣٨ .

(٤) يذكر بعض من ذكر أحمد بن سليمان بن كمال باشا ، هكذا : ابن كمال باشا زاده ، =

كما عرف واشتهر بمفتى الثقلين [١] ، لوسع اطلاعه ، وعمق إحاطته بالمسائل الشرعية ، وقوة محاكمته فى المناظرة [٢] ...

٢ ـ مولده ونشأته وطلبه العلم :ـ

ولد شمس الدين أحمد فى سنة ٨٧٣هـ(ـ ١٤٦٨ ـ ١٤٦٩م) [٣] بمدينة طوقات من نواحى سيواس [٤] .

ويرى البعض أن مولده كان بمدينة أدرنه [٥] ، وهذا مرجوح ، لأن ابن كمال باشا نشأ فيها وقضى مراحل حياته الأولى بهذه المدينة ، ولذلك فإن أصحاب هذا القول ظنوا أنه ولد فيها [٦] .

فهذا خطأ شائع لدى بعض المعاصرين العرب. لأن (زاده) كلمة فارسية تعنى (ابن) . والصواب: ابن كمال باشا (عربيا) ، أو كمال باشا زاده (فارسيا) .

(١) الكفوى: كتائب أعلام الأخيار/ ٣٨١ أ . وكان يلقب بمفتى الثقلين من قبله أبو حفص عمر النسفى (ت ٥٣٧ هـ) صاحب التيسير فى التفسير (خ) ، وصاحب " العقائد النسفية " (الطبقات السنية ٣/ ١٧٢ ، ١٨٣ ، الفوائد البهية ١٤٩ ـ ١٥٠ ، الأعلام ٥/ ٢٢٢) . وكذلك لقب به العلامة خير الدين الرملى (ت ١٠٨١ هـ) كما فى " رفع الأشتباه عن عبارة الأشباه " لابن عابدين ضمن رسائله ١/ ٣٠٦ .

(٢) عثمانلى مؤلفلرى ١/ ٢٢٣ ، أوزون جارشيلى : تاريخ الدولة العثمانية ٢/ ٦٦٨ .

(٣) الموسوعة الإسلامية (بالتركية) ٦/ ٥٦١ .

(٤) طوقات وسيواس : مدينتان تقعان فى شمال شرق تركيا .

(٥) أدرنه: مدينة تاريخية تقع فى غرب تركيا الآن فى الحدود مع البلغار ، وكانت عاصمة الدولة العثمانية من سنة ١٣٦١م الى فتح استانبول سنة ١٤٥٣م.

(٦) الموسوعة الاسلامية (بالتركية) ٦/ ٥٦١ .

ونشأ صاحبنا أحمد شاه[1] في بيت عز ودلال ، اذ كان جده كمال أحد أمراء الدولة العثمانية[2] ، وكان ذا حظوة لدى سلاطينها ، حيث كان مربيا لبايزيد الثاني (ولي العهد آنذاك) ، ثم صار (نشانجي)[3] الديوان السلطاني[4] .

ولم تذكر المراجع أنه كان عالما ، ولا من تلاميذ التفتازاني ، والسيد الشريف الجرجاني ، كما ذكره الدكتور حامد صادق قنيبي[5] .

وكذلك كان والده سليمان بن كمال باشا من قادة الجنود الاسلامية الخاقانية في زمن السلطان محمد الفاتح ، واشترك في فتح القسطنطينية مع جنود سنجق[6] أماسيا[7] عام ٨٥٧هـ-١٤٥٣م ، وصار بعد الفتح وكيلا لجند السلطان برتبة (صوباشي) اى منصب من تتوفر فيه الكفاية لضبط البلد من جهة السلطان[8] ، ثم

---

(١) شاه : معناه : ملك ، ولكنه اذا جاء بعد الاسم فانه يعني السيد . (انظر : تاريخ الدولة العلية العثمانية ص ١١٥ هامش (١)) .

(٢) الشقائق النعمانية ص ٢٢٧ ، كتائب أعلام الأخيار ق/٣٨١ أ .

(٣) نشانجي : أي الذي يختم المراسم والمكاتيب بختم السلطان المعروف بطغراء السلطان .

(٤) الموسوعة الاسلامية (بالتركية) ٦/٥٦٢ .

(٥) في مقدمة تحقيق معنى النظم والصياغة لابن كمال باشا ، في مجلة " الجامعة الاسلامية ، العددان ٧١ـ ٧٢ ، السنة ١٨ ، ١٤٠٦هـ ص ١٧٠ .

(٦) السنجق : مركز اداري دون الولاية وفوق القضاء ، ويسمى متصرفية أيضا .

(٧) أماسيا : مدينة تاريخية عثمانية تقع في شمال الأناضول .

(٨) معجم صفصافي (تركي ـ عربي) ص ٤٧١ .

توفى فى استانبول ، ودفن الى جانب مدرسة أبيه كمال معه (١) .

فهو اذن من قبل أبيه ينتمى الى أسرة عسكرية قيادية جهادية ، وأما أمه فهى منتمية الى أسرعلمية ، فهى بنت المولى الفاضل محى الدين محمد الشهير بابن كوبلو (ت ٨٧٤هـ) ، وهو من العلماء المشهورين بالفضل فى زمانهم ، جعله السلطان محمد الفاتح قاضيا بالعسكر المنصور بعد ما تولى بعض المناصب ، ثم عزله فى سنة (٨٧٢هـ) . وكان للمولى المذكور بنتان ، تزوج احداهما المولى سنان باشا (٢) ، وتزوج ثانيتهما سليمان جلبى ابن كمال باشا ، فولد له منها ولد ، اسمه أحمد شاه ، وهو المولى العالم الفاضل المشتهر فى الآفاق بابن كمال باشا (٣) .

وليس لدينا معلومات تفصيلية عن طفولته ، أو نشأته الأولى ، اذ لم يذكر المؤرخون وكتاب التراجم أخبارا شافية عنه فى هذه المرحلة ، شأنه فى ذلك شأن كثير من علمائنا القدامى .. غاية

(١) الموسوعة الاسلامية (بالتركية) ٥٦٢/٦ .

(٢) هو المولى سنان الدين يوسف بن المولى حضربك بن جلال الدين (ت ٨٩١) كان أحد العلماء الأفاضل الأفذاذ فى العلوم الشرعية والرياضية (انظر : الشقائق النعمانية ١٠٦ ــ ١٠٨) .

(٣) انظر : الكفوى : أعلام الأخيار ٣٨١ أ . وذكر طاشكبرى زاده فى " الشقائق" (ص ١٢١) أن هاتين البنتين هما أختان لمحى الدين محمد الشهير بابن كوبلو ، وليستا بنتين له . وعلى ذلك فليس سنان باشا المذكور جدا لأمه ، كما ذكره الدكتور حامد صادق قنيبى فى مقدمة تحقيق "رسالة فى تحقيق معنى النظم =

ما فى الأمر أننا نجد عند العلامة الكفوى فى كتائب أعلام الأخيار يقول عنه: " ونشأ هو فى حجر العز والدلال ، ومال فى صباه الى تحصيل العلم والكمال ، وأنفق ريان عمره فى اقتباس كل فضيلة تسمو به الى المحل الأرفع ، وصرف حداثة سنه فى احراز كل معرفة تعليه ذروة العز الأنفس ، والمجد الأتلع ، وحفظ القرآن الكريم ، وضبط فى ابتداء أمره من اللغة ما نقع بها غلة صدره ، وأحاط علما بوجوه القراءات والعلل ، وأمن على نفسه غائلة التورط فى مداحض الزلل ، ثم استظهر فى فنون الأدب كتبا قلما تصدى لحفظها أقرانه ، ويهتدى لضبطها أسنانه ، ثم استولى على أخذ الشعر ، ورقى الى الاعجاز منزلة السحر.

ثم حدثت فى طبعه الشريف داعية الرياسة ، لما كان آباؤه من أصحاب الكر والفر والسياسة فلحق بزمرة العسكر ، وصرف عنان همته الى سمت آخر " (١).

وانقطع بذلك عن طلب العلم ، وظل يشتغل ويترقى فى الرتب فى الجيش ، وكان يرتقب منه أن يغدو قائدا عسكريا حازما ، وأميرا مطاعا مثل آبائه وأجداده.

وخرج سنة ٨٩٧هـ فى سفر مع الجيش السلطانى متوجها نحو

والصياغة " فى مجلة الجامعة الاسلامية ، العددان ٧١ ـ ٧٢ ، السنة ١٨ ، ١٤٠٦هـ ص ١٧٠ هامش رقم (٧) ، وانما هو .. اى سنان باشا ـ زوج خالة ابن كمال باشا ..

(١) الكفوى: كتائب أعلام الأخيار ٣٨١ أ .

ألبانيا ، وكان في هذا السفر في معية الوزير الكبير ابراهيم بن خليل باشا ، وكان معهم الأمير أحمد بك بن أورنوس ، وهو المقدم على سائر الأمراء آنذاك ، بل ليس فيهم أعظم منه في حينه ، ولا يتصدره أحد منهم .

وحدثت حادثة في مدينة فليبه (١) أثرت في نفس ابن كمال باشا ، فتحول من صفوف الجيش الى صفوف العلماء ، وذلك بعناية إلهية خاصة رفعته بالعلم والإخلاص مقاما عليا .

فقد قص علينا ابن كمال باشا قصة تحوله من صفوف العساكر السلطانية الى صفوف العلم ، فلنترك له الحديث ، فهو بها أولى ، وبروايتها أجدر .

قال ابن كمال باشا : " وكنت واقفا على قدمىّ قدام الوزير المزبور ، والأمير المذكور عنده جالس ، اذ جاء رجل من العلماء رث الهيئة ، دنيء اللباس ، فجلس فوق الأمير المذكور ، ولم يمنعه أحد عن ذلك ، فتحيرت في هذا ، فقلت لبعض رفقائي : من هذا الذي جلس فوق هذا الأمير ؟

فقال : هو رجل عالم مدرس بمدرسة فلبه ، يقال له المولى لطفي (٢) .

(١) فليبه : مدينة تقع الى الجنوب الشرقي من صوفيا ، عاصمة بلغاريا ، بين صوفيا وأدرنه على خط واحد .

(٢) وستأتي ترجمته ضمن تراجم شيوخ ابن كمال باشا .

قلت: كم وظيفته ؟

قال : ثلاثون درهما !

قلت: فكيف يتصدر هذا الأمير ، ومنصبه هذا المقدار ؟

قال رفيقي : ان العلماء معظمون لعلمهم ، ولو تأخر لم يرغب بذلك الأمير ، ولا الوزير.

قال رحمه الله تعالى : فتفكرت في نفسي ، فقلت: اني لا أبلغ مرتبة الأمير المسفور في الإمارة ، واني لو اشتغلت بالعلم يمكن أن أبلغ رتبة العالم المذكور فنويت أن أشتغل بالعلم الشريف " (١) .

وقد أثرت هذه الحادثة في مفهوماته ، فتغير مجرى حياته جذريا ، فترك الجيش بعد عودته من السفر ، ولازم العلماء.

يقول : " فلما رجعنا من السفر ، وصلت الى خدمة المولى المذكور (لطفي) ، وقد أعطى هو عند ذلك مدرسة دار الحديث بمدينة أدرنه ، وعين له كل يوم أربعون درهما . فقرأت عليه حواشي المطالع" (٢) .

وقد سبق له قراءة مبادئ العلوم في صدر شبابه .

---

(١) طاشكبرى زاده: الشقائق ٢٢٦ ، الكفوي: كتائب أعلام الأخيار/ ٣٨١ أ ، الغزي: الكواكب السائرة ٢/ ١٠٧ ، ابن العماد الحنبلي :شذرات الذهب ٨/ ٢٣٨ ، التميمي : الطبقات السنية (مختصرا) ١/ ٣٥٦ ، جميل بك: عقود الجوهر ١/ ٢١٧ .

(٢) المصادر السابقة ، ماعدا الأخير منها .

وتحقق أمله وحلمه العظيم ، " أخذ العلوم عن أفواه الرجال النحارير ، وقرأ الفنون على أفاضل الفضلاء المشاهير ، منهم :

١ ـ المولى لطفي المزبور (ت ٩٠٠هـ) ،

٢ ـ والمولى مصلح الدين القسطلاني (ت ٩٠١هـ) ،

٣ ـ والمولى خطيب زاده (ت ٩٠١هـ) ،

٤ ـ والمولى معروف زاده (١) .

فأخذ علم الفروع والأصول عن المولى القسطلاني ، عن المولى حضربيك (٢) ، عن المولى يكان (٣) ، عن المولى شمس الدين الفناري ، عن الشيخ أكمل الدين (البابرتي) ، عن الامام قوام الدين الكاكي ، عن الامام حسام الدين السغناقي صاحب " النهاية " ، عن الشيخ الامام حافظ الدين الكبير البخاري ، عن شمس الائمة الكردري ، عن شيخ الاسلام برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني ، صاحب الهداية ، عن نجم الدين (عمر) النسفي ، عن أبي اليسر البزدوي ، عن أبي يعقوب السياري ، عن أبي اسحاق النوقدي ، عن أبي جعفر الهندواني ، عن أبي القاسم الصفار ، عن نصير بن يحيى ، عن محمد بن سماعة ، عن أبي يوسف ، عن أبي حنيفة رحمهم الله . وهذا أحد طرق العنعنات " (٤).

ويذكر ابن الحنائي علي أفندي (ت ٩٧٩هـ) أنه " أخذ الفقه

---

(١) وستأتي تراجم أحوالهم عند ذكر شيوخ ابن كمال باشا .

(٢) ترجمته في الشقائق النعمانية ٥٥ ـ ٥٨ .

(٣) وهو محمد بن أدمغان الشهير بالمولى يكان (انظر : الشقائق ٤٨ ـ ٤٩ ، والفوائد البهية / ١٦٠) .

(٤) الكفوي : كتائب أعلام الأخيار ق ٣٨٢ أ ، اللكنوي : الفوائد البهية ص ٢١ ـ ٢٢ مختصرا .

عن مولانا سنان باشا ، وعن مولانا لطفي المقتول " (١) .

ولعل هذا الأخذ والتلقي عن طريق المولى لطفي ، عن المولى سنان باشا ، اذ لم تذكر المصادر الأخرى تلمذته لسنان باشا مباشرة ، لأن سنان باشا توفي عام (٨٩١هـ) ، أي قبل تحول ابن كمال باشا من صفوف الجيش الى صفوف العلماء بست سنين تقريبا . وكان المولى لطفي من أخص تلامذة المولى سنان باشا ، ولما أتى المولى على القوشجي الرياضي الشهير ، ببلاد الروم أرسله المولى سنان باشا اليه ، وقرأ العلوم الرياضية عليه ، وحصل سنان باشا العلوم الرياضية بواسطته. (٢) .

ويقول الكفوي : " ومن لطائف صنع الله التي جلت أن تعد ، وكبرت لعظم شأنها عن أن تحد ، أنه لم يخل في عصر من الأعصار كافة المدن والأمصار عن ذي ذهن وقاد ، وصاحب طبع نقاد ، يبذل جهده في اكتساب مايرفع في الدارين قدره ، ويطلع من أفق النباهة بدره ، فتصدى لاقتباس العلم ودراسته ، ويجتهد في صونه عن الضياع حراسته ، صرف همته الى تحرير مراسم الشرع ، وأجرى سواد الحبر في بياض الرّق ، ووقف همته على تمهيد قواعد الأصل والفرع ، وسود وجه الباطل ، وبيض محيا الحق ، به كل من يقتدي يسترشد ويهتدي ، وماهو في عهده الاهذا المولى (٣) " .

(١) ابن الحنائي : طبقات الفقهاء ص ١٣٥ ، المنسوب خطأ لطاشكبرى زاده .

(٢) الشقائق النعمانية ١٠٦ ،كتائب أعلام الأخيار ق / ٣٨١ أ .

(٣) الكفوي : كتائب أعلام الأخيار ق / ٣٨٢ أ .

"واشتغل بالعلم الشريف بالغدو والآصال [1]، " ودأب ، وحصّل ، وصرف سائر أوقاته في تحصيل العلم ، ومذاكرته ، وإفادته ، واستفادته ، حتى فاق الأقران ، وصار إنسان عين الانسان " [2].

" قرأ عليه - اى على المولى لطفي - ، ثم قرأ على غيره ، الى أن مهر ، وصار إماما في كل فن ، بارعا في كل علم ، تشد الرحال اليه ، وتعقد الخناصر عليه " [3].

٣ - منزلته العلمية :-

واكتمل تكوينه العلمي ، وصار من أكابر العلماء العثمانيين في عصره ، وبلغ في العلم منزلة يشار اليه بالبنان ، بل أصبح أكبر ممثل للثقافة العثمانية الاسلامية في النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي [4]. فملازمته لعظماء عصره في العلوم المختلفة جعلته يتقن أكثر من علم ، كما يتقن أكثر من لغة الى جانب لغته القومية - وهي التركية - ، كالفارسية ، فضلا عن تمرسه في العربية [5] : لغة الدين والتشريع ، وله في هذه

(١) الكفوي : كتائب أعلام الأخيار ق ٣٨٢/أ .

(٢) التميمي : الطبقات السنية ٣٥٥/١ .

(٣) التميمي : الطبقات السنية ٣٥٦/١ .

(٤) الموسوعة الاسلامية (بالتركية) ٥٦٥/٦ .

(٥) انظر : التميمي : الطبقات السنية ٣٥٧/١ .

اللغات الثلاث مؤلفات تكشف عن شخصيته الموسوعية ، ومكانته الرفيعة فى كل العلوم التى تناولها .

٤ ـ ثناء العلماء عليه :ـ

ولذلك ترى المترجمين له قرظوه ، وأثنوا عليه بما هو أهله .

فقد قال عنه طاشكبرى زاده (ت ٩٦٨هـ) (١) :

" وكان ـ رحمه الله تعالى ـ من العلماء الذين صرفوا جميع أوقاتهم الى العلم ، وكان يشتغل بالعلم ليلا ونهارا ، ويكتب جميع مالاح ببالـه الشريف ، وقد فتر الليل والنهار ، ولم يفتر قلمه ، وصنف رسائل كثيرة فى المباحث المهمة الغامضة ... وكان صاحب أخلاق حميدة حسنة ، وأدب تام ، وعقل وافر ، وتقرير حسن ملخص ، وله تحرير مقبول جدا لإيجازه ، مع وضوح دلالته على المراد . وبالجملة أنسى ـ رحمه الله تعالى ـ ذكر السلف بين الناس ، وأحيا رباع العلم بعد الاندراس ، وكان فى العلم جبلا راسخا ، وطودا شامخا ، وكان من مفردات الدنيا ، ومنبعا للمعارف العليا " .

وكان ابن الحنائى ، علاء الدين على بن محمد (ت ٩٧٩هـ) اتخذ من أسماء المشهورين طبقة فى كتابه " طبقات الفقهاء " . وجعل العلامة ابن كمال باشا عنوان طبقته ، فقال : " ثم انتقل الفقه

---

(١) الشقائق النعمانية/ ٢٢٧ ،وانظر كذلك : الغزى : الكواكب السائرة ٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨ ، وابن العماد : شذرات الذهب ٨/ ٢٣٩ .

الى طبقة المولى أحمد بن سليمان بن كمال باشا " (١) ، وان دل فعله هذا على شيء فانه يدل على شهرته الواسعة ، وصيته الذائع في حياته ، وكذلك بعد مماته.

فوصف تلميذه العلامة أبو السعود العمادي (ت ٩٨٣هـ) (٢) بأنه:

" العالم الرباني ، والعارف الخاقاني ، فاضل الروم ، والفائق في جميع العلوم ، شيخ الخافقين ، ومفتي الثقلين ابن كمال باشا قدر الله مايشاء ... ".

وكذلك وصف العلامة الكفوي (ت ٩٩٠هـ) (٣) بأنه:

" أستاذ الفضلاء المشاهير ، اسناد العلماء النحارير ، امام الفروع والأصول ، علامة المعقول والمنقول ، كشاف مشكلات الكلام القديم ، حلال معضلات الكتاب الكريم ، مفتي الثقلين ، لسان الفريقين ، السائر تصانيفه ، سير الخافقين ، شيخ الاسلام والمسلمين ، شمس الملة ، وضياء الدين ...

وله تصنيفات كثيرة معتبرة ، متداولة بين أيدي العلماء ، مقبولة لدى الفضلاء ..

ولم يذكر في مجلسه مسألة من كل الفنون الا وهو كان يعلمه ..

---

(١) طبقات الفقهاء لابن الحنائي ص ١٣٥ ، المنسوب خطأ لطاشكبرى زاده.

(٢) رسالة في بيان لفظ جلبي ، (خ) بمكتبة المحمودية تحت رقم / ٢٧٨٧ .

(٣) كتائب أعلام الأخيار ق ٣٨١ ـ ٣٨٣ .

وكل تصانيفه مقبولة بين الأعيان ، متداولة بين أهالي الزمان ، وكان عدد رسائله قريبة من مائة رسالة ، كل منها جامعة الفوائد ، عامة العوائد ...

وبالجملة أنسي -رحمه الله- ذكر السلف بين الناس ، وأحيى رباع العلم بعد الاندراس ، وكان من مفردات الدنيا ، ومنبعا للمعارف العليا ، شهرته تغني عن التفصيل والاطناب.

والحاصل ما من فن الا وله فيه حكمة وفصل خطاب ".

وقال عنه تقي الدين بن عبد القادر التميمي (ت ١٠٠٥هـ) (١) :

" الامام ، العالم ، العلامة ، الرُّحلة ، الفهامة ، أوحد أهل عصره ، وجمال أهل مصره ، من لم يخلف بعده مثله ، ولم تر العيون من جمع كماله وفضله. كان رحمه الله تعالى اماما بارعا في التفسير ، والفقه ، والحديث ، والنحو ، والتصريف ، والمعاني ، والبيان ، والكلام ، والمنطق ، والأصول ، وغير ذلك ، بحيث انه تفرد في إتقان كل علم من هذه العلوم ، وقلما يوجد فن من الفنون الا وله مصنف أو مصنفات ...

وصار إماما في كل فن ، بارعا في كل علم ، تشد الرحال اليه ، وتعقد الخناصر عليه ".

---

(١) الطبقات السنية ١/ ٣٥٥-٣٥٦ ، وكذلك : اللكنوي : الفوائد البهية / ٢٢ ، الغزي : الكواكب السائرة ٢/ ١٠٧ ، ابن عابدين : رد المحتار على الدر المختار ١/ ٢٦ .

٥ ـ علماء القاهرة أقروا له بالفضل والإتقان في العلوم :ـ

" وكان العلامة ـ ابن كمال باشا ـ في فتح مصر مع السلطان سليم خان ، وكان قاضيا بالعسكر ـ المنصور بأناطولي ـ ، فلما دخل القاهرة لقيته أكابر العلماء ، وأعاظم الفضلاء ، وناظروه وباحثوه ، وتكلموا بما عندهم ، فامتحنوه ، فأعجبوا بفصاحة لسانه ، وحسن كلامه ، وبلاغة بيانه ، وبسط مرامه ، وأقروا له بالفضل والكمال ، وكانوا يذكرونه بغاية التبجيل والاجلال ، ويشهدون أن ليس في العرب له عديل ، ولا في أفاضل العجم والروم له عوض وبديل " (١) .

" وأجاز له بعض علماء الحديث بها ـ أي بالقاهرة ـ ، وأفاد واستفاد ، وحصل بها علو الإسناد ، وشهد له علماؤها بالفضائل الجمة ، والاتقان في سائر العلوم المهمة " (٢) .

٦ ـ الموازنة بين ابن كمال باشا والسيوطي :ـ

ولا تجد في عصره من يساويه في بلاده على الاطلاق ، اذ كان فريدا في الديار الرومية ، في كثرة التأليف ، وسرعة التصنيف ، ووسع الاطلاع ، والاحاطة بكثير من العلوم . ولا ترى له نظيرا في

(١) الكفوي : كتائب أعلام الأخيار ق / ٣٨٢ أ ـ ب ، وكذلك : التميمي : الطبقات السنية ٣٥٦/١ ، اللكنوي : الفوائد البهية ص ٢٢ ، ابن عابدين : رد المحتار ٢٦/١ .
(٢) التميمي : الطبقات السنية ٣٥٦/١ .

عصره الافى الديار المصرية فى جلال الدين السيوطى رحمه الله (١) ..

واختلف النقاد المترجمون فى الموازنة بين هذين الطودين العظيمين ، فذهب التميمى الى أن ابن كمال باشا قد حاز السبق على السيوطى فقال : (٢) " وعندى أن ابن كمال باشا أدق نظرا من السيوطى ، وأحسن فهما ، وأكثر تصرفا ، على أنهما كانا جمال ذلك العصر ، وفخر ذلك الدهر ، ولم يخلف أحد منهما بعده مثله ، رحمه الله تعالى " .

ومضى العلامة أبو الحسنات عبد الحى اللكنوى (ت ١٣٠٤هـ) يرجح كفة الامام السيوطى من زاوية معينة فقال عقب كلام التميمى : (٣)

" أقول : هو وان كان مساويا للسيوطى فى سعة الاطلاع فى الأدب والأصول ، لكن لايساويه فى فنون الحديث ، فالسيوطى أوسع نظرا ، وأدق فكرا فى هذه الفنون منه ، بل من جميع معاصريه ، وأظن أنه لم يوجد مثله بعده ، وأما صاحب الترجمة فبضاعته فى الحديث مزجاة (٤) ، كما لايخفى على من طالع تصانيفهما ، فشتان مابينهما كتفاوت السماء والأرض ومابينهما " .

(١) انظر: التميمى : الطبقات السنية ٣٥٧/١ ، د . حسن عتر: مقدمته لتفسير سورة الملك لابن كمال باشا ص ٢٣ .

(٢) الطبقات السنية ٣٥٧/١ ، وكذلك : ابن عابدين فى رد المحتار ٢٦/١ .

(٣) الفوائد البهية ص ٢٢ .

(٤) وهذا بالنسبة للائمة المعاصرين المبرزين فى علوم الحديث ، وليس بالنسبة لنا .

ويقول العلامة عمر نصوحي معقبا على كلام الإمام اللكنوى : (١)

" وفى الواقع أن العلامة ابن كمال باشا وان كان مساويا للسيوطى فى العلوم المتعلقة بالدراية ،بل أدق نظرا منه ، وأحسن فهما ، وأحسن تصرفا ، فانه لايساويه فى الفنون المتعلقة بالرواية ، فان العلامة عبد الحى اللكنوى على الحق فى ذلك . ويظهر هذا الفرق جليا لمن طالع " الأربعين وشرحه " ، و" شرح مشارق الأنوار" لابن كمال باشا ، ومؤلفات الامام السيوطى الجامعة لآلاف الأحاديث الشريفة فيها ... " .

ويقول الدكتور حسن عتر بعد إيراد أقوال العلماء فى موازنتهما ، (٢)

" قلت : اتفقوا على تفضيلهما على جميع علماء ذلك العصر، واختلفوا فى ترجيح فضل أحدهما على الآخر . فأما أن يكون أحمد بن سليمان كالسيوطى تماما ، أو أنه يليه مباشرة ، فلا يتوسط بينهما أحد فى العلم والفضل . والحق أن لكل منهما مزيته ورجحانه فى جانب من العلوم ، ولاريب أن السيوطى أطول باعا ، وأعظم تضلعا من علوم الحديث ، وفى كل منهما خير عظيم وعلم غزير ، رحمهما الله وجزاهما خيرا عن الاسلام والمسلمين " .

وان العلامة ابن كمال باشا تميز فى إجادته التامة للغات العربية والتركية والفارسية ، الأمر الذى جعله يقف على أسرارها ،

(١) عمر نصوحي بِلْمَنْ : تاريخ التفسير الكبير (طبقات المفسرين) (بالتركية) ٢/٦٣٧ .
(٢) د . حسن عتر : مقدمته لتفسير سورة الملك لابن كمال باشا ٢٣ ـ ٢٤ .

يـؤلـف فـى فـقـهـهـا المقـارن ، فضـلا علـى أنـه عـاش طيلـة حياتـه رجـل سيـاسـة وقضـاء ، بينمـا يظـل السيـوطـى متفـردا فـى علـوم الحـديـث.(١)

وأبـرز مـا تميز بـه العـلامـة ابـن كمـال بـاشـا ، هـو وقـوفـه علـى قـضـايـا دقيقـة ممـا أشكـل علـى بعـض المتقـدمـين أمـره ، أو كـثـر الاختـلاف فيـه بينهـم ، سـواء أكـانـت هـذه المشكـلات فـى اللغـة ، أم فـى الفكـر ، وسـواء أكـانـت فـى المنقـول ، أم المعقـول ... (٢) وأكـبر دليل علـى ذلـك مـؤلفـاتـه ورسـائـلـه الـتى سنـذكـرهـا بعـد قليـل ان شـاء اللـه تعـالـى.

هـذا وذهـب كثير مـن المـؤلفين الـى أنهـم فضلـوا العـلامـة ابـن كمـال بـاشـا ــ لانتشـار شهـرتـه العلميـة فـى عصره ــ علـى أكـابـر علمـاء الشـرق أمثـال العـلامـة التفتـازانـى ، والفـاضـل السيـد الشـريـف الجرجانـى ، وأن تقدمهمـا علـى ابـن كمـال بـاشـا لـم يكـن الا تقـدمـا زمـانيـا ، بـل ظـن هـؤلاء أنهمـا ــ اى السعـد والسيـد ــ لحضـرا دروسـه ، لـو أمكنهمـا ذلـك (٣).

قـلـت: وهـذا علـى مـافيـه مـن المبـالغـة يفيـد نظـر البـارعـين

---

(١) انظر: د. حامد صادق قنيبى: مقدمته لرسالة فى تحقيق معنى النظم والصياغة لابن كمال باشا، مجلة الجامعة الاسلامية، العددان ٧١ ــ ٧٢ ص ١٧٤.

(٢) د. رشيد عبدالرحمن العبيدى: جهود ابن كمال باشا فى اللغة العربية (مقال بمجلة المجمع العلمى العراقى، الجزء الأول، المجلد ٣٨، رجب ١٤٠٧)، ص ٢٧٣.

(٣) الموسوعة الاسلامية (بالتركية) ٦/ ٥٦٥ نقلا عن التذكرة لسخى (بمكتبة على أميرى تحت رقم ٧٦٨) ق/ ٧٣، واسماعيل حقى: تاريخ الدولة العثمانية (بالتركية) ٢/ ٦٧١.

والمؤلفين اليه فى عصره ، وبعد وفاته .

٧ ـ الموازنة بينه وبين العلامة أبى السعود ، تلميذه :ـ

والذين قاموا بالموازنة بين هذين العلمين الشامخين يرون أنهما عالمان متبحران فى الاطلاع على الفقه ، والكلام ، والأصول ، على السواء ...

ويرون ترجيح كفة العلامة ابن كمال باشا فى علوم التصوف، والحكمة ، والتاريخ ، والأشعار التركية على العلامة أبى السعود ..

كما يرون تفوق العلامة أبى السعود فى الأدب ، وعظمة الأسلوب، وتناسب البيان ، والأشعار العربية .. (١)

وأحسن مايقال فى بيان مكانته العلمية انه من أصحاب الترجيح ـ القادرين على تفضيل بعض الروايات على بعض آخر ـ ، هو والعلامة أبو السعود العمادى ، فان مراتب الرجال بالفضل والكمال ، لابتقادم الأزمنة والآجال .. وخير دليل على ذلك رسالته فى " مسألة دخول ولد البنت فى الموقوف على أولاد الأولاد " بالنسبة للأول ، وبعض

(١) عمر نصوحى بيلمن : تاريخ التفسير الكبير (طبقات المفسرين) (بالتركية) ٢/٦٣٨ .

صور الفتاوى بالنسبة للثاني (١) .

٨ ـ ماتولاه من المناصب والوظائف :ـ

وبعد أن اكتمل تكوينه العلمي على أيدي أفاضل علماء عصره صار مدرسا ، وظل يترقى في التدريس متنقلا في مدارس ، من مدرسة الى أعلى منها ..

١ ـ وفي سنة ٩١١هـ صار مدرسا بمدرسة (علي بك) الشهير بالمدرسة الحجرية بأدرنه (٢) ، بثلاثين درهما يوميا ..

٢ ـ وفي نفس الوقت طلب منه السلطان بايزيد الثاني أن يكتب تاريخ الدولة العثمانية ، بتوصية من عبد الرحمن بن علي ابن المؤيد (ت ٩٢٢هـ) (٣) ـ وكان قاضيا بالعسكر المنصور في ولاية أناطولي آنذاك ـ ، ولأجل ذلك أعطى له السلطان بثلاثين ألف درهم ، وقد قام العلامة ابن كمال باشا بهذه المهمة خير قيام ، فكتب " تواريخ آل عثمان " باللغة التركية ، بدءا من سنة ٦٩٩هـ ، وهي تاريخ قيام الدولة العثمانية ، وانتهاء الى عام ٩٢٣هـ ، اي قبل تاريخ وفاته بسبع سنين .

(١) الكفوي: كتائب أعلام الأخيار ق/١٠٥ في ترجمة علي الرازي من أقران محمد بن شجاع، اللكنوي: الفوائد البهية ٢١ ، ١٤٤ .

(٢) وحرفها إلياس سركيس في معجم المطبوعات (١/٢٢٧) الى " وارنه " ، وتبعه في ذلك الدكتور مصطفى قيليج في " ابن الكمال ، حياته ، ومؤلفاته المتعلقة بالتفسير ، ومنهجه فيه " ص ٤٤ ، والصحيح " أدرنه " ..

(٣) هو العلامة عبد الرحمن بن علي بن المؤيد (ت ٩٢٢هـ) ، أحد العلماء الأفاضل =

٣ — وفى سنة ٩١٧هـ ولى التدريس بمدرسة اسحاق باشا بمدينة أسكوب فى البلاد اليونانية ، بأربعين درهما يوميا .

٤ — وفى سنة ٩١٨هـ ولى التدريس بالمدرسة الحلبية بأدرنه ، بستين درهما يوميا ..

٥ — ثم صار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بأدرنه .

٦ — وبعدها باحدى المدارس الثمان باستانبول .

٧ — الى أن أصبح مدرسا لمدرسة السلطان بايزيد الثانى بأدرنه ، وهى من أكبر المدارس العثمانية آنذاك ..

٨ — وفى سنة ٩٢٢هـ ، بعد عودة السلطان سليم الأول من سفره الى جالدران ، صار قاضيا لأدرنه ..

٩ — وفى السنة نفسها جعله السلطان سليم الأول قاضيا بالعسكر المنصور فى ولاية الأناضول ، وذلك قبل ٤ جمادى الأولى من سنة ٩٢٢هـ ، وهو خروج السلطان سليم الأول الى سفره الى القاهرة ، وكان مع السلطان فى هذا السفر ، وعلى ذلك المنصب ..

١٠ — وأسند اليه الاشراف على تنظيم الأمور بمصر ، فى أثناء وجوده هناك مع السلطان سليم الأول .. (١)

١١ — كما أسند اليه الاشراف على تنظيم الأمور المِلْكية وتحريرها بمدينة قونيه ، وذلك فى أثناء عودة السلطان سليم الأول من القاهرة ،

فى العلوم العقلية والنقلية ، ودرس فى البلاد الحلبية ، كما درس فى بلاد العجم على جلال الدين الدوانى ، وكان ينظم باللغات الثلاث ، التركية ، والفارسية ، والعربية ، وقام بالتدريس فى مدارس عديدة ، والقضاء ... (انظر فى ترجمته : الشقائق النعمانية ١٧٦ — ١٧٩) .

(١) كاتب جلبى : سياحتنامه ١/٣٤٥ .

سنة ٩٢٤هـ (١).

١٢ ـ ويرى البعض أنه عزل من القضاء بالعسكر المنصور في ولاية الأناضول في سنة ٩٢٥هـ بوشاية من حساده الى السلطان.. كما يرى آخرون أنه أعتزل منه بطلب ورضا منه..

١٣ ـ وفي السنة نفسها (اى ٩٢٥هـ) عين مدرسا في مدرسة دار الحديث بأدرنه، وعين له كل يوم مائة درهم..

١٤ ـ ثم أعطاه السلطان سليمان القانوني (٩٢٦ ـ ٩٧٤هـ) مدرسة جده السلطان بايزيد خان الثاني (٨٨٦ ـ ٩١٨هـ) للمرة الثانية، بمدينة أدرنه. وذلك بعد سنة ٩٢٦هـ، ومكث فيها الى أن

١٥ ـ صار مفتيا بقسطنطينية (اى مفتي الخلافة العلية العثمانية)، وبالأحرى صار شيخ الاسلام في الدولة العثمانية، وذلك بعد وفاة المولى علاء الدين على الجمالي الشهير بزنبيلي على أفندي في سنة ٩٣٢هـ.

ولم يزل في منصب الافتاء الى أن توفي يوم الجمعة، الثاني من شوال، ٩٤٠هـ، في عهد السلطان سليمان القانوني (٢).

وقد قام بأداء هذه الوظائف خير قيام، وجمع الى شخصيته العلمية صنعة الادارة بمهارة فائقة، ولم يعجز في القيام بمهمات

(١) اسماعيل حقي قونيه لي: تاريخ مدينة قونية (بالتركية) ٢٢٥، ٢٤٨، ٦٤٢، ٧٢٩.

(٢) الموسوعة الاسلامية (بالتركية) ٦/ ٥٦٣ ـ ٥٦٤، طاشكبرى زاده: الشقائق النعمانية ص٢٢٧، الكفوي: كتائب أعلام الأخيار ق ٣٨٢أ ـ ب، التميمي: الطبقات السنية ١/ ٣٥٥، الغزي: الكواكب السائرة ٢/ ١٠٧، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ٨/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩، الموسوعة التركية ٢١/ ٤٧٩.

القضاء ، وقضاء العسكر ، والإفتاء ، والتدريس ، بل قام بها على أحسن وجه وأكمله ...

٩ ـ دفاعه عن عقيدة أهل السنة وكفاحه ضد البدع والمنكرات :ـ

ولقد كان لموقع ابن كمال باشا من القضاة والمفتين والمدرسين في الديار العثمانية أثر كبير في تصحيح الكثير من الأحكام والافتاءات ، بل المعتقدات ، وحل المشكلات التي كان يعاني منها العامة ، وكان يأخذ على عاتقه بيان الصواب ، وتصحيح المفاهيم المنحرفة في أعراف العوام وتقاليدهم ، ولذلك نرى جملة صالحة من الرسائل تناولت جوانب من معتقدات الناس ، وأمور الشريعة والفقه .. (١)

دافع العلامة ابن كمال باشا عن عقيدة أهل السنة بشدة أمام خطر انتشار آراء الروافض عن طريق دعاة شاه اسماعيل في الأناضول ، وحرّض السلاطينَ العثمانية على الجهاد ضدهم ، وجاهد ضدهم بقلمه وسنانه ، وشارك مع السلطان سليم الأول في سفره الى إيران ، وحضر موقعة جَالْدِيرَانْ ، وكتب في بيان فساد معتقداتهم وآرائهم رسالة ، وأفتى بكفرهم وارتدادهم ، وأن ديارهم

(١) انظر : د . رشيد عبد الرحمن العبيدي : جهود ابن كمال باشا في اللغة العربية ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الأول ، المجلد ٣٨ ، ص ٢٧١ ـ ٢٧٢ .

دار حرب ، وأن نكاحهم باطل ، وأن جهادهم فرض عين على جميع أهل الاسلام القادرين على قتالهم ، قال رحمه الله تعالى في رسالته في إكفار الروافض (قِزِلْبَاش) :

" ... وقد تواترت الأخبار والآثار في بلاد المسلمين والمؤمنين أن طائفة من الشيعة قد غلبوا على بلاد كثيرة من بلاد السنيين ، حتى أظهروا مذاهبهم الباطلة ، فأظهروا سب الامام أبي بكر ، والامام عمر ، والامام عثمان رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وانهم كانوا ينكرون خلافة هؤلاء الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ، وأنهم يستحقرون الشريعة وأهلها ، ويسبون المجتهدين ، زعما منهم أن سلوك مذاهب هؤلاء المجتهدين لايخلو عن مشقة ، بخلاف سلوك طريق رأسهم ورئيسهم الذي سموه بشاه اسماعيل ... ويزعمون أن ما أحله شاه فهو حلال ، وما حرمه فهو حرام ... وبالجملة أن أنواع كفرهم المنقولة الينا بالتواتر مما لايعد ولايحصى .

فنحن لانشك في كفرهم وارتدادهم ، وأن ديارهم دار حرب ، وأن نكاح ذكورهم واناثهم باطل بالاتفاق ... وماذبحه واحد منهم يصير ميتة ، وأن من لبس قلنسوتهم الحمراء المخصوصة بهم من غير ضرورة كان خوف الكفر عليه غالبا ، فان في ذلك من أمارات الكفر والالحاد ظاهرا . ثم ان أحكامهم كانت من أحكام المرتدين ، حتى انهم لو غلبوا على مدائنهم صارت هي دار الحرب ، فيحل للمسلمين أموالهم وأولادهم ، وأما رجالهم فواجب قتلهم الا اذا أسلموا ..

وجب أن يعلم أيضا أن جهادهم كان فرض عين على جميع أهل الاسلام الذين كانوا قادرين على قتالهم ..." (١) ثم ذكر مايؤيد رأيه فى ذلك كله من كتب الفقه المعتبرة ..

وفى مكتبة أسعد أفندى برقم ٣٥٤٨ ق ٤٥/ ب ، وكذلك پَرْتَوْ باشا برقم ٦٢١ ق ٣١ أ فى السليمانية باستانبول ، صورة فتوى فى حق قزلباش (اى الروافض) يقول :

" ما يقول السادة فى بيان هذه المسألة : هل يجوز قتال طائفة قزلباش (٢) شرعا ، وهل يكون من قتلهم من جيش الاسلام غازيا ، والمقتول على أيديهم شهيدا ؟

الجواب: نعم ، يعتبر غزوة كبرى ، وشهادة عظمى .

حرره الفقير أحمد ، أبو السعود" وهذان التوقيعان لإمامين شامخين ، الأول للامام العلامة ابن كمال باشا ، والثانى لتلميذه العلامة أبى السعود ، صاحب التفسير الشهير ..

بل كتب العلامة ابن كمال باشا الرسائل التى أرسلها

(١) رسالة فى إكفار قزلباش (اى الروافض) ، ضمن مجموعة بمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة برقم ٢٥٩٧ ، ق ٤٨٦ ب ـ ٤٨٧ أ ، وپرتو باشا (فى السليمانية) برقم ٦٢١ ، ق ٣١ أ .

(٢) قِزِلْبَاش : كلمة تركية ، معناها : أحمر الرأس . كان الترك يطلقونها على حاشية إيران بعد أن صار الغلو فى الرفض أساس المذهب عندهم فى أيام الصفويين الى الآن (هامش سمط النجوم العوالى ٤/ ٧١).

السلطان العثماني سليمان بن سليم القانوني الى شاه ايران طاهماسب الأول بيده ، وحرض السلطان سليمان على السفر الى إيران لقطع شره .. (١)

كما دافع عن عقيدة أهل السنة في مسألة أفضلية النبي صلى الله عليه وسلم على سائر اخوانه من النبيين في فتنة القابض (٢) الذى زعم أن عيسى عليه السلام أفضل من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان يدعو الى مذهبه في كل مكان ، فدعى الى الديوان العثماني لمناقشة مذهبه ، وحضر في الديوان القاضي عسكر في ولاية أناطولي المولى عبد القادر الشهير بقادري جلبي (ت ٩٥٥هـ) (٣) ، والقاضي عسكر في ولاية روم إيلي محي الدين محمد بن علي بن يوسف بن المولى شمس الدين الفناري (ت ٩٥٤هـ) (٤) ، للمناقشة معه فيما ذهب اليه ، كما حضر في الديوان الوزراء ، والسلطان من وراء الستار ، فدافع الملا القابض عن رأيه ، واستشهد له بالآيات والأحاديث متأولا حسب هواه ، ولم يقدر القاضيان بإلزامه بالحجة ، بل أفتيا بقتله ، دون بيان فساد رأيه بالحجج والأدلة ..

---

(١) الموسوعة الاسلامية (بالتركية) ٦/ ٥٦٤ ، آد سز : كشف بيبليوغرافي لمؤلفات ابن كمال باشا في مكتبات استانبول ، مجلة الشرقيات ٦/ ٨١ برقم/ ١٧ .

(٢) القابض العجمي : كان من العلماء في الدولة العثمانية ومن أصل عجمي ، ابتدع الطريقة (الخبمسيحية) في أيام السلطان سليمان القانوني ، وكان يفضل عيسى عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم ، ويدعو الى ذلك في كل مكان ، وقد أفتى ابن كمال باشا في قتله ٨ صفر سنة ٩٣٤هـ . فقتل في اليوم الذى يليه . (الموسوعة الاسلامية (بالتركية) الجزء ١٥/ ٥٥ ـ ١٦) .

(٣) ترجمته في الشقائق النعمانية ٢٦٤ ـ ٢٦٥ ، والفوائد البهية/ ١٠٠ .

(٤) ترجمته في الشقائق النعمانية ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .

ولم يوافق هيئة الديوان على فتواهما ، فخلوا سبيل الملا القابض ، فدعى الى الديوان فى اليوم الثانى ، وحضر العلامة ابن كمال باشا شيخ الاسلام فى الدولة العثمانية آنذاك بأمر من السلطان سليمان للمناقشة معه ، فأبطل العلامة ابن كمال باشا ماتشبث بهَ القابض من الأدلة بالبراهين والأدلة ، وألزمه الزاما لم يستطع أن يدافع عن رأيه ، بل سكت واستسلم ، وأفتى بزندقته وكفره ، فدعى القابض الى التوبة والانابة ، ولم يجب على ذلك ، فقتل فى اليوم التالى (١) .

وكتب العلامة ابن كمال باشا بهذه المناسبة وفى هذه المسألة ، رسالتين ، الأولى " رسالة فى أفضلية النبى صلى الله عليه وسلم " قال فى مقدمتها : " فهذه رسالة فى تحقيق تلك المقالة " أى مقالة القابض ، وبين فيها أن المسلمين أجمعوا على تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء عليهم السلام ، واستشهد على ذلك بالأدلة من الآيات والأحاديث ، قال فيها : " وأنا أقول : لابد من الاعتقاد بتفضيل نبينا محمد عليه السلام على سائر الأنبياء عليهم السلام اجمالا وتفصيلا ، لما مر من اعتقاد اجماع المسلمين على ذلك ، وفى التعبير عن هذا المقصد يكفى أن يقال : ان محمد عليه السلام أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام ، ولاحاجة الى التفضيل التفصيلى عبارة لما فيه من اظهار النقص فى

(١) الموسوعة الاسلامية (بالتركية) الجزء ٥٥ ص ١٥ ــ ١٦ مادة " القابض " .

المفضول ، والاحتراز عنه واجب ، فانا قد أمرنا به ... ثم قال :

فالتفضيل التفصيلي عبارة لايصار اليه الا في مقام الضرورة ، وقيام الحاجة اليه ، كما وقع في زماننا ، حين ادعى [1] بعض الزنادقة [2] ـ في ديوان السلطان سليمان الزمان ، عند حضرة آصف الدوران ، مسمى خليل الرحمن [3] ـ فضل عيسى ـ عليه السلام ـ على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فاحتيج في رده الى التصريح بأن محمدا صلى الله عليه وسلم مفضل على عيسى وعلى سائر الأنبياء مجملا ومفصلا ... " [4] ..

وأما الرسالة الثانية فهي " رسالة في تصحيح لفظ الزنديق ، وتوضيح معناه الدقيق " ، فقال في آخرها ـ بعد أن بين معنى الزنديق لغة وشرعا ـ : " ان الرجل الشهير بالقابض ، المقبوض روحه بأمر الفائض فتوحه ، كان زنديقا ـ على التعريف الفقهي للزنديق ، المنقول عن شرح المقاصد [5] ـ ، وكان داعيا الى الضلال ، معروفا بالاضلال ، ساعيا في افساد الدين المبين ، على ما اشتهر وثبت بشهادة ثقات من العدول ، وثقاة من الفحول ، وقد مر في الفتاوى الخانية [6] : أن الفتوى على وجوب قتل من كان

(١) وفي الهامش : أي في تاريخ سنة أربع وثلاثين وتسعمائة ..

(٢) وفي الهامش : وهو الشخص الذي يسمى بالقابض .

(٣) والمقصود منه : ابراهيم باشا ، الصدر الأعظم ، اى رئيس الوزراء آنذاك ..

(٤) رسالة في أفضلية النبي صلى الله عليه وسلم ق ٢٠ ب ـ ٢١ أ .

(٥) ٥/٢٢٧ .

(٦) اى " فتاوى القاضي خان " في الفقه على مذهب أبي حنيفة النعمان .

كذلك "(١).

وكان العلامة ابن كمال باشا يكافح البدع والمنكرات الشائعة في زمانه ، ويستنكرها بلهجة قوية ، وينكر على العامة في مخالفاتهم ، ويواجه العلماء بالتذكير والنصيحة ، فقد نبه على بدع الصوفية وخرافاتها ، ورد عليها ، وكتب رسالة في بيان تحريم الرقص والدوران ... قال فيها :

" سئل الحلواني (٢) عمن سموا أنفسهم بالصوفية ، فاختصوا بنوع لبس ، واشتغلوا باللهو والرقص ، وادعوا لأنفسهم منزلة عند الله تعالى ، فقال : افتروا على الله كذبا فاحشا . وسئل : ان كانوا زائغين عن الطريق المستقيم هل ينفون من البلاد لقطع فتنتهم عن عامة الناس ؟

فقال : إماطة الأذى عن الطريق أبلغ في الصيانة ، وأمثل في الديانة ، وتمييز الخبيث من الطيب أزكى وأولى " (٣) ثم ذكر أقوال الأئمة المؤيدة لذلك .

وقال في رسالة المنيرة (٤) : " واعلم أن بعض الصوفيين في هذا الزمان لايعلمون أداء الفرائض والواجبات بكماله ، فيتركون

(١) رسالة في تصحيح لفظ الزنديق وتوضيح معناه الدقيق ضمن رسائله المطبوعة ٢/٢٤٩.

(٢) هو عبد العزيز بن أحمد بن نصر ، شمس الائمة الحلواني البخاري (ت٤٤٤هـ وقيل غير ذلك) ، عالم بأنواع العلوم ، معظم للحديث وأهله ، رئيس الحنفية في زمانه (الفوائد البهية ص٩٥ ــ ٩٦).

(٣) رسالة في الرقص ودوران الصوفية ١٥١ أ ، وكذلك : رسالة المنيرة ص ٤٥ ، ٥٠.

(٤) ص ٤١ .

فى صلواتهم مثل القراءة والقومة والجلسة على المشروع ، ويشتغلون بعد صلواتهم بالتسبيح والتهليل ، رجاء من الله الثواب على هذه الحالة ، ويغفلون عن هذا الحديث ، قال عليه الصلاة والسلام لأعرابى لم يتم ركوعه وسجوده : قم ، صل ، فانك لم تصل [1] " .

وقال أيضا [2] : " اعلم أن من بدعات هذه الصوفيين أن شيوخهم يغسلون أيديهم ، ثم يشربون تلك الغسالة مرضى هذه المسلمين لأن تشفى لهم ، فهذه البدعة منهم وسائر بدعاتهم لاتجد اليها إشارة قط فى أحكام الشريعة ، سوى قولهم بالترهات.

فاعلم أن الصوفيين فى هذا الزمان لايتعلمون أحكام الشريعة من علماء الدين ، بل يعلمهم شيوخهم ما يقتضى هوى أنفسهم من الشطح والطامات والترهات ، والأصل فى الزمان السابق أن هذه الفرق الموصوفة بالتصوف كانوا متشرعين عاملين على مقتضى الشريعة ، وسالكين فى طريق الحق بالاستقامة ، لكن بعد زمانهم ابتدأ ظهور البدعة ، وتهاون العلماء فى إحياء السنة والشريعة ، فزيدت البدعات يوما فيوما ، حتى انتهت الى هذه المرتبة ، فالآن حدثت المتصوفة الصارفة أوقاتهم الى مقتضى أنفسهم ، واشتغلوا

(١) جزء من حديث متفق عليه.
أخرجه البخارى (٢/٢٣٧) فى كتاب (١٠) الأذان ، باب (٩٥) وجوب القراءة للامام والمأموم فى الصلوات كلها فى الحضر والسفر ... ، برقم/٧٥٧ ، وفى أماكن أخرى.
ومسلم (١/٢٩٨) فى كتاب (٤) الصلاة ، باب (١١) وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة .. برقم/٣٩٧ .

(٢) رسالة المنيرة ٥٠ ـ ٥١ .

بكثرة المريدين والأحباء ، وتبدلوا أشكالهم وصورهم لأكل أموال الأغنياء ، وحيلوا في اصطياد قلوب الأمراء بالشطح والطامات".

١٠ـ صفته وحليته :ـ

" وكان ـ رحمه الله ـ حسن المنظر ، حافظ الآداب ، ولطيف الصحبة اذا جلس مع الأحباب ، كريم الشأن ، عظيم المكان ، قليل المقال ، كثير التفكر في كل حال ، هذا شمة من فضائله ، وبعض من شمائله" (١).

" وكان صاحب أخلاق حميدة حسنة ، وأدب تام ، وعقل وافر..." (٢)

١١ ـ وهل لابن كمال باشا ذرية بعده :ـ

لم تذكر المصادر التي ترجمت لابن كمال باشا أنه تزوج ، وأنه رزق من هذا الزواج بولد ، غير أنني عثرت على نص في آخر "رسالة في تحقيق المعجزة" لابن كمال باشا في مكتبة كوبريلي باستانبول ضمن مجموعة تحت رقم ١٠١٤ يقول في الورقة ١٠٥ أ :

(١) عثرت على هذه الصفة والحلية في أول مجموعة لابن كمال باشا في مكتبة مراد ملا باستانبول تحت رقم ١٨٣٤ ، وكذلك في مجموعة لابن الكمال بمكتبة الحرم المكي الشريف تحت رقم ١٥١ ، ق/١١٢.

(٢) طاشكبرى زاده : الشقائق النعمانية ص ٢٢٧، ويقول أوليا جلبي في سياحتنامه ١/ ٣٤٥، ٣٤٩ : " لو كتبنا في ذكر أوصاف وحيد دهره الذي يسمى بكمال باشا زاده ، بحق يصير مجلدا تاما ".

" تمت الرسالة المعمولة فى تحقيق المعجزة " بعون الله تعالى وحسن توفيقه على يد العبد الضعيف الفقير الى الله تعالى ، تراب أقدام الصالحين ، الراجى عفوريه وغفرانه صالح محمد بن أحمد ابن سليمان بن كمال القسطنطينى ، عفى الله تعالى عنه ، وعن والديه وعن جميع المسلمين عامة " .

فيفهم منه أنه تزوج ، ورزق منه بولد ، اسمه محمد صالح ، وله حظ من العلم ، ومشتغل به ..

ويؤيد ديباجة "رسالته فى علوم الحقائق وحكمة الدقائق " (١) وجود ابن له ، حيث يقول فيها :

" فهذه الرسالة فى علوم الحقائق وحكمة الدقائق ، لولدى فى طريقه ، وقرة العين فى الارادة ، زاد الله تعالى توفيقا فى تحصيل علوم الشريعة ، وهداية وإرشادا فى دقيق معانى الحقيقة ، اللهم اجعل هاديه فى الدين بحق محمد الأمين " .

وكذلك يفهم من ديباجة رسالته فى بيان عقيدة أهل السنة " (٢) أن له بنتا ، وكتب هذه الرسالة لتلقينها عقيدة أهل السنة ، اذ يقول فيها بعد الحمدلة والصلولة :

" وبعد : لما طعنت بنيتى فى السنة السابعة ، خطر ببالى أن ألقنها

(١) ضمن مجموعة بمركز البحث العلمى بالجامعة برقم ٣٧٧ ، ق/ ٩٧ أ .

(٢) ضمن مجموعة فى الحرم المكى الشريف برقم ١٥١ ، ق ١٩٢ ب .

عقيدة أهل السنة ، وأمرها باتباع الشريعة ، عملا بما جاءت به السنة ، وذلك أن النبي عليه السلام كان يعلم الغلمان من بني هاشم " اذا أفصح — سبع مرات: الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل ، وكبره تكبيرا .. " (*)

١٢ — وفاته :—

لقد قضى العلامة ابن كمال باشا حياته كلها في خدمة العلم وطلابه ، وشغل كل وقته بالكتاب مطالعا أو باحثا أو مؤلفا ، حتى زادت مؤلفاته عن ثلاثمائة رسالة في فنون شتى ، وبعد هذه الحياة الحافلة بالعلم والتدريس والافتاء والقضاء أدركته المنية " في يوم الخميس (١) ، الثاني من شهر شوال ، المنتظم في سلك شهور سنة أربعين وتسعمائة ، بعد طلوع الشمس ، في مدينة قسطنطينية ، وصلى عليه بعد الظهر من ذلك اليوم ، في جامع السلطان محمد خان عليه الرحمة والرضوان ، ودفن في ذلك اليوم أمام الزاوية التي سكانها الصوفية المنسوبة الى الأمير البخاري عليه رحمة الملك الباري .

قيل في تاريخه: حل عليه رحمة الحق .

وقيل : مات النحرير .

وقيل بالفارسية : رحمت بروح پاك أحمد .

(١) وذكر في الموسوعة الاسلامية (بالتركية) ٦/٥٦٤ ، والموسوعة التركية (بالتركية) ٢١/ ٤٧٩ ، وكشف بيبليوغرافي لمؤلفات ابن كمال باشا ، لآدسز ، انه توفي يوم الجمعة الثاني من شهر شوال ، بدلا من يوم الخميس ..

(*) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١١ / ٣٤٨ ، وعبد الرزاق في المصنف ٤ / ٣٣٤ ، وذكره ابن حجر في الكافي الشاف ص/ ١٠٣ ، والسيوطي في الدر المنثور ٥ / ٣٥٣ .

وفي يوم عيد الفطر عرض عليه الوصية باسقاط الصلاة ، فقال :

" أكملت يوم عرفة سبعا وستين سنة من العمر ، وليس على صلاة غير مؤداة سوى ما فاتني في هذا المرض ، رحمه الله تعالى ، وأقامه في العليين ، مع النبيين — عليهم الصلاة والسلام — والشهداء والصالحين " (١).

وقيل في تاريخ وفاته أيضا : ارتحل العلوم بالكمال .

وكتب على قبره : هذا مقام أحمد ،(٢)

وعلى أكفانه : هي آخر اللباس .

وكلها يتضمن تاريخ وفاته .

وكان يقول — رحمه الله تعالى — وهو يحتضر : يا أحد نجنا مما نخاف . فحسبت بعد موته ، فكانت تاريخا لوفاته أيضا بحساب الجمل .. (٣)

فلا عبرة بأوهام بعض المعاصرين من المؤرخين والمترجمين

---

(١) مجموعة الرسائل لكمال باشا زاده في مكتبة مراد ملا باستانبول تحت رقم ١٨٣٤ ، الورقة الأولى ، وكذلك : مجموعة الرسائل لابن الكمال بمكتبة الحرم المكي الشريف تحت رقم ١٥١ ، ق / ١١٢ .

(٢) وكتب على قبر وزير العدل ، وصاحب " تاريخ جودت " — والتي اقترنت باسمه " مجلة الأحكام العدلية " وهي معروفة في تاريخ التشريع الاسلامي — جودت باشا الشهير (١٨٢٢ — ١٨٩٥م) ، كتب على قبره :

كان ابن كمال عصرنا

هيهات ، ترك الحياة

وهذا يدل على جلالة قدر العلامة ابن كمال باشا دون شك ...

(٣) جميل بك : عقود الجوهر ١ / ٢١٨ ، محمد طاهر : عثمانلي مؤلفلري ١ / ٢٢٤ ، قنالي زاده حسن جلبي : تذكرة الشعراء ١ / ١٣٣ .

كعطا بك الذى أرخ له فى " تاريخ الدولة العثمانية " . (استانبول ، ١٣٣٠هـ) ٥/١٧٨ ، سنة ٩٣٨هـ تاريخا لوفاته [١].

وعاشق جلبى فى التذكرة [٢] ، سنة ٩٤١هـ تاريخا لوفاته أيضا .

واسماعيل حقى أوزون چارشيلى فى " التشكيلات العلمية فى الدولة العثمانية "(ص ٢٢٣) سنة ٩٤٢هـ تاريخا لوفاته كذلك ..

وحكى بعض المترجمين أنه لما بلغ خبر وفاته الديار الشامية صلوا عليه غائبة بجامع دمشق ، وذلك ثانى ذى القعدة سنة ٩٤٠هـ [٣] ، وكذلك بالمسجد الحرام [٤] .

وهذا يدل على اشتهاره فى العالم الاسلامى لخدمته العلوم الشرعية بالتدريس والافتاء والتأليف ، كما يدل على تقديرهم لدرجته العلمية واعترافهم بمكانته الرفيعة ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، آمين .

---

(١) الموسوعة الاسلامية (بالتركية) ٦/٥٦٤ .

(٢) المصدر السابق ، والتذكرة فى مكتبة پرتو باشا برقم/٤٤٠ ، ق /٥٥أ .

(٣) الغزى: الكواكب السائرة ٢/١٠٨ .

(٤) اسماعيل حقى أوزون چارشيلى : التشكيلات العلمية فى الدولة العثمانية ٢٢٣ .

الفصل الثالث

شيوخ ابن كمال باشا وتلاميذه

أ ـ شيوخه .

ب ـ تلاميذه .

أ ـ شيوخه :ـ

من المعلوم أن من جملة الأسباب التى تدرك بها مكانة المرء، وتعرف منزلته ، هى معرفة شيوخه وأساتذته الذين تلقى عنهم ، وتأثر بهم ، واقتفى أثرهم ، فان للشيخ فى نفس التلميذ من الأثر ماليس لأحد غيره من الناس ، وان لقوة شخصية الشيخ وقدرته العلمية لكبير الأثر فى بناء شخصية التلميذ ونضوج عقليته .

ومن هؤلاء الشيوخ الكبار الذين أخذ عنهم العلم ،وتأثر بهم :

١ ـ المولى لطف الله التوقاتى ، الشهير بمولانا لطفى (١) (ت ٩٠٠) : قرأ العلوم على المولى سنان باشا ، وتخرج عنده ، وحصل العلوم الرياضية على على القوشجى لما دخل بلاد الروم ، وحصلها سنان باشا بواسطته ، ورباه سنان باشا حال وزارته عند السلطان محمد خان الثانى أبى الفتح ، فجعله أمينا على خزانة الكتب ، فاطلع على غرائب منها ، وأعطى فى زمن السلطان بايزيد خان الثانى مدرسة بِبَرُوسَة ، ثم مدرسة دار الحديث بأدرنه ، ثم احدى المدارس الثمان ، ثم مدرسة المرادية بِبَرُوسَه . وكان رحمه الله فاضلا لايجارى ، وعالما لايبارى ، ولكثرة فضائله حسده أقرانه ، ولإطالة لسانه عليهم نسبوه الى الإلحاد والزندقة ، وحكم المولى خطيب زاده بإباحة دمه ، فقتل سنة ٩٠٠هـ .

(١) له ترجمة عند : طاشكبرى زاده فى الشقائق النعمانية ١٦٩ ـ ١٧٢ ، والكفوى فى كتائب أعلام الأخيار ٣٨١ أ ـ ب ، واللكنوى : الفوائد البهية ص ٢١ ، وللأستاذ شرف الدين يالْتقايا مقال بعنوان " مولى لطفى " .

مصنفاتـــــه :ـ

١ ـ حواشي على شرح المطالع ، أورد فيها تحقيقات وفوائد خلت منها كتب الأقدمين .

٢ ـ حواشي على شرح المفتاح للسيد الشريف ، ولقد حل فيها المواضع المشكلة من الكتاب ، بحيث يتحير فيها أولو الألباب .

٣ ـ رسالة سماها " السبع الشداد " ، وهي مشتملة على سبعة أسئلة ، على السيد الشريف في بحث الموضوع ، ولقد أبدع فيها كل الإبداع ، وأجاد كل الإجادة .

٤ ـ رسالة ذكر فيها أقسام العلوم الشرعية والعربية ، أورد فيها عجائب وغرائب .

٢ ـ المولى مصلح الدين مصطفى القسطلاني (ت ٩٠١هـ) : (١)

قرأ على علماء الروم ، ثم تتلمذ على خضر بك ، ودرّس في عدة مدارس ، ثم في إحدى المدارس الثمان ، ثم صار قاضيا في كل من أدرنه ، وبَرُوسَة ، وقسطنطينية ، ثم قاضيا بالعسكر المنصور ، وكان عالما مشتهرا ، ذا منزلة خطيرة بين علماء عصره ، وكان لايداري الناس، ويتكلم بالحق على كل حال ، شغله التدريس والقضاء عن التفرغ للتأليف ، توفي سنة إحدى وتسعمائة للهجرة ، ودفن الى جوار زيد بن خالد أبي أيوب الأنصاري .

(١) طاشكبري زاده: الشقائق النعمانية ٨٧ ـ ٨٩، اللكنوي: الفوائد البهية ٢١/١ .

مصنفاته :ـ

١ ـ كتب حواشي على شرح العقائد للسعد

٢ ـ وكتب رسالة يذكر فيها سبعة إشكالات على المواقف وشرحه ٠

٣ ـ وكتب حواشي على " المقدمات الأربع " لصدر الشريعة ٠

٣ ـ المولى محيي الدين محمد بن ابراهيم الشهير بابن الخطيب أو بخطيب زاده (٩٠١هـ) (١) : قرأ على والده العلوم ، وعلى العلامة على الطوسي (٢) ، والمولى خضر بك ، ثم صار مدرسا في مدارس عديدة ، وهو من أول المدرسين بإحدى المدارس الثمان ٠ وكان طليق اللسان ، جريء الجنان ، قويا على المحاورة ، فصيحا عند المحاورة ، ولهذا قهر كثيرا من علماء زمانه ٠ توفي سنة إحدى وتسعمائة ٠

مصنفاته :ـ

١ ـ حواشي على حاشية شرح التجريد للسيد الشريف ٠

٢ ـ حواشي على حاشية الكشاف للسيد الشريف ٠

٣ ـ حواشي على أوائل شرح الوقاية لصدر الشريعة ولم يتمها ٠

٤ ـ حواشي على أوائل حاشية شرح المختصر للسيد الشريف ٠

(١) طاشكبري زاده: الشقائق ٩٠ ـ ٩٢ ، اللكنوي: الفوائد البهية ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ٠

(٢) ترجمته في الشقائق النعمانية ٦٠ ـ ٦٢ وهو أحد المدرسين في المدارس الثمان ٠

٥ ـ رسالة فى بحث الرؤية والكلام .

٦ ـ حاشية على أوائل شرح المواقف .

٧ ـ حواشى على شرح المقدمات الأربع .

٨ ـ رسالة فى فضائل الجهاد .

٤ ـ المولى سنان الدين يوسف المعروف بابن المعرف (١) :

لم يذكر المؤرخون تاريخ وفاته . وهو من ولاية بالى كسرى ، حصل العلوم على علماء عصره ، ووصل الى خدمة المولى خضر بك بن جلال الدين (٢) ، ثم اشتغل مدرسا ببعض المدارس، ثم صار معلما للسلطان بايزيد خان ، ونال عنده القبول التام ، وأحبه محبة عظيمة ، وقد عمى فى آخر عمره ، وما ترك السلطان بايزيد خان صحبته الى أن توفى ، رحمه الله رحمة واسعة .

هذا ، ونجد العلامة ابن كمال باشا يذكر بعض شيوخه أحيانا دون ذكر اسمه ، فمثلا يقول فى رسالته وجوب الواجب : " هذا ما ذكره بعض المحققين من مشايخنا " (٣) .

(١) طاشكبرى زاده : الشقائق النعمانية ص ١١٩ .

(٢) وكان يلقب بجراب العلم ، وهو من الأفذاذ القلائل فى زمانه ، وهو أول قاضى باستانبول بعد الفتح . ترجمته فى الشقائق النعمانية ٥٥ ـ ٥٨ ، والفوائد البهية/ ٧٠ .

(٣) ضمن المجموعة تحت رقم ٢٥٩٧ فى مكتبة المحمودية بالمدينة المنورة ، ق / ١٠٤ ب .

ب ـ تلامذته :ـ

لابد لذلك الطود الشامخ ، والجبل الراسخ في العلم من أن يكون له أتباع يأخذون عنه ، وتلاميذ يتلقون منه ، اذ أنه اشتغل مدة غير قليلة بالتدريس في مدارس عديدة • وكان ابن كمال باشا محظوظا من جهة تلاميذه ، وكانت مجالسه عامرة بطلبة العلم من أفاضل عصره ، فلا غرو أن تخرج به جم غفير من العلماء ، وقد برعوا في شتى الفنون ، وقد أسهم هؤلاء إسهاما فعالا في نشر العلم • بل الذين تولوا القضاء والافتاء والتدريس وسائر الوظائف منهم في غاية الكثرة ، وهكذا يكون الأمر اذا بارك الله في علم عالم ••

وقد حاولت أن أحصر تلاميذ ابن كمال باشا الذين ورد ذكرهم في " الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية " ، وذيله "العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم " ، " وكتائب أعلام الأخيار " ، حيث قرأت الكتا بين الأولين من أوله الى آخره لهذا الغرض •• وأذكر ماوجدته منهم حسب أقدمية الوفيات ، وأخرت من لم أجد لهم تواريخ وفياتهم :

١ ـ المولى محيي الدين محمد بن بير محمد باشا الجمالي (ت ٩٤١هـ) (١) :

حصل العلوم على والده ، ثم على المولى الفاضل أحمد بن كمال باشا ، ثم على المولى علاء الدين على الجمالي المفتي ، ثم صار

(١) ترجمته : في الشقائق النعمانية ٢٧٣ ـ ٢٧٤ •

مدرسا في مدارس عديدة ، وإحدى المدارس الثمان ، ثم قاضيا بمدينة أدرنه ، وتوفي وهو قاضي بها في سنة احدى وأربعين وتسعمائة ، وكان عالي الهمة ، رفيع القدر ، عظيم النفس ، صاحب وقار وأدب ، وكان له حظ من العلوم المتداولة والعلوم الرياضية ..

٢ ـ المولى سعد الله بن عيسى ، المعروف بسعدي جلبي (ت ٩٤٥هـ)(١) :

حصل العلوم على علماء عصره ، ثم وصل الى خدمة المولى محمد السامسوني ، ثم انتقل مدرسا في مدارس عدة ، ثم صار مدرسا في إحدى المدارس الثمان ، ثم صار قاضيا بمدينة قسطنطينية ، وشيخ الاسلام بعد وفاة شيخه العلامة ابن كمال باشا . وكان مرضي السيرة في قضائه ، ومحمود الطريقة ، وكان طاهر اللسان لا يذكر أحدا الا بخير . وكان من جملة الذين صرفوا جميع أوقاتهم في الاشتغال بالعلم .

وله حواش على تفسير البيضاوي ، وشرح مختصر للهداية ، وفتاوى .

٣ ـ المولى هداية الله بن مولانا بار علي العجمي (ت ٩٤٨ أو ٩٤٩هـ)(٢) :

قرأ على علماء عصره ، منهم المولى بير أحمد جلبي ، والمولى مصلح الدين مصطفى بن خليل ، والد طاشكبري زاده ، والمولى

(١) ترجمته في الشقائق النعمانية ٢٦٥ ، وكتائب أعلام الأخيار ، ق/ ٣٩٣ ، والفوائد البهية/ ٧٨ ، وابن كمال باشا حياته ، وآثاره المتعلقة بالتفسير ، ومنهجه في التفسير ، رسالة دكتوراه بجامعة أتاتورك بأرضروم للدكتور مصطفى قيليچ ص ٧٥ ، المدارس العثمانية في القرن الخامس والسادس عشر الميلادي للدكتور جاهد بالطمجي ص ١٦٧ .

(٢) طاشكبري زاده : الشقائق النعمانية ص ٢٩٧ .

محيى الدين الفنارى ، والمولى ابن كمال باشا ، ثم اشتغل بالتدريس في مدارس عديدة ، وباحدى المدارس الثمان ، ثم صار قاضيا بمكة المكرمة ، ثم اختلت عيناه ، فترك القضاء ، وذهب الى مصر ، وتوفى بها سنة تسع أو ثمان وأربعين وتسعمائة.

وكان عالما مشاركا فى العلوم ، وله معرفة بالأصولين والفقه ، وكان أديبا لبيبا ، وقورا حليما متواضعا متخشعا ، كريم النفس مرضى السيرة ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

٤ ـ المولى محيي الدين محمد بن عبد الله الشهير بمحمد بك (ت ٩٥٠هـ) (١):

كان من عبيد السلطان بايزيد خان ، فرغب فى العلم والمعرفة ، وترك طريقة الإمارة ، وسلك طريق العلم ، وقرأ على علماء عصره ، منهم المولى الشيخ مظفر الدين العجمى ، والمولى محيي الدين الفنارى ، والمولى بير أحمد جلبى ، ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل ابن كمال باشا ، وصار معيدا لدرسه. ثم أصبح مدرسا فى مدارس عديدة ، ثم اختل دماغه ، وترك التدريس ، وسافر الى مصر ، وأسر فى أيدى النصارى ، وأسترده بعض أصدقائه منهم ، ورجع الى قسطنطينية ، واشتغل بالتدريس.. وتوفى ببلدة كوتاهية فى سنة خمسين وتسعمائة ، وكان أديبا ، محبا للعلم وأهله ، وله مشاركة فى العلوم العقلية والرياضية.

---

(١) الشقائق النعمانية ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

٥ ـ المولى الخطير والسميدع النحرير محمد بن عبد الوهاب بن عبد الكريم (ت ٩٥٥هـ) : (١)

كان جده عبد الكريم قاضيا بعسكر دولة السلطان محمد خان أبي الفتح ، وولي أبوه عبد الوهاب الدفترداريةفي عهد السلطان سليم خان.

حصل العلوم على علماء عصره ، منهم المولى إسرافيل زاده ، والمولى جوى زاده ، والمفتي أبو السعود ، ثم وصل الى معدن الفضل والكمال ، ومحط رحال الرجال ، المخصوص في عهده بالافادة المولى الشهير بكمال باشا زاده ، فتبحر في العلوم ، وغلب على أقرانه ، ثم اشتغل بالتدريس والقضاء ، ثم توفي وهو في الستين في السابع والعشرين من رمضان سنة خمس وخمسين وتسعمائة.

وكان رحمه الله ينظم الأبيات بعدة لغات ، وكانت له عدة مؤلفات ، ذكرها ابن بالي .

٦ ـ المولى عبد الكريم البِيْرَوى (ت ٩٦١هـ) (٢) :

قرأ على علماء عصره ، ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل ابن كمال باشا المفتي ، ثم اشتغل بالتدريس في المدارس المختلفة ، ثم صار مدرسا ومفتيا بسلطانية مغنيسا ، وتوفي وهو مدرس بها في سنة إحدى وستين وتسعمائة.

---

(١) العقد المنظوم ٣٨٤ ـ ٣٩٠ ، الفوائد البهية ص ٤ .

(٢) طاشكبرى زاده : الشقائق ص ٣٠٢ .

وكان رحمه الله عالما فاضلا ، قوى الطبع ، شديد الذكاء ، لطيف المحاورة ، حسن المحاضرة ، لذيذ الصحبة ، وكانت له مشاركة في العلوم كلها ، رحمه الله رحمة واسعة .

٧ ـ المولى درويش محمد (ت ٩٦٢هـ) (١) :

وكانت أمه بنت العالم الفاضل سنان باشا ، قرأ على علماء عصره ، ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل ابن كمال باشا ، ثم اشتغل بالتدريس ، وتوفي وهو مدرس باحدى المدرستين المتجاورتين بأدرنه سنة اثنتين وستين وتسعمائة .

كان رحمه الله عالما فاضلا ، سليم النفس ، مستقيم الطبيعة ، محبا للخير وأهله ، ملازما لمطالعة الكتب ، وتحصيل العلوم .

٨ ـ المولى محيي الدين محمد بن عبد القادر ، المشتهر بالمعلول (ت ٩٦٣هـ) (٢) :

والد المولى الفاضل السيد محمد جلبي النقيب في المماليك العثمانية في زمن الكفوى (ت ١٠٦٩هـ) .

قيل عنه : انه زبدة آل الرسول ، صفوة أولاد العقول ، شريف

(١) طاشكبرى زاده : الشقائق ص ٣٠٧ .

(٢) طاشكبرى زاده : الشقائق ٢٨٩ ـ ٢٩٠ ، الكفوى : كتائب أعلام الأخيار ق ٣٩٥ .

الأصل ، لطيف الشمائل . أخذ العلم عن علماء عصره ، منهم المولى محي الدين الفناري ، والمولى ابن كمال باشا .. ثم اشتغل بالتدريس ، ثم صار قاضيا بمصر المحروسة ، ثم صار قاضيا بالعسكر المنصور في ولاية أناطولي ، وتوفي سنة ثلاث وستين وتسعمائة ، ودفن عند دار القراء التي بناها باستانبول .

وكان عالما فاضلا صالحا محققا مدققا ، عالما بالعلوم الشرعية والعقلية ...

٩ ــ مصلح الدين مصطفى ابن المولى سيدي المنتشوي (ت ٩٦٤هـ) (١) :

قرأ على علماء عصره ، ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل ابن كمال باشا ، ثم اشتغل بالتدريس ، وصار مدرسا باحدى المدرستين المتجاورتين بمدينة أدرنه ، توفي وهو مدرس بها سنة أربع وستين وتسعمائة .

وكان رحمه الله جيد القريحة ، مستقيم الطبع ، ملازما لمطالعة الكتب والعلوم ، وكانت له مشاركة في العلوم .

١٠ ــ المولى يحيى جلبي ابن أمين نور الدين ، الشهير بأمين زاده (ت ٩٦٤هـ) (٢) :

---

(١) طاشكبري زاده : الشقائق النعمانية ٣٠٧ ــ ٣٠٨ .

(٢) طاشكبري زاده : الشقائق النعمانية ٣١٣ ــ ٣١٤ .

ولد باستانبول ، وكان أبوه من أمراء الدولة العثمانية ، واشتغل هو بالعلم ، وحصل العلوم على علماء عصره ، منهم المولى ابن المؤيد والمولى ابن كمال باشا ، ثم وصل الى خدمة المولى الفاضل علي جلبي الجمالي المفتي باستانبول قبل ابن كمال باشا ، وصار معيدا لدرسه ، واشتغل بالتدريس والقضاء ، وتوفي سنة أربع وستين وتسعمائة.

كان رحمه الله تعالى عالما زاهدا صاحب أدب ووقار ، وكان أبعد الناس من ذكر مساوئ الناس.

وكانت له معرفة تامة بالتفسير، وأصول الفقه ، والعلوم الأدبية بأنواعها .. وكتب رسائل على بعض المواضع من تفسير البيضاوي ، وعلى بعض المواضع من وقاية الدراية. وكان له انشاء بالعربية والفارسية في غاية الحسن والقبول ..

١١ـ المولى محيي الدين محمد بن حسام الدين الشهير بقره جلبي (ت ٩٦٥هـ) (١) :

عالم فاضل ، له اطلاع على علم الكلام ، ومهارة في الفقه ، وكانت له ممارسة في النظم ، واطلاع على علم التواريخ والمحاضرات.

قرأ على والده حسام الدين ، والمولى ابن كمال باشا ، واشتغل بوظيفة التدريس والقضاء ، وتوفي وهو قاض باستانبول سنة خمس وستين وتسعمائة.

---

(١) طاشكبرى زاده: الشقائق النعمانية ٢٩٧ ـ ٢٩٨.

١٢ ـ جلال زاده صالح أفندى (ت ٩٧٣هـ) (١) :

أخذ العلم عن ابن كمال باشا بمدينة أدرنة ، وصار من تلاميذه الخاصة ، وبيض مؤلفات شيخه كمال باشا زاده . ثم اشتغل بالتدريس بمدينة أدرنه واستانبول ، كما تولى قضاء حلب ، ودمشق ، ومصر ، ثم تقاعد وعاد الى استانبول ، واشتغل بتنشئة الطلبة هناك الى أن توفى .

١٣ ـ المولى محيى الدين الشهير بابن الإمام (ت ٩٧٣هـ) (٢) :

كان أبوه إماما فى جامع محمود باشا . قرأ على المولى الأعظم ابن كمال باشا وغيره من أرباب الفضل والكمال . ثم اشتغل بالتدريس والقضاء والافتاء فى أماكن عديدة . وكان من العلماء العاملين والفضلاء الكاملين ، يحقق كلام القدماء ، ويدقق النظر فى مقالات الفضلاء ، وقد علق على أكثر الكتب المتداولة حواش الا أنه لم يتيسر له الجمع والترتيب والتبييض والتهذيب .. وتوفى رحمه الله فى أول الربيعين سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة .

١٤ ـ تاج الدين ابراهيم بن عبد الله (ت ٩٧٣هـ) (٣) :

حصل العلوم على فضلاء عصره ، واتصل بنور الدين الشهير بصاروكوز ، وصار منه ملازما ، ثم اشتغل بالتدريس والافتاء ، وكتب حاشية

(١) اسماعيل حقى اوزون چارشيلى : عثمانلى دولتنده علميه تشكيلاتى ص ٢٣٤ .

(٢) ابن بالى : العقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم ص ٣٧٠ .

(٣) ابن بالى : العقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم ص ٣٧١ ـ ٣٧٣ .

على صدر الشريعة رد فيها على شيخه ابن كمال باشا ، وحاشية على بعض المواضع من شرح المفتاح ، يرد فيها على المولى ابن كمال باشا في المواضع التي يدعى التفرد فيها ، وله عدة رسائل على مواضع من حاشية التجريد للسيد الشريف ، وله شرح لمتن المراح من علم التصريف .

١٥ ـ المولى علاء الدين المنوغادى (ت ٩٧٤هـ) (١) :

نشأ فى حجر خاله معلم الوزير الكبير اياس المشتهر بأبى الليث بين الناس ، ودار على موالى عصره للاستفادة ، حتى صار ملازما من المولى الشهير بكمال باشا زاده . واشتغل بالتدريس فى مدارس مختلفة ، ثم صار قاضيا ببغداد .

وكان رحمه الله معروفا بالكمال ، ومعدودا من الرجال ، جرىء الجنان ، طليق اللسان ، حلو المحاورة، لطيف النادرة.

١٦ ـ المولى مصلح الدين المشتهر ببستان (ت ٩٧٧هـ) (٢) :

ولد سنة أربع وتسعمائة بقصبة تِيرَة ، أخذ العلم عن المولى محيى الدين الفنارى ، والمولى شجاع ، ثم عطف الزمام نحو الاشتغال على المولى المعظم المشتهر بابن الكمال ، ثم صار ملازما من المولى

---

(١) ابن بالى : العقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم / ٣٨٢ .

(٢) ابن بالى : العقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم ٣٩٥ ـ ٣٩٦ .

خير الدين معلم السلطان سليمان ، ثم اشتغل بالتدريس والقضاء بمدينة بروسه ، وأدرنه ، واستانبول ، ثم ولي قضاء العسكر بولاية أناطولي ، فبعد عشرة أيام توفي المولى الشيخ محمد المشتهر بجوى زاده ، وهو قاض بالعسكر بولاية روم ايلي ، فنقل المرحوم الى مكانه . وتوفي في العشر الأخير من رمضان سنة سبع وسبعين وتسعمائة .

كان رحمه الله من أكابر العلماء والفحول الفضلاء ، يغبطه الناس على نقاء قريحته ، وسرعة بديهته ، ألمعيا فطنا لبيبا لوذعيا فذا أديبا . وكانت المشاهير من كبار التفاسير مركوزة في صحيفة خاطره ، وأما العلوم العقلية فهو ابن بجدتها وآخذ بنا صيتها .

وكتب حاشية على تفسير البيضاوي لسورة الأنعام ، وعلق حواش على مواضع أخر .

وكان يختم القرآن الكريم في صلواته في كل أسبوع مرة . رحمه الله رحمة واسعة .

١٧ ـ أبو السعود بن محمد بن مصطفى العمادي (ت٩٨٢هـ) (١) :

كان رحمه الله من تلاميذ ابن كمال باشا الخاصة ، وهو خاتمة العلماء المحققين الذين شرفوا القرن العاشر بالعلم . قرأ على

---

(١) وله ترجمة في العقد المنظوم ٤٣٩ ـ ٤٥٤ (والفوائد البهية ٨١) غير أنهما لم يذكرا تلمذته لابن كمال . انظر أيضا : بروسوى محمد طاهر : عثمانلى مؤلفلرى ١ / ٢٢٤ ، أوليا جلبي : سياحتنامه ١ / ١٧٣ ، أوزون چارشيلي : عثمانلى دولتنده علميه تشكيلاتى ص ٢٣٥ ، عبد الله آيدمير : أبو السعود ومنهجه في التفسير ص ١٩٥ .

ابن المؤيد ، وابن كمال باشا ، والمولى القرامانى ، وأعطى له شهادته العلمية المسمى "بالإجازة" ابنُ كمال باشا ، اشتغل مدة بالتدريس ثم بالقضاء ببَرُوسَة واستانبول . ثم صار قاضيا بالعسكر فى روم إيلى ، وقد نشأ فى حلقاته العلمية علماء وأدباء وشعراء أجلاء مثل المولى سعد الدين ، والشاعر المشهور باقى ، وابن الحِنّائى .

وله مؤلفات عديدة ، ورسائل مفيدة . من أشهرها : "إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم" ، وهو تفسيره المطبوع . .

١٨ ـ المولى تاج الدين ابراهيم (ت ٩٩٤هـ) (١) :

قرأ على علماء زمانه ، ووصل الى خدمة المولى المعظم كمال باشا زاده ، فعكف على التحصيل والاستفادة ، وسعى فى تكميل ذاته ، حتى صار ملازما منه بحكم وفاته .

واشتغل بالتدريس فى أماكن مختلفة ، ثم عين مدرسا للمدرسة التى بناها السلطان سليمان بمدينة دمشق ، وفوض اليه الفتوى فى هذه الديار ، فدام عليه حتى توفى سنة أربع وتسعين وتسعمائة .

وكان رحمه الله عارفا بالعلوم الدينية والمسائل اليقينية ، خصوصا الفقه ، فانه كان معدودا من أصحابه ، ومعدودًا فى عداد أربابه ، وكان رحمه الله لين الجانب ، صحيح العقيدة ، صاحب الأخلاق الحميدة .

---

(١) ابن بالى : العقد المنظوم ص ٣٨٣ .

١٩ ـ المولى بالى بن محمد (ت ؟) (١) :

والد صاحب " العقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم" على ابن بالى (ت ٩٩٢هـ) . ولد رحمه الله تعالى سنة احدى وتسعمائة ولم يذكر ابنه فى ترجمته سنة وفاته ، غير أنه ذكر أنه توفى فى شهر رجب فى قصبة جُوْرلِى .

وكان رحمه الله حديد الذهن ، صاحب القريحة ، صحيح العقيدة ، بحاثاً بالعلم ، معروفا به بين الأهالى .

وقد كتب تفسيرا من المعتبرات بخطه ، خصوصا مؤلفات أستاذه المولى ابن كمال باشا ، حيث كتب جميع كتبه ورسائله ، وعلق حواشى على بعض المواضع من شرحه الفرائض، وعلى بعض المواضع من " الإصلاح والايضاح " . وكان له اليد الطولى فى الكلام والهيئة والحساب، وكتب على بعض المواضع منها كلمات لطيفة . وكان رحمه الله محمود السيرة فى قضائه ، عامله الله بلطفه يوم جزائه .

٢٠ ـ ابن الطباخ حسن جلبى (٢) وكان يساعد شيخه فى ترجمة " النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة" بالتبييض فى أثناء سفره مع السلطان سليم الأول الى القاهرة ..

٢١ ـ محمد بن محيى الدين حسن بن زين الدين ، القاضى ببغداد (٣) .

(١) ابن بالى : العقد المنظوم ٢٩٦ ـ ٢٩٨ .

(٢) قنالى زاده حسن جلبى : تذكرة الشعراء ١ / ١٢٩ ـ ١٣٣ ، و د . مصطفى قيليج :ابن كمال باشا وآثاره المتعلقة بالتفسير ومنهجه فيه ص ٨١ .

(٣) د . مصطفى قيليج : ابن كمال باشا وآثاره المتعلقة بالتفسير ومنهجه فيه ص ٨١ .

٢٢ ـ عبد اللطيف أفندى ، قاضى العسكر (١)

ومما تقدم نرى أن ابن كمال باشا أخذ العلم عن الأعلام المشهورين فى عصره ، وتخرج على يديه مشاهير العلماء والمدرسين والمفتين والقضاة فى الدولة العثمانية ، مثل العلامة أبى السعود المفتى ، وسعدى جلبى ، والمولى الشهير ببستان وغيرهم .

---

(١) د . مصطفى قيليج : ابن كمال باشا وآثاره المتعلقة بالتفسير ومنهجه فيه ص ٨١ .

الفصل الرابع

مؤلفات ابن كمال باشا

مؤلفات ابن كمال باشا

وقد خلف ابن كمال باشا ثروة علمية وفكرية واسعة ، استوعبت معظم أنواع المعارف الاسلامية والانسانية حتى عصره ، وأكثر من التصنيف فيها ، وأجاد فيما صنفه وكتبه ، و " كان - رحمه الله تعالى - اماما بارعا فى التفسير ، والفقه ، والحديث ، والنحو ، والتصريف ، والمعانى ، والبيان والكلام ، والمنطق ، والأصول ، وغير ذلك ، بحيث انه تفرد فى إتقان كل علم من هذه العلوم ، وقلما يوجد فن من الفنون الا وله مصنف أو مصنفات "(١) .

" وكل مؤلفاته مقبولة مرغوب فيها ، متنافس فى تحصيلها ، متفاخر بتملك الأكثر منها ، وهى لذلك مستحقة ، وبه جديرة "(٢) .

ولا مبالغة فى كلام التميمى ، لأن المترجمين لابن كمال باشا يوافقون على رأيه ، ويسلمون له دعواه ، ويعترفون بجودة تصانيفه وإبداعه فيها .

يقول الكفوى : " وله تصنيفات كثيرة معتبرة ، متداولة بين أيدى العلماء ، مقبولة لدى الفضلاء ، وكان يكتب ماسنح بباله الشريف بأداء حسن ، وتحرير لطيف ، وقد فتر الليل والنهار ولم يفتر قلمه "(٣) .

ويقول طاشكبرى زاده : " وصنف رسائل كثيرة فى المباحث المهمة الغامضة ، وكان عدد رسائله قريبا من مائة رسالة ، وله من التصانيف :

---

(١) التميمى : الطبقات السنية ٣٥٥/١ .

(٢) التميمى : الطبقات السنية ٣٥٧/١ .

(٣) الكفوى : كتائب أعلام الأخيار ق ٣٨٢ ب ، وكذلك طاشكبرى زاده : الشقائق النعمانية/٢٢٧ ، والغزى : الكواكب السائرة ١٠٧/٢ .

تفسير حسن لطيف ... "[1] . ثم ذكر مصنفاته فى العلوم المتنوعة .

وتصانيفه عبارة عن متون فى الفقه،والأصول ، والتفسير ، واللغة ، أو شروح وحواش على متون مشهورة ، أو رسائل فى المسائل الغامضة العويصة لتحقيقها ، كما هو سيأتى ..

ورسائله لم يحصها أحد من المترجمين له ، ومن ثم اختلفوا فى إحصائها وتحديد عددها .

قال طاشكبرى زاده (ت ٩٦٨ هـ) انها " قريب من مائة رسالة " ،وقال أيضا بعد أن عدد بعض مصنفاته " وأما مابقى فى المسودة فأكثر مما ذكر"[2] .

وقال سركيس : " وله مؤلفات تزيد على مائة وخمسة وعشرين كتابا ، وقلما أن يوجد فن الا وله فيه مصنف "[3] .

وقال جميل بك العظم : " وكان - رحمه الله - يصنف كل يوم ويكتب نحو كراسة ، ويمضى كل يوم نحو ألف فتيا ، هذا مع اشتغاله بالتدريس "[4] ، ثم عدد مؤلفاته على حسب حروف المعجم ، فبلغ مائتين وعشرين مصنفا ، الا أن فيه شيئا من التكرار والخلط ..

ويقول التميمى (ت ١٠٠٥ هـ) : " وله رسائل كثيرة فى فنون عديدة ،

---

(١) الشقائق النعمانية/٢٢٧ ، الكواكب السائرة ١٠٧/٢ .

(٢) الشقائق النعمانية/٢٢٧ ،وكذلك : كتائب أعلام الأخيار ق /٣٨٢ب ،والكواكب السائرة ١٠٧/٢ ، وشذرات الذهب ٢٣٩/٨ .

(٣) معجم المطبوعات العربية ٢٢٧/١ .

(٤) عقود الجوهر ٢١٨/١ ، ومشاهير الأعلام ص ١٥٦٤ .

لعلها تزيد على ثلاثمائة رسالة "[١] .

وتأليفه لم يقتصر على اللغة العربية فحسب ، بل ألف أيضا باللغة الفارسية ، واللغة التركية ، بالاضافة الى نظمه الشعر فى اللغات الثلاث .

يقول التميمى : " وفاق فى الإنشاء بالعربية والفارسية ، والتركية، وكان له منها حظ جزيل ، وفيها باع طويل "[٢] .

وقال طاشكبرى زاده : " وله يد طولى فى الانشاء،والنظم بالفارسية ، والتركية"[٣] .

ومما تجدر الاشارة إليه آن الذين ذكروا مصنفاته ، من المترجمين له ، لم يحصوا عددها ، وانما ذكروا عددا يسيرا منها بالاضافة الى البقية الكثيرة . أكبر عدد ذكروه هو (٢٢٠) مؤلفا ، ذكره جميل بك العظم فى كتابه عقود الجوهر (٢١٧/١ - ٢٢٦) .

لقد صرفت وقتا طويلا ، لأجل إحصاء عدد مؤلفاته بالدقة ، وذلك بالاطلاع على فهارس المكتبات المختلفة عامة ، ومكتبات استانبول خاصة من ناحية ، والاطلاع على مؤلفاته المخطوطة منها والمطبوعة على السواء من ناحية آخرى ، الا آنه لم يتيسر لى ذلك ، حيث فاتنى العثور على بعض مؤلفاته ، والمقابلة بأسماء بعضها بالآخر المشابه به ، للوصول الى نتيجة حاسمة ، هل هما مؤلفان مستقلان ، أو اسمان لمسمى واحد .

---

(١) الطبقات السنية ٣٥٥/١، وكذلك عمر نصوحى : طبقات المفسرين (بالتركية) ٦٣٨/٢ ، والمؤلفين العثمانيين ٢٢٣/١ " قريب من ثلاثمائة " .

(٢) الطبقات السنية ٣٥٧/١ .

(٣) الشقائق النعمانية ٢٢٧ ، وكذلك : اليستانى : دائرة المعارف ٤٨٢/٣.

وسبب ذلك أن الذين ذكروا مؤلفاته لم يلتزموا بالدقة فى التسمية، - إما لعدم ذكر ابن كمال باشا فى فاتحة كثير من مؤلفاته التسمية العلمية التى اختارها لها ، فتصرف النساخ فوضعوا من عند أنفسهم عناوين مناسبة لها ، أو لتساهل النساخ فى المحافظة على العنوان المثبت فى أول الكتاب أو الرسالة - ، فكثيرا ماسموها بأسماء مختلفة فسموا الحاشية شرحا، والشرح حاشية ، ومنهم من سمى عنوان الشرح والحاشية ، ومنهم من لايسميها ، ومنهم من سمى باسمه ، وبدون اسمه فى مكانين ظنا منه أنهما مصنفان مختلفان (١) .

وقد اجتهدت أن اتبع منهجا واحدا فى تناول كل كتاب أو رسالة ، يمكن تلخيصه بما يأتى :

١ - الاشارة الى ذكر ابن كمال باشا للكتاب المتحدث عنه فى كتبه الأخرى .

٢ - الاشارة الى من ذكره من المترجمين له .

٣ - التنبيه فيما اذا كان الكتاب موجودا : مخطوطا، أو مطبوعا ، واجتهدت أن أطلع عليه ، وأشرت الى الطبعة ، أو بعض نسخها التى وقفت عليها .

٤ - لم أعن باستقصاء نسخ الكتاب فى جميع خزائن الكتب ، اذ مامن مكتبة فى العالم الا ولابن كمال فيها مؤلف أو مؤلفات ومجموعات .

---

(١) كما فعل جميل بك العظم فى عقود الجوهر أثناء ذكر مؤلفاته، واسماعيل باشا البغدادى فى هدية العارفين كذلك ، وبروكلمان فى تاريخ الأدب العربى ،والدكتور محمود فجال فى مقال له فى مجلة عالم الكتب ،المجلد العاشر، العدد ٣ ،١٤١٠هـ ،الرياض- ص ٣٤١ - ٣٥٠ وفيه شئ كبير من التكرار والخلط .

٥ ـ وان لم أقف على نسخ الكتاب الخطية ـ وهى قليلة ـ أشرت الى ذلك ٠

٦ ـ حاولت أن أذكرها على حسب موضوعات العلوم ، ـ وهذا اجتهادى فى البعض ـ ، وأسقطت ماكرره المترجمون له بفعل الوهم أو الخطأ ٠

الرموز المستعملة بعد عناوين المؤلفات :

خ : مخطوط ٠

ع : مطبوع ٠

ف : مفقود (حاليا لدى علمى)

جدول مؤلفات ابن كمال باشا فى العلوم المتنوعة

مسلسل	نوع العلم	الأرقام المسلسلة	عدد المؤلفات فيه
١	التوحيد أو علم الكلام	١ – ٥٣	٥٣
٢	القرآن وعلومه	٥٤ – ٨٣	٣٠
٣	الحديث وعلومه	٨٤ – ١٠٢	١٩
٤	الفقه وأصوله	١٠٣ – ١٧٨	٧٦
٥	اللغة	١٧٩ – ٢١٠	٣٢
٦	الصرف والنحو	٢١١ – ٢٣١	٢١
٧	البلاغة	٢٣٢ – ٢٥٩	٢٨
٨	الأدب	٢٦٠ – ٢٧٥	١٦
٩	الفلسفة والمنطق	٢٧٦ – ٣٣١	٥٦
١٠	التصوف والأخلاق	٣٣٢ – ٣٤٩	١٨
١١	التاريخ والتراجم	٣٥٠ – ٣٥٨	٩
١٢	الطب	٣٥٩ – ٣٦٥	٧
١٣	العلوم المتنوعة	٣٦٦ – ٣٦٩	٤
١٤	المؤلفات المشكوكة نسبتها اليه		٢١
١٥	المؤلفات المنسوبة اليه		٣٢

أولا : التوحيد أو علم الكلام

١ - تجويد التجريد فى أصول الدين ، ذكره بهذا العنوان الكفوى فى كتائب أعلام الأخيار (ق / ٣٨٢ ب) ، والتميمى فى الطبقات السنية (٣٥٦/١) ، واللكنوى فى الفوائد البهية (٢٢) ،وبروكلمان برقم / ١٥٥ ، وآدسز برقم / ١٢٠ ، وكاتب جلبى فى كشف الظنون (٣٥٤/١) وقال : " التجويد فى الكلام ، ثم شرحه وسماه " التجريد " كذا قيل ، ولعل الأمر بالعكس " .

تجريد التجريد : ذكره بهذا العنوان ، طاشكبرى زاده فى الشقائق (ص ٢٢٧) ، واسماعيل البغدادى فى هدية العارفين (١٤١/١) : متن وشرح فى الكلام .

التجويد فى شرح التجريد : وبهذا العنوان جميل بك فى عقود الجوهر (٢١٩/١) . وذكر أيضا : التجريد فى علمى الكلام والتوحيد .

التجريد فى شرح التجويد له : بهذا العنوان اسماعيل البغدادى فى هدية العارفين (١٤١/١) (١) .

٢ - شرح تجويد التجريد : ذكره بهذا العنوان ابن كمال باشا نفسه فى

---

(١) المصدر الذى أذكره أول مرة ، برقم الجزء والصفحة ،لن أكرره فيما يلى سوى ذكر عنوانه ، الا المصادر التى تحتاج الى ذلك . وأما بالنسبة لبروكلمان ، وآدسز ، ود. محمود فجال فى مقال له فى مجلة عالم الكتب ، سأذكر رقم المؤلف عندهم .

" رسالة فى تحقيق الوجود الذهنى " (ق/١٧٢ أ) (١) .

والحاصل أن ابن كمال باشا أصلح عبارة " تجريد العقائد " لنصير الدين الطوسى الشيعى (ت ٦٧٢) أولا ، ثم شرح هذا المتن فله فى ذلك كتابان : متن ، وشرح ، مع اختلاف فى عنوانهما ، كما رأيت ، وليس ثلاث كتب كما ذكره صاحب هدية العارفين (٢) .

عثرت على خمس نسخ من مقدمته فقط فى مكتبات استانبول وباريس . وأما الكتاب فهو غير موجود حاليا لدى علمنا ، مع بحثى الطويل عنه ..

١ – مراد ملا برقم ١٨٣٤ يقول فى نهاية المقدمة : انتهى ماوجدته بعون الله وحسن توفيقه .

٢ – روان كشك/٢٠٢٢ ، وعندى عنها صورة ..

٣ – بغدادلى وهبى / ٢٠٤١ .

٤ – عاطف أفندى / ٢٨١٦ .

٥ – باريس / ٥٢٠٣ ، كما ذكرها بروكلمان برقم /٦٢.

٣ – تحقيق الكلام فى علم الكلام (خ) ، ذكره بهذا العنوان جميل بك (٢١٩/١) ، وبروكلمان برقم ١٦٥ ، وآدسز/٩٠ ..

وورد عنوان هذه الرسالة فى بعض المجاميع " اشارات لطيفة ونكات شريفة فى علم الكلام"، كما فى مكتبة الحرم المكى ٢٣/١٥٠ ..

---

(١) المحمودية تحت رقم ٢٥٩٧.

(٢) حيث ذكر : تجريد التجريد متن وشرح، التجريد فى شرح التجويد له، التجويد فى علم الكلام ١٤١/١ .

وعنها نسخة خطية فى نور عثمانية ٤٩٠٩، وحميدية/١٨٨٠

٤ ـ تعليقة على شرح العقائد (خ) ـ وعنها نسخة فى التيمورية ٨/٢٦٩ (١) ..

٥ ـ حاشية على الأمور العامة من المقاصد للتفتازانى (خ)

لم يذكرها أحد . وعنها نسخة بالمحمودية ٢٥٩٧ (ق ٣٧١ ـ ٣٧٦).

٦ ـ حاشية على الأمور العامة من المواقف (خ)

لم يذكرها أحد . ومنها نسخة بالمحمودية ٢٥٩٧ (ق ٣٥٤ ـ ٣٥٨).

وأخرى بدار الكتب المصرية ٢٧/٧ مجاميع تيمور .

٧ ـ حاشية على حاشية تشييد القواعد شرح تجريد العقائد (خ) ـ

وبعنوان آخر (رسالة فيما هو أخص بالله) .

وهى حاشية على حاشية السيد الشريف على تشييد القواعد (للاصفهانى) شرح تجريد العقائد للطوسى .

ذكرها آدسز برقم ٩٥ ، ود. أحمد حسن حامد برقم/٦٤، ص ٢٨ .

ومنها نسخة ضمن مجموعة بدار الكتب المصرية برقم ٣٧ مجاميع تيمور، وأخرى فى المحمودية ٢٥٩٧ مجاميع ، وذكر آدسز لها خمس نسخ أخرى .

٨ ـ حاشية على قسم الإلهيات من المواقف ـ (خ)

ذكرها كاتب جلبى فى كشف الظنون (١٨٩٢/٢)، وجميل بك فى

---

(١) فهرس الخزانة التيمورية ٢٤/٤ .

عقود الجو هر (٢١٩/١) ، وبروكلمان برقم/١٤٠ ، وآدسز برقم /٩٢ ، وذكر لها (٢٥) نسخة فى مكتبات استانبول .

أسعد أفندى ٣٦٦٢ ، حالت أفندى ٨١٠ ، المحمودية ٢٥٩٧ .

٩ - رسالة السيف المسلول فى سب الرسول (خ)

انفرد بذكرها آدسز برقم / ٨٧ .

وهى فى مكتبة قصيده جى زاده سليمان سرى باستانبول تحت رقم ٧١٠ (٣٥ ب - ٣٧ ب) ، ونسخة أخرى فى نفس الرقم بعد ورقة (٣٨ أ ...) .

١٠ - رسالة (فى) عقائد الاسلام (تركية) (خ) :

انفرد بذكرها آدسز برقم/١٩ . وعنها نسخة فى مكتبة طِيرْ نُوَالِى برقم ١٨٦٠ (٥٦ ب - ٦٢ ب) وعندى عنها صورة .

١١ - رسالة فى إثبات وجود الجن والشياطين (خ) :

لم يذكرها أحد من المترجمين له .

ومنها نسخة ضمن مجموعة بمكتبة الحرم المكى الشريف ١١/١٠٧ .

١٢ - رسالة فى أبوى الرسول صلى الله عليه وسلم (ط) :

ذكر ابن كمال نفسه فى آخر " رسالة فى أفضلية النبى صلى الله عليه وسلم " ألفها قبل سنة ٩٣٤ هـ . لأن تأليف الرسالة التى ذكر فيها سنة ٩٣٤ هـ . عقب حادثة ملا القابض .

وذكرها جميل بك (٢٢٠/١) ، وبروكلمان برقم ٣٢ ، وآدسز برقم /١١١، وذكرها د.فجال برقم ٦٤ و ١٢٢ كرسالتين مختلفتين خطأ. وطبعت ضمن" رسائل ابن كمال باشا" باستانبول سنة ١٣١٦هـ .

١٣ - رسالة فى الأجل (ط) :

ذكرها آدسز برقم/١٣٧ • وطبعت ضمن مجموعة باستانبول،١٣١٢هـ (مابين ٧١ - ٧٤ منها) • وذكر لها (٨) نسخ باستانبول •

وعنها نسخة ضمن مجموعة بالمحمودية /٢٧٨٧ مجاميع •

١٤ - رسالة فى الاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية (ط) :

ذكرها بروكلمان برقم ١٤٧ ، وآدسز برقم ٨٣ • وطبعت باستانبول ضمن مجموعة فيها خمس رسائل ، سنة ١٣٠٤ هـ (ص/٥٧ - ٥٩)•

١٥ - رسالة فى الاستواء (ف) :

انفرد بذكرها جميل بك (٢٢٢/١) •

١٦ - رسالة فى اعتقاد أهل الشرك (خ) :

لم يذكرها أحد من المترجمين له •

ومنها نسخة ضمن مجموعة بالحرم المكى ١٣/١٠٧ ،وعندى عنها صورة •

١٧ - رسالة فى أفضلية النبى صلى الله عليه وسلم (خ) :

ذكرها جميل بك (٢٢٠/١) ، وبروكلمان برقم ١٢٩ ، وبرقم ٢٨ بعنوان (رسالة فى أن رسول الله أكمل الأنبياء وأفضل الرسل)، وبرقم ٢٩ بعنوان (رسالة فى أن كون نبينا آخر الأنبياء) وعندى عنها صورة • فجعل منها ثلاث رسائل ، فأخطأ فى ذلك ، وآدسز برقم / ١١٢ ، د• فجال برقم ٥٦ ، ١٦١ فجعلها رسالتين خطأ ••

ومنها نسخة فى المحمودية ٢٥٩٧ ، عاطف أفندى ٢٨١٦ ، ٢٨٢٧••

وذكر لها آدسز (٤٨) نسخة بمكتبات استانبول فقط •

١٨ - رسالة فى إكفار قزلباش (الروافض) (خ) :

ذكرها جميل بك ، وبروكلمان برقم/٨٦ ، وآدسز برقم ٥ ،و ٨٤ بعنوان (ر . فى تكفير الروافض) .

ومنها نسخة بالمحمودية ٢٥٩٧ ،وأسعد أفندى ٣/٣٥٤٨ .

١٩ - رسالة فى أن القرآن العظيم كلام الله القديم (ط) :

ذكرها جميل بك (٢٢٠/١) ، وبروكلمان برقم /٤ ، وآدسز برقم /٣٥ . وطبعت ضمن " رسائل ابن كمال باشا " بمطبعة إقدام ، استانبول ، ١٣١٦ هـ .

٢٠ - رسالة فى أنه هل يدخل الجنة أحد بعمله (ف) :

انفرد بذكرها جميل بك (٢٢٣/١) .

٢١ - رسالة فى بيان عدد الأنبياء والرسل (خ) :

لم يذكر أحد من المترجمين له . وهى ضمن مجموعة بالمكتبة المركزية بالجامعة ، مخطوطة رقم/١٠١٤ (٣٣ - أ - ب) .

٢٢ - رسالة فى بيان ألفاظ الكفر (خ) :

ذكرها آدسز برقم ٨٦ ، مع ذكر نسخة لها فى قصيده جى زاده سليمان سِرّى ٦٧٧ (١٦٩ أ - ١٧٣ أ) . وعثرت على نسخة ثانية فى أسعد أفندى ٣/٣٧٨٧ ، وذكر كذلك بروكلمان برقم /٥٧ مع ذكر نسخة فى جامعة يُوْبْسَالاَنَا برقم /٤٠٥ .

أولها : " اعلم أن من تلفظ كلمة الكفر من اعتقاد، ولاشك انه يكفر ، وان لم يعتقد أنها بلفظة الكفر ... " .

٢٣ – رسالة فى بيان أن أسماء الله توقيفية (خ) :

ذكرها جميل بك (٢٢١/١) مرتين ظنا منه أنها رسالتان ، وبروكلمان برقم /٧٦ ، وآدسز برقم/١٠٨ ، وذكر لها (٤١) نسخة .

ومنها نسخة بالمحمودية ٢٥٩٧ ، عاطف أفندى /٢٨٠٢، ٢٨١٦ .

٢٤ – رسالة فى بيان تفضيل رسل البشر على رسل الملائكة (خ) :

انفرد بذكرها آدسز برقم /١٢٤ ، وذكر لها نسخة بمكتبة حسن حسنى برقم /١٢١ (٣٠٤ أ – ٣٠٥ أ) .

٢٥ – رسالة فى بيان حقيقة الايمان (خ)

ذكرها آدسز برقم /١٢٦ وذكر لها نسخة فى لالەلى ٣٧١١ (١١٦ ب – ١١٨ ب) ، وعثرت على نسخة أخرى بمكتبة يوسف آغا بمدينة قونيا (تركيا) برقم ١٢/٥٨٨ (ص ٣٦٠ ، وبقيتها ص ٣٤٧ – ٣٤٩ حيث اختلطت أوراق المجموعة وأرقامها) .

٢٦ – رسالة فى بيان سر عدم نسبة الشر الى الله تعالى (ط) :

أشار اليها ابن كمال نفسه فى " شرح الأربع والعشرين حديثا" (ضمن مجموعة بالمحمودية ق / ٤٧٧ أ ، برقم /٢٥٩٧) فى شرح الحديث " الخير كله بيديك والشر ليس اليك " .

وجميل بك (٢٢١/١) ، وبركلمان برقم ٨٣ ، وآدسز برقم /١٠٤ .

وطبعت ضمن " رسائل ابن كمال باشا " بمطبعة إقدام باستانبول ، ١٣١٦ هـ .

٢٧ - رسالة فى بيان عقيدة أهل السنة والجماعة (خ) :

لم يذكرها أحد من الترجمين له .

ومنها نسخة ضمن مجموعة برقم ٦٠/١٥١ بمكتبة الحرم المكى الشريف .

٢٨ - رسالة فى بيان الفرق الضالة (= رسالة فى تفصيل الفرق الاسلامية)(خ) :

ذكرها آدسز برقم ١٧٧ بالعنوان الثانى ، وذكر لها نسخة بمكتبة لا لَه لِى / ٣٧١١ ، وعثرت على نسخة بأسعد أفندى /٣٧٩٦ بالعنوان الأول . أذكر هنا أولها حيث لابن كمال باشا ثلاث رسائل بهذا العنوان والموضوع .

أولها : " قال النبى صلى الله عليه وسلم من أحدث حديثا فى الاسلام فقد هلك ، ومن اتبع بدعة فقد ضل ، ومن ضل ففى النار .

وأصحاب الأهواء والبدع أصناف شتى متفرقة . اعلم أن أصل الأهواء والبدع ستة : الخارجية ، والرافضية ، والقدرية ،والجبرية ، والجهمية ، والمرجية ... " .

٢٩ - رسالة فى بيان الفرق الضالة (خ)

ذكرها بروكلمان برقم /٥٨ ، وآدسز برقم / ١٧٩ ، وذكر لها خمس نسخ . ومنها نسخة بمكتبة عارف حكمت ١١/٧٦ مجاميع (٤٤ ب - ٤٥ ب) ، والمكتبة التونسية ٣/١٨٠٦٦ وعندى عنها صورة .

أولها : " الحمدلوليه ، والصلاة على نبيه : الأول : السوفسطائية ، وهم نفوا حقائق الأشياء ، قالوا : لاحقائق للموجودات ، أى للحسيات ، والمغيبات أصلا ، بل هى أمور خيالية كالنقوش على الماء ..." ثم ذكر بقية الفرق الخارجة عن الاسلام .

٣٠ – رسالة فى بيان مدة الدنيا وخروج الدجال وطلوع الشمس من مغربها (بالتركية) (خ) :

ذكرها جميل بك (٢٢٢:١) بعنوان " رسالة فى أشراط الساعة " ، وآدسز برقم ١٣/ ، وذكر لها نسخة بمكتبة على أميرى / ٩٠٥ ، وأخرى حاجى محمود أفندى ٦٣٠٧ ، وعثرت على ثالثة لها فى جامعة القاهرة / ٣٩٣٧ (ت) . وعندىعنها صورة ، وهى بمثابة الجواب على رسالة السيوطى " الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف " ، ونسخة رابعة بأسعد أفندى ٨٤/٣٦٤٦ .

٣١ – رسالة فى تحقيق حشر الأجساد (خ) :

ذكرها بهذا العنوان آدسز برقم ١٣٢/ ، وذكرها جميل بك (٢٢٢/١) بعنوان " ر. فى المعاد الجسمانى وتفصيل مافيه من الخلاف"، وكذلك بروكلمان برقم ٣٤/ وذكرها د. فجال برقم ١٣٠/ بالعنوان الثانى ، وبرقم ٧٢ بالعنوان الاول ، وظن أنهما رسالتان وهمًا .

٣٢ – رسالة فى تحقيق المعجزة وبيان وجه دلالتها على صدق من يدعى النبوة (ط) :

ذكرها جميل بك (٢٢١/١) ، وأخرى (١ / ٢٢٣) بعنوان " ر . فى تحقيق المعجزة " ، وبروكلمان ٢٧/ ، وآدسز ١٣١/ ، ود. فجال برقم ٨٦ بعنوان جميل بك الثانى ، وبرقم ١١٣/ بالعنوان المذكور هنا ، ووهم أنهما رسالتان ...

وطبعت ضمن " رسائل ابن كمال باشا " بمطبعة إقدام ، استانبول ، ١٣١٦ هـ .

٣٣ – رسالة فى تفصيل الإيمان (خ) :

ومنها نسخة بالمكتبة الوطنية بتونس ١٨٠٦٦ (١٢ ب – ١٣أ)

وعندى عنها صورة .

أولها : " فصل فى تفصيل الايمان ، وصفته أن تقول : آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى ... " .

٣٤ – رسالة فى تفصيل الكفر وأنواعه (خ) :

أسعد أفندى /٣٧٢٩ (١٤١ ب – ...) .

أولها : " بعد الحمدلة والصلولة ، أما بعد : فهذه رسالة رتبناها فى بيان الكفر وأنواعه ، فنقول : الكفر هو الجحود ، وأصله من الستر ، ومنه سمى الليل كافرا ، لأنه يستر النهار ، وسمى الحارث كافرا ، لأنه يستر الحب بالتراب ... " .

٣٥ – رسالة فى تفضيل الأنبياء على الملائكة (ط) :

وردت مخطوطات هذه الرسالة بعناوين مختلفة . ذكرها جميل بك (٢٢٢/١) ، وبروكلمان برقم /٢٥ ، وآدسز برقم ١٢٣ بعنوان : " ر . فى تفضيل البشر على الملك " ، وذكر جميل بك مرة أخرى (٢١٩/١) بعنوان " تفضيل الناس على سائر الأجناس " ، وذكر بروكلمان برقم/١٣٩ بعنوان : " ر. فى تفضيل بنى آدم على سائر المخلوقات " ، وبرقم /٢٦ ، بالعنوان المذكور هنا ، .. وذكر ايضا برقم /١١٨ بعنوان " ر. فى تفصيل ماقيل فى أمر التفضيل " وهكذا جعل منها أربع رسائل مختلفة وهماً وخطأً لاعتماده على الفهارس فقط ... وبهذا العنوان الأخير طبعت ضمن " رسائل ابن كمال باشا " بمطبعة إقدام باستانبول ، ١٣١٦ هـ .

٣٦ – رسالة فى الجنة (خ) :

ذكرها آدسز برقم /١٣٦ ، مع نسخة لها بمكتبة پَرْتَوْ باشا/٦٢١ (٥٠ ب – ٥٢ آ) . أولها : " قال ابن عباس رضى الله عنه : اذا دخل أهل الجنة .... " .

٣٧ – رسالة فى حقيقة المعاد (خ) :

ذكرها جميل بك (٢٢٠/١) ، وآدسز برقم/١٣٣ ،

ومنها نسخة فى فاتح برقم ٥٣٤٠ (٤٢ آ – ٤٣ ب)

أولها :" الحمدلوليه والصلاة على نبيه . هذه لطائف تنبه على حقيقة المعاد ، اشتمل عليها سورة " والتين " ..... " .

٣٨ – رسالة فى حقيقة الميزان (ط) :

ذكرها حاجى خليفة فى كشف الظنون (٨٩٤/١) بعنوان " رسالة فى الميزان " ، وجميل بك (٢٢٢/١) بعنوان " وزن صحائف الأعمال "، وبروكلمان برقم/٣٣ ، وآدسز برقم /١٣٥ ، ود. فجال بأرقام / ٦٦ ، ٧٦ ، ٩٢ ، ١٠٨ فجعل منها أربع رسائل فأخطأ خطأ فاحشا بفعله هذا .. وطبعت ضمن " رسائل ابن كمال باشا " باستانبول ، ١٣١٦ هـ .

٣٩ – رسالة فى رؤية الله تعالى فى المنام (خ) :

ذكرها د. أحمد حسن حامد فى مقدمة أسرار النحو ص٣١ برقم ٨٧ ، وذكر لها نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٢٢٩ مجاميع تيمور [(١)]، وعندى عنها صورة ، وأخرى برقم ١١١ مجاميع تيمور كذلك [(١)] .

---

(١) فهرس الخزانة التيمورية ٦٣/٤ .

أولها : " قال رحمه الله تعالى : سئلت عن رؤية الرب في المنام ، وأن ذلك مما يختلف فيه الناس ، فاعلم أن الخلاف في هذا غير متصور بعد الكشف عن حقيقة هذه المسألة ، فالحق أن يطلق القول بأن رؤية الله تعالى في المنام،تكلم المشايخ فيها ... " .

٤٠ - رسالة في الرؤيا (خ) :

لم يذكرها أحد من المترجمين له . وتوجد نسختان ،إحداهما: في ينى جامع برقم ٦٣/١١٨٠ (١٨٦ ب - ١٨٧ ب) ، وأخرى بالسليمانية برقم ٢/١٠٤٥ .

٤١ - رسالة في رد إيمان فرعون (خ)

ذكرها آدسز برقم /١٣٩ . وذكر لها نسخة بعلى أميرى ٤٣٣٢ (٩٦ أ) ، وأخرى بدار الكتب المصرية برقم/٢٩٧ مجاميع تيمور.(١)

أولها : بعد الحمدلة والبسملة ، " وبعد: فان بعض الاخوان قد سألني في حق فرعون ، أن الجمهور من العلماء يقولون انه كافر وايمانه يأس ، وزعم بعض الناس انه من المؤمنين ونفسه طاهرة ومطهرة ، أقول : ان الصحيح مذهب الجمهور .. " .

٤٢ - رسالة في رد إيمان فرعون (خ) :

وهي رسالة ثانية فيالموضوع ، وعنها مخطوطة بحَاَلتْ آفندى باستانبول برقم ٨١٠ (٨٢ ب - ٨٤ أ) ...

---

(١) فهرس الخزانة التيمورية ٦/٤ .

ولعلها هى التى أشار اليها جميل بك (٢٢٠/١) بعنوان "رسالة فى تفسير قوله تعالى (لم تكن آمنت من قبل " الآية .

أولها : " الحمد لله على ما هدانا طريق الشرع القويم والصراط المستقيم .... فلما سمع بعض أحبائى من بعض الناس فى زى الصلحاء كلاما يشعر القول بإيمان فرعون عليه اللعنة ..."كتبها للرد على رسالة العلامة جلال الدين الدوانى فى إيمان فرعون ...

٤٣ - رسالة فى الرد على الفرق = أو المقالات فى بيان أهل البدع والضلالات (خ) :

وهى رسالة ثالثة فى الفرق ، ذكرها بروكلمان بالعنوان الأول برقم ١٦٩ ، وبالعنوان الثانى برقم ٥٨ ، وظن أنهما رسالتان مع أنهما اسمان لمسمى واحد . وذكر للاول نسخة فى مكتبة جامعة بريل ٥٧٧ وعندى عنها صورة .

أولها : بعد الحمدلة والصلولة : " اعلم أن أهل البدع والضلالة ستة أصناف ، فمنهم الحرورية ، والرافضة ، والقدرية ، والجبرية ، والجهمية ، والمرجية . فأما الحرورية ، فمنهم اثنى عشر صنفا ، الازرقية .... " .

ونهايتها " والجماعة تقول : المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . تمت المقالات فى بيان أهل البدع والضلالات " . وعنها مخطوطة بالمكتبة المركزية بالجامعة برقم ١٦٠٥ .

٤٤ – رسالة فى القضاء والقدر (ط) :

ذكرها بهذا العنوان جميل بك (٢٢٢/١) ، وبروكلمان برقم ٢٣، وآدسز برقم ٩٦ ، وحاجى خليفة فى كشف الظنون (٨٨٣/١) وقال : " وللشيخ بالى خليفة الصُّوفْيَه وِى (ت ٩٦٠ هـ) رد فيها ردود ابن كمال " أهـ ، وكذلك د. مجال برقم/٧٨.

وذكر بعنوان " ر. فى الجبر والقدر " كل من الزركلى فى الاعلام (١٣٣/١) ، والبستانى فى دائرة المعارف (٤٨٢/٣)، وجميل بك (٢٢٢/١) ، وبروكلمان برقم /٢٤ ، ود. فجال برقم/٩٣ ، وظن هؤلاء الثلاثة أنهما رسالتان مع أنهما اسمان لمسمى واحد .

وطبعت ضمن " رسائل ابن كمال باشا " بمطبعة إقدام ، باستانبول ١٣١٦ هـ . وكذلك طبعت بتحقيق الدكتور محمد السيد الجليند بمصر ..

٤٥ – رسالة فى مسألة خلق القرآن (خ) :

ووردت أيضا بعنوان : " رسالة فى الرد على من قال بخلق القرآن " . ذكرها جميل بك (٢٢٠/١) ، وبروكلمان برقم/٩٣، وآدسز ١١٤ .

ومنها نسخة بالمحمودية ٢٥٩٧ ،وبِرِنْستُون ٢٩٠٤ ، وعنها ميكروفلم بمركز البحث العلمى برقم /٣٣٧ ، وعندىعنها صورة .. وذكر لها آدسرز (٦٧) نسخة ...

٤٦ – رسالة فى العلم وماهيته (خ) :

ذكرها بروكلمان برقم (١) بعنوان " ر. فى تحقيق العلم" ، وآدسز برقم/٩٠ وخلط بينه وبين " رسالة فى تحقيق علم الكلام "

وجمعهما تحت رقم واحد ظنا منه أنهما رسالة واحدة، مع أنهما رسالتان مختلفتان .

ومنها نسخة فى أسعد أفندى ١/٣٦٦٢ (١ – ٧) ، وجامعة استانبول ٦٤٠٩ .

٤٧ – رسالة فى علو الله تعالى وقربه (ف)

انفرد بذكرها جميل بك (٢٢١/١) .

٤٨ – رسالة فى معرفة الحقائق الإلٰهية (ف)

ذكرها بهذا العنوان جميل بك (٢٢١/١) ، وقد تكون جزءًا من رسالته " ر . فى علوم الحقائق وحكمة الدقائق " .

٤٩ – رسالة اللوح المحفوظ (تركية) (ط) :

ذكرها بهذا العنوان آدسز برقم ١٥ ، طبعت مع رسالة " القضاء والقدر " للعلامة أبى السعود ، فى المطبعة العامرة ، باستانبول / ١٢٦٤ هـ ، (ص ١ – ١٣) . وشكُّ آدسز فى نسبتها الى ابن كمال ليس بمحله ...

وذكرها بعنوان " رسالة فى أوصاف أم الكتاب "(1) عصمت بَارْمَقْسِزْأُوغْلِى فى الموسوعة الاسلامية (بالتركية) ٥٦٤/٦. وذكر أنها طبعت باستانبول ١٢٦٤ هـ ، و ١٣١٠ هـ .

---

(١) عنوان طبعة استانبول ، ١٢٦٤ هـ : " رسالة فى بيان أوصاف أم الكتاب ولوح محفوظ ولوح معنوى تأليف ابن كمال باشا " .

٥٠ — رسالة المنيرة فى التوحيد (ط)

ذكرها كشف الظنون (١٨٨٨/٢) ، وهدية العارفين (١٤٢/١) بعنوان " المنيرة (فى الموعظة والتصوف) ، وجميل بك بعنوان " منيرة الاسلام (فى علم الكلام) " . وذكرها بروكلمان برقم ١٣٤، وآدسز برقم / ١٧٠ .

طبعت باستانبول ، ١٢٨٦ ، ١٢٩٦ بمطبعة الصحاف أحمد أفندى ، وبمطبعة العامرة ١٢٨٩ ، وبمطبعة جمال أفندى ١٣٠٤ هـ .

٥١ — شرح ثلاثة أبيات من بدء الأمالى (خ) :

وعنه نسخة بدار الكتب المصرية ١٥/٢٦٩ مجاميع تيمور (١) ،نسختها بيدى . ويقول الدكتور أحمد حسن حامد فى مقدمة أسرار النحو لابن كمال باشا (ص ٢٩) أن منه نسخة أخرى بمكتبة البلدية بالاسكندرية برقم ٢٠٧٠ د . ونسخة أخرى أيضا بدار الكتب المصرية ٢٦١ مجاميع تيمور .

أولها : " وما القرآن مخلوقا تعالى/كلام الرب عن جنس المقال،أى ليس كلامه تعالى حادثا أحدثه الله تعالى باللفظ المركب من الحروف والأصوات ، تنزه كلام رب العالمين من جنس مايقوله الناس ... " .

٥٢ — شرح المقالة المفردة فى صفة الكلام لعضد الدين الإيجى (خ) :

ذكره بهذا العنوان جميل بك (٢٢٤/١) مع تحريف " صفة " الى " صنعة " . وهدية العارفين (١٤١/١) ، وبروكلمان برقم ١٧٩ مع التحريف الى " شرح المقالة المكررة " ، وذكره جميل بك

---

(١) فهرس الخزانة التيمورية ٨٠/٤ .

(١ / ٢٢٢) بعنوان " ر • فى تحقيق الكلام النفسى " ، وكذلك بروكلمان برقم / ٧٨ ، وآدسز برقم ١١٠ •

ومنها نسخة بالمحمودية ٢٥٩٧ ، ومكتبة الحرم المكى ١٥١•

وذكر له آدسز (١٣) نسخة بمكتبات استانبول فقط ••

٥٣ – عقائد مختصرة (تركية) (خ) :

ذكرها آدسز برقم ١٩ ونص على وجود نسخة فى مكتبة طِيرْ نُوَالِى برقم ١٨٦٠ (٥٦ ب – ٦٢ ب) وعندى عنها صورة •

ثم عثرت على نسخة ثانية فى مكتبة جلبى عبد الله أفندى برقم ١٣٥ (١٣ ب – ٣٣ ب) •

ثانيا : القرآن وعلومه :

٥٤ – تفسير سورة الاخلاص (خ) :

ذكره د. محمود فجال برقم ٢٤ مع الاشارة الى وجود نسخة له بدار الكتب المصرية برقم /٥٥ مجاميع تفسير .

٥٥ – تفسير سورة الطارق (خ) :

ذكره آدسز برقم ٢٧ فى أثناء ذكره نسخ التفسير . ومنه نسخة فى أحمد الثالث ١٥٤١ (٤٥ – ٤٦) ، ومراد ملا ١٨٣٤ (٢٧٦ – ٢٧٧) ، ورشيد أفندى ٣٤ .

٥٦ – تفسير سورة العصر (خ) :

ذكره آدسز برقم ٢٧ فى أثناء ذكر نسخ التفسير .

ومنه نسخة بلاله لى تحت رقم /١٧٨ (١ ب – ١٣ ب) وعندى عنها صورة .

٥٧ – تفسير سورة الفاتحة (ط) :

ذكره ابن كمال باشا فى تفسير سورة الملك ضمن " رسائل ابن كمال باشا " (المطبوعة باستانبول /١٣١٦ هـ) ص٣٠ . وهو مطبوع ضمن نفس الرسائل .

وذكره بروكلمان برقم ٨/أ .

٥٨ – تفسير سورة الفجر (ط) :

وهو مطبوع ضمن " رسائل ابن كمال باشا " باستانبول /١٣١٦ هـ .

٥٩ - تفسير سورة الملك (ط) :

ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون (١/٤٥١) ، وجميل بك (١/٢١٩) ، والبغدادى فى هدية العارفين (١/١٤١) ، وبروكلمان برقم /٨ .

وطبع ضمن " رسائل ابن كمال باشا " باستانبول /١٣١٦ هـ ، وطبع كذلك بتحقيق د. حسن ضياء الدين عتر ، بيروت ، ١٤٠٧هـ .

٦٠ - تفسير سورة النبأ (ط) :

ذكره جميل بك (١/٢١٩) ، وبروكلمان برقم /٩ .

وطبع ضمن " رسائل ابن كمال باشا " باستانبول /١٣١٦ هـ .

٦١ - تفسير القرآن العزيز (خ) :

ذكره كل من ترجم له ، فوصفوه بأنه : " تفسير حسن لطيف ..."، قال حاجى خليفة فى كشف الظنون (١/٤٣٩) انه " بلغ فيه الى سورة الصافات ، وهو تفسير لطيف ، فيه تحقيقات شريفة ، وتصرفات عجيبة " ، وذكر آدسز (١٥٤) نسخة له فى مكتبات استانبول . وفى مكتبة الحرم المكى الجزء الاول منه الى نهاية النساء " تحت رقم ٢٨٠ تفسير .

٦٢ - رسالة فى تفسير الآية الشريفة " الله نور السموات والأرض "(١) (خ) :

ذكرها بروكلمان برقم /١٣٣ ، وآدسز برقم /٢٧ ضمن نسخ التفسير . وتوجد منها نسخة فى مكتبة قيليج على باشا برقم /١٠٢٨ ٦٤ (٣٢٠ ب - ٣٢٤ آ) .

---

(١) النور /٣٥ .

أولها : " الحمد لله الذى تعلم بعلم الإلهية والعرفان وتعين الموجودات من العدم الى الأعيان ، وتنزه ذاته من شبهات القيدية بصفات السبوح والغفران ... وبعد : اعلم ان هذه الرسالة مختصرة وفيها دقائق كثيرة .... " .

٦٣ - تفسير قوله تعالى (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء ...)(١) (خ) :

انفرد بذكرها بروكلمان برقم ٨ - ب ، وذكر له نسخة بالاسكندرية برقم /١٥٢ .

٦٤ - تفسير قوله تعالى : (قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين)(٢) .

انفرد بذكره أيضا بروكلمان برقم /١٠ .

٦٥ - رسالة فى تفسير قوله " ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون "(٣) (بالتركية) (خ) :

لم يذكرها أحد من المترجمين له ، وعثرت على نسخة خطية ضمن مجموعة بالمحمودية /٢٥٩٧ وعندى عنها صورة ، وعنوانها فيها : " رسالة مصر " ، حيث إن المؤلف استنبط من الآية المذكورة دخول العثمانيين مصر سنة ٩٢٣ هـ . وقد كنت برهة من الزمن على شك فى نسبة هذه الرسالة الى ابن كمال باشا ، حتى عثرت على نص فى

---

(١) الأنعام /١٥٩ .
(٢) الأعراف / ٦٦ .
(٣) الأنبياء /١٠٥ .

مقدمة تفسير الآلوسى ، فزال منى الشك ، قال الآلوسى : " ومن المشهور استنباط ابن الكمال فتح مصر على يد السلطان سليم من قوله تعالى : (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون)" (١) .

ثم عثرت على نسخة أخرى بأسعد أفندى باستانبول تحت رقم ٢٠/٣٧٢٩ (١٣٦ - ١٣٨) .

ولعل جميل بك فى عقود الجوهر (٢٢٥/١) بقوله " فتح نامه " تركى ، يشير الى هذه الرسالة " ..

٦٦ - حاشية على تفسير البيضاوى (خ) :

ذكرها التميمى ، وطاهر البروسوى فى المؤلفين العثمانيين (٢٢٣/١) ، وجميل بك (٢٢٠/١) ، وآدسز برقم /٢٨ وذكر لها (٩) نسخ .

٦٧ - حاشية على حاشية السيد الشريف على الكشاف (خ) :

ذكرها ابن كمال باشا نفسه فى رسالته " ان القرآن العظيم كلام الله القديم" (٢) .وذكرها طاشكبرى زاده ، والتميمى ، وابن الغزى فى ديوان الاسلام (ق/٧١) ، والبغدادى فى هدية العارفين وطاهر البروسوى فى المؤلفين العثمانيين (٢٢٣/١) ، وآدسز برقم / ٢٩ ، مع ذكر (١٠) نسخ لها فى استانبول .

---

(١) روح المعانى ٨/١ .

(٢) ضمن رسائل ابن كمال باشا ١٣٢/١ ، ١٣٦ .

وبالمكتبة المركزية بالجامعة نسخة خطية برقم / ٣٧٧ (١٥٥-١٨٥) . ولكنها ناقصة ، وأشار الى هذه النسخة د. محمود فجال برقم ٤٢ مع تحريف فى العنوان ، ومع تكرار الحاشية برقم ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٢ فجعل منها ثلاثة كتب ..

٦٨ - رسالة فى بيان الغيب (= المغيبات الخمس) (خ) :

ذكرها بهذا الاسم جميل بك (٢٢١/١) ، وبروكلمان برقم (١١أ) ، وآدسن برقم / ٣٤ ،

وذكر جميل بك ايضا بعنوان " الحجر والرجم لأهل الزجروالنجم" وأضاف فهرس الخزانة التيمورية (٥٨/٣) الى العنوان السابق " ... فى وجه الاستثناء فى قوله تعالى (قل لايعلم من فى السمٰوات والأرض الغيب الا الله)"[1] .

وذكر بروكلمان بعنوان " رسالة الغيب " تحت رقم ٧٤ للمرة الثانية ، فظن أنها رسالة أخرى ، هو وبروكلمان كذلك ..

وكذلك ذكر الدكتور احمد حسن حامد فى مقدمة أسرار النحو لابن كمال كرسالتين مستقلتين ، أحدها برقم /١٤ (ص ١٨) بعنوان " رسالة فى وجه الاستثناء فى قوله تعالى : (لايعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله)"[1] .

وثانيها برقم ١٠٣ (ص ٣٣) بعنوان " تفسير آيات فى الكلام على الغيب "[2] .

ومنها نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٤٨٩ مجاميع .

وهى مطبوعة ضمن " رسائل ابن كمال باشا " بمطبعة اقدام استانبول ١٣١٦ هـ .

---

(١) النمل/٦٥ .
(٢) وكذلك د. فجال ذكرها مرتين برقم ٧٠ ، وبرقم/١١٧ .

٦٩ - رسالة فى أسماء السور وكونها مكية أو مدنية وعدد آياتها (خ) :

لم يذكرها أحد من المترجمين له .

وعنها نسخة بحكيم أوغلى تحت رقم ١٦/٩٣٧ باستانبول (٣١ ب - ٣٦ ب) .

٧٠ - رسالة فى البسملة (خ) :

ذكرها صاحب هدية العارفين (١٤٢/١) بعنوان " الكلام على البسملة والحمد لة " . وذكرها بروكلمان برقم /١٣٠ ، وآدنز برقم ٣٨ .

وعنها نسخة بعاشر أفندى ٤٣٠ ، وحالت أفندى /٨١٠،والسليمانية ١٠٧٤ ، ورئيس الكتاب ١٤/١١٥٨ .

٧١ - رسالة فى تحقيق أن القرآن معجز (خ) :

ذكرها جميل بك (٢٢٣/١) ، وبروكلمان برقم /٥ ، وآدنز برقم / ٣٧ وبعنوان " رسالة فى إعجاز القرآن " ، وذكرها د. فجال برقم/٨٤ ، وأعاد ذكرها برقم /٦٢ وبعنوان " ر. فى إعجاز القرآن".

ومنها نسخة ببرنستون ٢٩٠٤ وعنها ميكروفلم بمركز البحث العلمى بالجامعة برقم ٣٧٧ ، والمحمودية / ٢٥٩٧ .

٧٢ - رسالة فى تحقيق القول بأن الشهداء أحياء فى الدنيا (ط) :

ذكرها جميل بك (٢٢٢/١) ، وبروكلمان برقم/١٧٢ ، وآدنز /١٣٤. وهى فى تفسير قوله تعالى : (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لاتشعرون "[1] .

---

(١) البقرة / ١٥٤ .

وطبعت ضمن رسائل ابن كمال باشا " باستانبول ، ١٣١٦ هـ .

٧٣ - رسالة فى تحقيق قوله تعالى (رب العالمين) (خ) :

لم يذكرها أحد من المترجمين له . وعنها نسخة خطية فى برنستون (يهودا) برقم ٣٠٩١ (٣٣ أ - ب) .

٧٤ - رسالة فى ترك البسملة فى سورة البراءة (خ) :

ومنها نسخة خطية فى الحرم المكى الشريف برقم ٥٧/١٥١ مجاميع .

٧٥ - رسالة فى تسمية آية الكرسى سيدة الآيات (خ) :

ذكرها جميل بك (٢٢٠/١) ، وبروكلمان برقم /١١ ، وآدسن برقم/٣١ ، ود. رشيد عبد الرحمن العبيدى فى مقال له بعنوان " جهود ابن كمال باشا فى اللغة العربية "(١) .

نسخها : الحرم المكى / ٤٥ ، كوبريلى ١٥٨٠ ، لا له لى ٣٦٨٢، أحمد الثالث بطوبقابو / ١٥٤٥ ، برنستون / ٩٦٢ .

أولها " الحمدلوليه والصلاة علىنبيه ومصاحبه فقد قال صاحب جواهر القرآن ، فصل : فى آية الكرسى ، فأقول : هل لك تفكر فى أنه لم سمى سيدة الآيات .... " .

٧٦ - رسالة فى تعليم الأمر فى تحريم الخمر (ط) :

ذكرها بهذا العنوان البغدادى فى هدية العارفين (١٤١/١) ، وجميل بك (٢١٩/١) ، وبروكلمان برقم ٩٩ ، وآدسز برقم /٥٩ .

ولابن كمال باشا رسالتين بهذا العنوان وفى هذا الموضوع .. أولاها عبارة عن تفسير الآيات الواردة فى تحريم الخمر ، ونزولها

---

(١) فى مجلة المجمع العلمى العراقى م/٣٨ ج ١ رجب / ١٤٠٧ هـ ص ٢٧٦ .

بالتدريج .. طبعت ضمن " رسائل ابن كمال باشا " باستانبول ١٣١٦ هـ (ص/ ٣٣٥ - ٣٥٣) .

وثانيها أيضا بنفس العنوان :

٧٧ - رسالة فى تعليم الأمر فى تحريم الخمر (ط) :

وهى فى بيان مايتعلق بالخمر من الاحكام ، وهى عبارة عن مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة ، طبعت أيضا ضمن " رسائل ابن كمال باشا " باستانبول بمطبعة اقدام ١٣١٦ هـ مع سابقتها (ص/ ٣٥٥- ٣٧٦) ... فكان الاولى ذكر هذه الرسالة فى الفقه الا أننى آثرت ذكرها هنا للاشارة الى التفرقة بين الرسالتين .

٧٨ - رسالة فى التفاؤل بالقرآن الكريم (خ) :

ذكرها فى الكشاف (٢٦٩) ، وذكر لها نسخة فى أوقاف بغداد برقم /١٠١٠٢ .

٧٩ - رسالة فى الحمدلة (خ) :

ذكرها البغدادى فى هدية العارفين (١/١٤٢) مع أنه ذكر رسالة أخرى بعنوان "الكلام على البسملة والحمدلة " .

وذكرها آدسز برقم/٣٣ بعنوان " رسالة فى معنى الحمد " مع ذكر نسخة واحدة لها بمكتبة مراد ملا برقم ١٨٣٤ .

وهناك نسختان لها أيضا بأسعد أفندى ٣٧٨٧ ، وبدار الكتب المصرية برقم ٢٦٦ مجاميع تيمور .

٨٠ - رسالة فى سبحان (خ) :

انفرد بذكرها بروكلمان برقم / ١٨ مع ذكر نسخة خطية لها فى برلين برقم /٢٢٨٧ .

وتوجد منها نسخة ثانية فى أوقاف بغداد برقم ٢٢/١٣٨٣٧ مجاميع[(١)] .

٨١ ــ رسالة فى علم القراءة (خ) :

لم يذكر أحد من المترجمين له .

وتوجد نسخة بحكيم أوغلى باستانبول برقم ١٥/٩٣٧ مجاميع ، (٣٠ ب ــ ٣١ ب) .

٨٢ ــ رسالة فى معنى السنة الواردة فى مواضع من القرآن (ف) (كقوله تعالى : " سنة الله التى قد خلت من قبل[(٢)] " ونحوها من الآيات) .

انفرد بذكرها جميل بك فى عقود الجوهر (٢٢٢/١) .

وفى رئيس الكتاب برقم/١١٥٣ (٦٤ ــ ٦٧) رسالة بهذا العنوان منسوبة الى ابن تيمية رحمه الله تعالى .

هذا ، وفى مكتبة أسعد أفندى برقم ٢/٣٧٨٧ رسالة لابن كمال باشا بهذا العنوان الا انه وجدتها ــ بعد المراجعة ــ " رسالته فى الخضاب " .

---

(١) فهرس مكتبة الاوقاف العامة فى بغداد ٤٠٧/٢ .

(٢) الفتح /٢٣ .

٨٣ – شرح العشر فى معشر الحشر (خ) :

وهى رسالة فى تفسير عشر آيات تتعلق بالحشر (١) .

ذكرها حاجى خليفة فى الكشف (١٠٤٢/٢) ، وجميل بك (٢٢٥/١) ، والبغدادى (١٤١/١) مع ذكر " الايات العشر فى معشر الحشر " كرسالة أخرى مستقلة ، وآدسز برقم ٣٠/ ، وبروكلمان (٣٥) بعنوان " الآيات العشر فى أحوال الآخرة والحشر " .. وذكر لها آدسز (٢٠) نسخة ..

ونسخها كثيرة : المحمودية ٢٥٩٧ ، وبرنستون / ٣٣٣٠وعنها ميكروفلم بمركز البحث بالجامعة / ٤٢١ ، وعندى عنها صورة ،عاطف أفندى / ٢٨٠٢ ، و ٢٨١٦ ، وأسعد أفندى / ٢٤٦ .

---

(١) جميل بك :
عقود الجوهر ١ / ٢٢٥ .

ثالثا : الحديث وعلومه :

٨٤ – أربعة وعشرون حديثا وشرحه (خ)

ولابن كمال باشا أربع رسائل فى " الأربعين " الا أن اثنتين منها غير كاملة ، واحدة هذه " أربعة وعشرون حديثا " ، والثانية " ثلاثون حديثا " ، وشرح كلها ..

وذكرها بهذا العنوان جميل بك (٢١٨/١) ، وبروكلمان برقم /١٦ ، وآدسز / ٤٢ ، مع ذكر ١١ نسخة لها باستانبول .

الحديث الاول فيها : " انما الأعمال بالنيات ...".

نسخها : المحمودية ٢٥٩٧ ، آيا صوفيا ٤٧٩٤ ، أسعد أفندى ٣٦٤٦ ، حسن حسنى باشا / ٦٥ ..

٨٥ – أربعون حديثا وشرحه (ط)

ذكره حاجى خليفة فى الكشف (٥٤/١) وقال : " جمع ثلاث أربعينات ، وشرحها ، واختار ماجزل لفظه ، وحسن فقرته ، وليس كل منها أربعون ، بل بعضها عشرون " .

وذكره كذلك البغدادى فى الهدية (١٤١/١) ، وجميل بك (٢٢٥/١) ، وبروكلمان برقم/١٣ ، وآدسز برقم ٣٩ وذكر لها (٣٩) نسخة خطية ..

الحديث الاول : " السلام قبل الكلام " ، ألفه عام ٩٣٣ هـ .

وطبع ضمن " رسائل ابن كمال باشا " بمطبعة اقدام ، باستانبول ١٣١٦ هـ ، (ص/٤١ – ٦٠) . وقد ترجم هذا الشرح عاشق نطائى الى اللغة التركية عام ٩٧٩ هـ ، وطبع باستانبول عام ١٣١٦ هـ فى ٥٦ صفحة .

٨٦ – أربعون حديثا وشرحه (ط)

ألفه ابن كمال باشا فى ١٠ رمضان ٩٣٣ هـ [(١)] • وهو الاربعين الثانى •

ذكره حاجى خليفة فى الكشف (٥٤/١) ، والبغدادى فى الهدية (١٤١/١) ، وجميل بك فى عقود الجوهر (٢١٨/١) ، وبروكلمان برقم ١٤/ ، وآدسز برقم/٤٠ وذكر لها (٤٦) نسخة خطية •

وطبع ضمن " رسائل ابن كمال باشا " باستانبول ١٣١٦ هـ (٦١ – ٨٦) • الحديث الاول : " يسروا ولا تعسروا •••" •

٨٧ – ترجمة مائة حديث (تركية) (خ)

لم يذكرها أحد من المترجمين له •

وفى مكتبة نافذ باشا باستانبول نسخة خطية برقم ٣/٢١٢ (ق١٠– ١٣) •

٨٨ – ثلاثون حديثا وشرحه (خ)

ذكره بهذا العنوان جميل بك (٢١٩/١) ، وبروكلمان برقم/ ١٥ ، وآدسز ٤١ ، وذكر له (١٢) نسخة •

الحديث الاول : " اللهم لاخير الا خيرك ، ولا طير الا طيرك ولا إله غيرك • نسخها : المحمودية ٢٥٩٧ ، وآياصوفيا ٤٨٢٠ ،عاطف أفندى " ٢٨١٦ •

---

(١) انظر : نسخة المحمودية ٢٥٩٧ ، ق / ٥٢ ، وآياصوفيا / ٤٨٢٠ ، ق / ٢٥ ب •

٨٩ـ رسالة " الارواح جنودة مجندة " (خ)

لم يذكرها أحد .. ومنها نسخة بدار الكتب المصرية ٢٢٩ مجاميع تيمور ، وعندى منها صورة . ولعلها جزء من " شرح مشارق الانوار له " ، لان الرسالة تبدأ بـ " باب الارواح جنودة مجندة "، ثم خرج الحديث فى البخارى ومسلم وشرحه ، مع ذكر اقوال العلماء فيه ..

٩٠ـ رسالة فى أدعية الطاعون (ف)

انفرد بذكرها بهذا العنوان جميل بك (٢٢٢/١) مع أنه ذكر (٢٢٣/١) ، " راحة الارواح فى دفع عاهة الاشباح " ، وكذلك (٢٢٥/١) " شافية الداء وترياق الطاعون والوباء " .. ولعل الكل عبارة عن رسالة واحدة ..

٩١ـ رسالة فى اصطلاحات المحدثين (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢٣/١) ، وآدسز برقم / ١٨٠ ، وبروكلمان برقم /١٢ وبعنوان " رسالة فى معرفة أنواع الحديث " . ووردت هذه الرسالة بعناوين مختلفة فى المكتبات ، مثل " أصول الاحاديث " كما فى دار الكتب المصرية ٥١٦ طلعت ، و " مصطلحات المحدثين "..

نسخها : أسعد أفندى ٣٦٥٢ ، مراد ملا ١٨٣٤ ، نور عثمانية ٤٨٩٠ .

٩٢ـ رسالة فى تحديد الحديث المتواتر (خ)

لم يذكرها أحد ، ولعلها جزء من الرسالة السابقة . ومنها نسخة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة ٩/٢٧١ مجاميع .

٩٣ ـ رسالة فى شرح حديث " اذا تحيرتم فى الأمور فاستعينوا من أصحاب القبور " (١) . (خ)

ذكرها بروكلمان برقم /١٣٧ ، وآدسز /٤٥ ، وذكر لها (٨)نسخ.

أسعد أفندى ٢٦٩١ و ٣٦٦٨ ، ٣٦٧٧ .. وذكرت الرسالة بعنوان " ر . فى زيارة القبور " كذلك .

وهى ـ فى الحقيقة ـ الحديث الثالث من " الاربعين " الذى يبدأ بالحديث " يسروا ولا تعسروا " المطبوع ضمن " رسائل ابن كمال باشا " (٦٢ ـ ٦٤) .

وقد فسر العلامة ابن كمال باشا هذا الحديث تفسيرا فلسفيا، وفى الواقع أنه تابع فى ذلك الامام فخر الدين الرازى حيث تكلم فى الموضوع فى " المطالب العالية " (٧/٢٧٦ ـ ٢٧٦) ، فنقل عنه ابن الكمال بشىء من التصرف ..

٩٤ ـ رسالة فى شرح الحديث " الفقر فخرى " (خ)

ذكرها بهذا العنوان جميل بك (١/٢٢٠) ، وذكرها ايضا (١/٢٢٢) بعنوان " رسالة فى تحقيق الفقر " . وذكرها بالعنوان الثانى بروكلمان برقم/٣٩ ، وآدسز برقم ٤٦ مع ذكر (٣٣) نسخة لها .

---

(١) يقول شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجى (ت ١٠٦٩ هـ) فى ريحانة الالبا (٢/٣٠٨) : " وفى كلام بعض الكبار :" اذا تحيرتم فى الامور فاستعينوا بأهل القبور" وليس بحديث كما زعمه ابن كمال باشا فى اربعيناته ، وفيها موضوعات أخرى ، فلا تغفل عنه ،كجهله الأروام"،وحكم بوضعه أيضا شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة النبوية ١/١٣٣ (ط . الاميرية ، ١٣٢١) .

نسخها : الحرم المكى الشريف ١٥١ ، أسعد أفندى /٢٦٩١ ، ٣٦٦٨ ، ٣٦٧٧ ، لالا إسماعيل /٧٠٦ ..

٩٥ - رسالة فى شرح دعاء التحيات (خ)

لم يذكرها أحد . وتوجد نسخة فى مكتبة الاوقاف العامة ببغداد برقم /١٠١٠٢، (كما فى الكشاف /٢٦٩) .

٩٦ - رسالة فى شرح قوله عليه السلام : " سأخبركم بأول أمرى ..." (ط)

ذكرها بهذا العنوان جميل بك (٢٢٠/١) ، وبروكلمان برقم / ٧٥ ، وآدسز برقم /٤٣ ، وذكر د. أحمد حسن حامد فى مقدمة اسرار النحو لابن كمال برقم /٩٤ . كما ذكرها أيضا برقم ١٠٦ بعنوان " رسالة البشرى فى تفسير قوله تعالى (ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد " (١) ظنا منه أنهما رسالتان مع أنهما اسمان لرسالة واحدة .. ووردت بعناوين مختلفة فى خزانات المكتبات ..

وطبعت ضمن " رسائل ابن كمال باشا " بمطبعة اقدام باستانبول ١٣١٦ هـ (ص/ ١٠٢ - ١٠٧) .

٩٧ - رسالة فى معنى " كان الله ولم يكن معه شىء " (ف)

انفرد بذكرها جميل بك فى عقود الجوهر (٢٢١/١) .

٩٨ - ستة وثلاثون حديثا وشرحه (خ)

انفرد بذكرها بهذا العنوان جميل بك فى عقود الجوهر(٢٢٥/١) ولعلها هى " أربعة وعشرون حديثا وشرحه " التى تبدأ بالحديث

---

(١) كما ورد فى فهرس الخزانة التيمورية ٢٥٩/٣ .

" إنما الاعمال بالنيات ... " ، حيث جاءت فى بعض نسخها " ستة وثلاثون حديثا " كما فى نسخة " أسعد أفندى برقم / ٣٦٤٦ ق ٤٤ ب ـ ٥٥ آ " .

٩٩ ـ شرح دعاء القنوت (خ)

ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون (٢/١٠٤٢) ، والبغدادى فى هدية العارفين (١/١٤١) ، وجميل بك (١/٢٢٥) ، وبروكلمان برقم/ ٥٥ آ ، وآدسز برقم / ٣٢ ، وذكر له سبع نسخ .

منها : عاطف أفندى ٢٨٠٢ ، أسعد أفندى ٣٧٩٢ ، حسن خيرى ١٤٦ ، حسن حسنى باشا / ١٢١ .

١٠٠ ـ شرح صحيح البخارى (خ)

وقد شرح ابن كمال باشا " باب كيف كان بدء الوحى " من البخارى كما هو موجود الآن فى النسخ الخطية .

ذكره بهذا العنوان البغدادى فى الهدية (١/١٤١) ، وجميل بك (١/٢٢٥) ، وطاهر بك فى المؤلفين العثمانيين (١/٢٢٣) بعنوان "تعليقة على البخارى " وكذلك حاجى خليفة فى الكشف (١/٥٥٤) ، وجميل بك (١/٢١٩) مرة أخرى ، ظنا منه أنهما غيران ..

نسخها : الحرم المكى ٣١/١٥١ ، فاتح ٣/٥٣٨١ ، مراد ملا /١٨٣٤.

١٠١ ـ شرح مشارق الانوار (ف)

ذكره حاجى خليفة فى الكشف (٢/١٦٨٩) ، وجميل بك (١/٢٢٥) ، وصاحب هدية العارفين (١/١٤١) ، وطاهر بك فى المؤلفين العثمانيين

(٢٢٣/١) ، والبستانى فى دائرة المعارف (٤٨٢/٣) .

وذكر جميل بك (٢١٩/١) عنوانه بالتحديد " حدائق الازهار شرح مشارق الانوار " ..

١٠٢ ـ شرح مصابيح السنة للامام البغوى (ت ٥١٦ هـ) (ف)

ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون (١٦٩٩/٢) ، والبغدادى فى هدية العارفين (١٤١/١) ، وذكره كحالة فى معجم المؤلفين (٢٣٨/١) بعنوان " شرح مشكاة المصابيح " .

رابعا : الفقه وأصوله :

١٠٣ – أشكال الفرائض (خ)

ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (١٠٥/١) وقال في تاريخ تأليفه : " قد تم الاشكال ، ٩٢٧ هـ " .

والبغدادى فى هدية العارفين (١٤١/١) ، وطاهر بك فى المؤلفين العثمانيين (٢٢٣/١) ، وجميل بك (٢١٨/١) ،وبروكلمان برقم /٤٢ ، وذكر له نسخة فى الموصل /١٣٠ .

١٠٤ – الإصلاح = إصلاح الوقاية فى الفقه (خ)

ذكره طاشكبرى زاده ، والتميمى ، واللكنوى ، والبغدادى، وجميل بك ، وبروكلمان برقم ٤٦ ، وآدسز/٤٩ .

وقال حاجي خليفة فى كشف الظنون (١٠٩/١) : " غير متن الوقاية ، ثم شرحه وسماه " الإيضاح " ، وكان شروعه فى شهور سنة ثمان وعشرين وتسعمائة ، وختم بسلخ شوال تلك العام، وأهداه الى السلطان سليمان خان " .

١٠٥ – إيضاح الإصلاح (خ)

وهو شرح " إصلاح الوقاية له " .. وعليه حاشية لمحمد البركوى (ت ٩٨١ هـ) "(١) ، وكذلك للمولى شاه محمد بن حزم

---

(١) آدسز : الكشف البيبليوغرافى لمؤلفات البركوى محمد أفندى ص ٥٢ – ٥٣ وترجمة البركوى فى العقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم ٤٣٥ – ٤٣٦ .

(ت ٩٧٨) (١) ، ولتلميذه ابن بالى أيضا (٢) .

قال اللكنوى فى الفوائد (٣) : " قد طالعت من تصانيفه الإصلاح والإيضاح فوجدته محققا ، مدققا ، مولعا فى الإيرادات على الوقاية وشرحها لصدر الشريعة " . وذكر له آدسز (٩٧) نسخة فى مكتبات استانبول .

منها : عاطف أفندى ٧٤١ ، آياصوفيا ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩، ١٠٣٠ ...

١٠٦ - تعليقة على " التنقيح المنقح من الشرح الموسوم بالتوضيح" لصدر الشريعة (ف)

ذكرها ابن كمال نفسه فى شرح الاربعين ضمن رسائله (٥٩/١) ، وكذلك حاجى خليفة فى كشف الظنون (٤٩٧/١) وقال : " هى على أوائله ".

١٠٧ - تعليقة على شرح الوقاية لصدر الشريعة الاصغر عبيد الله بن محمود المحبوبى (ت ٧٤٧ هـ) (خ)

لم يذكرها أحد من المترجمين له . وعنها نسخة ببرنستون ٢٩٠٤ ، وعنها ميكروفلم بمركز البحث بالجامعة برقم ٣٧٧ ، وعندى عنها صورة .

وأخرى فى مدرسة الاحمدية رقم ٢٤/٦٨ مجاميع (٤) .

١٠٨ - تعليقة على الغرر والدر لملاخسرو (ت ٨٨٥ هـ) (خ)

ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون (١٩٩٩/٢) ، والبغدادى فى هدية العارفين (١٤١/١) .

---

(١) ابن بالى : العقد المنظوم ص ٤٠١ ، وترجمته هناك .

(٢) كما فى العقد المنظوم ص ٣٩٨ .

(٣) ص ٢٢ .

(٤) فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة فى الموصل ٣٢١/٥ .

ومنها نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٣١ مجاميع تيمور .

١٠٩ ـ تغيير التنقيح فى الاصول (ط)

ذكره كل من ترجم له ، وآدسن برقم /٥١ مع (١٨) نسخة خطية له .

١١٠ ـ شرح تغيير التنقيح (ط)

ذكره كل من ترجم له ، وآدسن برقم ٥٢ مع ذكر (١٠) نسخ خطية وذكر أن نسخة المؤلف بمكتبة مراد ملا برقم /٦٣٠ (٤٥٨ ق)،وتاريخه ٩٣١ هـ .

قال فى كشف الظنون (٤٩٩/١) : " ثم شرح هذا التغيير، وفرغ منه فى شهر رمضان سنة ٩٣١ هـ " . وقال أيضا : " وعلى شرح التغيير تعليقة للمولى صالح بن جلال التوقيعى " .

وطبع المتن والشرح معا بعنوان " تغيير التنقيح"باستانبول ١٣٠٨ هـ .

١١١ ـ تغيير السراجية = إصلاح السراجية فى الفرائض (خ)

ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون (١٢٤٧/٢) ، وطاشكبرى زاده (ص٢٢٧) ، والتميمى (٣٥٦/١) ، والكفوى (٣٨٢ ب) ، واللكنوى (٢٢) وجميل بك ٢٢٥/١ .

١١٢ ـ شرح تغيير السراجية (خ)

والذين ذكروا " تغيير السراجية " ذكروا شرحه .

وقال فى الفوائد البهية /٢٢ : " وتغيير السراجية،وشرحه ".

وذكر له آدسن (برقم / ٥٣) (٣٥) نسخة خطية ، وانتهى من تأليفه غرة ذى الحجة من عام ٩٢٨ هـ .

نسخ المتن والشرح معا : عاشرأفندى / ١٤٥ ، آياصوفيا / ١٦١٠ ، ١٦١٣ ، أسعد أفندى ١١٢٥ ، حميدية ٦١٨ وغيرها .

١١٣ — جواهر الفرائض (خ)

ذكره بروكلمان برقم / ٤٣ .

نسخها : أسعد أفندى /٣٥٦٢، جامعة القاهرة برقم ١٨٩٣٤ فى الفرائض بعنوان : " رسالة فى الفرائض " عبارة عن ١٦ ورقة ، أنطاليه تكه لى أوغلى برقم ١٥/٧٨٦ (١٩٨ ب — ١٩٩ ب) فى السليمانية ، ودار الكتب المصرية ٢٦١ مجاميع تيمور (ص ٢٣٤ — ٢٣٨) .

١١٤ — حاشية على أوائل التلويح للتفتازانى (خ)

ذكرها ابن كمال باشا فى " تقسيم المجاز " ق / ٦٦، و" شرح الرسالة المفردة " ق / ١٠٣ (الحرم المكى برقم ١٥١) .

وذكرها طاشكبرى زاده ، والكفوى ، والتميمى ، وابن الغزى فى " ديوان الاسلام " (ق / ٧١) ، والبغدادى فى الهدية ،وبروكلمان برقم / ١٥١ ، وآدسز برقم /٥٠ ، وعلى القارى فى الأسرار المرفوعة (ص ٢٧٣) .

ونسخة المؤلف بمكتبة حالت أفندى برقم ١٦٣ ، وعندى عنها صورة .

١١٥ — حواش على شرح تغيير التنقيح له (ط)

طبعت مع الشرح والمتن باستانبول ، ١٣٠٨ هـ .

١١٦ – رسالة الاسئلة والاجوبة (خ)

انفرد بذكرها آدسز برقم ٢٠٤ وذكر لها نسخة خطية بمكتبة ولى الدينأفندى (بايزيد) برقم ٣٢٣٥ (٥٧ ب – ٦٧ ب) ٠

١١٧ – رسالة درخوبى وزشتى (فارسية) (خ)

انفرد بذكرها آدسز برقم/٢٥ ٠ وذكر لها نسخة فى فاتح برقم / ٣٩٥٠ (٥٤٧ أ – ٥٤٨ أ) ٠

١١٨ – رسالة فى آداب الخلاء لقضاء الحاجة (خ)

ذكرها د٠ أحمد حسن حامد فى مقدمة أسرار النحو لابن كمال (ص ٣٥) برقم /١١٩ ٠ وذكر لها نسخة بدار الكتب المصرية ٣٨٩ مجاميع ٠

وعثرتعلى ثانية منها فى الدار نفسهابرقم/٣٤٨٩ ،

وعلى ثالثة أيضا برقم ٣٧ مجاميع تيمور (٧٥ أ – ب).

أولها : بعد البسملة " ذكر أبو عبد الله الترمذى الحكيم فى كتاب العلل آدابا حسنة لقضاء الحاجة ... " ٠

١١٩ – رسالة فى أدب القاضى (خ)

ذكرها بروكلمان برقم /٤٩ ، وآدسز برقم/١٦٧ ٠ الا أنه خلط بينها وبين رسالة " فى آداب البحث " ٠٠ والذى يفهم مما ذكره من مقدمتها أنها الرسالة المذكورة هنا ٠

نسخها : عاطف أفندى /٢٨١٦ ، فينا ٩/١٧٩١ ، مراد ملا /١٨٣٤، ديوان كشك /٢٠٢٢ ٠

أولها : " قدمه على كتاب الشهادة لاختصاصها فى اعتبار الشرع ... " ٠

١٢٠ – رسالة فى أن الزكاة ليس على الصبى والمجنون (خ)

انفرد بذكرها آدسن برقم /٧٦ ، وذكر أن لها نسخة ضمن مجموعة بأحمد الثالث برقم /١٥٤٥ ، وابراهيم أفندى برقم ٨٦٠ ، وكوبريلى برقم ١٥٨٠ ، وجامعة استانبول ١٥٧١ (عربية) .

١٢١ – رسالة فى أنه هل يمكن الأكل من الحلال فى هذا الزمان (ف)

انفرد بذكرها جميل بك فى عقود الجوهر (٢٢٣/١) .

وفى مكتبة رئيس الكتاب رسالة بنفس العنوان لشيخ الاسلام ابن تيمية برقم /١١٥٣ ..

١٢٢ – رسالة فى بيان أنواع المشروعات وغير المشروعات (خ)

ذكر د. أحمد حسن حامد فى مقدمة أسرار النحو لابن كمال (ص ٢٦) برقم /٥٥ ، وآدسن برقم ٦٦ بعنوان " رسالة فى فروض وواجبات الصلاة " ،

وفى المحمودية برقم ٢٥٩٧ (٤٥٧ – ٤٥٩) بعنوان "مقدمة الصلاة " ،وعارف حكمت ٢/٣٢٤ مجاميع بعنوان " حديقة الصلاة " .

ونسخة ثالثة بدار الكتب المصرية برقم ٢١٦٣١ ب بالعنوان المذكور هنا .

١٢٣ – رسالة فى بيان الشهيد (خ)

لم يذكرها أحد فيما أعلم .

وعنها نسخة بمكتبة حسن حسنى باشا برقم ٧/١٢٦٢ (ق ٣٩ – ٤٢) . بعنوان " رسالة على مبحث الشهيد من الوقاية ".وأخرى فى برلين برقم /٢٧٩٠ ، وعندى عنها صورة .

أولها : " الحمد لله على هدية الهداية والاسلام وعطية الدراية والاعلام .... وبعد فهذه رسالة معمولة فى بيان الشهيد لالتماس بعض من الخلان السعيد ، فأقول وبالله التوفيق ، انما سمى الشهيد شهيدا لأن الملائكة يشهد موته اكراما له ... ".

١٢٤ - رسالة فى بيان حد شارب الخمر (ط)

وهى الرسالة الثالثة لابن كمال فى الخمر ..

ذكره حاجى خليفة فى الكشف (١/٨٦٠) ، وجميل بك (١/٢٢٢)، وبروكلمان برقم ٩٨ ، وآدسز برقم ٦١ .

وطبعت ضمن " رسائل ابن كمال باشا " بمطبعة إقدام باستانبول ١٣١٦ هـ (ص ٣٧٧ - ٣٨٠) .

١٢٥ - رسالة فى بيان حقيقة الربا (خ)

ذكرها جميل بك (١/٢٢٢) ، وبروكلمان برقم/٥٠ ، وآدسز برقم / ٥٤ .

نسخها : عاطف أفندى ٢٨١٦ ، آياصوفيا ٤٧٩٤ ، أسعد أفندى ٦٩٢ ، ٣٦٤٦ ، ٣٦٥٢ ...

١٢٦ - رسالة فى بيان حكم الصلوات الخمس (خ)

انفرد بذكرها آدسز برقم/٦٧ ، مع ذكر (١٣) نسخة لها .

منها : عاطف أفندى /٢٨٢٧ ، أسعد أفندى /٦٩٢ ، ٣٥٢٣ ، ٣٥٥١، ٣٦٣٢ ، ٣٦٤٦ ، حاجى محمود أفندى ١٤٥٨ بعنوان " رسالة الحكمة " . وبالمكتبة المركزية بالجامعة / ٣٦١٢ / ١٧ (خ) .

١٢٧ ـ رسالة فى البيع (خ)

ذكرها آدسز برقم /٦٤ ٠

نسخها : عاطف أفندى ٢٨١٦ ، اسعد افندى ٦٦٩ ، مراد ملا / ١٨٣٤ ،
روان كشك /٢٠٢٢ ٠

١٢٨ ـ رسالة فى تحقيق مسالة الاستخلاف للخطبة والصلاة فى الجمعة (ط)

ذكرها جميل بك (٢٢٢/١) ، وبروكلمان برقم ٥٣ بالعنوان المذكور هنا ،
وبرقم /٥٦ بعنوان "كتاب استخلاف الجمعة" ظنا منه أنهما رسالتان ٠٠
وآدسز برقم /٧٠ ٠

وطبعت ضمن " رسائل ابن كمال باشا " بمطبعة إقدام ، استانبول ١٣١٦ ،
(ص/١١٣ ـ ١١٦)٠٠ وطبعت كذلك ضمن مجموعة باستانبول ١٣٠٤ (ص /٢١٥ ـ ٢١٦)٠

١٢٩ ـ رسالة فى تحقيق المناسبة والملاءمة والتأثير (فى الأصول) (خ)

لم يذكرها أحد فيما أعلم ٠

ومنها نسخة فى أحمد الثالث /١٥٤١ (٤٤٠ ـ ٤٤٢) ٠

١٣٠ ـ رسالة فى تحقيق منشأ اختلاف الأئمة (ط)

ذكرها جميل بك (٢٢١/١) بعنوان " ر ٠ فى الأصل والاختلاف " ٠

وآدسز برقم /٨١ ٠

طبعت ضمن " رسائل ابن كمال باشا " بمطبعة إقدام ، استانبول ١٣١٦ هـ
(٢٣١ ـ ٢٣٣) ٠

١٣١ ـ رسالة فى تصحيح لفظ الزنديق وتوضيح معناه الدقيق (ط)

ذكرها ابن كمال باشا نفسه فى " تعريب الكلمة الأعجمية " (ق / ١٠٧
ببرنستون /٢٩٠٤ وعنها ميكروفلم بمركز البحث بالجامعة / ٣٧٧) ٠

وذكرها البغدادى فى الهدية (١٤١/١) ، وجميل بك (٢٢٣/١) ، وبروكلمان برقم / ٣٨ ، وآدسز برقم /١٣٨ .

طبعت ضمن " رسائل ابن كمال باشا" بمطبعة اقدام ، استانبول ، ١٣١٦ هـ (ص / ٢٤٠ ـ ٢٤٩) ، وطبعت كذلك بتحقيق حسين على محفوظ ، ونشرت بمجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد / ٥ ، ١٩٦٢م (٤٥ ـ ٧٠) .

١٣٢ ـ رسالة فى تعدد الجوامع لأداء صلاة الجمعة (ط)

ذكرها جميل بك (٢٢٢/١) بهذا العنوان ، وبعنوان"رسالة فى جواز الجمعة فى مكانين " للمرة الثانية ، مع انهما رسالة واحدة ـ وبروكلمان برقم / ١٤٤ وبعنوان " صلاة الجمعة فى موضعين " .

وطبعت ضمن " رسائل ابن كمال باشا " بمطبعة إقدام،استانبول ، ١٣١٦ هـ (ص / ٢٢٩ ـ ٢٣٠) .

١٣٣ـ رسالة فى تعيين القبلة (خ)

انفرد بذكرها آدسز برقم /٧٤ مع ذكر نسخة لها فى روان كشك بطوبقابو برقم / ٢٠٤٧ (١٣٢ ب ـ ١٣٩ أ) .

١٣٤ ـ رسالة فى تقديم الشرط على المشروط (خ)

(وهى عبارة عن صفحة واحدة)

ذكرها د. محمود فجال فى مقال له فى مجلة عالم الكتب برقم ١٢٣. وعنها نسخة فى الحرم المكى الشريف / ١٥١ (ق ٧٩ ب) وعندى عنها صورة ..

١٣٥ـ رسالة فى جواز اتخاذ المكان بارسال السجادة فى المسجد وعدم جوازه (خ)

ذكرها بروكلمان برقم /١٣١ ، وآدسز برقم ٦٩ وذكر لها نسخة فى عاطف افندى ٧٩/٢٨١٦ (٣٥٣ب ـ ٣٥٥) .

١٣٦ ــ رسالة فى جواز الاستئجار على تعليم القرآن (ط)

ذكرها جميل بك (٢٢٠/١) ، وبروكلمان برقم / ٢ ، وآدسز برقم ٣٦ ٠

وطبعت ضمن " رسائل ابن كمال باشا " بمطبعة اقدام ، استانبول ، ١٣١٦ هـ (٢٢٧ ـ ٢٢٨) ٠

١٣٧ ــ رسالة فى جواز وقف الدراهم والدنانير (خ)

انفرد بذكرها آدسز برقم /٨٩ ، وذكر لها نسخة فى السليمانية برقم ٧٠٨ (١٩٤أ) عبارة عن صفحة واحدة ٠٠

١٣٨ ــ رسالة فى الحشيشة وحكم السكر بها (ف)

انفرد بذكرها جميل بك (٢٢٢/١) ، فلا ادرى هل هى رسالته " فى طبيعة الافيون " أم رسالة اخرى مستقلة ٠

١٣٩ ــ رسالة فى الحوض عشرا فى عشرا (ف)

ذكرها حاجى خليفة فى كشف الظنون (٨٦٢/١) ٠

١٤٠ ــ رسالة فى الخضاب (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢٢/١) ، وبروكلمان برقم /٩٦ ، وآدسز برقم ٥٨ ، وذكر لها (٢٠) نسخة خطية ٠منها : عاشر أفندى / ٤٥٩ ، عاطف أفندى ٢٨١٦ ، أياصوفيا ٤٧٩٤ ، اسعد افندى ٣٦٥٢ ، ٣٧٨٧ ، فاتح ٥٣٩٠ ٠

١٤١ ــ رسالة فى خيار الرؤيــة (خ)

انفرد بذكرها آدسز برقم /٧٧ ، وذكر لها نسخا ثلاثا : بغدادلى وهبى ٢٠٤١ ، ابراهيم افندى ٨٦٠ ، روان كشك ٢٠٢٢ ٠

١٤٢ ــ رسالة فى الدائرة الهندية (خ)

ذكرها آدسز برقم / ٧٩ مع الاشارة الى وجود نسخة فى روان كشك بطوبقابو

٢٠٤٧ ، وجامعة استانبول ٢٥٦ (عربية) ، وعثرت على ثالثة فى فاتح ٥٣٦٦ ٠

اولها : وبعد : فلما كان معرفة الدائرة المسماة بالدائرة الهندية الواقعة فى شرح الوقاية ٠٠٠ " ٠

١٤٣ ـ رسالة فى دخول ولد البنت فى الموقوف على أولاد الأولاد (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢٢/١) ، وبروكلمان برقم /٤٤ ، وآدسز برقم / ٥٥ ٠

وذكر لها (٧٦) نسخة فى مكتبات استانبول ٠ منها : عاطف أفندى /٢٨٠٢ ، ٢٨١٦ ، ٢٨٢٧ ، آياصوفيا / ٤٧٩٤ ، والحرم المكى أيضا ٣٤/١٥١ ، والمحمودية ٢٥٩٧ ٠٠

١٤٤ ـ رسالة فى الرشوة (خ)

لم يذكرها أحد فيما أعلم ٠ عثرت على نسخة فى عاطف أفندى برقم ٢٤/٢٨١٧ عبارة عن صفحة واحدة (ق ٥٧ب) ٠

١٤٥ ـ رسالة فى الرضاع (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢٢/١) مع ذكر رسالة أخرى بعنوان " رسالة فى الرضاء الشرعى " ٠٠ وبروكلمان برقم / ٤٨ ، وآدسز برقم /٥٧ ٠

نسخها : أسعد أفندى ٣٦٤٦ ، حالت أفندى /٨١٠ ، ٨٢٨ ، حسن حسنى باشا / ٦٥ ، رشيد أفندى / ١٠٠٥ ٠

١٤٦ ـ رسالة فى الزكاة (خ)

ذكرها بروكلمان برقم ٥١ ، وآدسز برقم ٧٥ ٠

وعنها نسخة بمراد ملا ١٨٣٤ ، وأخرى بروان كشك / ٢٠٢٢ ٠

١٤٧ ـ رسالة فى سجود السهو (خ)

ذكرها حاجى خليفة فى كشف الظنون (٨٧١/١) ، وآدسز برقم /٦٨ ٠

نسخها : داماد ابراهيم باشا ٢٩٧ ، ابراهيم أفندى ٨٦٠ ، رشيد أفندى /٢٨٢ ٠٠

١٤٨ ــ رسالة فى السكر (خ)

ذكرها آدسز برقم / ٦٠ ، مع ذكر خمس نسخ خطية لها : ابراهيم أفنـــدى / ٨٦٠ ، قصيده جى زاده سليمان سرى ٦٧٧ ، نور عثمانية ٤٩٠٩ ، روان كشك ٢٠٤٧ ، وجامعة استانبول ١٥٧١ (عربية) .

١٤٩ ــ رسالة فى شرح قول صدر الشريعة : "فعند أبى حنيفة : يعزر بأمثال هذه الامـــور، يعنى الإحراق والهدم والتنكيس " (خ)

ذكرها آدسز برقم / ٦٢ بعنوان " رسالة فى الإحراق والهدم " وعنها نسخـة واحدة فى عاطف أفندى ٢٨١٦ (٦٥ ب ـ ٦٦ أ) .

١٥٠ ــ رسالة فى شروط الصلاة (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢٢/١) ، وبروكلمان برقم /٥٥ ، وآدسز برقم ٦٥ ، مع ذكر خمس نسخ لها .

وشرح هذه الرسالة عدة من الأفاضل :

١ ـ محمد بن خليل بن مصطفى الحميدى ، وسماه " تحفة الولد " فأتـــم تحريرها وتبييضها فى يوم الثلاثاء ١٦ من جمادى الاولى ١٠٩٢ هـ ، وعنها نسخـــة فى الحرم المكى الشريف تحت رقم ١/٤٢٢ فقه حنفى .

٢ ـ مصلح الدين بن حمزة بن ابراهيم بن ولى الدين الرومى ، انتهى مـــن تأليفه سنة ١٠٤٥ هـ ، وسماه " الحياة فى شروط الصلاة " ، وعنها نسختان فـــى مجموعة الشفا بالمدينة المنورة ، الاولى برقم ٢٥٤/٤٧٤ ، والثانية برقم ٢٥٤/٤٦٩ .

٣ ـ مؤلف مجهول ، بعنوان " المنقولات فى شرح شروط الصلاة " .

وعنها نسختان بمجموعة الشفا ، برقم ٨٠/٧٦٥ ، وبرقم ٢٥٤/٤٧٢ .

نسخها : المحمودية ٢٥٩٧ ، حسن حسنى باشا ٥٠٨ ، فاتح ١٦٥٥ ، بايزيـــد ٨٨٧٦ ، حاجى محمود أفندى ١٣٩٤ هـ .

١٥١ ـ رسالة فى الشكاية عن أفعال الزمان والحكاية عن أحوال الإخوان (تركية) (خ)

ألفها للرد على العلامة محيى الدين محمد بن الفنارى ، القاضى عسكر فى ولاية روم ايلى يومه ، سنة ٩٣٥ هـ ، وهى بالتركية ٠

ذكرها آدسز برقم /١٢ مع ذكر ست نسخ لها ٠ وفى مكتبة برنستون نسخة سادسة برقم ٢٩٨ ، وعنها ميكروفلم بمركز البحث العلمى بالجامعة برقم / ٧٢٦ ، عاشر أفندى ٣١٣ ، أسعد أفندى ٩٥١ ، لا له لى / ٦٣٩٨ ، سليمانية ١٠٥١ ، روان كشك ٢٠٣٢ ٠

١٥٢ ـ رسالة فى شهادة الزور (خ)

ذكرها أسعد طلس فى مقال له بمجلة المجمع العلمى بدمشق (م ٢١ ، ص ٥٨)، ونقل عنه د٠ أحمد حسن حامد فى مقدمة أسرار النحو لابن كمال باشا (ص ٢٨) ، وأن لها نسخة فى القدس برقم ٤/١٨ ٠

١٥٣ ـ رسالة فى طهارة الصابون (ف)

انفرد بذكرها جميل بك (٢٢٢/١) ٠

١٥٤ ـ رسالة فى الظل والزوال (خ)

ذكرها د٠ احمد حسن حامد فى مقدمة اسرار النحو (ص ٢٥) ، ولها نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٢٤/٨ مجاميع تيمور (ص ٢٢٩ ـ ٢٣١) ٠

اولها : " قال صدر الشريعة : والظل الذى فى هذا الوقت هو فى الزوال ، قال الفاضل المحشى الشهير بيعقوب باشا ، قال ابن الملك : هذا تسامح ٠٠٠ " ٠

١٥٥ ـ رسالة فى الغبيراء وحكم أكلها (ف)

انفرد بذكرها جميل بك (٢٢٢/١) ٠

١٥٦ـ رسالة في قضاء الفوائت (خ)

ذكرها د. محمد طاهر الجوابي في مقال له بعنوان " مؤلفات ابن كمال باشا المخطوطة بالمكتبة الوطنية بتونس " رقمها / ٨٥٥ .(١)

١٥٧ـ رسالة في قوم يقطعون الطريق فأخذوا قبل أن يأخذوا شيئا (ف)

انفرد بذكرها جميل بك (١ / ٢٢٢) .

١٥٨ـ رسالة في اللعب بالشطرنج (ف)

انفرد بذكرها جميل بك (١ / ٢٢٤) .

١٥٩ـ رسالة في ماء الوضوء (خ)

لم يذكرها أحد ، وعنها نسخة في مكتبة الاوقاف العامة في بغداد برقم ٧/٥٨٣٠ مجاميع .(٢)

أولها : "فأقول وبالله سبحانه المستعان ، وعليه التكلان ، المقدمة في بيان الماء الذي يظهر فيه أثر الاستعمال ... " وهي عبارة عن ثلاث ورقات .

١٦٠ـ رسالة في مسألة الاستحقاق (ف)

انفرد بذكرها جميل بك (١ / ٢٢٢) ، ولعلها محرفة عن " رسالة في مسألة الاستخلاف " .

١٦١ـ رسالة في مسح الرأس (خ)

ذكرها آدسز برقم /٧١ . وهي غير " رسالة في المفروض مسحه من الرأس"، و " رسالة في المسح على الخفين " . ونص على وجود ثلاث نسخ : فاتح ٥٣٣٧، حاجي محمود

---

(١) ندوة ابن كمال باشا ص ٣٠٤ (بالتركية) .

(٢) فهرس المكتبة المذكورة ٤٥٢/١ .

أفندى ١٩٩١ ، روان كشك ٢٠١١ ٠

أولها : " اعلم أن المفروضات : مسح الرأس ، أدنى مايطلق اسم المسح ... " ٠

١٦٢ ـ رسالة فى المسح على الخفين (خ)

ذكرها حاجى خليفة فى كشف الظنون (١/٨٩٠) ، وآدسز برقم /٧٣ وعنها نسخة فى حسن حسنى باشا ٣٤٠ (١٧٣ ب ـ ١٧٤ ب) ، ولا له لى ٣٦٤٦ (٢٤٠ ب ـ ٢٥٤أ) ٠

١٦٣ ـ رسالة فى المفروض مسحه من الرأس (خ)

ذكرها جميل بك (١/٢٢٢) ، وبروكلمان برقم /١٢٦ ، وآدسز برقم ٧٢، وذكر لها (١٥) نسخة خطية ٠ منها : عاطف أفندى ٢٨١٦، أسعد أفندى ٦٩٢ ، ٣٦٤٦ ، كوبريلى ١٥٨٠ ، مراد ملا ١٨٣٤ ٠

١٦٤ ـ رسالة فى مجهول النسب (خ)

ذكرها آدسز برقم / ٨٠، وعنها نسخة بجامعة استانبول ٦٤٢٣ (١١٩أ ـ ١٢٣أ) ٠

اولها : " الحمد لله على ما أنعم وعلم من البيان مالم نعلم ... " ٠

١٦٥ ـ رسالة فى الولاء = الرسالة الولائية (خ)

وذكرت هذه الرسالة بعناوين مختلفة ، ومؤداها واحد ، وهى :

" الرسالة الولائية " ، " رسالة فى مسألة الارث والولاء"، " تعليقات على رسالة الولاء " ، " رسالة فى بحث الولاء " ٠

ذكرها جميل بك (١ / ٢٢٢) ، وبروكلمان برقم ١٣٦ ، وآدسز برقم / ٥٦ ٠

وعنها نسخة فى :

ابراهيم أفندى /٨٦٠، روان كشك ٢٠٣٢ ، وسليمانية /١٠٥١ ٠

١٦٦ ـ رسالة فى ولاية التزوج بغير على صلاح ؟ (خ)

انفرد بذكرها هكذا بروكلمان برقم /١٤٣ ٠

١٦٧ ـ رسالة فيما يجب على المكلف أول مرة من الايمان ثم من أحكام الاسلام (خ)

لم يذكرها أحد من المترجمين له .

وتوجد نسخة منها فى مكتبة السليمانية / يازمه باغشلر برقم ١٢٩٨ (٦٤ ب ـ ٩٠ أ) ، وعندى عنها صورة . وهى اشبه بكتاب فقه مبسط للناشئين .

١٦٨ ـ شرح الهداية للمرغينانى (ت ٥٩٣ هـ) (خ)

ذكره بهذا العنوان ، طاشكبرى زاده (ص ٢٢٧) ، وحاجى خليفة فى كشف الظنون (٢٠٣٧/٢) ، والبغدادى فى هدية العارفين (١٤١/١) ، وجميل بك (٢٢٥/١) .

وبعنوان : " حواش على الهداية " :

ابن كمال نفسه فى حاشيته على تغيير التنقيح (ص ٢٩٤) ، والكفوى (ق / ٣٨٢) فقال :"فى مجلدين " ، وجميل بك (٢٢٠/١) للمرة الثانية ، وبروكلمان برقم ١٥١ ، وآدسز برقم / ٤٨ ، مع ذكر (٣٢) نسخة خطية .

منها : عاطف افندى ٨١٠ ، اسعد أفندى ٦٥٦ (٤٦٩ ق) بخط المؤلف ، فاتح / ١٦٦٠ ، حاجى سليم أغا ٢٩٤ .

١٦٩ ـ كشف الدسائس فى الكنائس (خ)

يوجد منه نسختان ، الاولى : بمكتبة الحرم المكى الشريف ١٥١ مجاميع ، والثانية فى أحمد الثالث باستانبول ١٥٤١ .

١٧٠ ـ صورة فتوى فى حق ابن عربى (خ)

ذكرها آدسز برقم /٨٥ . وعنها نسخة من مكتبة الحرم المكى الشريف ١٥١ مجاميع ، وفى أسعد أفندى ٣/٣٥٨٦ ، ٣٦٤٦ ، ٣٧٤٣ .

وعليها شرح للسيد عارف [1] ، رد فيه على ابن الكمال فى تنزيهه لابن عربى ،

---

(١) يقول المحقق : لم أعثر على ترجمته فى كتب التراجم المتوفرة لدى .

وقوله بأنه مجتهد كامل .. وطبع هذا الشرح ضمن " رسائل وفتاوى فى ذم ابن عربي " جمع وتحقيق د. موسى بن سليمان الدويش ، بالمدينة المنورة ، ١٤١٠ هـ ، (ص / ١٠٣ - ١١٦) من المجموعة .

١٧١ - فتاوى باللغة العربية (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢٥/١) ، وبروكلمان برقم /٤٧ ، وآدسز برقم / ٥ . بعض نسخها : على آميرى ٧٩ (شرعية) ، ٨٨١ (شرعية) نور عثمانيه ١٩٦٨ وغيرها .

١٧٢ - فتاوى باللغة التركية (خ)

ذكرها بهذا العنوان جميل بك (٢٢٥/١) ، وذكر آدسز برقم /٥ بعض فتاواه بالتركية مثل : جامعة استانبول ٦٢٥٣ (تركية) ، ٩٢٧٤ (تركية) .

١٧٣ - القول فى صحة ما آجره الجندى من المزارع وغيرها (خ)

انفرد بذكره بروكلمان برقم /٥٢ ، وذكر له نسخة فى مكتبة چوته تحت رقم / ١٠٩٦ .

١٧٤ - مجمع البحرين (فى الفقه) (ف)

انفرد بذكره جميل بك فى عقود الجوهر (١ / ٢٢٦) .

١٧٥ - المسالة السائرة فى البلاد والدائرة (ف)

انفرد بذكرها بهذا الاسم جميل بك (٢٢٦/١) ، ولعلها هى " رسالة فى دخول ولد البنت فى الموقوف على أولاد الاولاد " حيث وردت فى مقدمتها : " ... فان المسألة السائرة فى البلاد ، الدائرة على ألسن العباد ، وهى مسالة دخول ولد البنت فى الموقوف على أولاد الأولاد .... " .

وتوجد نسخة خطية بهذا العنوان ، اطلعت عليها فوجدت انها " رسالة فى دخول ولد البنت فى الموقوف على أولاد الأولاد " ..

١٧٦ – مهمات المفتى (فى فروع الحنفية) (خ)

ذكرها حاجى خليفة فى الكشف (١٩١٦/٢) ، والبغدادى فى الهدية (١٤٢/١) بعنوان " مهمات المسائل فى الفروع " ، وجميل بك (٢٢٥/١) بعنوان " مهمات المفتى لرد أسئلة المستفتى فى فروع الحنفية " ، وطاهر بك فى المؤلفين العثمانيين (٢٢٣/١) ،والبستانى فى دائرة المعارف (٤٨٢/٣) ، وبروكلمان برقم /٤٥ ، وآدسز برقم /٤٧ مع ذكر (١١) نسخة لها . منها : فيض الله أفندى /١٠٧٨ (٢٢٩ ق) ، قيليج على باشا ٤٦٤ (٢٢٢ ق) ، مسيح باشا ١٨ (٢٢٩ق) رئيس الكتاب ٤٣٧ (٢٣٥ ق) .

١٧٧ – نور النيرين فى اختلاف المذهبين (خ)

لم يذكره أحد من المترجمين له . توجد نسخة فى مكتبة قصيده جى زاده سليمان سرى برقم ٢٣٦ (١ – ١٢٦ ق) .

أوله : " والحمد لله رفع أعلام الشريعة الغراء ، ومهد قواعد الملة النبوية الزهراء ، وأظهر لنا دقائق الفقه باجتهاد الأئمة ، الذين قيل فى حقهم ...

وبعد : فقد سألنى بعض الأخلاء أن أجمع كتابا فى الفقه من المفتى به فى مذهبى الامام الاعظم والبحر الاقدم أبى حنيفة النعمان ابن ثابت ، والامام الأفخم محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنهما اختلافا واتفاقا وأذكر لكل منهما دليله وحجته .... "

هذا ، وذكر البغدادى فى إيضاح المكنون (٦٨٧/٢) : " نور النيرين فى اختلاف المذهبين فى المفتى به على مذهب أبى حنيفة والشافعى . أوله : الحمد لله الذى رفع الشريعة ... الخ ،فى مجلد، لم يذكر مؤلفه " اهـ .

١٧٨ – وصية ابن كمال باشا (خ)

لم يذكرها أحد من المترجمين له . وقد عثرت على نسخة في مكتبة برنستون برقم / ٤٥٦٣ وعنها ميكروفلم بمركز البحث العلمي برقم ٤١٣ وعندي عنها صورة ، ثم وجدت نسخة ثانية في كوبريلي باستانبول برقم ١٥٩٩/١٠ .

خامسا : اللغة العربيـــة :

١٧٩ ـ التنبيه على غلط الجاهل (الخامل) والنبيه (ط)

ذكره حاجى خليفة فى الكشف (٤٨٨/١) ، وجميل بك (٢١٩/١) وأعاد ذكره (٢٢٤/١) بعنوان " سقطات العوام " ظنا أنهمـــا رسالتان ، والبغدادى فى هدية العارفين (١٤١/١) ، وسركيس فى المطبوعات العربية (٢٢٨/١) ، وبروكلمان برقم ١٠٦ ، وأعـــاد ذكره برقم ١٠٧ وعنوان " إصلاح السقطات " ، وآدسز برقم/١٩٤ .

وطبع هذا الكتاب ثلاث طبعات : الاولى : بعناية المستشرق لاندبرج فى كتاب " طرف عربية " فى سنة ١٣٠٣هـ .

والثانية بعناية الشيخ عبد القادر المغربى بدمشـــق ١٣٤٤ هـ ، وذلك بعد أن نشره فى مجلة المجمع العلمى ، المجلد الاول ، بدمشق .

والثالثة بتحقيق الدكتور / رشيد عبد الرحمن العبيـــدى فى " مجلة المورد العراقية " عدد /٤ ، سنة ١٩٨٠م .

١٨٠ ـ جامع الفرس (تركى ، ومقدمته فارسية) (خ)

ذكره آدسز برقم/٩ .

مخطوطاته : على أميرى ٢٥١ (الادب) ، شهيد على باشـــا ٢٦١٦ (١٤٦ ق) ، جامعة استانبول ٣٧٦٨ (تركية) .

١٨١ ـ دستور العمل فى اللغة (تركى)

ذكره جميل بك (٢٢٠/١) .

١٨٢ – دقائق الحقائق فى اللغة (تركى) (خ)

يتحدث عن الكلمات المترادفة والمتشابهة ، وتفريق معانيها فى اللغة الفارسية • ذكره الكفوى (٣٨٢) ، والتميمى (٣٥٧/١) وقال : انه فارسي، والبغدادى (١٤١/١) ، وجميل بك (٢٢٠/١) ، وطاهر بك فى المؤلفين العثمانيين (٢٢٣/١) •

وآدسز برقم ٨ مع ذكر (٥٩) نسخة لها فى مكتبات استانبول • منها : عاشر أفندى ٣٧٨ (١ – ٩٦ أ) ، عاطف أفندى ٢٠٥٢(١٦١ق)، عاطف أفندى ٢٧١٤ ،آياصوفيا ٤٦٧٤ (١٤٣ ق) ، ٤٦٧٦ (١٩٢ق) ••

١٨٣ – رسالة فى أن صاحب علم المعانى يشارك اللغوى من جهة ويفارقه من جهة أخرى (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢٣/١) ،وبروكلمان برقم /١١١ ، وآدسز / ١٤٧ مع ذكر (٣٩) نسخة خطية لها •

منها : عاطف أفندى ٢٨١٦ ، أسعد أفندى /٣٥٤٦ ، فاتح / ٥٣٣٧ ، حسن حسنى باشا ٦٥ ، المحمودية بالمدينة المنورة ٢٥٩٧ •

١٨٤ – رسالة فى بيان مزية اللسان الفارسية على سائر الألسنة ماخلا العربية (ط)

ذكرها حاجى خليفة فى الكشف (٨٨٧/١) ، وجميل بك (٢٢٤/١) وبروكلمان برقم ١٠٨ ، وآدسز برقم ٢٠٣ مع ذكر (٣٣) نسخة لها •

وطبعت ضمن " رسائل ابن كمال باشا " بمطبعة إقدام استانبول ، ١٣١٦ هـ (ص/ ٢١٠ – ٢١٦) ، وبتهران ، ١٣٣٢ هـ •

١٨٥ – رسالة فى تحقيق أن اللفظ قد يوضع لمعنى مقيد (خ)

ذكرها بروكلمان مرتين ، الاولى برقم /٦٢ وبعنوان " رسالة

التجريد " ونص على وجود نسخة فى برلين ٥٢٠٣ وبعد مراجعتى لفهرس المكتبة وجدت أنها الرسالة المذكورة هنا ، والثانية برقم ١٥٣ وبعنوان " ر . فى تحقيق أن اللفظ قد يوضع مقيدا " ، وآدس برقم /١٥٥ ، وذكر لها (١٢) نسخة .

منها : حالت أفندى ٨١٠ ، كوبريلى ١٥٨٠ ، مراد ملا ١٨٣٤، والمحمودية /٢٥٩٧ .

١٨٦ – رسالة فى تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية (ط)

ذكرها المؤلف نفسه فى رسالته " تصحيح لفظ الزنديق وتوضيح معناه الدقيق " (ص ٢٤٠ ، ضمن رسائله) ، وفى تفسيره (٤١٧ أ دار الكتب) ، وذكره حاجى خليفة فى الكشف (٨٥٣/١)، وجميل بك (٢١٩/١) ، والبستانى فى دائرة المعارف (٤٨٢/٣) ، وبروكلمان برقم ١٠٩ ، وآدس برقم /١٨٢ .

طبعت فى الموصل ، بتحقيق أحمد خطاب العمر ، جامعة الموصل، ١٤٠٣ هـ . وحققها د. رشيد عبد الرحمن العبيدى ونشر جزءا منها فى مجلة البحث العلمى والتراث الاسلامى بمكة المكرمة ، العدد الأول، ١٣٩٨ هـ .

وحققها كذلك د. سليمان ابراهيم العايد وطبعها بعنوان " رسالتان فى المعرب " بمطابع جامعة أم القرى ، ضمن مطبوعات معهد اللغة العربية ، بدون تاريخ .

ترجمها الى التركية إسماعيل عارف أفندى ، وطبعت هذه الترجمة باستانبول ، مطبعة جوائب ، ١٢٩٠ هـ (٣٧ ص) .

١٨٧ – رسالة فى تحقيق السينات (خ)

ذكرها فى فهرس الخزانة التيمورية (٢٥٨/٣) وقال : " فى بحث السينات على الكشاف ؟ " . وجاء فى نسخة آسعد أفندى برقم ٣٦٥٢ (٤٦ أ – ب) : " مما علقه مولانا ابن كمال باشا على الكشاف فى تفسير البسملة " .

وتوجد نسخة أخرى فى رشيد أفندى برقم ٨/٩٨٧ فى السليمانية .

١٨٨ – رسالة فى تحقيق قول القائلين " فلان لايملك درهما فضلا عن دنانير" (خ)

لم يذكرها أحد من المترجمين له .

توجد منها نسخة فى فاتح ٢٧/٥٣٤٠ (١٣٨ ب – ١٤٥ آ) .

١٨٩ – رسالة فى تحقيق لفظ چلبى (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢٤/١) ، وآدسز برقم ٢٠٩ وذكر لها (٨) نسخ : على أميرى ٤٣٨٨ (عربية) ، عموجه زاده حسين باشا / ٢٤١ ، جلبى عبد الله ٢٧٣ ، أسعد أفندى ٨٤٦ ، ٣٧٣٩ ، ٣٧٧٢ ، ٣٧٩٢ .

١٩٠ – رسالة فى تعريف الكلمة (خ)

ذكرها بروكلمان برقم /١٥٧ ونص على وجود ثلاث نسخ خطية ، وأضفت لها آربع أخرى : حميدية ١٨٦ و ١٨٨ ، آسعد أفندى ٣٦٥٢ ، شهيد على باشا ١٧/٢٨٣٨ ، دار الكتب المصرية برقم ٣٤٨٩ ج .

١٩١ – رسالة فى حروف الهجاء (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢٣/١) .

مخطوطاتها : أسعد أفندى ٣٦٤٦ ، دار الكتب المصرية برقم ٣٨٩ ، وبرقم ٤٤٨٩ ج .

١٩٢ - رسالة فى تحقيق السراب والآل (ط)

ذكرها جميل بك (٢٢٣/١) ، وبروكلمان برقم ١٤٥ ، آدسز برقم ٢٠٦ . وطبعت ضمن " رسائل ابن كمال باشا " بمطبعة اقدام استانبول ١٣١٦ هـ (ص ٢١٨ - ٢١٩) بعنوان " فوائد متفرقة " كما وردت فى بعض مخطوطات الرسالة .

١٩٣ - رسالة فى خصائص اللغة (ف)

انفرد بذكرها جميل بك (٢٢٣/١) .

١٩٤ - رسالة فى خطاب الواحد بخطاب الاثنين (خ)

ذكرها بروكلمان برقم ١٤٦ ، وآدسز برقم ١٩٧ مع ذكر (٨) نسخ لها . نسخها : مكتبة الحرم المكى الشريف ١٥١ مجاميع ، عاطف أفندى ٢٨١٦ ، مراد ملا ١٨٣١ ، پرتو باشا ٦٥٣ .

١٩٥ - رسالة فى صحة الجمع بين المعنى المشترك فى استعمال واحد (ف)

ذكرها ابن كمال باشا نفسه فى " شرح القصيدة الخمرية " (ق / ٥٦ من الحرم المكى الشريف برقم ١٥١) .

١٩٦ - رسالة فى علوم اللغة (خ)

ذكرها بروكلمان برقم ١٥٦ مع ذكر نسخة لها بدار الكتب المصرية (١) .

---

(١) فهرس دار الكتب (٢٠٠/٢) .

١٩٧ ـ رسالة فى الفرق بين " من " التبعيضية و " من " التبيينية (ط)

ذكرها جميل بك (٢٢٤/١)، وبروكلمان برقم ١١٥ ، وآدسز برقم /١٨٣ .

طبعت باستانبول ضمن " رسائل ابن كمال باشا " (ص ٢٣٤ ـ ٢٣٩) .

وطبعت أيضا بتحقيق د. محمد حسين ابو الفتوح ، فى مجلة الدارة ، عدد / ٢ ، السنة الرابعة عشرة لعام /١٤٠٩ هـ .

١٩٨ ـ رسالة فى الفروق (ف)

ذكرها ابن كمال باشا نفسه فى " رسالته فى تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية " ص ٩٠ بقوله : " وقد أوضحنا هذا الفرق فى رسالتنا الموسومة بالفروق " .

١٩٩ ـ رسالة فى الفوائد = التنبيه على وهم بعضهم من العلماء فى بعض الألفاظ (ط)

ذكرها آدسز بالعنوان الثانى برقم ١٥٩ .

طبعت ضمن " رسائل ابن كمال باشا " باستانبول ١٣١٦ هـ (٢٥٠ ـ ٢٥٣) .

أولها : " لى صاحب مثل داء البطن صحبته يودنى كوداد الذئب للراعى .. "

٢٠٠ ـ رسالة فى " قد " (خ)

لم يذكرها أحد من المترجمين له . ولها ثلاث نسخ :

١ ـ المكتبة الازهرية برقم ٧٥٥ مجاميع [١] ،

---

(١) فهرس المكتبة الازهرية ٢٠٠/٤ .

٢ ـ قيليج على باشا برقم ٢٦/١٠٢٤ ،

٣ ـ السليمانية برقم /١٠٤٥ .

٢٠١ ـ رسالة فى قولهم " أكثر من أن يحصى ، وأشهر من أن يخفى " . (خ)

لم يذكرها أحد من المترجمين له . ول ثلاث نسخ فيما اعلم :

١ ـ دار الكتب المصرية برقم ٢٦١ مجاميع تيمور .

٢ ـ فاتح برقم /٥٣٤٠ (١٢٠ ب ـ ١٢١ أ) ،

٣ ـ عاشرأفندى ٢٥/٤٣٠ .

٢٠٢ ـ رسالة فى الكلمات المعربة (ط)

وهى غير " رسالة فى تحقيق تعريب الكلمة الاعجمية " .

ذكرها د. أحمد حسن حامد فى مقدمة أسرار النحو برقم /١ ، ونشرها سليم البخارى ، بالمجلد السابع من مجلة المقتبس ، عام ١٣٣٠ هـ .

٢٠٣ ـ رسالة فيما يفيد واو العطف (خ)

ذكرها آدسز برقم ١٩٨ ، ونص على وجود ثلاث نسخ باستانبول. وتوجد نسخة بالمدينة المنورة برقم ٢٥٩٧ .

٢٠٤ ـ رسالة فى مباحث الاسم (ف)

انفرد بذكرها جميل بك فى عقود الجوهر (٢٢٣/١) .

٢٠٥ ـ رسالة فى مفردات الألفاظ المستعملة (ف ؟)

انفرد بذكرها بهذا العنوان جميل بك (٢٢٣/١) . ولعلها هى " رسالة فى أن صاحب علم المعانى يشارك اللغوى فى البحث عن مفردات الالفاظ المستعملة فى كلام العرب " ، وأخذ جميل بك العنوان من مقدمة الرسالة .

٢٠٦ - رسالة فى وضع المفردات (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢٤/١) ، وبروكلمان برقم ١٦٤ بعنوان " رسالة فى الوضع " .

٢٠٧ - الرسالة القلمية اليراعية (خ)

لم يذكرها أحد، وتوجد نسخة خطية فى مكتبات الاوقاف العامة (١) ببغداد برقم ١٤/٤٧٢٣ مجاميع ، وهى عبارة عن ثلاث ورقات .

٢٠٨ - شرح الوضعية العضدية للايجى (خ)

ذكره آدسز برقم /٢٠٠ ونص على وجود نسخة خطية فى جامعة استانبول برقم ٤٧٦٨ (العربية) (١١١ آ - ١٢١ ب) .

٢٠٩ قواعد الفرس (خ)

ذكرها آدسز برقم /٢٠٢ وذكر لها ثمان نسخ خطية . منها : عاشر آفندى ٤٣٠ ، أسعد آفندى ٢٨٥٥ ، ٢٨٥٤ ، حفيد افندى ٢٩٧ ، لا له لى ١٧٢٥ ، وكذلك بدار الكتب المصرية برقم ٥٥٨٠ عبارة (٩٢ ورقة) (٢) .

٢١٠ محيط اللغات (خ)

ذكره حاجى خليفة فى الكشف (١٦٢١/٢) وقال :"ترجم فيه اللغات بالفارسية"،والبغدادى فى الهدية (١٤٢/١) ، وجميل بك (٢٢٦/١) وقال :"فى اللغتين العربية والفارسية" ، وطاهر بك فى المؤلفين العثمانيين(٢٢٣/١)، والبستانى فى دائرة المعارف(٣/ ٤٨٢) ،وآدسز برقم/٢٦ ونص على وجود نسخة خطية فى شهيد على باشا برقم ٢٦٨١، عبارة عن ٥٣٢ ورقة .

---

(١) فهرس المكتبة المذكورة ١٧٦/٢ .

(٢) فهرس المخطوطات ٢٠٠/٢ .

سادسا : الصرف والنحو :

٢١١ - أسرار النحو (ط)

ذكره بروكلمان برقم /١٤٩ . وقد حققه د. احمد حسن حامد عن نسختين من التيمورية ، وطبعه فى دار الفكر ، بعمان ، بدون تاريخ .

٢١٢ - حاشية على أول شرح الكافية لابن الحاجب (ت ٦٤٦ هـ) (خ)

ذكرها آدسز برقم /٢٠١ ، ومخطوطاتها :

١ - بايزيد برقم ١١٩١٨ (١ ب - ٢٧ ب) ناقص من الاخير .

٢ - أسعد أفندى ٣٤٤١ (٢٦٨ أ - ٢٦٩ ب) .

٣ - نور عثمانية ٤٩٠٩ (٤٩ أ - ٥١ أ) .

٢١٣ - الرسالة اليائية (تركية) (خ)

وتتحدث عن معانى " الياء " المتصلة بآخر الكلمات فى الفارسية . ذكرها آدسز برقم /١٠ ، مع ذكر (٣٣) نسخة خطية لها فى استانبول .

منها : عاشر أفندى ٣٧٨ ، أسعد أفندى ٢٥٨٩ ، ٣٢١٢ ، ٣٢١٣، ٣٦٦٥ ، فاتح ٥١٨٨ ، ٥١٨٩ ، ٥١٩٠ .

٢١٤ - رسالة فى إعراب كلمات دائرة على الألسنة (خ)

ذكرها د. أحمد حسن حامد فى مقدمة اسرار النحو برقم /١٧ ، وذكر لها نسخة فى التيمورية ٦٩ مجاميع ، وعثرت على نسخة أخرى فى فاتح برقم ٣٤٣٥ (٢٤ ب - ٢٧ ب) بدون ذكر عنوان الرسالة، هكذا : " رسالة للكمال باشا زاده " .

٢١٥ – رسالة فى بيان الجمع (خ)

ذكرها آدسز برقم /١٨٧ ونص على وجود نسخة فى فاتح ٥٣٦٦ ، وأخرى فى المتحف الاثرى برقم /٨٨٩ . وذكرها د. أحمد حسن حامد فى مقدمة أسرار النحو برقم /١٦ مع الاشارة الى وجود نسخة بدار الكتب المصرية ٢٦١ مجاميع تيمور .

٢١٦ – رسالة فى تحقيق الإضافة (خ)

ذكرها آدسز برقم /١٩٩ مع الاشارة الى وجود نسخة فى حالت أفندى /٨١٠ (٨٥ ب – ٨٦ ب) .

٢١٧ – رسالة فى تحقيق معنى " كاد " و " عسى " (ط)

ذكرها جميل بك (٢٢٤/١) ، وبروكلمان برقم /١١٧ ، وآدسز برقم /١٩٠ .

وطبعت هذه الرسالة ثلاث طبعات :

الاولى : ضمن " رسائل ابن كمال باشا " باستانبول ١٣١٦ هـ (٢٥٣–٢٥٧) .

والثانية : بتحقيق د. رشيد عبد الرحمن العبيدى ، ونشرها فى مجلة كلية الدراسات الاسلامية ببغداد ، عدد / ٥ سنة ١٣٩٣ (ص ٣١١–٣٤٤) .

والثالثة : بتحقيق د. ناصر سعد الرشيد ضمن " رسائل ابن كمال باشا" طبعها النادى الادبى بالرياض ، ١٤٠١ هـ .

٢١٨ – رسالة فى تذكير لفظة " القوم " وتأنيثها (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢٣/١) ، وآدسز برقم ١٩٦ مع النص على وجود نسخة فى فاتح /٥٣٤٠ (١١٩ ب – ١٢٠ آ) .

٢١٩ - رسالة فى جموع التكسير (خ)

ذكرها د. أحمد حسن حامد فى مقدمة أسرار النحو لابن كمال باشا، برقم /١٦ ، ونص على وجود نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٢٦١ مجاميع تيمور .

٢٢٠ - رسالة فى رفع مايتعلق بالضمائر من الأوهام (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢٣/١) ، وبروكلمان برقم ١١٦ بعنوان : " رسالة فى تفكيك الضمائر " ، كما ورد فى بعض مخطوطات الرسالة، وبرقم ١٧٣ بعنوان " رسالة تتعلق بالضمائر " ظنا منه أنهما رسالتان مع أنهما رسالة واحدة .

وآدسز برقم /١٨٤ ، مع ذكر (٣٧) نسخة خطية لها . منها : عاطف افندى ٢٨١٦ ، آياصوفيا ٤٧٩٤ ، ٤٨٢٠ ، أسعد أفندى ٣٥٤٦ .

٢٢١ - رسالة فى رسم الهمزة (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢٣/١) .

توجد نسخة فى مكتبة كوبريلى برقم ٧/٣٣٧ ، وأخرى بمكتبة الحرم المكى الشريف برقم $\frac{٥}{١٦٨}$ بعنوان " رسالة فى كلمة " ابن " ومايشابهها ".

٢٢٢ - رسالة فى صيغة " أفعل " التفضيل (خ)

ذكرها بروكلمان برقم ١١٨ ، وآدسز برقم / ١٩٣ ونص على وجود نسخة فى مكتبة پرتونيال برقم/٨٩٣ .

فأضفت اليها نسخة ثانية بمكتبة آقْسَرَاى والده جامعى برقم / ٨٣٧ ،

وثالثة فى پرتونيال برقم /٤٣/٩٠١ (١٠٧ – ١١٠ ب) .

٢٢٣ – رسالة فى عويصة اعلال " لاتخشون " (خ)

لم يذكرها أحد من المترجمين له .

ومنها نسخة فى المحمودية بالمدينة المنورة برقم ٢٧١١ مجاميع (ق / ١١٦ ب) .

ويوجد شرحان على هذه الرسالة :

١ – شرحها محمد الآمدى ، وعنه نسخة بخط المؤلف فى مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ٢٧٨ مجاميع .

٢ – شرحها ايضا محمد بن آدم بن عبد الله سنة ١٢٠٥ هـ ، وعنه نسخة فى المحمودية برقم ٢٧١١ مجاميع ، بالمدينة المنورة .

٢٢٤ – رسالة فى الفرق بين أذهبه وذهب به (خ)

لم يذكرها احد من المترجمين له .

وتوجد نسخة عنها بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم / ١٣ مجاميع ، عبارة عن صفحة واحدة .

٢٢٥ – رسالة فى المؤنثات السماعية (ط)

ذكرها جميل بك (١/٢٢٣) ، وبروكلمان برقم /١٤٨ ، وآدسز برقم / ١٩٥ .

حققها عبد الرزاق فراج الحربى ، ونشرها فى " ملحق التراث " لجريدة " المدينة المنورة " ، العدد / ٧٧٧٥، الخميس ٦ محرم ١٤٠٩ هـ – ١٨ أغسطس ١٩٨٨ م .

٢٢٦ — رسالـــة فـــى الماضـــى (خ)

ذكرها آدسز برقم /١٨٦ ونص على وجود نسخة فى مكتبـــــة
پرتونيـال برقم ٨٩٣ ، فعثرت على نسخة ثانية فى مكتبة آقسَـرَاى
والده جامعى برقم ٨٢٣ ، وبعنوان " رسالة فى النحو فى مبحـــث
الماضى " .

٢٢٧ — رسالة فى مباحث الاســم (ف)

انفرد بذكرها جميل بك فى عقود الجوهر (٢٢٤/١) .

٢٢٨ — رسالة فى نسبة الجمـع (خ)

وهى غير " رسالة فى بيـان الجمع "
ذكرها ابن كمال باشا نفسه فى"حاشيته على الكشاف"، (ق /
١٧٢ أ ، بالمكتبة المركزية بالجامعة / ٣٧٧ خ) .
وذكرها جميل بك (٢٢٣/١) ، وبروكلمان برقم/ ١١٠، وآدسز
برقم ١٨٨ مع ذكر (٣٤) نسخة باستانبول .
منها : عاشر افندى ٤٥٩ ، عاطف أفندى ٢٨٠٢ ، ٢٨١٦ ،
آياصوفيا ٤٧٩٤ ، أسعد آفندى ٣٥٤٦ ، ٣٧٣٤ ، ٣٧٩٢، فاتح ٥٣٤٠ .

٢٢٩ — ريحان الأرواح فى شرح المراح (تركـى)

انفرد بذكرها بهذا العنوان البغدادى فى هدية العارفيــــن
(١٤١/١) ، مع انه ذكر كتاب "الفلاح فى شرح المراح " أيضا (١٤٢/١).
وفى مكتبة يحيى توفيق كتاب بهذا العنوان برقم $\frac{١٧١١}{٤١١}$
(تركية) .

٢٣٠ ـ صرف كمال باشا زاده (خ)

لم يذكره أحد من المترجمين له .

وقد عثر الاخ الدكتور مصطفى قيليچلى على نسخة خطية في مكتبة جامعة آتاتورك في أرضروم برقم ٢٣٠ (جناح آوزآجه)، وكان يلازم تحقيقه ودراسته ، وذلك في عام ١٤٠٩ هـ .

٢٣١ ـ الفلاح شرح المراح (ط)

ذكره البغدادى في الهدية (١٤٢/١) ، وجميل بك (٢٢٥/١) ، وسركيس في معجم المطبوعات (٢٢٨/١) ، وبروكلمان برقم /١٤،وآدسز برقم /١٨١ مع ذكر (٦) نسخ خطية .

وطبع الكتاب عدة طبعات :

١ ـ بالمطبعة العامرة ، استانبول ١٢٨٩ هـ .

٢ ـ بمطبعة أسعد أفندى ، استانبول ١٢٩٧ هـ .

٣ ـ بمطبعة محمد أسعد أفندى ، استانبول ١٢٩٨ هـ .

٤ ـ بمطبعة قرابت ، استانبول ١٣٠٤ هـ .

٥ ـ بالمطبعة العامرة ، استانبول ، ١٣٠٦ هـ .

٦ ـ بمطبعة مصطفى البابى الحلبى ، القاهرة ١٣٥٦ هـ .

سابعا : البلاغـــــة :

٢٣٢ - تغيير المفتاح للسكاكى (ت ٦٢٦ هـ) (خ)

ذكره حاجى خليفة فى الكشف (١٧٦٦/٢) ، والتميمى فـــى الطبقات (٣٥٦/١) ، والبغدادى فى الهدية (١٤١/١) ، وطاهـــر بك فى المؤلفين العثمانيين (٢٢٣/١) ، وبروكلمان برقم / ١٥٤ ، وآدسز برقم /١٤٠ مع الحاشية له أيضا .

بعض نسخها : عاطف آفندى ٢٣٦٥ (١٧٧ ق) ، داماد ابراهيم/ ٩٨٩ (١٤٥ ق) ، و ٩٩٠ (١٦٢ ق) ، فاتح ٤٦٧١ (٩٤ ق) ، ٤٦٧٢ (١٦٢ ق) .

٢٣٣ - توجيه التشبيه الوارد فى الصلوات الإبراهيمية فى قوله : " كما صليت " (خ)

ذكره جميل بك فى عقود الجوهر (٢١٩/١) .

وقد عثرت على نسخ عديدة منها :

١ - دار الكتب المصرية ضمن مجموعة برقم /٢١٦٠٦ ب (١)

٢ - شهيد على باشا ١٠/٢٨١١ .

٣ - عموجه زاده حسين باشا ٢٣/٤٥١ .

٤ - پرتو باشا ٣/٥٨٢ .

٢٣٤ - حاشيةعلى تغيير المفتاح له (خ)

ذكرها حاجى خليفة فى الكشف (١٧٦٦/٢) وأضاف يقول :

" وتغيير المفتاح له أيضا " ، وآدسز برقم/١٤٠ مع " تغييـــــر

---

(١) فهرس المخطوطات ٤٢٦/١ .

المفتاح". وفى خزانة المدرسة الأمينية نسخة برقم ١٤/٢ (١٤٠ ق) .[(١)]

٢٣٥ - حاشية على أول المفتاح للسكاكى (ت ٦٢٦ هـ) :

ذكرها ابن كمال باشا نفسه فى " رسالة فى تحقيق الخواص والمزايا " (ق / ١٢٤ من برنستون برقم ٢٩٠٤) ، وكذلك حاجى خليفة فى الكشف (١٧٦٦/٢) ، وجميل بك (٢٢٠/١) .. وهل هى" حاشيته على تغيير المفتاح له " ، أم حاشية" أخرى على المفتاح نفسه ؟

٢٣٦ - حاشية على (المصباح) شرح المفتاح للسيد الشريف (خ)

ذكرها كل من ترجم له . وبروكلمان فى تاريخ الادب العربى (٢٥١/٥ الترجمة العربية) ، ود. احمد حسن حامد فى مقدمة أسرار النحو برقم /٢٣ مع أنه ذكر ايضا " حواش على شرح المفتاح للسيد الشريف " برقم /٢٤ ، وذكر لها نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٣٤٩ نحو تيمور ، وللثانية نسخة بدار الكتب نفسها برقم٩٠مجاميع .

وهل هما حاشيتان مستقلتان ، أم اسمان لمسمى واحد ؟

٢٣٧ - رسالة فى أقسام المجاز (خ)

ذكرها ابن كمال نفسه فى"رسالته فى تحقيق الخواص والمزايا" (ق / ١٢٤ من برنستون /٢٩٠٤) ، وكذلك حاجي خليفة فى الكشف (٨٤٧/١) ، وجميل بك (٢٢٣/١) بعنوان " رسالة فى مدار التجوز فى اللفظ " وهو مقتطف من مقدمتها . وبروكلمان برقم /١١٩،وآدسز برقم /١٤٨ مع ذكر (٤١) نسخة لها .

---

(١) فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة فى الموصل (١٢٥/٤) .

نشخها : المحمودية بالمدينة المنورة ٢٥٩٤ ، برنستون ٢٩٠٤ (وعنها ميكروفلم بمركز البحث العلمي بالجامعة برقم ٣٧٧) ، والحرم المكي / ١٥١ .

٢٣٨ - رسالة فى (بحث) الإيجاز والإطناب (خ)

ذكرها آدسز برقم /١٥٤ . توجد منها نسخة خطية فى پرتونيال برقم ١/٩٠١ (١ ب - ٢ ب) أولها : بعد الحمد والصلاة " اعلم ان الإيجاز والاطناب لكونهما نسبتين ؟ لاتسير الكلام الا بتقديم أصل ، وهو انه لايخلو الكلام عن احد امور ثلاثة ... " .

٢٣٩ - رسالة فى البلاغة (خ)

ذكرها آدسز برقم /١٤١ ونص على وجود ثمان نسخ فى استانبول، ومنها نسخة بالمحمودية ايضا برقم ٢٥٩٧ .

وحققها لطفى السيد صالح ضمن " ابن كمال باشا رسائله البلاغية ... " بعنوان " ر . فى المعانى والبيان " .

٢٤٠ - رسالة فى بيان أسلوب الحكيم وتمييزه عن سائر الاساليب (ط)

ذكرها حاجى خليفة فى الكشف (٨٤٦/١) ، وجميل بك (٢١٨/١)، وبروكلمان برقم /١٠١ ، وآدسز برقم /١٤٣ .

وطبعت ضمن " رسائل ابن كمال باشا " باستانبول ١٣١٦ هـ (ص/ ٢٢٠ - ٢٢٦) .

٢٤١ - رسالة فى بيان الحقيقة والمجاز (خ)

ذكرها آدسز برقم /١٤٩ وأشار الى وجود عشرين نسخة فى مكتبات استانبول .

منها : فاتح ٥٣٦٦ ، خسرو باشا ٧٥١ ، مراد ملا ١٨٣٤، وكذلك المحمودية ٢٥٩٧ بالمدينة المنورة (ق ٤٧٩ – ٤٨٣) .

٢٤٢ – رسالة في تحقيق التغليب (ط)

ذكرها ابن كمال باشا نفسه في " حاشيته على حاشية السيد الشريف على الكشاف " (ق / ١٦٧ أ بالمكتبة المركزية بالجامعة برقم ٣٧٧ خ) ، وبروكلمان برقم /١١٤ ، وآدسن برقم /١٨٩ مع النص على وجود (٣٣) نسخة في استانبول .

حققها الدكتور ناصر سعد الرشيد ضمن " رسائل ابن كمال باشا"، وطبعها النادي الادبي بالرياض ، عام ١٤٠١ هـ .

٢٤٣ – رسالة في تحقيق الخواص والمزايا (خ)

ذكرها جميل بك (٢١٩/١) ، وبروكلمان برقم ٧٧ ، وأعاد ذكرها برقم ١٦٨ بعنوان " رسالة في تحقيق الهيئة والمزايا " ظنا منه انهما رسالتان وآدسن برقم /١٤٥ مع الاشارة الى (٤٧) نسخة في استانبول .

منها : عاطف افندي ٢٨١٦ ، آياصوفيا ٤٧٩٧ ، ٤٨٢٠ ،بايزيد / ٨٠٤٦ .

٢٤٤ – رسالة في تحقيق الكناية والاستعارة (خ)

ذكرها بروكلمان برقم /١٢٠ ، وآدسن برقم /١٥٠ وأشار الى وجود (١٢) نسخة في استانبول .

ومنها نسخة : في الحرم المكي الشريف /٣٣/١٥١، حميدية ١٨٦ .

٢٤٥ ـ رسالة فى تحقيق المشاكلة (ط)

ذكرها ابن كمال باشا نفسه فى " تقسيم المجاز " لـه (ق / ٦٦ بالحرم المكى الشريف / ١٥١) ، وحاجى خليفة فى الكشف (٨٩١/١) ، وجميل بك (٢٢٣/١) ، وبروكلمان برقم /١٢١، وآدسز برقم /١٤٤ ٠

طبعت باستانبول ضمن " رسائل ابن كمال باشا " بمطبعة إقدام /١٣١٦ (ص/ ١٠٣ ـ ١١٢) ٠

وطبعت كذلك بتحقيق الدكتور ناصر سعد الرشيد ضمن " رسائل ابن كمال باشا " بالنادى الادبى بالرياض، ١٤٠١ هـ ٠

٢٤٦ ـ رسالة فى تحقيق معنى النظم والصياغة (ط)

ذكرها جميل بك (٢٢٤/١) ، وبروكلمان برقم /١١٢و وآدسز برقم /١٤٦ ونص على وجود (٤٢) نسخة خطية فى استانبول ٠

طبعت بتحقيق الدكتور حامد صادق قنيبى ، ونشرت بمجلة الجامعة الاسلامية ، العددان ٧١ ـ ٧٢ ، رجب ١٤٠٦ ، السنة ١٨ ، (ص/ ١٦٩ ـ ١٩٦) ٠

هذا، وذكر جميل بك (٢١٨/١) رسالة بعنوان " أساس البلاغة وقاعدة الفصاحة " فلا اشك انه هو هذه الرسالة ، اخذ جميل بك عنوانه من المقدمة ، حيث يقول ابن كمال فيها : " اعلم ان اساس البلاغة وقاعدة الفصاحة نظم الكلام ... " ٠

٢٤٧ ـ رسالة فى وجوه الافتنان فى الكلام (ف)

ذكرها ابن كمال باشا نفسه فى " رفع مايتعلق بالضمائر

من الاوهام " (ص ٨٧ ضمن " رسائل ابن كمال باشا " التى حققها د . ناصر سعد الرشيد) .

٢٤٨ – رسالة فى التشبيه وتفصيل أحواله (ف)

ذكرها ابن كمال باشا نفسه فى رسالته " فى تحقيق الخواص والمزايا " (ق / ١٢٣ برنستون ٢٩٠٤ وعنها ميكروفلم بالمركز / ٣٧٧) ، وذكرها أيضا لطفى السيد صالح قنديل فى رسالته فى الماجستير " ابن كمال باشا رسائله البلاغية دراسة وتحقيق " ص ٢٣ – مع تحريف فى العنوان " رسالة فى التنبيه وتفصيل أحواله ".

٢٤٩ – رسالة فى التضمين (خ)

ذكرها ابن كمال باشا نفسه فى "تقسيم المجاز " (ق/٦٦ من الحرم المكى ١٥١) ، وبروكلمان برقم ١٥٠، وآدسز برقم ١٨٥. وأعاد ذكرها برقم /١٩٢ ظنا منه أنهما رسالتان .

اولها : " ... اعلم ان فى لسان العرب توسعات نبهوا عليها أصحاب الادب ، ومن جملتها انهم ينقصون عن معنى اللفظ بتجريده عن بعض مفهومه الوضعى ... " .

وقد وردت عناوين هذه الرسالة مختلفة بعضها عن بعض مثل " التوسعات " كما عند آدسز برقم ١٩٢ ، وكذلك فى مجموعة ببرنستون برقم ٢٩٠٤ ، وغيرها .

كما وردت بالعنوان المذكور هنا ، ولذلك نرى بعض المترجمين لابن كمال باشا من المعاصرين التبس عليهم الامر فذكروها كأنها رسالتان من ناحية ، وجمعوا بينها وبين رسالة له ثانية بعنوان

" رسالة فى التوسع " ظنا منهم انهما رسالة واحدة مع انهمـــا تختلفان ، من ناحية أخرى ، كما فعل الدكتور محمود فجال فـــى مجلة عالم الكتب عند ذكر مؤلفات ابن كمال باشا ، حيث ذكـــر برقم /١١٥ " رسالة فى التضمين " ثم آعاد ذكرها برقم ١٢٥ وعنوان " رسالة فى توسعات نبه عليها أصحاب الادب " مع انهما رسالـــة واحـدة ٠

والأغرب من ذلك مافعله الدكتور مصطفى الشكعة فى كتابـــه " جلال الدين السيوطى ٠٠ "[1] حيث نسب رسالة التضمين لابن كمـال باشا ، الى الامام السيوطى ، وبنى عليها دراسةً ، وفصلا كامـــلا ، مع انه لو أخذ باله قليلا لوصل الى نسبة الرسالة الى ابن كمال، لان فيها إشارات الى ذلك ٠٠٠

٢٥٠ – رسالة فى تلوين الخطاب (خ)

ذكرها جميل بك (١/٢٢٣) ، وأعاد ذكرها فى (١/٢٢٤) بعنوان " رسالة فىالالتفات "[2] وبعنوان " الرسالة الخطابية " فـــى (١/٢٢٤) مع ان هذه العناوين الثلاثة عبارة عن رسالة واحـــدة، ذكرت بعناوين مختلفة ، وذكر كذلك بروكلمان برقم /٧٩وبعنـــوان " رسالة فى تلوين الخطاب " ، واعاد برقم ١٦٦وبعنوان " رسالـــة فى بيان الالتفات وسائر شعب تلوين الخطاب " ، وآدسز برقم/١٤٢ ٠ مع ذكر (٢٨) نسخة لها ٠

---

(١) انظر "جلال الدين السيوطى ، مسيرته العلميةومباحثه اللغوية" ص ٢٤٧ – ٢٥٨٠

(٢) كما وردت بهذاالعنوان فى فاتح ٧/٥٣٨١، وشهيد على پاشا/٢٧٣٧، وعاشر افندى / ١١٩٧٠

فرفعا لهذا الالتباس أذكر أولها : " الحمد لله الذى أنزل الكتاب تبيانا ، وجعل الخطاب الوانا .. فهذه رسالة فى بيان تلوين الخطاب ، وتفصيل شعبه التى منها الالتفات ..." .

٢٥١ - رسالة فى تقسيم (=أقسام) الاستعارة (خ)

ذكرها ابن كمال باشا نفسه فى " رسالة فى تقسيم المجاز " (ق / ٦٦ الحرم المكى / ١٥١) ، وآدسز برقم ١٥١ ونص على وجود نسختين منها فى پرتونيال برقم ٨٩٣ ، وسَرَزْ برقم /٣٨٨٠ ، ثم عثرت أنا على نسخة ثالثة فى پرتونيال برقم ٧/٩٠١ .

٢٥٢ - رسالة فى التوسع فى كلام العرب (ط)

ذكرها جميل بك (٢٢٣/١) ، وبروكلمان برقم /١١٣ ،وآدسز برقم ١٩١ . وهى غير رسالة " رسالة فى التضمين = أو رسالة التوسعات فى لسان العرب " التى مر ذكرها .. وللتفرقة بينهما اذكر اولها : " اعلم ان التوسع شائع فى لغة العرب ، وهو على أنحاء ، منها : اجراء الاسم مجرى الصفة ... " .

طبعت مرتين ، الاولى : ضمن " رسائل ابن كمال باشا " باستانبول ١٣١٦ هـ (ص/ ٢٠١ - ٢٠٧) .

والثانية : بتحقيق د. ناصر سعد الرشيد ، ضمن " رسائل ابن كمال باشا " النادى الادبى بالرياض ، ١٤٠١ هـ .

٢٥٣ - رسالة فى عقود الفرائد (خ)

ذكرها آدسز برقم ١٥٦ وأشار الى نسختين منها : الاولى :

بحكيم اوغلى على باشا برقم ٩٣٧ (فى السليمانية) ، والثانية فى نور عثمانية برقم ٤٩٠٩ • وهناك نسخة ثالثة فى مكتبة جون رايلاند بعنوان " ر• فى بيان الاستعارات " •

أولها : " •••• أما بعد : فان معانى الاستعارات ومايتعلق بها قد ذكرت ••• " •

٢٥٤ — رسالة فى علم البيان (خ)

ذكرها آدسز برقم ١٥٣ مع الاشارة الى ثلاث نسخ منها : حالت أفندى /٤٠ ، مراد ملا /١٨٣٤ ، روان كشك /٢٠٢٢ •

اولها : " الفصل الثانى فى علم البيان •••"وهل هى حاشية على المفتاح ؟

٢٥٥ — رسالة فى المجاز والاستعارة (خ)

انفرد بذكرها بهذا العنوان جميل بك (٢٢٣/١) مع انه ذكر رسالة أخرى (١ / ٢٢٤) بعنوان " رسالة فى المجاز " •

وتوجد نسخة خطية فى مكتبة آقسراى والده جامعى ضمن مجموعة برقم /٨٠٧ •

٢٥٦ — رسالة فى المزاوجة (ف)

انفرد بذكرها جميل بك (٢٢٣/١) ، وهل هى " رسالة فى المشاكلة " ، أم " رسالة فى ولاية التزوج بغير على صلاح ؟" التى ذكرها بروكلمان برقم ١٤٣ ، أم رسالة اخرى مستقلة عنهما ؟

٢٥٧ — رسالة فى المعانى والبيان (خ)

ذكرها بروكلمان برقم ١٧٦ ، وآدسز برقم /١٥٢ ونص على وجود نسخة بكوبريلى ١٥٨٠ ، واخرى فى روان كشك ٢٠٢٢ .

٢٥٨ — رسالة فيما يعتبر عند صاحب علم المعانى (ف)

انفرد بذكرها جميل بك فى عقود الجوهر (٢٢٤/١) .

٢٥٩ — شرح تغيير المفتاح له (خ)

ذكره التميمى فى الطبقات (٣٥٦/١) ، وحاجى خليفة فى الكشف (١٧٦٦/٢) فقال : " ثم ان ابن كمال باشا غير عبارة المفتاح وشرحه ، ولم يكمله ، وسماه تغيير المفتاح ، وكتب على شرحه حاشية ، وله شرح على المفتاح بقال ، أقول ، وحاشية على شرح السيد الشريف " اهـ .

وذكره ايضا آدسز برقم /١٤٠ ونص على وجود نسخ فى استانبول ، وذكر نسخه مع نسخ الشرح والحاشية .

هذا ، وقد حقق الاستاذ لطفى السيد صالح قنديل رسائل ابن كمال باشا البلاغية فى رسالته فى الماجستير بعنوان " ابن كمال باشا رسائله البلاغية دراسة وتحقيق " بجامعة الازهر ، كلية اللغة العربية ، ورقمها بالكلية ١٠٠٠ — ١٠٠٤ .

أذكر هنا الرسائل التى حققها للفائدة :

١ — رسالة فى معنى النظم والصياغة .

٢ — " " الخواص والمزايا .

٣ - رسالة فى أنصاحب علم المعانى يشارك اللغوى .

٤ - " " رفع مايتعلق بالضمائر من الأوهام .

٥ - " " الإلتفات وتلوين الخطاب .

٦ - " " أسلوب الحكيم .

٧ - " " إعجاز القرآن .

٨ - " " تقسيم المجاز .

٩ - " " وضع اللفظ لمعنى مقيد .

١٠ - " " تحقيق التغليب .

١١ - " " التضمين .

١٢ - " " التوسعات .

١٣ - " " المعانى والبيان .

١٤ - " " أسلوب المشاكلة .

وكذلك حقق الاستاذ عبد الحافظ محمد عبد الحافظ حامد جزءاً من تفسيره مع دراسة بلاغية عنه فى رسالته فى الماجستير بعنوان " المسائل البلاغية فى الربع الثالث من تفسير ابن كمال باشا ، دراسة وتحقيق من سورة مريم الى آخر سورة النور " فى جامعة الازهر ، كلية اللغة العربية ، ورقم رسالته بالكلية ١٢٧٩ - ١٢٨١ .

ثامنــا : الأدب :

٢٦٠ - إظهار الأزهار على أشجار الأشعار (فى الادب) (خ)

ذكره بهذا العنوان جميل بك (٢١٨/١) ، وذكره البغــــدادى فى الهدية (١٤١/١) وإيضاح المنكون (٩٦/١) مع تصحيف العنـــــوان الى " إظهار الاظهار على أشجار الأشعار ، فى الادب " .

ومنه نسختان فى استانبول عثرت عليهما ، الاولى فـــــــى آياصوفيا برقم ٣٧٨١ (ق ١ - ٢٢) ، والثانية فى خربوت فـــــى السليمانية برقم ٢/٢٤٣ .

٢٦١ - الأمثال المنظومــة (تركية) (خ)

ذكرها آدسز برقم /١٨ ، مع ذكر نسخة لها فى مكتبة رئيـــس الكتاب برقم ١١٩٩ (٥٩ ب - ٦١ أ) عبارة عن ٥٤ بيتا ..

٢٦٢ - تخميس على قصيدة ابن الفارض الخمرية (خ)

لم يذكره احد من المترجمين له .

وقد عثرت على أربع نسخ فى مكتبات العالم :

١ - برلين برقم ٨٢٦١ (٢٩ أ - ٣٦ ب) .

٢ - خزانة داود جلبى ٩/٢٢ مجاميع (١) .

٣ - المدرسة الرضوانية ١٨/٥٣ مجاميع (٢) .

---

(١) فهرس الخزانة المذكورة ٢٢٧/٦.

(٢) " المدرسة الرضوانية ١٢٨/٨ .

٤ – وذكرت نسخة* أخرى فى فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة فى الموصل ٩٩/٥ .

أولها : " سمونا على عز الملوك شهامة وحضرتنا بالله أخصت مدامة " .

٢٦٣ – ترجمة "قصيدة البردة " للبوصيرى نظما (تركية) (خ)

ذكرها آدسز برقم /٣ ، مع الاشارة نسختين منها :

١ – عاشر أفندى برقم ٣٠١ (٨٧ ق) مع ترجمات أخرى لها ..

٢ – پرتو باشا برقم ٢٩٩ (٨٢ ق) مع ترجمات سبع للقصيدة ..

٢٦٤ – ترجمة " القصيدة الطنطرانية " نظما (تركية) (خ)

ذكرها آدسز برقم ٢ مع ذكر نسخة لها فى مكتبة على أميرى (ضمن فيض الله أفندى) برقم / ٤٣٦٩ (العربية) (١١٨ ب – ١٢١ب).

وقد عثرت على نسخة ثانية فى مكتبة مصلى مدرسه سى فى السليمانية برقم / ٧/٢٠٣٠ (١٥٨ – ١٦١) .

٢٦٥ – ديوان أشعار (تركية) (ط)

ذكره قنالى زاده حسن جلبى فى تذكرة الشعراء ١٢٦/١ ، وطاهر بك فى المؤلفين العثمانيين (٢٢٣/١) ، وآدسز برقم /٢ .

وطبع بمطبعة إقدام ، استانبول ، ١٣١٣ هـ .

٢٦٦ – الرسالة القافيــة (تركية) (خ)

ذكرها حاجى خليفة فى الكشف (٨٨١/١) وقال : واسمها تاريخ للتأليف ، ٩١٨ هـ " ، وجميل بك (٢٢٤/١) ، وطاهر بك (٢٢٣/١) ، وبروكلمان برقم /١٦٠ ، وآدسز برقم /١١ مع ذكر أربع نسخ لها :

حكيم أوغلى على باشا ٩٣٦ ، مراد ملا ١٨٣٤ ، سليمانية ١٠٤٥ ، روان كشك ٢٠٣٢ ، وخامسة كذلك بمراد ملا /١٨٣١ .

٢٦٧ ـ رسالة فى شرح يك بيت حافظ الشيرازى ت (٧٩١ هـ)

* پير ماكفت خطابرقلم صنع نرفت

آخرين برنظر باك خطا بوشس باد " (فارسية)

ذكرها ابن كمال باشا نفسه فى رسالته " فى بيان سر عدم نسبة الشر الى الله تعالى " ص ١٢٩ (ضمن رسائل ابن كمال باشا المطبوعة باستانبول) .

وذكرها أيضا آدسز برقم ٢٤ ونص على وجود خمس نسخ خطية : حاجى محمود افندى ١٣٦٦ ، مراد ملا ١٨٣٤ ، روان ٢٠٢٢ .

٢٦٨ ـ رسالة فى الصنائع الشعرية (ف)

انفرد بذكرها جميل بك (٢٢٤/١) .

٢٦٩ ـ رسالة فى العلوم (الفنون) السبعة (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢٣/١) ، وآدسز برقم ١٥٨ ، ومنها نسخة فى أسعد أفندى برقم ٣٦٤٦ (١٦٧ ب ـ ١٦٨ ب) .

٢٧٠ ـ شرح قصيدة ابن الفارض الخمرية (خ)

ذكره حاجى خليفة فى الكشف (١٣٣٨/١) ، وجميل بك (٢٢٤/١) ، والبغدادى فى الهدية (١٤١/١) ، وبروكلمان برقم/٩٢ ، وآدسز برقم/١٦٠ وذكر لها خمسين نسخة خطية فى استانبول .

ومنها نسخة فى الحرم المكى الشريف ضمن مجموعة برقم ١٥١ ، وفى المحمودية برقم ٢٥٩٧ مجاميع .

٢٧١ - شرح الكواكب الدرية فى مدح خير البرية (خ)

(المعروفة بالبردة للامام البوصيرى)

ذكره جميل بك بعنوان " شرح البردة " .

ومنها نسخة فى دار الكتب المصرية برقم ١٣٨١٦ ز (٢٧ ق) وأخرى بحاجى محمود افندى باستانبول برقم ٣٧٠٩ (٤٠ ق) .

٢٧٢ - شرح مرثية آدم عليه السلام لابنه (ط)

ذكره حاجى خليفة فى الكشف (٨٨٩/١) ، وجميل بك (٢٢٤/١) ، وبروكلمان برقم ١٣٨ ، وآدمز برقم /١٦١ .

طبع باستانبول ضمن " رسائل ابن كمال باشا " بعنوان : " رسالة فى فوائد متفرقة " (ص ٢١٧ - ٢١٩) .

وطبع كذلك بتحقيق د. رشيد عبد الرحمن العبيدى فى مجلة البلاغ ، بغداد ، عدد ٥ - ٦ ، سنة ٥ .

٢٧٣ - شرح يك رباعىء أبو سعيد بن أبى الخير (فارسى) (خ)

ذكره آدمز برقم /٢٣ ونص على وجود نسخة بجامعة استانبول برقم ٦٤٠٩ (العربية) (١٧٠ ب - ١٧٣ ب) .

٢٧٤ - قصة يوسف وزليخا (منظومة تركية) (خ)

ذكرها قنالى زاده فى تذكرة الشعراء (١٢٦/١) ، والبغدادى فى الهدية (١٤٢/١) ، وجميل بك (٢٢٥/١) ،وطاهر بك (٢٢٩/١) ، وآدمز برقم /٤ ونص على وجود أربع نسخ فى استانبول ، وهى عبارة عن ٧٧٧٧ بيتا .

٢٧٥ – نكارستان (باللغة الفارسية على طرز الكلستان للشيخ (خ)
سعدى الشيرازى)

ذكره فى الشقائق ، وكتائب أعلام الأخيار ، والطبقات السنية ، وهدية العارفين ، وعقود الجوهر ، والمؤلفين العثمانيين وذكره كذلك آدسز برقم ٢٠ مع الاشارة الى وجود ثمان نسخ في استانبول .

ترجمه الى التركية شيخ الاسلام يحيى أفندى بأمر من السلطان أحمد الثالث .

وشرحه محمد وسيم بعنوان " نقش دلستان در شرح نكارستان " باللغة التركية .

تاسعا : الفلسفة والمنطق :

٢٧٦ – حاشية على (أوائل) شرح الإشارات للطوسى (خ)

ذكرها حاجى خليفة فى الكشف (٩٥/١) ، وجميل بك (٢٢٠/١) ، والبستانى فى دائرة المعارف (٤٨٢/٣) ، وآدسز برقم ١٦٢ مع الاشارة الى وجود نسخة فى فاتح ٣٠٢٧ (٧٢ ب – ١١٤ ب) .

٢٧٧ – حاشية على تهافت الفلاسفة لخواجه زاده (١) (خ)

ذكرها ابن كمال باشا نفسه فى رسالته " حشر الاجساد "

---

(١) هو المولى مصلح الدين مصطفى بن يوسف بن صالح البروسوى (ت ٨٩٣ هـ) ترجمته فى الشقائق النعمانية ٧٦ – ٨٤ .

(ق / ١٢٠ من الحرم المكى / ١٥١) ، و " الوجود الذهنى "
(ق /١٨٣ أ من المحمودية ٢٥٩٧) ، وذكر أيضا طاشكبرى زاده ،
والتميمى ، وحاجى خليفة فى الكشف (٥١٣/١) ، والكفوى ،واللكنوى ،
والبغدادى فى الهدية و (١٤١/١) بعنوان " تعليقة على التهافت
لخواجه زاده " ، وبروكلمان برقم ٩٤ وأعادها برقم ١٦١ ، وآدسز
برقم ٩٣ مع ذكر (٩) نسخ لها .

٢٧٨ - حاشية على شرح الجغمينى لسنان باشا (ف)

ذكرها الكفوى فى أعلام الاخيار (٣٨٢) ، واللكنوى فى الفوائد البهية ص ٢٢ .

٢٧٩ - حاشية على شرح الرسالة الشمسية لمولانا قطب الدين الرازى (ف)

ذكرها ابن كمال باشا نفسه فى " حاشيته على شرح طوالع الاصفهانى " (ق / ١٦ أ بمكتبة جار الله أفندى برقم /١١٦٩) .

٢٨٠ - حاشية على شرح طوالع الانوار للاصفهانى (ت ٧٤٩ هـ) (خ)

لم يذكرها احد من المترجمين له .

وفى مكتبة جار الله أفندى فى السليمانية نسخة برقم ١١٦٩ (١ ب - ٨٨ أ) .

٢٨١ - حاشية على حاشية لوامع الاسرار للسيد الشريف شرح مطالع الانوار (فى الحكمة) للأرموى ، محمود بن أبى بكر (ت ٦٨٢ هـ) ،(ولوامع الاسرار للقطب الرازى ت ٧٦٦ هـ) .

ذكرها فى الكشف (١٧١٦/١) ، والهدية (١٤١/١) ، وكذلك

آدسز برقم ١٦٣ مع الاشارة الى نسخة فى لا له لى برقم ٣٦٩٨ (٦٣أ- ٩٦ ب) .

وعنها نسخة ثانية فى المحمودية بالمدينة المنورة برقم/ ٢٥٩٧ مجاميع .

٢٨٢ - حاشية على المحاكمات لقطب الدين الرازى (ت ٧٦٦ هـ) (خ)

وهى محاكمة بين شارحى " الإشارات " ، الرازى ،والطوسى .

ذكرها حاجى خليفة فى الكشف (١/ ٩٥) ،وجميل بك (١/ ٢٢٠) ، وبروكلمان برقم /١٦٢ .

٢٨٣ - رسالة در منطق (فارسية) (خ)

ذكرها آدسز برقم /٢٢ مع الاشارة الى وجود نسخة فى حاجى بشير آغا فى السليمانية برقم /٦٥٦ (٣٤ آ - ب) .

٢٨٤ - رسالة طلسم (تركية) (خ)

ذكرها آدسز برقم /١٤ وذكر لها خمس نسخ خطية مع الاشارة الى أنه كتب بأمر من السلطان سليم الاول . بعض نسخها :

أسعد أفندى برقم ٣٧٨٢ ، حاجى محمود أفندى ٥٥٨٤، رئيس الكتاب /١١٩٩ .

٢٨٥ - رسالة العناصر (خ)

لم يذكرها أحد من المترجمين له .

وتوجد نسخة خطية بمكتبة قيليج على باشا برقم ١٠٢٨/٥٠ (٢٧٩ أ - ٢٨٠ أ) .

٢٨٦ – رسالة فى آداب البحث (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢٤/١) ، وبروكلمان برقم /٦٣ ، وآدسز برقم ١٦٤ مع الاشارة الى وجود (١٨) نسخة فى استانبول .

اولها : " الحمد لمن حفظ المؤمنين من الخطأ والخلل..."

ومنها نسخة فى الحرم المكى الشريف ضمن مجموعة برقم /١٥١ .

٢٨٧ – رسالة فى آداب البحث (= تلخيص الآداب) (خ)

ذكرها حاجى خليفة فى الكشف (٤١/١) ، والبغدادى فى الهدية (١٤١/١) بعنوان : " الآداب " .

وآدسز برقم ١٦٥ مع ذكر (١٧) نسخة لها .

أولها : " الحمد لوليه والصلاة على نبيه وآله العظام ، وأصحابه الكرام ، وبعد : فان آداب البحث علم باحث عن أحوال المتخاصمين ... " .

وفى مركز البحث بالجامعة نسخة عنها تحت رقم ٣٧٧مجاميع .

٢٨٨ – رسالة فى إثبات الواجب (خ)

لم يذكرها أحد ممن ترجم لابن كمال باشا .

وعنها نسخة فى قيليج على باشا برقم ١/٥٦٨ ، أشك فى نسبتها الى ابن كمال .

٢٨٩ – رسالة فى أن أزلية الإمكان هل يستلزم إمكان الازلية أم لا ؟ (خ)

ذكرها ابن كمال باشا نفسه فى " حشر الاجساد " (ق/ ١٢٠ من الحرم المكى / ١٥١) . وذكرها بروكلمان برقم/٧٠ مع ذكر نسخة لها فى مكتبة ليدن برقم /١٥٩٤ .

٢٩٠ ـ رسالة فى أن العلم تابع للمعلوم (خ)

ذكرها حاجى خليفة بهذا العنوان فى الكشف (٨٧٨/١) .

٢٩١ ـ رسالة فى أن مايصدر عنه تعالى إنما يصدر بالقدرة والاختيار (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢١/١) ، وبركلمان برقم /٨٤ ، وآدسز برقم ١٠٥ مع ذكر (٣١) نسخة لها . وذكرها د. أحمد حسن حامد فى مقدمة اسرار النحو لابن كمال برقم ٥٣ وبعنوان " ر. فى أن صانع العالم مختار " ، وكذلك د. فجال فى مقال له فى مجلة عالم الكتب برقم ٦٠ ، وبرقم ٨٥ وعنوان " رسالة فى القدرة والاختيار " ، وكذلك برقم ٨٤ وعنوان " ر. فى تحقيق ان مايصدر بالقدرة والاختيار لا بالكره والاضطرار" مع انهما رسالة واحدة ، واسمين لمسمى واحد.

وعنها نسخة بالمحمودية بالمدينة ٢٥٩٧ مجاميع ، وبمركز البحث العلمى ميكروفلم (عن نسخة ببرنستون ٢٩٠٤) برقم /٣٧٧ .

٢٩٢ ـ رسالة فى انه هل يجوز تاثير الوجودى فى العدم ام لا ؟ (ف)

ذكرها ابن كمال باشا نفسه فى رسالته فى " تحقيق ان الممكن لايكون احد الطرفين أولى به من نفسه " (ق / ٧٥ب من المحمودية برقم / ٢٥٩٧) .

٢٩٣ ـ رسالة فى بيان حقيقة النفس والروح (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢٣/١) بعنوان " رسالة فى النفس " . وآدسز برقم / ١٢٥ ، وأشار الى وجود خمس نسخ لها: أسعد افندى ٢٥٢٣ نسختها بيدى ، ٣٦٣٢ ، وحفيد أفندى ٤٥٢ ، وحسن حسنى باشا ٥٠٩ .

اولها بعد الحمد لة والصلولة " ... فهذه رسالة رتبناها فى حقيقة النفس والروح ، هل هما شىء واحد ، او شيئان ؟ .... " .

٢٩٤ ـ رسالة فى بيان الروح والجسد (خ)

وهى الرسالة الثانية لابن كمال فى الروح ٠

أولها : " ٠٠٠ فهذه رسالة فى بيان الروح ، ان الروح الانسانية افضل الخلق ، لانظير لها ، ولا مثل لها فى عالم الملكوت والجبروت ٠٠٠ " ٠

ذكرها جميل بك (٢٢٣/١) ، وآدسز برقم /١٢١ مع ذكر ثلاث نسخ خطية لها ٠

١ ـ فاتح ٥٣٣٧ (٧١ب ـ ٧٣أ) ، وعندى عنها صورة ،

٢ ـ حاجى محمود أفندى برقم ١٩٩٦ (٧١ب ـ ٧٣ ب) ،

٣ ـ عاشر أفندى ٤٤١ (٢١ب ـ ٢٣ب) ٠

٢٩٥ ـ رسالة فى بيان العقل (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢٢/١) ، وبروكلمان برقم / ٦٥ ، وآدسز برقم / ١٠٠ ، وذكر لها (٢٥) نسخة فى استانبول ٠

ومنها نسخة بالمحمودية برقم ٢٥٩٧ ٠

هذا ، وذكر د٠ محمود فجال هذه الرسالة فى مقال له فى مجلة عالم الكتب برقم ٧٧ وبالعنوان المذكور هنا ، وأخرى برقم ١٣ وبعنوان " تحقيق العقل لمفخر أرباب الفضل " مع أنهما رسالة واحدة ٠

٢٩٦ ـ رسالة فى بيان معنى الجعل وأن نفس الماهية مجعولة (خ)

ذكرها حاجى خليفة فى كشف الظنون (٨٨٨/١) بعنوان "رسالة فى الماهية ومجعوليتها " وجميل بك (٢٢١/١) ، وبروكلمان برقم / ٦١ ، وآدسز برقم / ٩٤ مع ذكر (٢٥) نسخة باستانبول ٠

منها نسخة المؤلف بجامعة استانبول ١٥٨٩ (عربية) ٠٠٠

٢٩٧ ـ رسالة فى تحقيق أن التعلق للغير فيم ، وأن الحاجة اليه بم ؟ (خ)

ذكرها ابن كمال باشا نفسه فى رسالته " فى تحقيق هل يجوز ان يستند القديم الممكن الى المؤثر أم لا ؟ " (ق / ٦٢ أ من المحمودية برقم ٢٥٩٧) .

ومنها نسخة فى نفس المجموعة (ق ٣٣٧ ـ ٣٤٦) .

٢٩٨ ـ رسالة فى تحقيق أن الممكن لايكون أحد الطرفين أولى به من نفسه. (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢١/١) ، وبروكلمان برقم / ٧٢ ، وآدسز برقم /٩٨ مع ذكر (١٨) نسخة لها فى استانبول .

ومنها نسخة بالمحمودية ٢٥٩٧ مجاميع ، وعاطف افندى / ٢٨١٦ .

٢٩٩ ـ رسالة فى تحقيق التصور والتصديق (ف)

انفرد بذكرها جميل بك فى عقود الجوهر (٢٢٤/١) .

٣٠٠ ـ رسالة فى تحقيق التمثل والنفس الناطقة (ط)

ذكرها جميل بك (٢١٩/١) و (٢٢١/١) ، وبروكلمان برقم /١٧٤، وآدسز برقم / ١٠٩ .

طبعت ضمن " رسائل ابن كمال باشا " استانبول ، ١٣١٦ هـ (ص ٣٩٠ ـ ٣٩٢) .

٣٠١ ـ رسالة فى تحقيق زيادة الوجود على الماهية (خ)

ذكرها بروكلمان برقم /٢٢ ، وآدسز برقم ٩٧ مع الاشارة الى (٩) نسخ خطية لها .

ومنها نسخة فى المحمودية ضمن مجموعة برقم / ٢٥٩٧ .

٣٠٢ ـ رسالة فى تحقيق مراد القائلين بأن الواجب موجب بالذات (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢١/١) ، وآدسز برقم ١٠١ مع ذكر (٢٩) نسخة لها فى استانبول . ومنها نسخة فى المحمودية برقم ٢٥٩٧ ، وعندى عنها صورة .

٣٠٣ ـ رسالة فى معنى الايس والليس (خ)

ذكرها ابن كمال باشا نفسه " فى تحقيق زيادة الوجود على الماهية " (ق / ٤٦٠أ ضمن المحمودية برقم ٢٥٩٧) ، وذكرها جميل بك عدة مرات بعناوين مختلفة :

١ ـ ذكرها (١/٢٢٤) بالعنوان المذكور هنا ٠

٢ ـ وذكرها (١/٢٢٤) بعنوان " ر ٠ فى معنى أيس وليس " ٠

٣ ـ وذكرها (١/٢٢٣) بعنوان " ر٠ فى تحقيق ليس " ٠

فجعل منها ثلاث رسائل وهماً ، مع انها رسالة واحدة ٠

وذكرها أيضا حاجى خليفة فى الكشف (١/٨٤٩) ، وبروكلمان برقم ٩٣ ، وآدسز برقم ١١٣ مع الاشارة الى (٥٩) نسخة فى استانبول ٠

منها نسخة بخط المؤلف بجامعة استانبول برقم ١٥٨٩ (عربية)،وبالمحمودية ٢٥٩٧ ٠

٣٠٤ ـ رسالة فى تحقيق مقال القائلين بالحال من أصحابنا وأصحاب الاعتزال = رسالة الحال (خ)

ذكرها حاجى خليفة فى الكشف (١/٨٦٠) بعنوان " رسالة فى الحال " ، وذكرها جميل بك (١/٢٢١) ، والبغدادى فى الهدية (١/١٤١) ، وبروكلمان برقم ٦٩ ، وذكر قبل ذلك برقم ٦٨ وعنوان " ر ٠ فى تحقيق الحال " مع انهما لمسمى واحد ، وآدسز برقم ١١٨ مع ذكر (٤١) نسخة لها ٠

منها نسخة بخط المؤلف بجامعة استانبول ١٥٨٩ ، وكذلك برقم ١٥١١ ، ١٥٧٣ ، ٣٨١٣ (عربية) ٠

٣٠٥ ـ رسالة فى بيان معنى الحمل ؟ وتحقيق نفس الامر (خ)

انفرد بذكرها بهذا العنوان بروكلمان برقم /١٥٨ ، وذكر لها نسخة فى مكتبة كليس بتركيا برقم ٢٠/١٠٢٨ ٠

وهناك نسخة ثانية بهذا العنوان فى مكتبة أسعد افندى برقم ٧/٣٧٤١ ٠

ويبدو لى ان هذه الرسالة هى " رسالته فى بيان معنى الجعل وأن نفس الماهية مجعولة " ، وليست رسالة مستقلة ٠٠ مع ذلك فالامر بحاجة الى مقابلة أصول الرسالتين بعضها ببعض ، ولم يتيسر لى ذلك ٠

٣٠٦ ـ رسالة فى تحقيق نوعى الحصول ما على سبيل التدريج وما لا على سبيل التدريج (فى الحكمة) (خ)

اشار اليها ابن كمال نفسه فى " رسالة فى تحقيق لزوم الامكان للممكن " (ق / ٦٩ ب من المحمودية برقم ٢٥٩٧) ، مع الاحالة اليها ٠

وذكرها بروكلمان برقم ٥٤ ، وآدسز برقم /١١٦ مع الاشارة الى (٨) نسخ ٠

منها : عاشر افندى ٤٥٩ ، عاطف افندى ٢٨١٦ ، مراد ملا ١٨٣٤ ، سليمانية ١٠٤٥ ، شهيد على باشا / ١٤٥٥ ٠

٣٠٧ ـ رسالة فى تحقيق هل يجوز ان يستند القديم الممكن الى المؤثر أم لا ؟ (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢١/١) ، وبروكلمان برقم /٧٣ ، وآدسز برقم / ١٠٧ مع ذكر (١٧) نسخة لها ٠

منها : عاطف افندى ٢٨١٦ ، آياصوفيا / ٤٧٩٤ ، ٤٧٩٧ ٠

٣٠٨ ـ رسالة فى تحقيق وجوب الواجب (خ)

الفها ابن كمال باشا سنة ٩٢٩ هـ كما وردت فى نهاية نسخة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ١٥/٢٧١ مجاميع ٠

ذكرها جميل بك (٢٢١/١) ، وبروكلمان برقم /٨٧ مع تحريف فى العنوان الى " رسالة فى وجود الواجب " ، وآدسز برقم ١٠٢ مع ذكر (١٧) نسخة لها ٠
ومنها نسخة بالمحمودية برقم / ٢٥٩٧ .

٣٠٩ ـ رسالة فى تحقيق الوجود الذهنى (خ)

ذكرها ابن كمال باشا نفسه فى " رسالة فى تحقيق زيادة الوجود على الماهية " (ق / ٤٦٦ ضمن المحمودية برقم ٢٥٩٧) ٠

وذكرها بروكلمان برقم ٩٠/ ، وآدسز برقم ٩١ مع الاشارة الى وجود (١٣) نسخة في استانبول ٠

منها : عاطف أفندى ٢٨١٦ ، آياصوفيا ٤٧٩٧ ، ٤٨٢٠ ، أسعد أفندى ٣٦٦٢ ، مراد ملا ١٨٣١ ، ولى الدين أفندى ٣٧٢١ ٠

٣١٠ ـ رسالة فى ترتيب الأثر على المؤثر (ف)

انفرد بذكرها جميل بك فى عقود الجوهر (٢٢٢/١) ٠

٣١١ ـ رسالة فى تقدم العلة التامة على المعلول (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢١/١) ، وبروكلمان برقم ٨٩/ بعنوان " رسالة تقديم العلة التامة " ، وبرقم ٨٨ بعنوان " ر ٠ فى تحقيق العلة والمعلول " ظنا منه انهما رسالتان ، مع انهما رسالة واحدة ٠

وكذلك آدسز برقم ٩٩ مع ذكر (١٥) نسخة لها ٠

منها نسخة بالمحمودية ٢٥٩٧ مجاميع ، وعاطف أفندى ٢٨١٦ ٠

٣١٢ ـ رسالة فى تلخيص الآداب (خ)

ذكرها آدسز برقم ١٦٨ مع ذكر نسخة فى مكتبة سَرَزْ برقم ٣٨٤٩ (١٨٨ أ) ٠

وهى الرسالة الثالثة لابن كمال فى آداب البحث ٠

أولها : " الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله اجمعين ٠ اعلم ان طريق السائل فى المناظرة مسموعة عند المحققين ٠٠٠ " ٠

٣١٣ ـ رسالة فى حقيقة الزمان (خ)

لم يذكرها أحد ممن ترجم لابن كمال ٠

ومنها نسخة فى رشيد أفندى برقم ٢٥/١٠٣٢ ٠

٣١٤ ـ رسالة فى حقيقة الطفرة وحقيقة الجسم (خ)

ذكرها حاجى خليفة فى الكشف (٨٥٨/١) بعنوان " رسالة فى الجسم "

وبروكلمان برقم ٥٩ ، وآدسز برقم /١١٩ مع ذكر (٣٨) نسخة لها ٠

منها نسخة فى المحمودية برقم ٢٥٩٧ ، والحرم المكى برقم /١٥١ ٠

٣١٥ـ رسالة فى خلق الأفلاك (خ)

لم يذكرها أحد ممن ترجم لابن الكمال .

ومنها نسخة فى كوبريلى برقم ٢٠/١٠١٤ .

٣١٦ـ رسالة فى علوم الحقائق وحكمة الدقائق (خ)

ذكرها بروكلمان برقم /٦٠ ، ثم أعاد ذكرها برقم ١٦٧ وبعنوان " ر ٠ فى علوم الحقائق " كرسالة ثانية ، مع انهما رسالة واحدة ، وآدسز برقم ١٠٦ مع الاشارة الى وجود (١٩) نسخة باستانبول ٠

منها : عاطف أفندى ٢٨١٦ ، أسعد أفندى ٣٥٨٧ ، ٣٦٤٦ ، حالت أفندى ٨١٠ ، وبرنستون برقم ٢٩٠٤ وعنها ميكروفلم بمركز البحث بالجامعة برقم ٣٧٧ مجاميع ٠

٣١٧ـ رسالة فى لزوم الإمكان للممكن (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢١/١) مع تحريف العنوان الى " ر ٠ فى لزوم الامكان للمكان " ، وبروكلمان برقم ٧١ ، وآدسز برقم /١١٧ مع ذكر (١٧) نسخة لها فى استانبول ٠

منها : عاطف افندى ٢٨١٦ ، آياصوفيا ٤٧٩٧ ، أسعد أفندى ٣٦٦٢ ، أحمد الثالث ١٥٤٥ ٠

٣١٨ـ رسالة فى الماهيات (خ)

ذكرها بهذا العنوان حاجى خليفة فى الكشف (٨٨٨/١) ، وآدسز برقم/١٢٢٠
وذكر جميل بك (٢٢٤/١) بعنوان " رسالة فى أن أرباب الكشف لاينكرون الماهيات " ، كما ذكرها بهذا العنوان بروكلمان برقم ٨٢ ، وهما ـ اى هذين العنوانين ـ لمسمى واحد ٠

ومنها نسخة بمراد ملا ١٨٣٤ ، رشيد أفندى ٤٤٢ ، روان كشك /٢٠٢٢ ٠

٣١٩ ـ رسالة فى المسائل الحكمية (خ)

منها نسخة فى على أميرى (ملت) برقم ٣/١١٩٤ (ق ٢٦ ـ ٢٧) (عربية).

أولها : " مسألة : ان الله تعالى عالم الغيب والسرائر ، فما الحكمة من تسليط الكرام الكاتبين ، جوابها ... " .

٣٢٠ ـ رسالة فى المغالطات المنطقية (خ)

لم يذكرها أحد من المترجمين له .

ومنها نسخة فى المكتبة المركزية بالجامعة / ١٠١٤ خ .

٣٢١ ـ رسالة فى المنطق (خ)

هى الرسالة الرابعة لابن كمال فى المنطق .

ذكرها آدسز برقم /١٦٦ مع ذكر نسخة لها فى مكتبة پرتونيال ٨٩٣ (٣٢أ ـ ب) .

أولها : " اعلم ان هذه فائدة من النظر ، مدارة ... " .

٣٢٢ ـ رسالة فى الناظر فى المرآة (خ)

ذكرها آدسز برقم /٢٠٧ مع ذكر نسخة لها فى جامعة استانبول برقم ٤٧٦٨ (عربية) ، (٧٣أ ـ ٧٢ب) .

اولها : " الحمد لوليه والصلاة على نبيه وعلى آله وصحبه ، وبعد النظر فى المرآة ربما كان متوجها الصورة المرسمة فيها ... " .

٣٢٣ ـ رسالة فى نفس الامر (خ)

ومنها نسخة فى أسعد افندى برقم ٧/٣٧٤١ لم أتمكن من الاطلاع عليها حتى أتبين هل هى رسالة أخرى ، أم هى " ر . فى بيان معنى الجعل وان نفس الماهية مجعولة ، " فالامر مرهون بالاطلاع ومقابلة الاصول .

٣٢٤ ـ رسالة فى الهيكل المحسوس (= الروح) (ط)

وردت هذه الرسالة بعناوين مختلفة ، ظن كثير من المترجمين المعاصرين

لابن كمال باشا انها رسائل مختلفة .

١ - رسالة الروح ، كما فى الكشف (٨٦٩/١) ، وعقود الجوهر ٢٢٢/١ ، وعند بروكلمان برقم / ٦٧ .

٢ - رسالة فى تحقيق الروح الانسانى ، كما فى عقود الجوهر ٢٢١/١ .

٣ - رسالة فى الهيكل الانسانى " " " " ٢٢٢/١ .

٤ - رسالة فى تركيب الجسم الانسانى " " " " ٢٢٢/١ .

٥ - رسالة فى الشخص الانسانى

٦ - الراسلة الطورية ، كما فى عقود الجوهر ٢٢٤/١ .

٧ - وذكرها بروكلمان برقم ٨٠، وآدسز برقم /١١٥ بالعنوان المذكور هنا . كل هذه اسماء مختلفة لمسمى واحد .

طبعت هذه الرسالة ضمن " رسائل ابن كمال باشا " باستانبول ، ١٣١٦ هـ (ص / ٩٧ ـ ١٠١) .

وشرح هذه الرسالة رمضان بن محمد بن سلمان المعروف بعيسى التِيرَوى فى آخر سنة ٩٦٥هـ ، أولها " الحمد لله العلى المتعال ... " [١].

وتوجد منها ترجمة تركية فى مكتبة على أميرى برقم ٢/٤٣٩٤ (عربية) (٤ب - ٧أ) .

٣٢٥ ـ اللطائف الخمس (خ)

لم يذكرها أحد ممن ترجم لابن الكمال .

وعنها نسخة فى المحمودية ضمن مجموعة ٢٥٩٧ (١١١ب - ١١٢أ) وأخرى بمانشستر برقم ٧٩٤ل (١٧ب - ١٨أ) .

---

(١) انظر : كشف الظنون ٨٦٩/١ .

٣٢٦ - رسالة فى ماهية الروح والحياة والنفس والعقل (خ)
وأقسامها وتوابعها

لم يذكرها أحد من المترجمين له .

وفى مدرسة الأحمدية نسخة عنها برقم ٢٤/٧٦ مجاميع (١) ، وهى الرسالة الرابعة من المجموعة .

٣٢٧ - شرح ديباجة تهذيب المنطق والكلام للتفتازانى (خ)

ذكره آدسز برقم ١٢٩ مع ذكر نسخة له فى عاطف أفندى برقم ٢٨١٦ (ق ٢٤٠ - ٢٤٦) .

٣٢٨ - شرح رسالة الآداب لعضد الدين الايجى (خ)

ذكره آدسز برقم ١٦٩ ، وذكر له نسخة فى فاتح ٥٣٤٠ (٢٨ ب - ٣٢ أ) .

وهناك نسخة ثانية فى أوقاف بغداد برقم ٢٨٧٩ ، وعنها ميكروفلم بمركز البحث بالجامعة برقم ٧٦٦ .

أوله : " لك الحمد ، جعل الله ... " .

٣٢٩ - شرح الرسالة القديمة فى إثبات الواجب للدوانى (خ)

ذكره بروكلمان برقم ١٦٣ ، وآدسز برقم ١٢٨ ، وذكر له نسخة فى عاطف أفندى برقم ٢٨١٦ ، وأخرى فى قيليج على باشا/٥٦٨ ، وعندى عنها صورة .

---

(١) فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة فى الموصل ، ٣٣٠/٥ .

٣٣٠ ــ شرح قصيدة ابن سينا فى النفس (خ)

لم يذكره أحد من المترجمين له .

وتوجد نسخة منها فى مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ١٣/٨٨ مجاميع .

٣٣١ ــ شقائق الأكم فى دقائق الحكم (١) (ف)

انفرد بذكره جميل بك فى عقود الجوهر (١/٢٢٤) .

عاشرا : التصوف والأخلاق :

٣٣٢ ــ رسالة فى اصطلاحات الصوفية (خ)

انفرد بذكرها جميل بك فى عقود الجوهر (١/٢٢٢) .

وفى مكتبة پرتونيال نسخة عنها برقم ٢٢/٦١٦ ، ضمن مكتبة السليمانية .

٣٣٣ ــ رسالة فى الباقيات الصالحات (ف)

انفرد بذكرها جميل بك فى عقود الجوهر (١/٢٢٣)

٣٣٤ ــ رسالة فى بيان معنى وحدة الوجود (على مذهب الصوفية) (خ)

ذكرها جميل بك (١/٢٢٣) ، وبروكلمان برقم /٢٠ .

وعنها نسخة فى المحمودية ٢٥٩٧ مجاميع (ق ١٠٦) .

---

(١) هذا ، وذكر شيخنا عبد الفتاح أبو غدة فى مقدمة قفو الأثر فى صفو علوم الاثر للامام رضى الدين محمد بن ابراهيم الحلبى (ت ٩٧١ هـ)مؤلفا له بنفس العنوان : " شقائق الأكم بدقائق الحكم " .

٣٣٥ - رسالة فى بيان الوجود (على مذهب الصوفية) (بالفارسية) (ط)

ذكرها جميل بك (٢٢٤/١) ، وبروكلمان برقم ٢١ ، وكذلك آدسز برقم ٢١ وبعنوان " رسالة دروجود خدا " .

طبعت ضمن " رسائل ابن كمال باشا " باستانبول ١٣١٦ هـ ، (ص ١٤٩ - ١٥٧) .

ترجمها مدحت أفندى الى التركية ، وطبعت هذه الترجمة (باستانبول ، ١٣١٨ هـ) بعنوان : " لآلىء معانى " .

٣٣٦ - رسالة فى تحقيق التوكل على الله (ف)

انفرد بذكرها جميل بك فى عقود الجوهر (٢٢٣/١) .

٣٣٧ - رسالة فى تحقيق الحق وإبطال رأى الصوفية فى الرقص والدوران (خ)

ذكرها حاجى خليفة فى كشفالظنون (٨٦٤/١) ، وآدسزبرقم ١٧١ ونص على وجود ست نسخ فى استانبول .

ومنها نسخة فى الحرم المكى الشريف ١٤/١٥٠ مجاميع .

ذكر حاجى خليفة شرحا لرسالة ابن كمال هذه بعنوان :

" مطارح الدوارين لكشف أحوال الرافضين ؟ " فى شرح " دوران الصوفية " لابن كمال الرومى ، أولها : " الحمد لله الذى جعل العلماء ضياء للناس ... " ، ولم يذكر مؤلفها .

وعن هذا الشرح نسخة فى برلين برقم ٣٣٨٦ (١ - ٥٩ ب) .

٣٣٨ - رسالة فى تزكية النفس (ف)

انفرد بذكرها جميل بك فى عقود الجوهر (٢٢٣/١) .

٣٣٩ – رسالة فى حدود المعاصى (ف)

انفرد بذكرها جميل بك فى عقود الجوهر (٢٢٣/١) .

٣٤٠ – رسالة فى حقيقة الذات الإلٰهية (خ)

انفرد بذكرها آدسز برقم ١٠٣ وذكر لها نسخة فى فاتح برقم /٥٣٤٠ (١٣٦ ب – ١٣٨ أ) .

اولها : " فصل فى بيان السنة السرمدية وتعيين الأيام الإلٰهية منها الى يوم القيامة ، وبعد : فان حقيقة الذات الإلٰهية ... " .

وكأن الرسالة جزء من رسالة أو كتاب آخر حيث يبدأ بالفصل.

٣٤١ – رسالة فى الصبر (خ)

ذكرها آدسز برقم ١٧٣ ، مع الاشارة الى وجود نسخة لها فى بغداد لى وهبى برقم ٢٠٤١ ، وأخرى بمراد ملا برقم ١٨٣٤، وثالثة بأحمد الثالث برقم ١٥٤١ (ق ٤٩٦) عبارة عن ورقة واحدة .

٣٤٢ – رسالة فى معرفة الحقائق الإلٰهية (ف)

انفرد بذكرها جميل بك (٢٢٢/١) ، ولعلها هى جزء من " رسالة فى علوم الحقائق وحكمة الدقائق " .

٣٤٣ – رسالة فى قنوت الأشياء كلها لله تعالى (ف)

انفرد بذكرها جميل بك فى عقود الجوهر (٢٢١/١) .

٣٤٤ – رسالة فى مدح السعى وذم البطالة (ط)

ذكرها حاجى خليفة فى الكشف (٨٧٢/١) ، والبغدادى فى الهدية (١٤٢/١) ، وجميل بك (٢٢٣/١) ، وبروكلمان برقم /٩٥ ،

وآدسز برقم ١٧٢ .

طبعت ضمن " رسائل ابن كمال باشا " باستانبول ، ١٣١٦ هـ (ص ٣٨٤ – ٣٨٩) .

٣٤٥ – شرح جواب ابن سينا للشيخ أبى الخير (خ)

انفرد بذكره آدسز برقم ٢٠٨ مع الاشارة الى ثلاث نسخ :

١) بغداد لى ٢٠٤١ ، ٢) روان ٢٠٢٢ ، ٣) روان ٢٠٣٢، ورابعة بمراد ملا ١٨٣٤ .

أولها : " الحمدلوليه والصلاة على نبيه ، أما بعد : فقد كتب الشيخ أبو سعيد بن أبى الخير قدس سره ، الى الشيخ أبى على ... " .

٣٤٦ – شرح فصوص الفارابى (ف)

انفرد بذكره جميل بك فى عقود الجوهر (٢٢٥/١) .

٣٤٧ – نزهة الخاطر (ف)

انفرد بذكرها البغدادى فى هدية العارفين (١٤٢/١) .

ولعلها محرفة عن " نزهة الالحاظ " حيث ذكر البغدادى رسالتين لطاشكبرى زاده ونسبهما الى ابن كمال باشا ، وهذه هى الثالثة ان كانت محرفة . وعنوان رسالة طاشكبرى زاده كما فى " العقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم " (ص : ٣٣٩) " نزهة الالحاظ فى عدم وضع الالفاظ للالفاظ " .

٣٤٨ – نجاة المتحيرين (تركية) (ط)

ذكرها آدسز برقم ١٦/ وقال انها طبعت بالمطبعة العامرة

باستانبول ١٢٧٩ (ص ١٧٥ - ١٧٦) وعندى عنها صورة .

وكذلك بمطبعة محمود بك ، باستانبول ١٣٠٤ (ص ٢٤١ - ٢٤٣) .

٣٤٩ - نصيحة الحكماء (بالتركية ، أو الفارسية) (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢٦/١) انها باللغة الفارسية ، وذكر آدسز برقم /٦ ، أنها باللغة التركية ، وذكر لها نسخة فى مكتبة أسعد أفندى ١٧٨١ عبارة عن ٥٦ ورقة .

وذكر فهرس مكتبة برلين بعنوان " نصايح الفقهاء والمشايخ الحكماء لابن كمال " ، وذلك برقم ٥٦٣٢ ، وذكر انها عبارة عن ورقة واحدة ، وهى الورقة (٤٢ ب) من المجموعة .

حادى عشر : التاريخ والتراجم

٣٥٠ - تواريخ آل عثمان (تركية) (خ ، ط)

ذكرها طاشكبرى زاده ، والكفوى ، وجميل بك ، وطاهر بك ، والزركلى فى الأعلام (١٣٣/١) ، والبستانى فى دائرة المعارف (٤٨٢/٣) ، وآدسز برقم (١) . مع الاشارة الى نسخها العشرين تقريبا .

بدأ كتابتها بأمر من السلطان بايزيد الثانى ، فبدأ من تاريخ ٦٩٩ هـ ، وهى تاريخ تأسيس الدولة العثمانية ، فوصل الى عام ٩٣٣ هـ الى قبل وفاته بسبع سنين .

وهى عبارة عن ثمان دفاتر بمثابة الأجزاء للكتاب ، وطبع الدفتر الاول ، والثانى ، والسابع ، والباقى لايزال مخطوطا .

٣٥١ - تاريخ السلطان سليمان (تركى)

انفرد بذكره جميل بك (٢١٩/١) بهذا العنوان ، ولعله جزء من تاريخه .

٣٥٢ - التاريخ الملغز (خ)

يقول أحمد خيرى فى مقدمة مقالات الكوثرى (ص٣٧) و " لابن الكمال لغز تاريخى ، اخترعه . يذكر فيه الاسداس والارباع ونحو ذلك . كأن يقول : فى الربع الثانى عن العام الثالث من العقد الرابع من الثلث الثالث ، وهكذا " وللكوثرى رسالة بعنوان " تفريح البال بحل تاريخ ابن الكمال " فى حل ذلك اللغز .

٣٥٣ - ترجمة النجوم الزاهرة فى أحوال مصر والقاهرة (خ)

ترجمها بأمر من السلطان سليم الأول فى أثناء عودته من مصر وساعده فى تبييض ماكتبه آشجى زاده حسن جلبى .

ذكرها بهذا العنوان قنالى زاده حسن جلبى فى تذكرة الشعراء (١٢٩/١) ، وجميل بك (٢١٩/١) ، وعصمت پارمق سز آوغلى فى الموسوعة الاسلامية . (باللغة التركية) ٥٦٥/٦ .

وذكر البغدادى فى الهدية (١٤٢/١) ، وطاهر بك فى المؤلفين العثمانيين (٢٢٣/١) ومن تابعهم من المحدثين بعنوان " النجوم الزاهرة فى أحوال مصر والقاهرة " . والكتاب بهذا العنوان للمؤرخ جمال الدين ابن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ) .

٣٥٤ - الحجج القاطعة البرهان فى خواص اسم السلطان سليمان خان ابن عثمان (خ)

لم يذكرها أحد من المترجمين له .

وعنها نسخة بدار الكتب المصرية ٢٥٨ (حروف وأوفاق) .

٣٥٥ – رسالة الى شاه طهما سْب الأول (تركية) (خ)

أنشأ ابن كمال باشا بامر من السلطان سليمان القانونى فى أوائل سنة ٩٣٩ هـ .

ذكرها آدسز برقم ١٧ ، وعنها نسختان فى مكتبة أسعد أفندى الأولى برقم ٣٤٣١ (١٢٨ أ – ١٢٨ ب) ، والثانية برقم /٣٧٥٢ .

٣٥٦ – طبقات أصحاب الامام الاعظم (خ)

وجاء ذكر هذا الكتاب فى فهارس المكتبات بعناوين متعددة مثل : طبقات الحنفية ، وطبقات المجتهدين ، وطبقات ابن كمال باشا ، ورسالة فى بيان أحوال السلف وطبقاتهم من العلماء الراسخين ، وطبقات الفقهاء ، ورسالة فى تاريخ المؤلفين (١) .

ذكرها جميل بك (٢٢٥/١) مع ذكر " طبقات المجتهدين ، وطبقات الحنفية " ، أيضا كرسالتين او كتابين مستقلين .

مع العلم أن لابن كمال باشا رسالتين فقط فى الطبقات .

وذكرها كذلك الزركلى فى الأعلام (١٣٣/١) ، والبستانى فى دائرة المعارف (٤٨٢/٣) ، وبروكلمان برقم ١٢٤ ، وآدسز برقم ١٧٦ مع ذكر (١٩) نسخة لها .

منها : آياصوفيا ٤٨٢٠ ، أسعد أفندى ٣٦٤٦ ، ٣٦٥٢ ، ٣٧٨٧ ..

٣٥٧ – طبقات المجتهدين (ط)

أولها : " اعلم أن الفقهاء على سبع طبقات .... " .

---

(١) كما فى مكتبة لا له لى برقم /٣٦٨٠ مجاميع .

ذكرها فى الكشف (١١٠٦/١) ، وفى عقود الجوهر (٢٢٥/١) ،وهدية العارفين (١٤٢/١) ، والأعلام (١٣٣/١) ، ودائرة المعـــــارف للبستانى (٤٨٢/٣) ، وبروكلمان برقم /١٢٣ ، وآدسز برقم ١٧٨٠

طبعت مرتين :

الاولى : بهامش " حسن التقاضى فى سيرة الامام أبى يوسف القاضى " للشيخ محمد زاهد الكوثرى ، دار الانوار ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ (ص/ ٢٥ – ٢٧) ٠

والثانية : بتحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عقيل الظاهرى ٠

٣٥٨ – فتـــح نامـــه (تركى) (خ)

انفرد بذكره جميل بك (٢٢٥/١) ٠ ولعل جميل بك يقصد بهـــذا ما كتبه ابن كمال باشا فى دخول العثمانيين على مصر، استنتاجـــا من الآية " ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثهـــا عبادى الصالحون " ٠

يقول الآلوسى فى روح المعانى (٨/١) : " ومن المشهـــور استنباط ابن الكمال فتح مصر على يد السلطان سليم من قولـــه تعالى " ثم ذكر الآية ٠٠

ثانى عشر : الطب :

٣٥٩ – ترجمة " رجوع الشيخ الى صباه فى القوة على الباه " (خ)

(لأحمد بن يوسف التيفاشى ت ٦٥١ هـ)

ذكرها حاجى خليفة فى الكشف (٨٣٥/١) وقال : " ترجمه المولى أحمد بن سليمان الشهير بابن كمال باشا المتوفى سنة ٩٤٠ هـ باشارة السلطان سليم خان " اهـ .

وقد طبع الكتاب الأصل منسوبا الى ابن كمال باشا بمصر عدة طبعات : ١ – بمطبعة شرف ١٢٩٨ هـ (١٣٠ ص)

٢ – طبعة بولاق ١٣٠٩ هـ (١٠٤ ص)

٣ – الميمنية ١٣١٦ هـ (١٦٤ ص + ٤)

مع أن الكتاب وردت نسبته الى التيفاشى فى كل من "إيضاح المكنون" للبغدادى ٥٤٩/١ ، تاريخ الأدب العربى (٤٩٥/١) ، وذيله (٩٠٤/١) بالألمانية لبروكلمان .

وذكر الترجمة آدسز برقم/٧ ونص على وجود نسخة خطية من الجزء الاول فى حميدية برقم/ ١٠١٢ (٢١٢ ق ، ٩٢٦ هـ) .

وأخرى منها بجامعة استانبول برقم ٩٦٣١ (تركية) (٦٧ورقة)

٣٦٠ – ترجمة " كتاب أبى الحسن العلائى " فى الطب (تركى) (ف)

انفرد بذكرها جميل بك فى عقود الجوهر (٢١٩/١) .

٣٦١ – خيل نامه (كتاب فى طب الخيل باللغة الفارسية) (ف)

انفرد بذكره جميل بك فى عقود الجوهر (٢٢٠/١) .

٣٦٢ – راحة الأرواح فى دفع عاهة الاشباح (خ)
(وهى رسالة فى الطاعون)

وذكرها بهذا العنوان كل من :

حاجى خليفة فى كشف الظنون (٨٢٩/١) ، وجميل بك فى عقود الجوهر (٢٢٣/١) ، والبغدادى فى هدية العارفين (١٤١/١) ، وبروكلمان برقم ١٠٢ ، وآدسز برقم/٢٠٥ .

وذكر جميل بك (٢٢٥/١) مرة أخرى بعنوان " ساقية الدواء وترياق الطاعون والوباء " ، عثرت على نسخة فى أسعد افندى بهذا العنوان ، برقم ٣٦٤٦ فوجدت أنها المذكورة هنا .

وذكر بروكلمان مرة ثانية أيضا برقم ١٥٧ وبعنوان" الترياق والدواء للطاعون والوباء " ظنا منه أنها رسالة أخرى فى الموضوع .

٣٦٣ – رسالة فى خلق الجنين وتشكله فى بطن أمه (١) (ف)

انفرد بذكرها جميل بك فى عقود الجوهر (٢٢٤/١).

٣٦٤ – رسالة فى طبيعة الافيون (فى الطب) (خ)

ذكرها جميل بك (٢٢٤/١) ، وبروكلمان برقم ٩٧ ، وآدسز برقم ٧٨ ونص على وجود (١٣) نسخة فى استانبول .

ومنها : عاشر أفندى ٤٥٩ ، أسعد أفندى ٣٦٥٢ ، فاتح ٥٣٦٦ .

---

(١) وبهذا العنوان رسالة ضمن مجموعة فى رئيس الكتاب رقم ١١٥٣ (١١٠ ب – ١١٢ ب) منسوبة الى شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله .

٣٦٥ – رسالة فى فواتح الافكار فى شرح لمعان الانوار (خ)
(فى التشريح)

ذكرها د. أحمد حسن حامد فى مقدمة أسرار النحو لابن كمال باشا برقم /١٣٤ ونص على وجود نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٢١٦ مجاميع تيمور .

ثالث عشر : العلوم المتنوعة :

٣٦٦ – رسالة الفرائد = الفرائد الكمالية (ط)

ذكرها ابن كمال نفسه فى رسالته " الاستخلاف للخطبة والصلاة " (ص / ١١٤ ضمن "رسائل ابن كمال باشا" المطبوعة باستانبول).

وذكرها البغدادى بعنوان : " فرائد الفوائد " ،وبروكلمان برقم ١٠٤ وبعنوان " الرسالة الكمالية المسماة بالفوائد "، وآدسن برقم / ١٧٥ .

طبعت ضمن " رسائل ابن كمال باشا " باستانبول ، ١٣١٦ هـ (٢٥٨ – ٣٣٤) .

٣٦٧ – التعريفات (خ)

ذكرها حاجى خليفة فى الكشف (٤٢٢/١) ، والبغدادى فى الهدية (١٤١/١) ، وبروكلمان برقم ١ ، وآدسن برقم ١٧٤ ونص على وجود نسختين فى استانبول .

الاولى : بمكتبة حسن حسنى باشا برقم ١١٦٧ (١٠٢ ق) .

والثانية : فى السليمانية برقم ١٠٣٣ (٢٤٧ ب – ٣٦٠ أ) ،

وهناك ثالثة فى أنطاليه تكه لى أوغلى برقم ٧٨٦ (١ – ٩٠ ق) .

٣٦٨ ـ مرآة الجنان (ف)

انفرد بذكرها اسماعيل باشا البغدادى فى هدية العارفين (١٤٢/١) .

٣٦٩ ـ اللواء المرفوع (ف)

انفرد بذكره البغدادى فى هدية العارفين (١٤٢/١) .

رابع عشر : المؤلفات المشكوكة نسبتها الى ابن كمال :

١ ـ الإنصاف فى مشاجرة الأسلاف

انفرد بذكره جميل بك فى عقود الجوهر (٢١٨/١) .

ونسبه البغدادى فى هدية العارفين (١٤٤/١) وذيل كشف الظنون (١٣٤/١) الى طاشكبرى زاده .

ويوجد منه نسخة فى أسعد افندى برقم ٣٦٥٢ بعنوان "الإنصاف فى مشاجرة الأسلاف ، أعنى السعدين الفاضلين ، وهو فى الاستعارة التبعية والتمثيلية ـ لطاشكبرى زاده " (١) .

٢ ـ الأوائل

توجد منها نسخة فى عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ٩٠٠/٢٥ (٢٨٠ ص) .

٣ ـ التعريف والاعلام

انفرد بنسبته الى ابن كمال باشا البغدادى فى هدية العارفين (١٤١/١) .

---

(١) انظر حول هذه المناظرة : اللكنوى : الفوائد البهية ص ١٢٨ .

وذكر صاحب " العقد المنظوم فى ذكر أفاضل الروم " (ص ٣٣٩) كتابا لطاشكبرى زاده بعنوان " التعريف والاعلام فى حل مشكلات الحد التام " . ونسبه كذلك البغدادى نفسه الى طاشكبرى زاده فى هدية العارفين (١/١٤٤) .

٤ - رجوع الشيخ الى صباه فى القوة على الباه

نسبه بهذا العنوان الى ابن كمال باشا كل من :

جميل بك فى عقود الجوهر (١/٢٢٤) ،

والبستانى فى دائرة المعارف (٣/٤٨٢) مع إشارته إلى كلام حاجى خليفة فى الكشف (١/٨٣٥) .

وسركيس فى معجم المطبوعات (١/٢٢٨) مع تحريف كلام حاجى خليفة من " ترجمه " الى " ألفه ابن كمال ... " .

وقال حاجى خليفة فى الكشف (١/٨٣٥) : " ترجمه المولى أحمد بن سليمان الشهير بابن كمال باشا ت ٩٤٠ باشارة السلطان سليم خان " اهـ .. والى ذلك ذهب الزركلى فى الأعلام (١/١٣٣) .

ونسبه البغدادى فى إيضاح المكنون (١/٥٤٩) الى احمد بن يوسف التيفاشى (ت ٦٥١ هـ) .

ورجح العلامة الزركلى نسبته الى التيفاشى فى الأعلام (١/٢٧٤).

وكذلك بروكلمان فى تاريخ الادب العربى (١/٤٩٥) ،والذيل (١/٩٠٤) (بالالمانية) (١) .

---

(١) انظر حول تأكيد نسبة هذا الكتاب الى التيفاشى : مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق ٣٩ : ص ١٢ - ٢٦ .

٥ - رسالة فى اسم الله تعالى المغيث والغياث

انفرد بذكرها جميل بك فى عقود الجوهر (٢٢١/١) .

وفى مكتبة رئيس الكتاب رسالة بهذا العنوان منسوبة الى شيخ الاسلام ابن تيمية ، ورقمها ١١٥٣ .

٦ - رسالة فى أقسام السحر

نسبها الى ابن كمال باشا فهرس مكتبة برلين برقم (٤٠٩٦).

٧ - رسالة فى أقسام المحبة

وردت ضمن مجموعة فى الحرم المكى برقم ١٥١ (ق ١٧٦) وأشار اليها د. محمود فجال برقم /٦٣ .

٨ - رسالة فى بيان الحاصل بالمصدر

توجد نسختان فى مكتبة فيض الله أفندى باستانبول :

الأولى : برقم ٢/٥٧٦ (ق ٢١٥ - ٢١٦) (عربية)

والثانية : برقم ٣/١٨٨٣ (ق ١٣٣ - ١٣٥) (عربية)

وتوجد نسختان آخريان من نفس الرسالة منسوبة الى محمد أمين البخارى الشهير بأمير بادشاه (ت حوالى ٩٨٧ هـ) .

الأولى : رئيس الكتاب برقم ١٢٠٦ .

والثانية : خسرو باشا برقم ٧٥٤ .

٩ - رسالة فى بيان حقيقة الشفاعة وسرها

رسالة فلسفية صوفية ، يختلف أسلوبها عن أسلوب ابن كمال باشا . وتوجد منها نسخة فى برلين برقم /٢٥٩٢ . ذكرها بروكلمان برقم /٣٠ .

١٠ - رسالة فى بيان الشهيد

وهى رسالة ثالثة لابن الكمال فى الموضوع ؟

أولها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماتدرون الشهادة بينكم ؟ قالوا : القتل فى سبيل الله ، فقال : ان شهداء أمتى إذن لقليل .... " .

وعنها نسخة فى برنستون بأمريكا برقم (٣٣٣٠) و(عنها ميكروفلم بمركز البحث العلمى برقم ٤٢١) .

يقول فى آخرها : " ... من التفسير المسمى ببحرالعلوم " .

١١ - رسالة فى ترجيح المذهب الحنفى على غيره ؟

انفرد بذكرها آدسز برقم /٨٨ مع الاشارة الى نسخة لها فى مكتبة نافذ باشا برقم ٢١٢ (٩ ب - ١٣ أ) .

وفى نسبتها الى ابن كمال باشا شئ فى الصدر حيث يقول فى الخاتمة : " رقمته بالخلد الشتيت فى دمشق الشام ، حماها الله من الاحزان والآلام ، سنة ١١٨٨ هـ " .

هذا ، وقال فى كشف الظنون (٨٥٢/١) : " رسالة فى ترجيح مذهب أبى حنيفة على غيره ، المسماة بالنكت الظريفة - تأتى فى النون - للشيخ أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود البابرتى ت ٨٧٦ هـ " .

وفى النون (١٩٧٧/٢) قال : " النكت الظريفة فى ترجيح مذهب أبى حنيفة ، مختصر ، للشيخ أكمل الدين محمد بن محمود البابرتى ت ٧٨٦ هـ . أوله " الحمد لله الذى هدانا الى اتباع

الملة الحنيفية ... الخ ، أشار لى بعض الناس أن أكتب رسالة تقوى ضعف اعتقاد الحنفية فى مذهب إمامهم ، وهو مشتمل على مقدمة، ومقصد ، وخاتمة " اهـ .

وهذه المقدمة ، ومقدمة الرسالة المنسوبة الى ابن كمال واحدة .

١٢ - رسالة فى التوحيد

توجد نسخة فى عارف حكمت برقم ٧٦ (ق ٣٩ أ) منسوبة فى أول المجموعة الى ابن كمال ، وهى منقولة من " إحياء علوم الدين " للامام الغزالى ، كما هو مصرح فى الآخر .

١٣ - رسالة فى التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم فى طلب الحوائج

انفرد بنسبتها الى ابن كمال جميل بك فى عقود الجوهر (٢٢٠/١) .

وتوجد فى رئيس الكتاب رسالة بهذا العنوان وبرقم /١١٥٣ منسوبة الى شيخ الاسلام ابن تيمية .

وكذلك فى جامعة ليدن برقم /١٥٧ (١٤٣ - ١٤٩) فعند المراجعة الى فهرس المكتبة وجدتها محرفة عن " رسالة فى التوسع " له .

١٤ - رسالة فى خلق الأعمال :

نسبها الى ابن كمال باشا بروكلمان برقم /٩١ ، ونص على وجود نسخة فى آياصوفيا برقم ١١/٤٨٢٠ ، وبعد الاطلاع على المجموعة وجدت أنها " لمولانا جلال الدين " الدوانى ، مع المقابلة

- للتأكيد - بنسخها الاخرى ..

وفى مجاميع تيمور برقم ٢٢/٧[1] (ص ٢٨٨ - ٢٩٣) ، وبرقم ٢٥/٨ (ص/ ٢١٤ - ٢٢٠) رسالة بهذا العنوان ، وهى رسالة الدوانى .

هذا ، وقد نسب الدكتور أحمد حسن حامد فى مقدمة أسرار النحو رسالة الى ابن كمال برقم/٥٠ ، وأشار الى وجود نسخة فى مجاميع تيمور / ٣٧ .. فلم استطع الوصول الى هذه النسخة .

وكذلك فى مدرسة الأحمدية برقم ٢٤/٦٣ مجاميع[2] ، رسالة بهذا العنوان ومنسوبة الى ابن الكمال .

١٥ - رسالة فى شرح طريق الرازى

ذكرها د. أحمد حسن حامد فى مقدمة أسرار النحو لابن كمال باشا برقم /١٢٠ ، اعتمادا على مجلة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية (٥ /٢٩١) .

١٦ - رسالة فى المرآة

انفرد بذكرها جميل بك فى عقود الجوهر (٢٢٤/١) وقد تكون هى"رسالته فى الناظر فى المرآة " حرف جميل بك الى ماتراه .

---

(١) ونسب فى فهرس الخزانة (٤٠/٤) الى ابن كمال باشا .

(٢) فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة فى الموصل ١٣/٥ .

١٧ - رسالة فى وجوب تعظيمه تعالى بقوله " جل جلاله " اذا ذكر .

توجد منها نسخة فى مكتبة فاتح برقم ٧/٥٤٣٥ (٣١أ - ٣٣ آ).
وفيها : " .... هذا خلاصة كلام شيخ الاسلام قاضى القضاة ، وشيخ جلال الدين السيوطى (كذا) ،والامام القسطلانى ، والشهاب الدين - كذا - ، وجوهر التوحيد - كذا - ، وغيرهم ... " .

ونسبت الرسالة الى ابن كمال باشا فى آخرها هكذا : " تمت الرسالة لكمال باشا زاده " .

١٨ - الرسالة المميزة فى الكلام

نسبها الى ابن كمال باشا عصمت پارمق سز آوغلى فى الموسوعة الاسلامية (بالتركية) ٥٦٥/٥ ، وقال انها طبعت باستانبول/١٢٨٩هـ

وهناك رسالة بعنوان " رسالة مميزة مذهب الماتريدية عن المذاهب " لقاضى زاده محمد بن محمد الارضرومى (ت ١١٧٣ هـ) .
وعنها نسخة فى قصيده جى زاده سليمان سرى برقم /٦٧٢ .

١٩ - الرسالة النيرة (فى التوحيد)

ذكرها بروكلمان برقم / ١٧ ب ، فى الذيل ٦٦٩/٢ .
كما ذكر أيضا رسالته " الرسالة المنيرة فى الاعتقاد " برقم ١٣٤ ، مع أنهما رسالة واحدة .

وذكرها أيضا البستانى فى دائرة المعارف (٤٨٢/٣) وقال انها طبعت بالآستانة ، ١٢٨٩ هـ .

٢٠ - الرضاء الشرعى

ذكره جميل بك (٢٢٣/١) مع أنه ذكر (٢٢٢/١) " رسالة

في الرضاع " .

وورد ضمن مجموعة في رئيس الكتاب برقم ١١٥٣ (٢٥٨ ب – ٢٥٩ ب) منسوبا الى ابن تيمية رحمه الله تعالى .

٢١ – قواعد الحمليات

انفرد بنسبتها الى ابن كمال باشا البغدادي في هدية العارفين (١٤٢/١) ، مع انه نسبه هو الى طاشكبري زاده في (١٤٤/١) من الكتاب ، بعنوان " القواعد الحليات – كذا – في تحقيق مباحث الكليات " .

ونسبه كذلك صاحب " العقد المنظوم " (ص/ ٣٣٩) الى طاشكبري زاده مع تصحيح العنوان " القواعد الحمليات في مباحث الكليات " .

خامس عشر : الرسائل المنسوبة اليه

١ – تلخيص البيان في علامات مهدي آخر الزمان

انفرد بنسبته الى ابن الكمال ، البغدادي في هدية العارفين (١٤١/١) .

مع انه نسبه الى علي بن حسام الدين المتقي الهندي في إيضاح المكنون (٣١٨/١) ، وهو الصحيح .

٢ – حاشية على تفسير ابن كمال لقوله تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك) :

وعنها نسخة في مكتبة يني جامع برقم ٤٨/١١٨٠ (١٧٣ ب – ١٧٤آ)

نسبها الى ابن كمال باشا د. محمود فجال فى مقال له فى مجلة عالم الكتب برقم / ٣٣ ، بدون انتباه الى عنوان الحاشية .

٣ - الدر المصان فى دولة آل عثمان (فى التنجيم)

نسبه الى ابن كمال باشا جميل بك فى عقود الجوهر (١/٢٢٠) . وعنه نسخة فى المكتبة المركزية بالجامعة برقم ١٥٦٨ خ . وهو لحسين بن كمال باشا كما نص على ذلك فى مقدمة الكتاب ، ثم ان تاريخ تأليفه سنة ١٠٨٤ هـ .

٤ - دقائق الأخبار (باللغة الفارسية)

ذكرها بهذا العنوان د. محمود فجال برقم ٤٥ . وهى محرفة عن " دقائق الحقائق " المذكورة عند الدكتور برقم / ٤٦ .

٥ - رسالة الاجتهاد

ذكرها آدسز برقم /٨٢ كرسالة مستقلة ، ونص على وجود نسخة فى فاتح برقم ٥٣٦٦ (٤٨ أ - ب) ، وبعد الاطلاع على النسخة وجدت أنها جزء من " الفرائد " المطبوعة ضمن " رسائل ابن كمال باشا" باستانبول ١٣١٦ هـ ، ويكفى لمعرفة كونها جزءا من " الفرائد " الاطلاع على (الورقة ١٢٨ أ - ب) من المجموعة نفسها .

٦ - رسالة استفتاء للشيخ جمال الدين بخصوص طائفة يجلسون يذكرون الله متحلقين .

ذكرها د. محمود فجال برقم /٥٥ ، ولطفى السيد صالح قنديل فى " ابن كمال باشا رسائله البلاغية دراسة وتحقيق " (ص ١٥) . وذكروا وجود نسخة لها بدار الكتب المصرية برقم ٣٤٨٩ ج .

فمضمون الفتوى يفيد جواز التغنى واللحن بالذكر والرقص والدوران الذى حرمها ابن كمال باشا فى رسالته فى ذلك .

والفتوى كما هو ظاهر لشيخ الاسلام على الجمالى الشهير بَرْنْبِلّى على أفندى ، حيث إنه هو الذى جوز الجهر بالذكر وكذلك الرقص والدوران (١) .

٧ - رسالة الاعتقاد :

نسبها الى ابن كمال باشا ، بروكلمان برقم /١٤٢ ونص على وجود نسخة فى السليمانية برقم ٨/١٠٥١ ، فعند الاطلاع على الرسالة فى هذه المجموعة وجدت أنها " لاسرافيل زاده " وليس لكمال باشا زاده ، حيث ذكر اسم المؤلف صراحة فى (ق / ٢٩ أ) .

٨ - الرسالة التحقيقية لطالب الايقان فى الطريقة الصوفية المحمدية لأهل العرفان :

انفرد بنسبتها بروكلمان برقم /٤٠ ، وأشار الى نسخة لها فى برلين برقم / ٣٣٨٣ (فهرس مكتبة برلين ٢٣٣/٣) .

ونسبها صاحب كشف الظنون الى سنان بن يعقوب الشهير بسنبل سنان (ت ٩٨٩ هـ ، فقال : " كتبها للسلطان سليمان " .

---

(١) انظر فى موقف شيخ الاسلام على الجمالى (ت ٩٣٢ هـ) سلف ابن كمال باشا فى المشيخة ، وموقف ابن كمال باشا فى ذلك : العلامة ابو السعود : رسالة فى الرياء والاستخفاف بالدين والجهر بالذكر والتغنى واللحن / ١٢ حيث يقول فيها (ص ١٢) : " .. وكذا اللحن ، فبعض المفتين كابن الكمال أفرط وأفتى بكفر مستحله ، بل فاعله ، وبعضهم كالجمالى فرط وأفتى بإباحة اللحن والتغنى فى الأذكار ... " .

أولها : " الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ... " ، وهى نفسمقدمة نسخة برلين برقم /٣٣٨٣.

والذى يفهم من فصول الرسالة أنها كتبت للرد على رسالة ابن كمال باشا المسماة ب " رسالة فى تحقيق الحق وإبطال رأى الصوفية فى الرقص والدوران " .

٩ – رسالة فى التوسل

توجد رسالة بهذا العنوان فى جامعة ليدن برقم /١٥٧ (١٤٧ – ١٤٩) .. فعند الاطلاع عليها وجدت انها محرفة عن " رسالة فى التوسع " . وهذا التحريف أتعبنى لأجل الحصول على صورة منها ، تحقق الأمل ، ولكن بدون فائدة .

١٠ – رسالة على تفسير ابن كمال باشا لقوله فى سورة الشعراء" فأخرجناهم من جنات وعيون " .

ذكرها د. محمود فجال برقم /١١٨ منسوبة الى ابن الكمال ، اعتمادا على نسخة الرسالة فى ينى جامع برقم ٣١/١١٨٠ (١٣٦ أ – ب) والرسالة ليست لابن الكمال كما ترى من العنوان .

١١ – الرسائل فى الأحاديث الشريفة

ذكرها بروكلمان برقم /١٧ ونص على وجود نسخة فى آياصوفيا (١/٤٧٩٤) ، فعند مراجعتى لها وجدت انها " أربعون حديثا وشرحه" الذى يبدأ بحديث " السلام قبل الكلام " .

١٢ – رسالة فى الاستعاذة

ذكرها د. فجال برقم ٥٣ وأشار الى وجود نسخة فى الحرم

المكى الشريف برقم /١٥١ ، وعندى عنها صورة . فليست فى المجموعة رسالة بهذا العنوان ، وإنما هى محرفة من " رسالة فى الاستعارة " الموجودة فيها (ق ١٦٥ – ١٦٧) .

١٣ – رسالة فى الإيمان الشرعى

ذكرها آدسز برقم /١٢٧ مع ذكر نسختين لها . الاولى فى حالت افندى برقم /٨١٠ ، وعندى عنها صورة .

والثانية فى رشيد أفندى برقم /١٠٤٩ .

فالرسالة جزء منقول عن " حاشية شيخ زاده على تفسير القاضى البيضاوى " (١/١٨٥ – ١٨٨) ، وكما هو مصرح أيضا فى آخر نسخة حالت أفندى .

١٤ – رسالة فى بحث الرحجان

ذكرها جميل بك فى عقود الجوهر (١/٢٢١) .

وكذلك بروكلمان برقم ٦٤ ونص على وجود نسخة فى آياصوفيا ٢٠/٤٧٩٧ ، فعند مراجعتى لها وجدت انها " رسالة فى ان الممكن لايكون أحد الطرفين أولى به من نفسه " .. فالرسالة بهذا العنوان مذكورة أيضا عند بروكلمان برقم /٧٢ .

١٥ – رسالة فى بيان خارق العادة

ذكرها بروكلمان برقم /١٥٩ كرسالة مستقلة ، مع أنها جزء من " المنيرة فى التوحيد " (ص/ ١١ – ١٢ من المطبوعة باستانبول ١٣٠٤ هـ) .

وهذا الجزء موجود أيضا فى برنستون (برقم ٤٥٦٣) كرسالة

مستقلة بعنوان " رسالة فى تحقيق المعجزة " ، وعنها ميكروفلم بمركز البحث العلمى بالجامعة برقم ٤١٣ مجاميع .

١٦ - رسالة فى الجزء الذى لايتجزى

ذكرها بهذا العنوان جميل بك (٢٢٢/١) . وفى آسعد أفندى رسالة بهذا العنوان برقم ٣٦٥٢ ، فعند المراجعة لها وجدت أنها " رسالة فى حقيقة الطفرة وحقيقة الجسم " . وهذه الرسالة وردت فى مراد ملا برقم ١٨٣١ (١٠٩ أ - ١١٠ ب) بعنوان " ر. تحقيق ما تركب الجسم من الجزء الذى لايتجزى " .

١٧ - رسالة فى الحياة فى شروط الصلاة

ذكرها د. أحمد حامد فى مقدمة أسرار النحو لابن كمال باشا برقم /٧٩ . فالحياة شرح لرسالة ابن كمال باشا فى شروط الصلاة . وهى لمصلح الدين بن حمزة بن ابراهيم بن ولى الدين الرومى ، انتهى من تأليفها سنة ١٠٤٥ هـ .

وعن الشرح نسختان بمجموعة الشفا بالمدينة المنورة برقم ٢٥٤/٤٧٤ ، وبرقم ٢٥٤/٤٦٩ مجاميع .

١٨ - رسالة فى الرؤية

توجد نسخة فى برنستون برقم ٤٥٦٣ (وعنها ميكروفلم بمركز البحث العلمى بالجامعة / ٤١٣) منسوبة الى ابن كمال باشا، وانما هى جزء من " التعرف لمذهب التصوف " ص ٥٧ - ٦٠ ، للامام الكلاباذى ، كما هو مصرح فى مقدمته " .

١٩ – رسالة فى السعيد والشقى

توجد نسخة بهذا العنوان فى أنطاليه تكه لى آوغلى برقم ١٠/٧٨٦ (ق ١٧٦ أ) وقد نسختها ، فوجدت أنها منقولة تماماً من " رسالته فى القضاء والقدر " ص ١٧٧/١ .

٢٠ – فصل فى ظهور الحق ومظاهر الاشياء ؟

ذكره بروكلمان برقم /١٩ كرسالة مستقلة ، ونص على وجود نسخة فى برلين برقم ٢٣٣٧ ، مع ظهور أنه فصل – كما هو واضح عن العنوان – من " رسالة فى علوم الحقائق وحكمة الدقائق". وعندى عن نسخة برلين صورة ..

وذكر بروكلمان (برقم ٣٧) رسالة بعنوان " علم الحقائق " وأشار الى وجود نسخة منها فى برلين برقم /٢٧٩١ . وذكر أيضا رسالة برقم /١٦٧ وعنوان : " رسالة فى علوم الحقائق " ونص على وجود نسخة فى فينا برقم ٢/١٩١٢ .. وكلتا الرسالتين فصل من " رسالة فى علوم الحقائق وحكمة الدقائق" التى ذكرها بروكلمان برقم / ٦٠ .

٢١ – رسالة فى شرح كلمة التوحيد

ذكرها آدسز برقم /١٣٠ وأشار الى وجود نسختين لها .

الأولى : فى حالت أفندى برقم ٨١٠ (٢٢٣ ب – ٢٢٥ ب)

والثانية : فى رشيد أفندى ١٠٤٩ (١٧٦ أ – ١٨١ ب)

وثالثة: فى حاجى محمود أفندى برقم ١١/٣٤٢٧ .

وهذه الرسالة فى أصلها لمولانا عبد الرحمن الجامى ، فحذفت

مقدمتها الطويلة،ثم نسبت الى ابن كمال باشا ، انظر فى رسالة ملا عبد الرحمن الجامى بمركز البحث العلمى بالجامعة برقم ٦٧٣ مجاميع .

٢٢ - رسالة مجتمعة من كتب المبسوط

ذكرها د. محمود فجال بهذا العنوان ، برقم /١٠٠ ، وأشار الى وجود نسخة فى الحرم المكى الشريف برقم /١٥١ .

عنوان الرسالة فى مجموعة الحرم هكذا :

" جمعت هذه الفوائد من كتب المبسوطى - رحمه الله - ووقع التوارد فيها مع المولى المعروف بابن كمال باشا " اهـ .

فحرف الدكتور " المبسوطى " الى " المبسوط " كما ترى ، مع العلم أن المبسوطى أيضا - يبدو - محرف عن " السيوطى " .. وأما الجامع ، فغير مذكور فى المجموعة ؟

٢٣ - صفوة المنقولات فى شرح شروط الصلاة

ذكرها بروكلمان برقم /١٧١ منسوبة الى ابن كمال باشا ، وتابعه فى ذلك الدكتور محمود فجال برقم /١٦٥ .

فهى شرح لرسالة ابن كمال باشا ، كما ترى ..

وعنها نسختان فى مجموعة الشفا بالمدينة المنورة :

الاولى : برقم ٢٥٤/٤٧٢ (٢٧٤ ص)

الثانية : برقم ٧٦٥/ ٨٠ (٤٦ ص)

فالشارح غير مذكور فيهما ..

٢٤ - فريدة التحرى

ذكرها البغدادى فى هدية العارفين (١٤٢/١) وتابعه فى ذلك

د. رشيد عبد الرحمن العبيدى فى مقدمة " تحقيق معنى كاد " (فى مجلة الدراسات الاسلامية ، بغداد ، العدد ٥) ، برقم ٦٦ مع تحريفها الى " فريدة البحترى " .

وكذلك ذكرها د. محمود فجال برقم /١٤٠ ، مع أنها جزء من " الفرائد وشرحها " لابن كمال ، كما هو ظاهر .

٢٥ – لائحة فى تفسير ابن كمال لقوله تعالى (فلا تظلم نفس شيئا).

ذكرها د. محمود فجال برقم /١٧٤ وأشار الى وجود نسخة لها فى ينى جامع برقم ٣٩/١١٨٠ (١٤١ ب) ..

٢٦ – اللوائح الحديثية

ذكرها جميل بك (٢٢٥/١) .

وفى مكتبة أسعد أفندى نسخة (برقم ٣٦٥٢ (٨١ ب – ٨٥ ب) اطلعت عليها فوجدت أنها جزء من " رسالة الفرائد (= الفرائد الكمالية " ، المطبوعة ضمن " رسائل ابن كمال باشا " باستانبول، ١٣١٦ هـ .

٢٧ – المسائل الست من المسائل العشر لمولانا جلال الدوانى

ذكرها بروكلمان برقم ١٠٥ ونصّ على وجود نسخة فى فينا ١٠/١٧٩١ .

٢٨ – مطارح الدوارين لكشف أحوال الراقصين

ومنها نسخة فى برلين برقم ٣٣٨٦ .

ذكر حاجى خليفة فى الكشف (٨٦٤/١) أنه شرح لرسالة ابن كمال باشا " ر. فى تحقيق الحق وإبطال رأى الصوفية فى الرقص

والدوران " .

أولها : " الحمد لله الذى جعل العلماء ضياء للناس ..."

ولم يذكر مؤلفه .

نسبها د. محمود فجال (برقم /١٧٩) الى ابن كمال باشا ،

وكذلك الأستاذ لطفى السيد صالح قنديل فى " ابن كمال باشا رسائله البلاغية دراسة وتحقيق " ص ٧٢ .

٢٩ – مفرجة الكروب (بالصلاة على النبى المحب المحبوب)

ذكرها عصمت پارمق سز أوغلى ضمن رسائل ابن كمال المطبوعة فى الموسوعة الاسلامية (بالتركية) ٥/٥٦٤ ، ونص على أنها طبعت فى استانبول ، عام ١٢٦٨ هـ . (١ – ١٨ ص) .

وعندى عنها صورة ، وهى لأحمد بن سليمان الخالدى ، حيث يقول فى مقدمتها : " وبعد : فيقول العبد الفقير الى مولاه البدى ، أحمد بن سليمان الخالدى النقشبندى ، أن بعض الاولياء..."،

٣٠ – الناسخ والمنسوخ

نسبهُ الى ابن كمال باشا الدكتور محمود فجال (برقم/١٣٠) اعتمادا على ماورد فى فهرس مكتبة الحرم المكى الشريف حيث إن فيها نسخة منه برقم ٢٥/١٥٠ منسوبا الى ابن الكمال .

وهو لأبى القاسم هبة الله بن سلام بن نصر بن على المفسر البغدادى ، كما هو مصرح فى المقدمة .

٣١ – نزاع الحكماء والمعتزلة بالأشاعرة – كذا –

ذكره بهذا العنوان البغدادى فى هدية العارفين (١٤٢/١) .

فان كان قصده منه " رسالة الإختلاف بين الأشاعرة والماتريدية " فهو مسلم ، وليس فى العنوان مايدل على ذلك ، وأما الكتاب بهذا العنوان فهو ، لمسجى زاده .

٣٢ ـ النوادر اللطائف فى تفسير الآيات التى احتوت على النكت والظرائف:

نسبها بروكلمان (برقم ٧ أ) الى ابن كمال باشا ، ونص على وجود نسخة فى دار الكتب المصرية (٥٥/١) ، فعند مراجعتى لفهرس المكتبة وجدت فى المجلد والصفحة المحال اليها كتاب " لطائف الإشارات فى التفسير " للامام القشيرى .

هذا ، وقد ذكر إسماعيل باشا فى هدية العارفين (١٩١/١) ـ كتابا بعنوان " النوادر اللطائف فى تفسير الآيات التى احتوت على النكت والظرائف " ـ ونص على أنها باللغة التركية، وأنها مطبوعة ـ وهو لكمال باشا الوزير (أحمد كمال باشا الوزير) ت ١٣٠٤ هـ .

فيظهر اذا أن بروكلمان أخطأ فى نسبة الكتاب الى صاحبنا ابن كمال باشا ، كما أخطأ فى الاحالة الى فهرس الدار ...

حاشية المولى المفتي ابن
كمال باشا على التلويح
بخط المؤلف المرحوم

حاشية على التلويح
لابن كمال بخطه



الحمد لله الكريم الوهاب والصلوة على سيدنا محمد الذي طاب خير من انزل عليه الحكمة وفصل الخطاب وعلى آله واصحابه من الاحقاب والاعقاب وبعد فقد وقف هذا الكتاب العبد الفقير الى رحمة ربه التواب اسعد بن المرحوم شيخ الاسلام سعد الدين محمد اسعدهما ربهما يوم المآب وانعم عليهما بجزيل الثواب [illegible] من العقاب على طلاب العلماء في جامع ايا صوفيه بشرط ان لا يعطى الا لمن هو قوي

وهو في اللغة اسم للمكتوب خالف المشهور وهو انه مصدر بمعنى الجمع سمي به المفعول مبالغة واعتبارا بما قيل انه فعال بمعنى المفعول كاللباس ذكره القاضي البيضاوي ثم قال ثم عبر عن المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب اراد به تصحيح اطلاق الكتاب على الملفوظ بعد ما غلب في العرف على المنقوش ويفصح عنه ما اخذ هذا الكلام وهو قول الراغب في تفسيره الكتاب والمكتوب في المتعارف اسم للمكتوب اي المنظوم كتابة وقد يعبر به عن المنظوم عبارة قبل ان يكتب بالكتابة انتهى وعلى القول المذكور يكون الكتاب من الاسماء المشبهة بالصفات وكذلك لا يقع صفة للمكتوب وللتنبيه على هذا قال اسم للمكتوب ولم يقل بمعنى المكتوب ومن وهم ان فيما ذكرنا تقليل النقل فقد وهم المثبت في المصاحف فيدخل به اخراجا له الكتب الالهية

نماذج من خط الامام ابن كمال باشا

وثالثها انه مصدر بمعنى النبذ والرمي
وهو قول قطرب ومذهب جماعة
انه مشتق غير مهموز وهم فرقتان
احديهما قالوا انه ماخوذ من قرن
والاخرى قالوا انه ماخوذ من القرائن
وبه اخذ الفراء وقد عرفت انه في
قول الشافعي غير مشتق فهذه الا
قوال فيه ستة ومن رام التفصيل
فليرجع الى شرح الكشاف للجاربردي
اقول انما خص ههنا المعنى المذ
كور بالبيان ولم يتعرض لمعنى الجمع
مع انه يجي بذلك المعنى ايضا وقد
خصه بالذكر في شرح الكشاف لان
الكلام ههنا في نقله بطريق الغلبة
وذلك مخصوص بهذا المعنى فان

القران

مستعمل فيه

القران صار اسما لمطلق المقروء
ثم شاع استعماله في المقروء المعين
فصار من الاعلام الغالبة له ولم يستعمل
اسما لمطلق المجموع حتى يتصور صورة
الغلبة في المجموع المعين فنقله بطريق
الغلبة لم يكن الا من المعنى المذكور واما
نقله مطلقا فيجوز من كل واحد من المعنيين المذكورين
والراجح نقله من معنى الجمع لانه هو الاصل
الدائر في جميع تصاريفه واختاره في
الكشاف لان الكلام ثمة في نقله مطلقا لا
في نقله بطريق الغلبة ومن غفل عن هذه
الدقيقة قال اختاره ههنا نقله من معنى
القراءة وفي شرح للكشاف اختار نقله
من معنى الجمع لكن في ملاحظة كلا منهما حيث جمع
والمعنى المنقول اليه بين الجمع والتلاوة اشارة

والثبوت في المصحف وصف للصور و
الاشكال حقيقة ونسبته الى الالفاظ على
التوسع المشهور حيث قالوا ان للا
شياء وجودا في اللفظ ووجودا في الكتابة
وتقدير المضاف على ان المثبت دوال
مما لا ينبغي ان يفرع عليه بقي ههنا شيء
وهو ان القيد المذكور كما يخرج سائر
الكتب الالهية كذلك يخرج منسوخ التلاوة
فخروجه لا حاجة لانه داخل في المعنى
العرفي للكتاب وان لم يكن قرانا على ما
سيأتي التصريح به في فصل النسخ
في عرف اهل العربية ارادوا باهل العربية
النحويين خاصة قال السيرافي كان كتاب سيبويه
لشهرته وفضله علما عند النحويين وكان يقال
بالبصرة قرا فلان الكتاب وبلغ نصف الكتاب

ولا شك

ولا شك ان كتاب سيبويه
والقران في اللغة مصدر
هذا على ما هو المشهور من انه
مشتق وقال الواحدي في البسيط
ان الشافعي كان يقول القران
اسم وليس بمهموز ولم يوخذ من
قرات وانما هو اسم مثل التوراة
والانجيل ويهمز قرات ولا يهمز
القران كما تقول واذا قرات القران
ثم قال الواحدي وقول الشافعي
انه اسم للكتاب الذي نقله ابن سيده الى
ذهب الى انه غير مشتق وذهب
اخرون الى انه مشتق بمعنى
القراءة هذا احد قولي الزجاج
الى ان القران مشتق مهموز وهو
مختار الجوهري وثانيهما انه مصدر
بمعنى الجمع وهو قول الزجاج وابي
عبيده

نمـاذج مـن خـط وتـوقـيـع ابـن كـمـال بـاشـا (الجواب على الفتوى)

ديگر :

٣٤٩

[illegible]

ديگر :

[illegible]

« فتوا خانهٔ عالى‌ده »

الجواب على الفتوى بخط ابن كمال باشا ، وعليه توقيعه

٣٥٣٠ .

ديكر :

[illegible]

زید اوغلی عمرو بر مقدار اسباب واقعه ویروب عمرو کی قبض تمام
دایله رمقدار زمان اسباب عمروده اولمش ایکن قبض للتسلیم
زاغت اولنوب ابد تحقق اسباب واقعه بنه النده شرعا
دل اسباب واقعه زیدک اوغلانلری اولربوقیله [illegible] بانندن
زملکه بابا سنک من اولر بیان بیورله ثواب

الجواب
[illegible]

اوغلانکا اولور اکر اسباب واقعه
زید اوغلانه تملیک ایتدکدن صکره
عمروه ویرلدیسه
[illegible]
احمد

• فتوا خانهٔ عالی‌ده •

٣٥٤

دیگر:

هو المفتی

سؤال: هند فوت اولوب انه‌سنی وانه بر قرنداشنی وبابا ایسنی وبابا بر قرنداشنی ... اوغوللرینی ترکه ... قسمت نیجه اولور

الجواب

انه‌سنه ثلث قرنداشلرینه سدس ...
قالانی ...
...
...
...

احمد

« فتواخانهٔ عالی‌ده »

بالاده‌کی فتوای شریفه‌نك امضا ایله جواب اسطری مشارالیهك خط دستیدر .

الجواب على الفتوى بخط ابن كمال باشا ، وتحته توقيعه

من كتاب " علميه سالنامه‌سى "

البَابُ الثَّانِي

الإِلٰهِيَّات

الفصل الاول : معرفة الله تعالى .

الفصل الثاني : وحدانية الله تعالى .

الفصل الثالث : صفات الله تعالى .

الفصل الرابع : أفعال الله تعالى .

تمهيـــــــــــد :

الإلـٰهيـات : جمـع إلـٰهيـة . وإلـٰـه

مـن ألـه بمعـنى : عبـد ، فعـال بمعنى مفعـول ، ـ مثـل كتاب بمعـنى مكتـوب ـ ، لأنـه مألـوه أى معبـود .

ويجمع الإلـٰه على الآلهـة (١) .

وإذا أطلـق لفـظ الإلـٰه فالمقـصود هـو " اللـه " عز وجـل ، مع أنـه وضع فـى الأصـل لكـل معبـود ، بحـق أو باطـل ، لكـن غلب بـ" ال " على المعبـود بحق (٢) .

ويـرى العلامـة ابن كمال باشا أنـه " اسم جنس وضع لكل معبـود ، بحـق أو باطـل ، ثـم غلـب منكـرا علـى المعبود بحـق ، ... وقـد دل على ذلـك ، أى على غلبتـه منكـرا كلمـة التوحيد (٣) ، ثم اختص بذاتـه تعالى بعـد حذف الهمزة ، وتعويـض التعريف عنهـا ، ويـدل علـى هـذا أيضـا كلمـة التوحيـد (٤) " .

والإلـٰهيـات اصطـلاح أطلقـه علمـاء العقيدة علـى " المباحث المتعلقـة بـذات اللـه تعالى ، وتنزيهاتـه ، وصفاتـه ، ومايجـوز عليـه ، وما لايجـوز ، وأفعالـه ، وأسمائـه (٥) " .

وفسرهـا العلامـة ابـن كمال باشا بـ " المسائل المنسوبـة الى الإلـٰه ، وهو

---

(١) ابن المنظور : لسان العرب ٤٦٧/١٣ ؛ الفيومى : المصباح المنير ١٩ ـ ٢٠ ؛ الفيروزآبادى : القاموس ٢٨٢/٤ .

(٢) ابن المنظور : لسان العرب ٤٦٩/١٣ . قال ابن تيمية فى درء التعارض ٣٧٧/٩ : " والاله هو الذى يستحق أن تأله القلوب بالحب والتعظيم ، والإجلال والإكرام ، والخوف والرجاء ، فهو بمعنى المألوه ، وهو المعبود الذى يستحق أن يكون كذلك " .

(٣) " ان المراد بالمنكر فى كلمة التوحيد هو المعبود بالحق ، فمعناها : لافرد من أفراد المعبود بالحق الا ذلك المعبود بالحق " . (أبو السعود : تفسيره ١ / ١١) .

(٤) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٥ـ٦ (الحرم المكى) .

(٥) التفتازانى : شرح المقاصد ٤ / ١٦ .

الفرد الواجب ، المعبود بحق(١) ".

ولقد تناولت في هذا الباب المباحث التالية في فصول أربعة :

الفصل الأول : معرفة الله تعالى .

الفصل الثاني : وحدانية الله تعالى .

الفصل الثالث : صفات الله تعالى .

الفصل الرابع : أفعال الله تعالى ، وفيه مباحث ..

وسأعرض في كل فصل من هذه الفصول رأى العلامة ابن كمال باشا على حدة ، ثم أتبعه بنقد مايستحق النقد منه ، في ضوء عقيدة السلف ، وأبين مدى قربه أو بعده من هذه العقيدة ، عقيدة أهل السنة والجماعة ...

---

(١) ابن كمال باشا : حاشية على إلٰهيات المواقف ق / ١ ب .

الفصل الأول

معرفة الله تعالى

أ ـ معرفة الله .

ب ـ وجود الله .

أ ـ معرفة الله تعالى

إن المراد من معرفته تعالى هي معرفة وجوده تعالى ، ووجوب وجوده لذاته ، وصفاته الكمالية الثبوتية والسلبية ، وليس المراد بمعرفته معرفة حقيقة ذاته تعالى ، فإن هذه المعرفة ليست ممكنة لأحد من البشر بدليل عدم حصولها لأكمل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (١) .

ذهب العلامة ابن كمال باشا الى أنه يجب على الناس معرفة الله تعالى وتوحيده وعدم الإشراك به ، لأن الله تعالى قد منحهم العقل ، فيمكنهم به إدراك وجوده تعالى .

يقول : " أول فرض يلزم العاقل أن يؤمن بالله تعالى ويعرفه ويوحده ولا يشرك به شيئا .

ولا يعذر في الجهل بخالقه لما يرى من خلق نفسه وسائر خلق ربه (٢) " .

وكل واحد منا يدرك بفطرته أنه لم يكن موجودا ثم وجد ، ويرى العالم من حوله من السماوات والأرض ومابينهما ، فيدرك بعقله أنه لابد له من خالق ومدبر . ولذلك يقول : " لو لم يبعث ـ الله تعالى ـ رسولا لوجب على الخلق معرفته بعقولهم " (٣) .

---

(١) الشيخ كمال هاشم نجا : مذكراته في العقيدة لطلاب الدراسات العليا بجامعة الملك عبد العزيز عام ١٤٠٢هـ .. وكذلك : البياضي : إشارات المرام ص ٧٥ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ؛ وابن كمال باشا : تفسيره ٥١٨ ب ؛ السفاريني : لوامع الأنوار ١١٣/١ .

(٢) ابن كمال باشا : ر. في بيان عقيدة أهل السنة ١٩٢ ب . انظر كذلك : رسالة المنيرة ص ٥ ؛ وإشارات لطيفة ١٩١ ب .

(٣) ابن كمال باشا : رسالة الإختلاف بين الأشاعرة والماتريدية ص ٥٩ . وهذا القول والذي قبله منقول عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله . انظر : إشارات المرام للبياضي ٧٥ ، والمسايرة مع المسامرة لابن الهمام ص ١٥٧ .

فمعرفة وجوده تعالى ووحدته واتصافه بما يليق به من الصفات الكمالية وكونه محدثا للعالم لاتتوقف على إرسال الرسل ، وإنزال الوحى عليهم . ولذا يرى أنه لايكون لأحد عذر فى الجهل بخالقه. يقول مؤكدا هذا المعنى :

" واعلم أن من لم يبلغه الوحى ، وهو عاقل بالغ ، ولم يعرف الله تعالى ، هل هو يكون معذورا عندنا ، أم لا ؟

لايكون عندنا معذورا ، فيجب عليه أن يستدل بعقله بأن للعالم صانعا ، كما استدل به أصحاب الكهف ، حيث (قالوا : ربنا رب السموات والأرض) (١) .

وكان ابراهيم عليه السلام لما (رأى الشمس بازغة قال : هذا ربى ، هذا أكبر ، فلما أفلت قال : يا قوم انى برئ مما تشركون) (٢) .

وقالت الأشعرية : انه يكون معذورا ، ولايجب عليه أن يستدل بعقله ، لقوله تعالى " وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " (٣) . اهـ (٤) .

اذ لايجب إيمان ولايحرم كفر قبل البعثة (٥) .

وأجاب ابن كمال باشا عن دليل الأشاعرة بقوله :

" الجمهور على أن هذا فى حكم الدنيا خاصة . وقالت فرقة : إنه فى حكم الدنيا والآخرة ، ذكره القرطبى (٦) . وعلى كلا التقديرين لادلالة فيه على أنه لاوجوب قبل الشرع .

أما على الأول فظاهر .

---

(١) الكهف/١٤ . (٢) الأنعام/٧٨ . (٣) الإسراء/١٥ .

(٤) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ١٤ ، ورسالة الاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية/١٥٩ .

(٥) ابن الهمام : المسايرة مع المسامرة ١٦٠ ، على القارى : شرح الفقه الأكبر ١٥٧ـ ١٥٨ ، البياضى : إشارات المرام من عبارات الامام/٧٩ .

(٦) القرطبى : هو الامام المفسر أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الانصارى الخزرجى الأندلسى ت ٦٧١هـ ، أحد أئمة المالكية . وله : الجامع لأحكام القرآن ، التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة ، الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى . (الزركلى : الأعلام ٥/٢٢٢) .

وأما على الثاني : فلأنه لايلزم من تعليق مجموع الحكمين على البعثة تعليق كل منهما عليها ، وانما نفي الكينونة دون البعث . لأن المراد الإخبار عن عادته تعالى ، لا الوعد ، فعدم العذاب مقطوع به الى وقت البعثة . وكلمة " حتى " لبيان غاية الأمن عن العذاب ، لالبيان عدم العذاب ، حتى يتعين العذاب عند البعثة . ولما ذكر تعالى أنه لايعذب أحدا حتى يبعث اليه رسولا ، بين بعد ذلك علة اهلاكهم بعد البعثة ، وهي مخالفة أمر المبعوث اليهم " (١).

وهذا الذي ذهب اليه ابن كمال باشا من أن معرفة الله تعالى يمكن أن يدرك وجوبها العقلُ هو رأي الامام أبي حنيفة ورأي فريق من الحنفية وهم عامة مشايخ سمرقند ، وعلى رأسهم الامام أبي منصور الماتريدي وكثير من العراقيين وهو أيضا قريب من رأي المعتزلة (٢).

الا أن هناك فرقا دقيقا بين رأي الامام ابن كمال باشا ومن معه من أئمة الحنفية وبين رأي المعتزلة أشار اليه الامام نور الدين الصابوني (٣) حيث قال : " والفرق بين قولنا وقول المعتزلة انهم يقولون : إن العقل موجب بذاته ، كما يقولون : إن العبد موجد لأفعاله .

وعندنا : العقل معرّف للوجوب ، والموجب هو الله تعالى ، كما أن الرسول معرف للوجوب ، والموجب هو الله ، ولكن بواسطة الرسول ، فكذا

---

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ٤١٤ / ب .

(٢) الكمال بن أبي شريف : المسامرة مع المسايرة ص ١٥٧ـ ١٥٨ ، البياضي : إشارات المرام ص ٧٥ ، الآلوسي : روح المعاني ١٥ / ٣٩ ، البيجوري : تحفة المريد / ٣١ . وانظر في رأي المعتزلة : القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ٤٢ ـ ٤٣ ، ٦٦ ، ٨٨ ـ ٨٩ .

(٣) هو أحمد بن محمود بن أبي بكر ، أبو محمد ، أحد علماء الحنفية الأعلام ببخاري ، وله مناظرات مع فخر الدين الرازي ، توفي ببخاري سنة ٥٨٠ هـ . وله : الكفاية في الهداية ، ومختصرها : البداية في أصول الدين ، والمنتقى من عصمة الأولياء . (اللكنوي : الفوائد البهية / ٤٢ ، البغدادي : هدية العارفين ١ / ٨٧) .

الهادى والموجب هو الله تعالى ، ولكن بواسطة العقل " (١).

وقد أشار أيضا الى هذا الفرق الدقيق الامام أبو زهرة قائلا (٢) : " وهو أن المعتزلة يرون أن معرفة الله تعالى واجبة بالعقل ، والماتريدية ــ ومنهم ابن كمال باشا ــ لايقرون ذلك ، بل هم يرون أن معرفة الله تعالى يمكن أن يدرك العقل وجوبها ، ولكن الوجوب لايكون الا ممن تملك الايجاب ، وهو الله تعالى ".

والعلامة ابن كمال باشا نفسه أشار الى هذا الفرق بعد أن بين حسن الأفعال وقبحها الذاتيين عند المعتزلة بقوله : "ثم عند المعتزلة العقل حاكم بالحسن والقبح مطلقا) إما على الله تعالى ، فلأن الأصلح واجب على الله تعالى بالعقل ...وإما على العباد ، فلأن العقل عندهم يوجب الأفعال عليهم ؛ يبيحها ويحرمها ، من غير أن يحكم الله تعالى فيها بشيء من ذلك .

(وعند أهل السنة والجماعة : الحاكم بالحسن والقبح هو الله تعالى ، الا أن العقل قد يعرفهما بخلق الله تعالى العلم بهما) اما بلا كسب ، كحسن تصديق النبى عليه السلام ، وقبح الكذب الضار ، واما مع كسب ، كالحسن والقبح المستفادين بالنظر فى الأدلة وترتيب المقدمات ، (وقد لايعرفان الا بالشرع) كأكثر أحكام الشرع(عند الماتريدية) (٣) .

---

(١) نقل كلامه عبد العزيز البخارى فى كشف الأسرار على أصول فخر الاسلام البزدوى ٢٣٣/٤ . وقد أشار الى هذا الفرق كل من : صدر الشريعة المحبوبى فى التوضيح على التنقيح ١٩٠/١ ؛ وابن قطلوبغا فى شرح المسايرة لابن الهمام ص١٥٥ ؛ والكمال بن أبى شريف فى المسامرة على المسايرة ١٥٨ ؛ والامام على القارى فى شرح الفقه الأكبر ١٥٧ ؛ والبياضى فى إشارات المرام من عبارات الإمام ٧٥ ؛ والبيجورى فى تحفة المريد ٣٠ ــ ٣١ ؛ وغيرهم ..

(٢) تاريخ المذاهب الاسلامية ٢٠١/١ .

(٣) ابن كمال باشا : تغيير التنقيح وشرحه ص١١٧ مع تصرف . وانظر أيضا : رسالة الاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية ، له ص٥٨ ــ ٥٩ .

ويقول أيضا في معرض بيان الفرق بين مذهب المعتزلة والأشعرية والماتريدية في حكم الصبي العاقل ومن نشأفي شاهق الجبل : " إن العاقل إذا لم تبلغه الدعوة وخطاب الشارع - اما لعدم وروده ، أو لعدم وصوله اليه - فهل يجب عليه بعض الأفعال ، ويحرم بعضها - بمعنى استحقاق الثواب والعقاب في الآخرة - أم لا ؟

عند المعتزلة : نعم ، بناء على مسألة الحسن والقبح ، وعند الأشاعرة : لا ، اذ لا حكم للعقل ، ولاتعذيب قبل البعث .

(فالصبي العاقل ، وشاهق الجبل (١) البالغ مكلفان بالايمان ، حتى ان لم يعتقدا كفرا ولا إيمانا يعذبان .

وعند الأشاعرة : يعذران ، فلم يعتبروا كفر شاهق الجبل ، فيضمن قاتله ، ولا إيمان الصبي (٢) .

والمذهب عند الماتريدية : التوسط بينهما ، اذ لايمكن إبطال العقل بالعقل ، ولا بالشرع ، وهو مبنى عليه) اى على العقل ، لأنه مبنى على معرفة الله تعالى ، والعلم بوحدانيته ، والعلم بأن المعجزة دالة على النبوة ، وهذه الأمور لاتعرف شرعا ، بل عقلا دفعا للدور . (لكن يتطرق الخطأ في العقليات ، فهو) اى العقل (وحده غير كاف) فيما يحتاج الانسان الى معرفته ، وورد به أمر الشارع ، بل لابد من انضمام شيء آخر : اما ارشاد ، أو تنبيه ، ليتوجه العقل الى الاستدلال ، أو إدراك زمان يحصل له التجربة فيه ، فيعينه على الاستدلال .

(فالصبي العاقل لايكلف بالايمان) لعدم استيفاء مدة جعلها الله تعالى علما لحصول التجارب ، وكمال العقل ، (ولكن يصح) الإيمان (منه) اعتبارا لأصل العقل ، ورعاية للتوسط ، فجعل مجرد العقل كافيا

---

(١) أي من نشأ على شاهق الجبل ، ولم تبلغه الدعوة .

(٢) انظر : البخاري : كشف الأسرار ٤ / ٢٣٠ - ٢٣١ .

للصحة ، وشرط الانضمام المذكور للوجوب ، (والمرأة المراهقة ان غفلت عن الاعتقادين) اعتقاد الايمان واعتقاد الكفر (لاتبين عن زوجها) لأنها لم تدرك المدة المذكورة ، فلم يجعل مجرد العقل كافيا فى التوجه الى الاستدلال (وان كفرت تبين . وكذا) لايكلف (الشاهق) فى الجبل (قبل مضى زمان يحصل فيه التجربة)(١) ، والتمكن من الاستدلال ، (وبعده يكلف)(٢) " ..

وعلى هذا الوجه يحمل ماروا ه العلامة ابن كمال باشا والأئمة عن الامام أبى حنيفة وتبناه :

" ولاعذر لأحد فى الجهل بخالقه ، لما يرى من خلق السماوات والأرض وخلق نفسه وغيره " ..

" أى لاعذر له بعد الامهال ، لا لابتداء العقل " (٣).

وبهذا البيان يظهر جليا توسط ابن كمال باشا والماتريدية فى الصبى العاقل ومن نشأ فى شاهق الجبل بين المعتزلة والأشاعرة ، حيث ان الأولى ذهبت الى تكليفهما بالايمان لوجود مايوجب الايمان فى حقهما وهو العقل ، وبذلك اعتمدوا على العقل كليا ومجدوه ، واعتبروه موجبا بنفسه دون الوحى ، وتجاوزوا الحد بقولهم فيمن لم تبلغه الدعوة ، وغفل عن اعتقاد الكفر والايمان انه من أهل النار .

وأما الثانية فلم يعتبروا العقل أصلا ، وأهدروه حيث أبطلوا إيمان الصبى لعدم ورود الشرع فى حقه ، وعدم اعتبار عقله ، واعتبروا إيمانه مثل إيمان صبى غير عاقل (٤).

---

(١) حتى لو لم يعتقد إيمانا ولاكفرا لم يكن من أهل النار ، ولو أقره صح إيمانه ، ولو كفر كان فى أهل النار . (من حاشية ابن كمال على شرح تغيير التنقيح ص٢٥٦) .

(٢) ابن كمال باشا : تغيير التنقيح وشرحه ٢٥٥ ــ ٢٥٦ مع تصرف يسير ..

(٣) البخارى : كشف الأسرار ٤ /٢٣٤ ــ ٢٣٥ .

(٤) انظر : البخارى : كشف الأسرار ٤ /٢٣٠ ــ ٢٣١ .

وأما ابن كمال باشا والماتريدية فانهم توسطوا في القضيتين فقالوا : ان الصبي العاقل لا يكلف الايمان ، وان صح منه الأداء ، لأن الوجوب بالخطاب ، والخطاب ساقط عن الصبي بالنص ..

وقالوا فيمن لم تبلغه الدعوة : " إنما لم يكلف بمجرد العقل ، وصار معذورا اذا لم يصادف مدة يتمكن فيها من التأمل والاستدلال بالآيات على معرفة الخالق ، بان بلغ على شاهق جبل ومات من ساعته . فأما اذا أعانه الله بالتجربة ، وأمهله لدرك العواقب لم يكن معذورا ، لأن الإمهال وإدراك مدة التأمل بمنزلة دعوة الرسل في حق تنبيه القلب عن نوم الغفلة ، فلا يعذر بعد " (١).

ثم إن مدة التجربة والاستدلال غير معين بوقت معلوم كما دل عليه قوله تعالى (أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر) (٢) ، " لأن لفظة (ما) عبارة عن مدة التذكر والاستدلال ، وإبهامها بلا بيان دليل على عدم تقديرها بمقدار معلوم للعباد ، فقدر مدة التذكر مفوض الى الله تعالى ، لتفاوت العقول " (٣).

تعقيب على رأي ابن كمال باشا في المعرفة :

اختلف الناس في أصل المعرفة بالله عز وجل ، هل هي فطرية ضرورية ، أم نظرية استدلالية ؟

لقد رأينا فيما تقدم ان العلامة ابن كمال باشا ذهب مع المعتزلة

---

(١) البخاري : كشف الأسرار ٤ /٢٣٤ .

(٢) فاطر /٣٧ .

(٣) البياضي : إشارات المرام ٧٧ نقلا عن أبي زيد الدبوسي في تقويم الأدلة .. أنظر أيضا : البخاري : كشف الأسرار ٤ /٢٣٥ ؛ التفتازاني:التلويح على التوضيح ٢ /١٦٠ــ ١٦١ ؛ ابن أمير الحاج : التقرير والتحبير على تحرير ابن الهمام ٢ /٩٠ ..

والأشاعرة الى أنها نظرية استدلالية (١) ... ولكنه خالف الأشاعرة في ايجابهم النظر المؤدي الى المعرفة بالسمع ، وذهب مع المعتزلة الى القول بأنه واجب بالعقل ، غير معتمد على السمع ، مع اختلاف فيما بينه وبين المعتزلة في نقطتين اثنتين ، فصلناهما هناك ...

وبذلك خالف العلامة ابن كمال باشا السلف في أصل المسألة ، لأنهم يرون أن الانسان مفطور على الاعتراف بخالقه عز وجل ، بل كون " القلوب مفطورة على الاقرار به أعظم من كونها مفطورة على الاقرار بغيره من المخلوقات ، كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم (قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض) (٢) ... بل معرفته مستقرة في الفطر أعظم من معرفة كل معروف " (٣).

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في تفسير قول الله عز وجل (اقرأ باسم ربك الذي خلق) (٤) ، وقوله تعالى (اقرأ وربك الأكرم) (٥) :

" ذكر في الموضعين بالاضافة التي توجب التعريف ، وأنه معروف عند المخاطبين ، اذ الرب تعالى معروف عند العبد بدون الاستدلال بكونه خلق ، وأن المخلوق مع أنه دليل ، وأنه يدل على الخالق ، لكن هو معروف في الفطرة قبل هذا الاستدلال ، ومعرفته فطرية ، مغروزة في الفطرة ، ضرورية ، بديهية ، أولية " (٦) ..

وقال بعض العلماء : يجب النظر في حال دون حال ، وعلى شخص دون شخص ، فوجوبه من العوارض التي تجب على بعض الناس في بعض

---

(١) ابن تيمية : درء التعارض ٧/٣٥٢ ـ ٣٥٣ ؛ ٤٥٧ ـ ٤٥٨ .

(٢) ابراهيم/١٠ .

(٣) ابن أبي العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٧٧ ؛ انظر أيضا : ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ٣/١٣٥ ..

(٤) العلق/١ . (٥) العلق/٣ . (٦) مجموع الفتاوى ١٦/٣٢٤ .

الأحوال ، لامن اللوازم العامة ، فيقال : كل علم وجب ، ولم يحصل الا بالنظر ، وجب فيه النظر ، وأما اذا حصل ضرورة ، أو حصل العلم بدون النظر ، أو لم يكن العلم واجبا ، لم يكن النظر فيه واجبا .

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية هذا الكلام وقال : " ان هذا أعدل الأقوال ، وكلام الأئمة والسلف إنما يدل عليه " (١) .

فمعرفة الله تعالى فطرية ، وذلك بالنسبة لمن سلمت فطرته ، ولم يطرأ عليها مايفسدها ، فاذا فسدت الفطرة عند بعض الناس بما يثار من تشكيكات وأباطيل ، صارت معرفة الله نظرية ، فى حاجة إلى النظر ، والاستدلال (٢) .

ثم ان الأدلة على وجود الله تعالى كثيرة ، فلا يتعلق الاقرار بالخالق بنظر خاص (٣) . .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " بل قد تحصل ضرورية ، فتصفية النفس ورياضتها من أعظم الأسباب فى حصول المعرفة الضرورية .... فيجب النظر لما طرأ على الفطرة من الفساد . فان كون هذا العالم لابد له من صانع ، وخالق ، ومدبر ، فهذا ضرورى ، فكونه لايعرف هذا الا بطريق النظر ، فيه نظر ، وأى نظر ، بل هو معلوم عقلا ، وواجب عقلا ، وقد أركزه الله تعالى فى فطرة مخلوقاته ، متحركها وساكنها ، ناطقها وصامتها ، حيواناتها وجمادها " (٤) .

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى ٢/٣٤٧ ـ ٣٤٨ ؛ انظر أيضا : درء تعارض العقل والنقل ٨/٨ .

(٢) انظر : ابن تيمية : مجموعة الرسائل الكبرى ٢/٣٤٥ ـ ٣٤٦ .

(٣) انظر : مذكرات شيخنا كمال هاشم نجا فى العقيدة ، وكذلك : ابن تيمية : درء التعارض ٣/٧٢ ، ٣٣٣ .

(٤) ابن تيمية : مجموعة الرسائل الكبرى ٢/٣٤١ .

ومن المعلوم بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم أنه لم يوجب هذا النظر على الأمة ، ولا أمرهم به ، بل ولاسلكه هو ، ولا أحد من سلف الأمة في تحصيل هذه المعرفة ، ولو كان النظر واجبا لكان أول مايجب على الرسل دعوة قومهم اليه ، وهذا مما علم فساده من دين الاسلام (١).

إن أول واجب على المكلف هو التوحيد ، وهو أول دعوة دعت اليه الرسل ، ونزلت به الكتب ..

ولقد أخبر الله تعالى عن كل من الرسل مثل نوح ، وهود ، وصالح ، وشعيب وغيرهم ـ عليهم السلام ـ أنهم قالوا لقومهم : (اعبدوا الله مالكم من إله غيره) (٢) .. وقال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول الانوحي اليه أنه لاإله الا أنا فاعبدون) (٣) .

وقال صلى الله عليه وسلم : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لااله الا الله وأن محمدا رسول الله " (٤) .. ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف : شهادة أن لااله الا الله ، لاالنظر (٥) ، ولا القصد الى النظر (٦) ، ولا الشك (٧) ، كما هي أقوال لأرباب

(١) انظر : ابن تيمية : مجموعة الرسائل الكبرى ٢ /٣٤٨ ؛ ومجموع الفتاوى ١٦ /٣٣٠.
(٢) الاعراف/ ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥ ..
(٣) الأنبياء/ ٢٥ .
(٤) جزء من الحديث الذي أخرجه أصحاب الكتب الستة . أخرجه البخاري (١ /٤٩٧) في كتاب (٨) الصلاة ، باب (٢٨) فضل استقبال القبلة برقم/ ٣٩٢ .
ومسلم (١ /٥٣) في كتاب (١) الايمان ، باب (٨) الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لااله الاالله محمد رسول الله ، رقم/ ٢٢ .
(٥) هو قول المعتزلة وأبي الحسن الأشعري والباقلاني وغيرهم.
(٦) وهو رأي ابن فورك وامام الحرمين الجويني من الأشاعرة.
(٧) وهو قول أبي الهذيل العلاف من المعتزلة (انظر في ذلك : القاضي عبد الجبار : =

الكلام المذموم .

بل أئمة السلف كلهم متفقون على أن أول مايؤمر به العبد الشهادتان ومتفقون على أن من فعل ذلك لايؤمر بتجديد ذلك عقيب بلوغه [(١)] ...

فالتوحيد أول مايدخل به في الاسلام ، وآخر مايخرج به من الدنيا ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " من كان آخر كلامه لااله الا الله دخل الجنة " [(٢)] . وهو أول واجب ، وآخر واجب [(٣)] .

بل هناك طوائف كثيرون من المتكلمين مثل أبي حامد الغزالي [(٤)] ، والشهرستاني [(٥)] ، وأبي القاسم الراغب الاصفهاني [(٦)] ، وكمال الدين ابن الأنباري [(٧)] ، وغيرهم يقولون : العلم بالصانع فطري ضروري [(٨)] .

يقول الامام ابن الأنباري النحوي في كتابه الداعي الى الاسلام في أصول علم الكلام [(٩)] : " ان العقول السليمة والفهوم المستقيمة تشهد

شرح الأصول الخمسة ص٥٢ـ ٥٦ ؛ الباقلاني : الانصاف/٢٢ ؛ الجويني : الارشاد ص٣ ، الايجي : المواقف ٣٢ـ ٣٣ ؛ ابن تيمية : مجموع الفتاوى ١٦/ ٣٣١ ؛ درء تعارض العقل والنقل ٣٥٣/٧ ؛ ٣٤٩/٨) .

(١) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ٨/٨ ، ١١ .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٦/٣) في كتاب (١٥) الجنائز ، باب (٢٠) في التلقين والحاكم في المستدرك ٣٥١/١ ، ٥٠٠ ، ووافقه الذهبي على تصحيحه .. وأحمد في المسند ٢٣٣/٥ ، ٢٤٧ .

(٣) انظر : ابن تيمية : منهاج السنة ٨٧/٣ (الطبعة القديمة) ؛ ابن أبي العز : شرح العقيدة الطحاوية ص٧٤ـ ٧٥ .

(٤) احياء علوم الدين ١٤٤/١ ؛ المسامرة على المسايرة ص١٧ .

(٥) نهاية الإقدام ص١٢٣ ـ ١٢٤ .

(٦) الذريعة الى مكارم الشريعة ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

(٧) الداعي الى الاسلام في أصول علم الكلام ص٢٠٠ـ ٢٠١ .

(٨) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ٩٢/١ ؛ ٤٤/٩ . أنظر كذلك : القاسمي : دلائل التوحيد ٢٢ـ ٣٢ .

(٩) ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

بضـرورة فطرتهـا ، وبديـه فكرتهـا بوجـود الصانـع ، ولهـذا إنمـا تـواردت الملـل والشرائع بمعرفـة التوحيـد ، لابمعرفـة وجود الصانـع ، " أمـرت أن أقاتل النـاس حـتى يقولـوا : لااالـه الا اللـه " (١) ، فالدعـوة إنمـا تواردت بمعرفـة توحيـده ، لابمعرفـة وجـوده ، (ولئن سألتهـم مـن خلقهـم ليقولـن الله) (٢) ، (أفـى اللـه شـك) (٣) ، وانمـا وقـع الخـلاف فـى نفـى الشريك " .

والحاصـل أن " كـل واحـد مـن وحدانية الربوبية والإلٰهيـة ـ وان كـان معلومـا بالفطـرة الضروريـة البديهيـة ، وبالشرعية النبويـة الإلٰهيـة ـ فهـو أيضـا معلـوم بالأمثـال المضروبـة ، الـتى هـى المقاييـس العقلية " (٤) .

وأمـا قولـه فيمـن لـم يبلغـه الوحـى ، وهـو عاقـل بالـغ ، ولـم يعـرف اللـه تعالـى ، من أنه غير معـذور فـى ذلك ، بـل يجـب عليـه أن يستـدل بعقلـه ، ويصـل الـى معرفـة خالـق السماوات والأرض وخالقـه ..

فقـد جانـب ابـن كمـال باشـا الصواب فـى قولـه هـذا ...

يقـول شيـخ الاسـلام ابـن تيمية رحمـه اللـه تعالى : " فهـذا فيـه ثلاثة أقـوال للنـاس مـن أصحاب الأئمـة المشهوريـن ، مالـك ، والشافعـى ، وأحمد ، لهـم الأقـوال الثـلاثة :

قـيل : إنـه يعـذب فـى النـار مـن لـم يؤمـن ، وإن لـم يرسـل اليـه رسـول ، لقيـام الحجـة عليـه بالعقـل . وهـذا قـول كثير ممـن يقـول بالحكم العقلـى مـن أهـل الكلام والفقـه ، مـن أصحـاب أبى حنيفـة ، وغيرهـم ، وهـو اختيـار أبـى الخطـاب (٥) .

---

(١) سبق تخريجه قريبا . (٢) الزخرف/٨٧ . (٣) ابراهيم/١٠ .

(٤) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٢ / ٣٧ .

(٥) أبو الخطاب : محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذانى ، إمام الحنابلة فى عصره ، ولد ببغداد سنة ٤٣٢ وتوفى بها سنة ٥١٠هـ . من كتبه " التمهيد " فى أصول الفقه (ابن أبى يعلى : طبقات الحنابلة ٢ / ٢٥٨ ، ابن رجب : الذيل ١ / ١١٦ ـ ١٢٧ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٤ / ٢٧ ـ ٢٨) .

وقيل : لاحجة عليه بالعقل ، بل يجوز أن يعذب من لم يقم عليه حجة ، لابالشرع ، ولابالعقل ، وهذا قول من يجوّز تعذيب أطفال الكفار ومجانينهم ، وهذا قول كثير من أهل الكلام ، كالجهم (١) ، وكأبى الحسن الأشعرى ، وأصحابه ، والقاضى أبى يعلى (٢) ، وابن عقيل (٣) ، وغيرهم.

والقول الثالث ، وعليه السلف والأئمة : أنه لايعذب الا من بلغته الرسالة ، فلا يعذب الا من خالف الرسل ، كما دل عليه الكتاب والسنة (٤) ".

وقال قبل ذلك : " وهذا أصل لابد من ثباته ، وهو أنه قد

---

(١) جهم بن صفوان ، أبو محرز ، مولى بنى راسب ، من أهل خراسان ، تتلمذ على الجعد بن درهم ، اتصل بمقاتل بن سليمان من المرجئة ، وكان كاتبا للحارث ابن سريج من زعماء خراسان ، وخرج معه على الأمويين فقتلا بمرو سنة ١٢٨ هـ. تميز بالقول بالجبر ، ونفى الصفات ، وبفناء الجنة والنار. (انظر عنه وآرائه : الأشعرى : المقالات ٢٧٩ - ٢٨٠ وفهرس الأسماء منه ؛ الشهرستانى : الملل والنحل ١/٨٦ - ٨٨ ، القاسمى : تاريخ الجهمية والمعتزلة/١٠ - ٥٠ ، الزركلى : الأعلام ٢/١٤١).

(٢) أبو يعلى : محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء ، من كبار الحنابلة ، وعالم عصره فى الأصول والفروع ، ولد سنة ٣٨٠ هـ وتوفى سنة ٤٥٨ (طبقات الحنابلة ، لابنه ٢/١٩٣ - ٢٣٠ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٣/٣٠٦ - ٣٠٧ ، الزركلى : الأعلام ٦/٩٩ - ١٠٠).

(٣) ابن عقيل : على بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادى ، أبو الوفا ، من الحنابلة الذين خالفوا المذهب ، ولجأوا الى التأويل ، كابن الجوزى ، ولد سنة ٤٣١ ، وتوفى سنة ٥١٣ هـ. وله كتاب الفنون الذى يزيد على أربعمائة مجلد ، قال الذهبى : لم يصنف فى الدنيا أكبر منه. (ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ١/١٤٢ - ١٦٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٤/٣٥ - ٤٠ ، الزركلى : الاعلام ٤/٣١٣).

(٤) ابن تيمية : الجواب الصحيح ١/٣١١ - ٣١٢. وأما مسألة حصول المعرفة بالعقل أو بالشرع فقال بعد الاشارة الى نزاع الناس فيها : " وحقيقة المسألة : ان المعرفة منها مايحصل بالعقل ، ومنها مالايعرف الابالشرع. فالاقرار الفطرى : =

دلت النصوص على أن الله لا يعذب الا من أرسل اليه رسولا ، تقوم به الحجة.

قال تعالى (وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشوراً. اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا • من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولاتزر وازرة وزر أخرى وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا) (١).

وقال تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (٢).

وقال تعالى عن أهل النار (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير• قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شىء إن أنتم إلا فى ضلال كبير) (٣).

وقال تعالى (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا • حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ، قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) (٤).

وقال تعالى (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا ، قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) (٥).

وقال تعالى (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا

كالاقرار الذى أخبر الله به عن الكفار، قد يحصل بالعقل ، كقوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) (لقمان/٢٥) ... (انظر : درء التعارض ٧/٤٥٧ــ ٤٥٨).

(١) الاسراء/١٣ــ ١٥ . (٢) النساء/١٦٥ . (٣) الملك/٨ــ٩ .
(٤) الزمر/٧١ . (٥) الأنعام/١٣٠ .

يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلك القرى الا وأهلها ظالمون) (١) .

وقال تعالى (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا - الى قوله - فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى ، أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل ، قالوا سحران تظاهرا ، وقالوا إنا بكل كافرون) (٢) .

وقال تعالى (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولانذير ، فقد جاءكم بشير ونذير ، والله على كل شيء قدير) (٣) .

واذا كان كذلك ، فمعلوم أن الحجة انما تقوم بالقرآن على من بلغه ، كقوله (لأنذركم به ومن بلغ) (٤) ، فمن بلغه بعض القرآن دون بعض قامت عليه الحجة بما بلغه دون مالم يبلغه" (٥) ، فكيف فيمن لم يبلغه جميع نصوص الكتاب ، فهذا من باب أولى .

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " وليس أحد أحب اليه العذر من الله ، من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل " .

وفي رواية : " ليس أحد أحب اليه المدح من الله ، من أجل ذلك مدح نفسه ، وليس أحد أغير من الله ، من أجل ذلك حرم الفواحش" (٦)

" ومن لم تقم عليه الحجة في الدنيا بالرسالة ، كالأطفال والمجانين وأهل الفترات ، فهؤلاء فيهم أقوال ، أظهرها ماجاءت به الآثار أنهم

---

(١) القصص/٥٩ . (٢) القصص/٤٧ - ٤٨ .

(٣) المائدة/١٩ . (٤) الأنعام/١٩ .

(٥) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣٠٩/١ - ٣١٠ .

(٦) أخرجه البخاري (٣٩٩/١٣) في كتاب (٩٧) التوحيد ، باب (٢٠) لاشخص أغير من الله ، رقم/٧٤١٦ .
ومسلم (٢١١٣/٤-٢١١٤) واللفظ له ، في كتاب (٤٩) التوبة ، باب (٦) غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش ، رقم/٢٧٦٠ .

يمتحنون يوم القيامة ، فيبعث اليهم من يأمرهم بطاعته ، فان أطاعوه استحقوا الثواب ، وان عصوه استحقوا العذاب" (١).

وبعد هذا البيان المفصل تبين أن الله عز وجل لا يعذب أحدا الا بعد قيام الحجة عليه بارسال رسول ، والله سبحانه وتعالى أعلم.

الفطرة : معناها ، ورأى ابن كمال باشا فيها :

الفطرة من فطر الشيء يفطره فطرا ..

ومادة " فطر " تأتي في اللغة بمعان عديدة : (٢)

منها : الشق ، وفي التنزيل قوله تعالى (اذا السماء انفطرت) (٣) أي انشقت .

ومنها : الابتداء والاختراع ، كما قال تعالى (الحمد لله فاطر السموات والأرض) (٤) أي خالقهما ومبتدئهما (٥) ، وكما قال ابن عباس رضي الله عنهما : " كنت لا أدري ما (فاطر السموات والأرض) حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ، أنا بدأتها " (٦)

والفطرة أيضا : الخلقة ، أنشد ثعلب : (٧)

" هو عليك ! فقد نال الغنى رجل في فطرة الكلب ، لا بالدين

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح ٣١٢/١ ، وكذلك : درء تعارض العقل والنقل ٣٩٩/٨ ـ ٤٠١ ، ٤٣٦ ـ ٤٣٧ .

(٢) انظر : الجوهري : الصحاح ٧٨١/٢ ؛ ابن منظور : لسان العرب ٥٥/٥ ـ ٥٦ (مادة فطر) .

(٣) الانفطار/١ . انظر : مختصر تفسير ابن كثير ٦١٠/٣ .

(٤) فاطر/١ . (٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٣١٩/١٤ .

(٦) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٥١٩/٦ ، ابن عبد البر : تجريد التمهيد ص ٣٠٠ ، الجوهري : الصحاح ٧٨١/٢ .

(٧) ابن منظور : لسان العرب ٥٦/٥ .

والحسب " أى فى خلقة الكلب .

فأصل كلمة " فطر " يدور معناه حول التشقق ، والابتداء ، والخلق ، والمعنيان الأخيران يناسبان المعنى الاصطلاحى .

والفطرة فى اصطلاح العلماء هى : الاسلام ، دين الله تعالى ، وهو المختار الصحيح من بين معانيها العديدة .

ولقد اختلف العلماء فى معنى الفطرة ، وخاصة فى التى وردت فى القرآن الكريم ، وحديث أبى هريرة رضى الله عنه .

عرف ابن كمال باشا الفطرة فى تعريفاته (١) : " بالجبلة المتهيئة لقبول الدين " .

وكذلك نراه يؤكد رأيه فى هذا المعنى فى تفسيرلقوله تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ...) (٢) حيث قال : " ففيه دلالة على أن المراد من الفطرة : الخلقة ، أى الحالة التى جبلوا عليها من قبولهم للتوحيد ودين الاسلام ، وتمكنهم من إدراكه بحيث لو خلوا وماجبلوا عليه لما اختاروا عليه دينا آخر ، وشهدت عقولهم الفطرية به ، ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ، وقد أفصح عن هذا قوله عليه السلام " كل عبادى خلقت حنفاء ، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم ، وأمروهم أن يشركوا بى " (٣) ، وقوله عليه السلام " كل مولود يولد على الفطرة ، حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه (٤) " .

---

(١) ذكره المناوى عن ابن كمال فى التوقيف ص٥٦٠ .

(٢) الروم/٣٠ .

(٣) أخرجه مسلم (٤/٢١٩٧ـ٢١٩٨) فى كتاب (٥١) الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب (١٦) الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة ، رقم ٢٨٦٥ . بلفظ : " إنى خلقت عبادى حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بى مالم أنزل به سلطانا " .

(٤) أخرجه البخارى (٣/٢٤٥ـ٢٤٦) فى كتاب (٢٣) الجنائز ، باب (٩٢) ماقيل =

ويجوز أن يراد بالفطرة : دين الاسلام (١) " .

والذى ذهب اليه ابن كمال باشا فى معنى الفطرة هو رأى الإمامين ابن عبد البر والقرطبى من المالكية ونسباه الى أهل الفقه والنظر (٢) .

وصريح من عبارة ابن كمال باشا أنه لم يرد بهذا القول " أنهم خلقوا خالين من المعرفة والانكار ، من غير أن تكون الفطرة تقتضى واحدا منهما ، بل يكون القلب كاللوح الذى يقبل كتابة الايمان وكتابة الكفر ، وليس هو لأحدهما أقبل منه للآخر " (٣) ..

وانما مراده أنهم ولدوا على الفطرة السليمة ، التى لو تركت مع صحتها لاختارت المعرفة على الانكار ، والايمان على الكفر ، ولكن بما عرض من الفساد خرجت عن هذه الفطرة ... فانه يقول : فى الفطرة قوة تميل بها الى المعرفة والايمان (٤) .

ويَرِد على تفسير ابن كمال باشا الخلقة بهذا المعنى أن " هذه الفطرة التى فيها هذه القوة والقبول والاستعداد والصلاحية ، هل هى كافية فى حصول المعرفة ، أو تقف المعرفة على أدلة يتعلمها من خارج ؟

فى أولاد المشركين ، رقم ١٣٨٥ وهو فى عدة مواضع من صحيح البخارى ومسلم وكتب السنة . ومسلم (٤ /٢٠٤٧) فى كتاب (٤٦) القدر ، باب (٦) معنى كل مولود يولد على الفطرة ، رقم ٢٦٥٨ .

(١) ابن كمال باشا : تفسيره : ٥٥٥ ب ـ ٥٥٦ أ .

(٢) ابن عبد البر : تجريد التمهيد ٢٩٦ ، ابن تيمية : درء التعارض ٨ / ٤٤٢ ـ ٤٤٤ ، ومجموعة الرسائل الكبرى ٢ / ٣٣٤ ـ ٣٣٥ ، ابن القيم : شفاء العليل / ٢٨٩ .

(٣) ابن تيمية : درء التعارض ٨ /٤٤٤ .

(٤) انظر : ابن تيمية : درء التعارض ٨ /٤٤٥ .

فان كانت المعرفة تقف على أدلة يتعلمها من خارج ، أمكن أن توجد تارة وتعدم أخرى . ثم ذلك السبب الخارج يمتنع أن يكون موجبا للمعرفة بنفسه ، بل غايته أن يكون معرّفا ومذكّرا ، فعند ذلك ان وجب حصول المعرفة ، كانت المعرفة واجبة الحصول عند وجود تلك الأسباب ، والا فلا ، وحينئذ فلا فرق بين الايمان والكفر ، والمعرفة والانكار ، انما فيها قوة قابلة لكل منهما واستعداد له ، لكن يتوقف على المؤثر الفاعل من خارج " (١) .

ويقال كذلك إن " المعرفة والإيمان بالنسبة اليها ممكن بلا ريب ، فاما أن تكون هي موجبة مستلزمة له ، واما أن يكون ممكنا بالنسبة اليها ، ليس بواجب لازم بها ، فان كان الثاني ، لم يكن فرق بين الكفر والايمان ، اذ كلاهما ممكن بالنسبة اليها . فتبين أن المعرفة لازمة واجبة لها ، الا أن يعارضها معارض ...

فان لم تكن الفطرة مقتضية للاسلام ، صار نسبتها الى ذلك كنسبة التهويد والتنصير الى التمجيس ، فوجب أن تذكر كما ذكر ذلك ..

فتبين أن فيها قوة موجبة لحب الله ، والذل له ، واخلاص الدين له ، وأنها موجبة لمقتضاها اذا سلمت من المعارض " (٢) .

ويَرِد على تفسير ابن كمال باشا الفطرة كذلك أن مجرد خلق الطفل على حالة تمكنه من معرفة ربه اذا بلغ ، لايقتضي أن يكون حنيفا ، ولاعلى الملة (٣) ، ولايحتاج أن يذكر بعده تغيير الأبوين للفطرة ، ولاأن يسأل

---

(١) ابن تيمية : درء التعارض ٨/٤٤٦ .

(٢) ابن تيمية : درء التعارض ٨/٤٤٧ ـ ٤٤٩ .

(٣) كما جاء في بعض الروايات " مامن مولود يولد الاوهو على الملة " انظر : صحيح مسلم (٤/٢٠٤٨) كتاب (٤٦) القدر ، باب (٦) معنى كل مولود يولد على الفطرة ، يلي حديث رقم /٢٦٥٨ .

الرسول صلى الله عليه وسلم عمن مات صغيرا ـ كما ورد في بعض طرق الحديث (١) ـ ، بل هذه القدرة ، وهذا التمكن موجود عند كل أحد لايتغير ، بل هو عند الكافر المشرك ، وعند الكبير الكافر ، أكمل منه عند الصغير ، فلا بد أن يكون المراد بالفطرة القدرة الكاملة مع الارادة التامة .

والتي تستلزم وجود المقدور ، وهو الايمان والاسلام (٢) .

الفطرة هي الاسلام عند السلف :

المراد بالفطرة هي الاسلام ، وهو أشهر الأقوال وأصحها ، وهو المعروف عند عامة السلف وأهل التأويل (٣) .

وهو أيضا ماذكره ابن كمال باشا بصيغة التجويز في تفسير الآية كما سبق ذكره ... وهو الذي ذكره كذلك في تفسير قوله تعالى (صبغة الله) (٤) حيث قال : " اى صبغنا الله تعالى بالايمان الفطرى صبغته ، وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، فانها حلية الانسان ، كما أن الصبغة حلية المصبوغ " (٥) ..

وبذلك اتفق مع السلف في تفسير هذه الآية ، واختلف عنهم في تفسير آية الروم ، السابق ذكرها .

(١) انظر : المرجع السابق .

(٢) انظر : ابن تيمية : درء التعارض ٨/٣٨٥ ، ابن القيم : شفاء العليل /٢٨٩ .

(٣) انظر : ابن عبد البر : تجريد التمهيد ٢٩٧ ، ابن تيمية : مجموعة الرسائل الكبرى ٢/٣٣٣ ، ودرء تعارض العقل والنقل ٨/٤١٠ ، ابن القيم : شفاء العليل ٢٨٥ ومابعدها ..

(٤) البقرة /١٣٨ .

(٥) ابن كمال باشا : تفسيره ١/١٠٨ (الحرم المكي) .

واستدلوا على أن الفطرة المراد بها الاسلام بأدلة كثيرة ، منها :

١ - قوله تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون) (١) .

قال الحافظ ابن كثير فى تفسيرها : فسدد وجهك ، واستمر على الدين الذى شرعه الله لك من الحنيفية ، ملة ابراهيم ، الذى هداك الله لها ، وكملها لك غاية الكمال ، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة ، التى فطر الله الخلق عليها ، فانه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده ، وأنه لاإله غيره" (٢) .

قوله (حنيفا) قال أبو عمر ابن عبد البر : " الحنيف فى كلام العرب : المستقيم المخلص ، ولا استقامة أكثر من الاسلام" (٣) .

وقال : " وقد روى عن الحسن قال : الحنيفية : حج البيت ، وهذا يدلك على أنه أراد الاسلام ، وكذلك روى عن الضحاك والسدّى : (حنفاء) قال : حجاجا ، وعن مجاهد : (حنفاء) : متبعين ...

وهذا كله يدلك عن أن الحنيفية : الاسلام" (٤) .

وقوله تعالى (لاتبديل لخلق الله) اى لدين الله ، وبذلك فسر كل من ابن عباس رضى الله عنهما ، والنخعى ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والضحاك ، وابن زيد رحمهم الله تعالى (٥) .

وقوله تعالى (ذلك الدين القيم) قال الحافظ ابن كثير : " أى

---

(١) الروم/٣٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦ / ٣٢٠ ، انظر أيضا : الطبرى : جامع البيان ٢١ /٢٦ .

(٣) تجريد التمهيد ص٢٩٩ ، ابن تيمية : درء التعارض ٨ /٣٦٩ .

(٤) تجريد التمهيد ٢٩٩ ، ابن تيمية : درء التعارض٨ /٣٦٩ ـ ٣٧٠ .

(٥) انظر : ابن جرير الطبرى : جامع البيان ٢١ /٢٧ ، ابن تيمية : درء التعارض٨ / ٣٦٧ ـ ٣٦٨ ، ٣٧٤ ـ ٣٧٦ ، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٦ /٣٢٠ .

التمسك بالشريعة والفطرة المستقيمة ، هو الدين القويم المستقيم [١] ".

٢ ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه : " كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كمثل البهيمة تنتج البهيمة ، هل ترى فيها جدعاء " [٢] .

وفي رواية : " تنتج بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء " ، وفي رواية قال أبو هريرة : " اقرأوا ان شئتم (فطرت الله التي فطر الناس عليها) [٣] " .

وفي رواية سألوه عن أطفال المشركين ، اى من يموت منهم صغيرا فقال : " الله أعلم بما كانوا عاملين " [٤] .

فدلالة هذا الحديث على أن الفطرة المراد بها الاسلام من وجوه :

أولا ـ الروايات المختلفة الألفاظ ، المتفقة المعاني ، مما يجعل بعضها مفسرا لبعض ، مثل " ما من مولود يولد الا وهو على الملة ، وفي أخرى " الا على هذه الملة " [٥] .

ثانيا ـ قوله صلى الله عليه وسلم : " الفطرة خمس ، أو خمس من الفطرة " ، ويروى " عشر من الفطرة " [٦] : يعني : فطرة الاسلام" [٧] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٢٢/٦ .

(٢) سبق تخريج الحديث .

(٣) الروم/٣٠ . صحيح مسلم (٢٠٤٧/٤) في كتاب (٤٦) القدر ، باب (٦) معنى كل مولود يولد على الفطرة ، حديث رقم/٢٦٥٨ .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) سبق تخريجه . (انظر : ابن تيمية : درء التعارض ٣٦٥/٣ ـ ٣٦٦) .

(٦) أخرجه البخاري (٣٣٤/١٠) في كتاب (٧٧) اللباس ، باب (٦٣) قص الشارب ، رقم/٥٨٨٩ ، وبرقم ٥٨٩١ . ومسلم (٢٢١/١) في كتاب (٢) الطهارة ، باب (١٦) خصال الفطرة ، رقم/٢٥٧ .

(٧) ابن تيمية : درء التعارض ٣٧١/٨ ، ابن عبد البر : تجريد التمهيد /٢٩٩ .

ثالثا ـ قول أبي هريرة رضي الله عنه في آخر الحديث : " اقرأوا إن شئتم (فطرت الله التي فطر الناس عليها) مما يبين أنه فسر الحديث بالآية . وقد أجمع العلماء على أن المراد بالفطرة في الآية الإسلام (١) . فتفسير الراوي له أهميته في هذا المقام ، وذلك أنه أعلم بما سمع (٢) .

رابعا ـ " لو لم يكن المراد بالفطرة الإسلام ، لما سألوا عقب ذلك " أرأيت من يموت من أطفال المشركين وهو صغير ؟ " لأنه لو لم يكن هناك مايغير تلك الفطرة لما سألوه ، والعلم القديم ومايجري مجراه لايتغير " (٣) .

خامسا ـ ذكر الحديث التغيير لملل الكفر دون ملة الإسلام ، فعلم أنه يتحول عن الإسلام الى غيره ، بفعل الأبوين ، أو غيره (٤) .

سادسا ـ قوله في الحديث (كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء) شبه صلى الله عليه وسلم المولود على الفطرة بالبهيمة الجمعاء ، السالمة مما يعيبها ، وشبه أيضا ما كان من عمل الأبوين من التهويد والتنصير والتمجيس بجدع الأذن ، ولايكون ذلك إلا إذا غيّر الأبوان ما كان كاملا (٥) .

٣ ـ حديث عياض بن حمار المجاشعي عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل : " وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم،

---

(١) حكاه ابن عبد البر في تجريد التمهيد ص٢٩٧ .

(٢) ابن تيمية : درء التعارض ٨/٣٧١ .

(٣) ابن تيمية : درء التعارض ٨/٣٧١ .

(٤) انظر : ابن تيمية : درء التعارض ٨/٣٧٢ .

(٥) مذكرات شيخنا كمال هاشم نجا في العقيدة ؛ ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ٨/٣٧٢ ..

وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرّمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانا..)[١] .

صريح في أنهم خلقوا على الحنيفية ، وأن الشياطين أجتالتهم، وحرمت عليهم الحلال ، وأمرتهم بالشرك ..

وتقدم تفسير الحنيف : بالمستقيم المخلص ، وأنه لااستقامة أكثر من الإسلام[٢] .

٤ ــ فالمراد بالفطرة الإسلام هو قول : أبي هريرة رضي الله عنه ، وابن شهاب ، وقتادة ، ومجاهد ، والحسن ، والنخعي ، وعكرمة[٣] .

وبعد هذا البيان المفصل حول معنى الفطرة ، والمراد بها يتضح أن صاحبنا العلامة ابن كمال باشا قد جانبه الصواب في اختيار معنى الفطرة ، كما جانب مذهب السلف فيه ، اذ الفطرة عند عامة السلف وأهل التأويل هي الإسلام ، والله أعلم .

---

(١) سبق تخريج الحديث.

(٢) انظر: ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ٣٦٩/٨ ، ٤٣٢ ؛ وكذلك :ابن عبد البر :تجريد التمهيد ص٢٩٩ .

(٣) انظر: ابن عبد البر :تجريد التمهيد ٢٩٨ ؛ ابن تيمية : درء التعارض٣٦٧/٨ ؛ مجموعة الرسائل الكبرى ٣٣٣/٢ .

ب ـ وجود الله عز وجل

تمهيد :

قضية الاستدلال على وجود صانع العالم ومدبره من أهم القضايا التى شُغِل بها مفكرو الإسلام ... ولاعجب فى ذلك .. اذ الإيمان بوجود الله تعالى هو أصل أصول الدين ، وعلى ذلك يقوم ماسواه من أصول هذا الدين كالإيمان بالملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر ... ولذلك نال الاستدلال على وجود الله عز وجل عناية كبرى من علماء الاسلام ..

وقد استدل ابن كمال باشا على هذه القضية بعدة أدلة نوجزها فيما يلى :

أولا : دليل الأنفس والآفاق وهو مايسمى بدليل العناية وبدليل الإختراع الذين ذكرهما ابن رشد ، وبين أنهما الطرق الشرعية الصحيحة التى سلكها القرآن الكريم ، وأرشد اليها ... (١) .

وأبدى العلامة ابن كمال باشا اهتماما بالغا بهذا الدليل الذى أورده القرآن الكريم فى أكثر من خمسمائة آية .. (٢) .

ثانيا : دليل الحدوث : استدل به المتكلمون ومنهم ابن كمال باشا ـ علاوة على ما ورد فى القرآن من الآيات ـ على سبيل الاستظهار لاثبات وجود البارى عز وجل ، بناء على أن علة الحاجة عندهم هو الحدوث ...

---

(١) ابن رشد : مناهج الأدلة ص ١٥١ .

(٢) انظر فى طريقة القرآن الكريم والآيات الواردة فى معرفة الخالق : ابن الوزير اليمانى : ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ص ٢٢ ـ ٢٤ ؛ ٨١ ـ ٨٤ .

ثالثا : دليل الامكان : ذكره العلامة ابن كمال باشا في ضمن الأدلة التي استدل بها على وجود الله عز وجل ، مع التنبيه في أماكن عديدة من مؤلفاته أن علة الحاجة عنده هي الحدوث، لا الامكان ... (١) .

فهذه هي الأدلة التي استدل بها العلامة ابن كمال باشا على وجود الباري عز و جل ...

ولنبدأ الآن بذكر أدلة ابن كمال باشا على وجود الله عز وجل :

أولا : دليل الآفاق والأنفس :

أ - دليل الآفاق :

يرى العلامة ابن كمال باشا أن النظر في ملكوت السماوات والأرض وما فيهما من عجائب ، بل كل ما يطلق عليه اسم " الشيء " يدل على عظيم قدرة خالقه ، ووحدة بارئه ومالكه ..

لأن الطرق الى معرفة الله تعالى كثيرة ، والأدلة على وجوده تفوق الحصر، وتفوق السبر ، وهذا أمر متفق عليه عند العقلاء (٢) .

يقول العلامة ابن كمال باشا في تفسير قوله تعالى (أولم ينظروا - نظر استدلال - في ملكوت السموات والأرض) فيما يدلان عليه من عظم ملكه ، أو فيما يملك به السماوات والأرض من ملكوتيتهما ... ثم إنه تعالى لم يقتصر على الحث على النظر في الملكوت ، بل نبه على أن كل فرد من الموجودات محل للنظر والاعتبار والاستدلال على وجود الصانع، ووحدانيته ، كما قيل :

---

(١) ابن كمال باشا : رسالة في تحقيق تقدم العلة على المعلول ق/ ٢٠٨ أ ، ر. في تحقيق أن التعلق للغير فيم ، وأن الحاجة اليه بم؟ ق/ ٢٣٧ ب ، ٢٤٠ أ - ب ، حاشية على إلهيات المواقف ٣ أ - ب .

(٢) انظر : الآلوسي : روح المعاني ٩/ ١٢٨ ؛ والقاسمي : دلائل التوحيد / ٢٢ .

وفي كل شيء له آية ∴ تدل على أنه واحد (١)

فقال : (وماخلق الله من شيء) (٢) وفيما خلق الله تعالى من كل مايقع عليه اسم " الشيء " مما لم يمكن حصره ، ليدلهم على كمال قدرة صانعه ، ووحدة فاطره ، وعظم شأن مالكه ، ومدبره يعلمون صحة مايدعوهم اليه " (٣).

وقال أيضا بعد سوقه لقوله تعالى (إن في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب) (٤) : " لدلالات واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول الخالصة عن قشور الأوهام ، والعادات الصافية عن مشوب الهوى ، والخيالات المدركة للحقائق بنظر الاعتبار ، المتدبرة للمعاني بصواب الأفكار . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : " ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها " (٥) اهـ (٦)

إن التفكر في مخلوقات الله تعالى ومافيها من إتقان ودقة ونظام وتناسق عجيب فيما بينها ، والنظر الى أداء كل واحد منها مهمته ووظيفته في هذا الكون على أتم وجه وأحسن نظام يؤدي الى أن لهذه الكائنات خالقا أوجدها ..

إن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير

---

(١) البيت لأبي نواس في ديوانه ص/٨٧ .

(٢) الأعراف/١٨٥ . (٣) ابن كمال باشا : تفسيره ٢٦٤ ب .

(٤) آل عمران/١٩٠ .

(٥) أورده ابن حجر في الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ص٣٦ وقال : (أخرجه ابن حبان من رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء ... ورواه عبد بن حميد ، والثعلبي ، وغيرهم من رواية أبي جناب الكلبي عن عطاء ..." .

(٦) ابن كمال باشا : تفسيره ٢٦٦/١ ـ ٢٦٧ ؛ وانظر هذا المعنى أيضا في تفسير الآية ١٨٥ من سورة البقرة في تفسيره ١٢٠/١ ـ ١٢١ (الحرم المكي الشريف) .

مستقيم في فصول السنة ، وحساب مستو من أظهر مايستدل به على وجود الله تعالى ووحدانيته وكمال قدرته .. (١)

وليس وجود هذه الأشياء وليد مصادفة أو راجعا الى طبيعة — كما يزعم الطبيعيون — ، لأن الطبيعة لو كانت مؤثرة لكان أثرها واحدا ، فلما وجدنا اختلاف أوصافها دل ذلك على أنها من تقدير صانع قادر قديم ..

مناقشة ابن كمال للطبيعيين :

لقد رد العلامة ابن كمال باشا على زعم الطبيعيين القائل بأن " العالم عبارة عن الطبائع الأربع ، حرارة الهواء ورطوبته ، وحرارة النار ويبوستها ، ورطوبة الماء وبرودته ، ويبوسة الأرض وبرودتها "

فأجاب عن زعمهم هذا قائلا : " فاذا رأينا الأشياء تتفاسد وتتناثر في الشتاء ، مثل الأشجار والحشيش والكلأ ، وبعضها مالاتتفاسد ، ولاتتناثر كالآس والصنوبر والعرعر ، فلما اختلف أوصاف هذه الأشياء دل على أنه من تقدير صانع قادر قديم .

وكذلك رأينا الأشجار في مكان واحد ، ولكن ثمارها وألوانها ولذاتها مختلفة ، والماء والهواء والأرض والنار واحدة ، فلو كان ذلك من الطبائع الأربع وجب أن لايختلف طعم الثمار وألوانها ، فلما أختلف طعمها دل على أنه من تقدير صانع قادر قديم " (٢).

ومأخذ رد العلامة ابن كمال باشا على الطبيعيين لبيان بطلان مذهبهم هو القرآن الكريم ، وذلك ظاهر ، فقد أشار سبحانه وتعالى

---

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ٥١٨ ب .

(٢) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص١٤ .

الى بطلان مذهبهم في قوله تعالى (وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) (١).

ب ـ دليل الأنفس :

من أظهر الدلائل على وجود الله تعالى هو نفس الانسان وذلك من جهة مايعرض له في حياته من أطوار، فانه كان في ابتدائه نطفة ، ثم صار علقة ، ثم صار مضغة ، ثم صار لحما ودما ، ثم صار خلقا آخر ... فتبارك الله أحسن الخالقين .. ثم يرد في نهاية ذلك الى أرذل العمر .. ولايمكن لأحد أن يحول نفسه من حال الى حال ، فلا بد من محول حكيم..

ومن جهة أن في الانسان من عجائب الصنعة ، وغرائب الفطرة ، من تركيب أعضائه الظاهرة الكثيفة ، من نظم العظام ، ومشابك الأعصاب ، والعروق ، والشرايين ، والقلب ، والكبد ، والطحال ، والمعدة ، والأمعاء ، ومجرى الماء والبول الى غير ذلك ... اذا اطلع على ذلك الانسان علم قطعا أن ذلك لابد له من صانع حكيم ، عليم قدير .. (٢)

ولبيان هذه الدلالة يقول العلامة ابن كمال باشا في تفسير قوله تعالى (أولم يتفكروا في أنفسهم) :

" .. أولم يتفكروا في أنفسهم التي هي أقرب الأشياء اليهم ، وفيما فيها من عجائب الصنع ، وبدائع الحكم التي أودعها الله تعالى فيها ، وفي انتقالاتها في السن الى الشيخوخة ، والضعف ، وضرورة فنائها" (٣)

(١) الرعد /٤ .. انظر في تفسيرها : ابن كمال باشا : تفسيره ٣٦٧ب ـ ٣٦٨أ .

(٢) انظر : ابن الأنباري : الداعي الى الاسلام ص ٢٠٩ ؛ البيهقي : الاعتقاد ص ٢٣ـ٢٥ .

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره /٥٥٣أ .

(ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق) (١) .

" والمراد بالحق هو الثابت الذى يحق أن يثبت لامحالة ، لابتنائه على الحكمة البالغة ، والفرض الصحيح الذى هو استشهاد المكلفين بذواتها وصفاتها وأحوالها المتغيرة على وجود صانعها عز وجل ، ووحدته وعلمه ، وقدرته ، وحكمته ، واختصاصه بالمعبودية ... " (٢) ...

وقال فى رسالة له (٣) أيضا ، مؤكدا هذا المعنى نقلا عن أبى القاسم اسحاق بن محمد الحكيم السمرقندى (ت ٣٤٢هـ) :

" من عرف تركيب قالب الانسان على وجه الحكمة البالغة ، من مبدأ حالها الى آخر حالها - على ماذكر بعضها فى كتب التشريح - عرف وجود الله تعالى وكمال حكمته وقدرته ، وغيرها من صفات الكمال ، بقدر فطانته وصفاء بصيرته " .

وقال فى بيان هذا الدليل أيضا :

" إن الانسان أدل الدليل عليه - أى على الله عز وجل - من جميع الدلائل ، وأكمل آيات الله تعالى ، فمعرفة الحق موقوفة على معرفة الانسان " (٤) .

ثانيا - دليل الحدوث :

استدل ابن كمال باشا على وجوده تعالى :

بأن العالم حادث ، وكل حادث لابد له من محدث ، فالعالم لابد له من محدث ، وهو الله تعالى ...

(١) الروم/٨ .

(٢) أبو السعود العمادى : إرشاد العقل السليم ٧/٥١ ؛ انظر كذلك : الآلوسى : روح المعانى ٢١/٢٢ .

(٣) ابن كمال باشا : رسالة فى بيان الروح ٧٢ أ - ب .

(٤) ابن كمال باشا : رسالة فى علوم الحقائق وحكمة الدقائق /٨٧ أ .

وهذا الدليل يعتمد أولا على بيان حدوث العالم الذى دار حوله الخلاف العنيد بين المتكلمين والفلاسفة قديما وحديثا ..

فالعالم "فى لسان العرب - اسم لنوع من المخلوقين ، فيه علامة يمتاز بها عن خلافه من الانواع ، كالملك ، والجن ، والانس، فتقول العرب : عالم البر ، وعالم البحر ،وعالم الأرض ، وعالم السماء ، على مانقله أئمة اللسان (١) . وهو جمع لاواحد له من لفظه ، كالأنام والرهط والجيش .

وهو مأخوذ من العلم والعلامة ، فجعل اسما لما يعلم به الصانع" (٢) .

وهو فى اصطلاح المتكلمين : " عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى وصفاته " (٣) .

وهو على قسمين : جواهر وأعراض .

فالجوهر : ممكن له قيام بذاته ؛ ومعنى قيامه بذاته -عند ابن كمال باشا بخاصة وعند المتكلمين بعامة - أن يتحيّز بنفسه غير تابع فى تحيزه لتحيز شىء آخر ..

ثم الجوهر إما مركب ، وهو الجسم .

أو غير مركب ، وهو الجوهر الفرد الذى لاينقسم حسا ولاعقلا ولاوهما ..

فالأجسام تتركب من الجواهر الفردة ، وبعبارة أخرى ، من أجزاء لاتتجزأ عند المتكلمين ...

والعرض : ممكن ليس له قيام بذاته ، بل يقوم بمحله الذى يقوّمه ..

---

(١) انظر :ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ٤ /١١٠ (مادة علم) : ومجمل اللغة ٣/٦٢٤ ، ابن منظور: لسان العرب ١٢/٤١٩ - ٤٢١ .

(٢) ابن كمال باشا : تفسير سورة الفاتحة ضمن رسائله ١/١٠ .

(٣) ابن كمال باشا : اشارات لطيفة ق / ٩٢ أ .

كالأكوان ، والألوان ، والروائح ، والطعوم ... (١)

وقال العلامة ابن كمال باشا بعد أن بين أقسام العالم ، وعرف كلا منهما :

" اذا عرفت العالم وأقسامه ، فاعرف الآن ، أنه حادث ، أى لم يكن فكان .

لأن الله تعالى فاعل مختار ، وهو الذى إن شاء فعل ، وإن شاء ترك ، بخلاف الفاعل غير المختار ، فإنه إن شاء أو لم يشأ لابد وأن يصدر منه الفعل ، كالنور من الشمس ، والاحراق من النار .

ومن شأن من هو موصوف بالاختيار أن يقصد الى إيجاد المعدوم ، لاالموجود ، والا يلزم تحصيل الحاصل ، وهو محال .

ولم نعن بالحادث الا المسبوق بالعدم ، فثبت أنه حادث " (٢) .

وبذلك تم إثبات حدوث العالم عند ابن كمال باشا ، ثم انتقل الى " أن صانع العالم قديم ، وهو الذى لم يكن مسبوقا بالعدم . لأنه لو كان حادثا لكان ممكنا ، افتقر الى مؤثر وموجد . ثم مؤثره إن كان قديما ثبت المدّعى ، وإن كان حادثا يحتاج الى مؤثر آخر ، وهلم جرا الى أن ينتهى الى مؤثر قديم ، ولايتسلسل ، لأنه محال " (٣)

وذهب ابن كمال باشا الى أن طريقة الحدوث هى طريقة سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام حيث قال فى تفسير قوله تعالى (فلما

---

(١) انظر فى ذلك : ابن كمال باشا : ر. فى بيان عقيدة أهل السنة ١٩٢ ب ، ر. عقائد مختصرة ٦٠ أ ـ ب ، إشارات لطيفة ١٩٢ أ ـ ب .

(٢) ابن كمال باشا : إشارات لطيفة ١٩٢ ب .

(٣) ابن كمال باشا : إشارات لطيفة ١٩٢ ـ ١٩٣ أ .

جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين) [١] : " الأرباب المنتقلين من حال الى حال ، المحتجبين بالغروب والانتقال ، فضلا أن أعبدهم ، فان التغير بالانتقال من مكان الى مكان من خواص الاجرام المحتاجة الى الرب ، فلا يصلح للربوبية .. " [٢] .

ونرى صياغة هذا الاستدلال عنده فى حاشيته على إلهيات المواقف [٣] هكذا : قوله (لاأحب الآفلين) :

" كنى بالأفول عن التغير ، وينفى المحبة عن عدم الارتباط والتعلق بالآفلين .. فكأنه قال : لايصلح المتغير للربوبية ، وذلك لما تقرر لديه من أن كل متغير حادث ، وكل حادث محتاج الى الغير الذى يحدثه ، والمحتاج الى الغير لايصلح أن يكون ربا للعالم ، صانعا له " .

ومع ذلك فان ابن كمال باشا يسلم أن مطلب ابراهيم عليه السلام هو إثبات عدم صلاحية الكواكب للربوبية ، ومطلبنا إثبات وجود الصانع للعالم ، واتحاد المسلك لايلزمه اتحاد المطلب [٤] .

ثالثا : دليل الامكان :

اعتمد المتكلمون المتأخرون على طريقة الامكان فى إثبات وجود الله عز وجل [٥] . وذكره ابن كمال باشا ضمن أدلة وجود الله ، وبين أن " الاستدلال بالامكان باعتبار استلزامه الحاجة الى العلة ...

---

(١) الأنعام/٧٦ . (٢) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٢٧٧ (الحرم المكى) ..
(٣) ق/٣/ب .
(٤) انظر : ابن كمال باشا : حاشيته على إلهيات المواقف /٣ ب .
(٥) ابن كمال باشا : ر. فى تحقيق أن التعلق للغير فيم، وأن الحاجة اليه بم ؟/ ٣٤٠ أ ، انظر أيضا : ابن تيمية : درء التعارض ٣/٩٦ .

فإن الإمكان يلزمه الحدوث عند المتكلمين ، وهو علة الحاجة عندهم ، فالامكان يستلزم الحاجة بواسطة استلزامه الحدوث" (١) ، وليس الامكان وحده علة الحاجة عندهم حتى يخالف مذهب جمهور المتكلمين ..

يقول العلامة ابن كمال باشا في تقرير هذا الدليل : " لابد لهذا العالم من صانع وموجد ، وهو الواجب تعالى وتقدس .

لأنه لو كان ممكنا لاحتاج الى موجد آخر (٢) .

ثم موجده إن كان واجب الوجود ثبت المدعى ، وإن كان ممكنا آخر ، فكذلك ، يحتاج الى موجد آخر . فإن كان موجده الأول لزم الدور (٣) .

وإن كان ممكنا آخر لزم التسلسل (٤) ، وهما محالان . ومايفضى الى المحال محال " .

---

(١) ابن كمال باشا : حاشية على إلهيات المواقف ٢ ب .

(٢) لأن الممكن لايكون أحد طرفيه ـ الوجود والعدم ـ أولى به لذاته .. وبعبارة أخرى أن الممكن هو مالايقتضى ذاته واحدا من طرفيه اقتضاء تاما ، ولذلك فهو يحتاج الى مرجح من خارج يرجح وجوده على عدمه لتساوى طرفيه . (انظر في ذلك : ابن كمال باشا : رسالة فى تحقيق أن الممكن لايكون احد طرفيه أولى به لذاته ، ق ٧٢ ب ـ ٧٤ أ) .

(٣) الدور : توقف الشئ على مايتوقف عليه . (الجرجانى : التعريفات ص ٧٢ ، المناوى : التوقيف ص ٣٤٣) .

(٤) التسلسل : ترتيب أمور غير متناهية ، وهو على أربعة أقسام ، وذلك : إما أن يكون فى الآحاد المجتمعة فى الوجود ، وإما أن لايكون فيها ، كالتسلسل فى الحوادث . والأول : إما أن يكون فيها ترتيب ، أولاترتيب فيها ، كالتسلسل فى النفوس الناطقة . والأول : إما أن يكون ذلك الترتيب طبيعيا ، كالتسلسل فى العلل والمعلولات ، والصفات والموصوفات . أو وضعيا ، كالتسلسل فى الأجسام ، والمستحيل عند الحكيم الأخيران ، دون الأولين (الجرجانى : التعريفات ٣٩ ، التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ٤ /٣٤ ـ ٣٨) .

وبذلك يكون العلامة ابن كمال باشا وصل الى أنه لابد من الواجب الوجود لذاته حتى يكون مرجحا وعلة لوجود الممكنات ، وهو الله سبحانه وتعالى .

ـ تعقيب على ابن كمال باشا ـ

أولا : دليل الآفاق والأنفس :

أ ـ دليل الآفاق :

يتضح من عرض رأى العلامة ابن كمال باشا فى الاستدلال على وجود الله عز وجل بدليل الآفاق أنه قد سلك مسلك الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وهو مانبه عليه الكتاب العزيز ، وأكثر من ذكره ، وهو كذلك ماسار عليه نبينا صلى الله عليه وسلم ، واعتمد عليه الصحابة ومن سار سيرتهم من السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين .

وأما كونه مسلك الأنبياء فبين ، حيث إن استدلالهم كان يقوم دائما على عظيم صنع الله وبديع خلقه ، كما بين الله تعالى ذلك على لسانهم (أفى الله شك فاطر السمٰوات والأرض) (١) . أى " أفى وحدانيته شك ... إنما ندعوكم الى الايمان بالله ووحدانيته ، وهو لايحتمل الشك ، لظهور الأدلة ، وشهادة وجود السماوات والأرض عليه .. " (٢)

وهذا خليل الله ابراهيم عليه السلام يدل قومه على الله تعالى بآثار قدرته وتدبيره فى قوله لهم فيما حكاه الله تعالى على لسانه (أفرأيتم ماكنتم تعبدون ، أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فانهم عدوّ لى الا رب العالمين ، الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى

---

(١) ابراهيم/١٠ . (٢) ابن كمال باشا : تفسيره/٣٧٧ ب .

ويسقين ، واذا مرضت فهو يشفين ، والذى يميتنى ثم يحيين) (١) ..

وكذلك يحتج على من أنكر الخالق بمثل ذلك ، فيما حكاه الله تعالى من قوله له (فان الله يأتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب) (٢) ..

وهذا موسى عليه السلام يستدل على وجود الله تعالى لفرعون الذى ينكر ذلك بآثار قدرة الله عز وجل فى خلقه كما جاء فيما حكاه الله تعالى (قال فمن ربكما ياموسى قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ، قال فما بال القرون الأولى ، قال علمها عند ربى فى كتاب لايضل ربى ولاينسى ، الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ، كلوا وارعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى ، منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) (٣) ..

وعند ما سأله فرعون اللعين : ومارب العالمين ؟ أجاب موسى عليه السلام (رب السموات والأرض ومابينهما ان كنتم موقنين) (٤) " ان كنتم تعرفون الأشياء بالدليل فكفى خلق هذه الأشياء دليلا " (٥) .. فلم يزد موسى عليه السلام فى إثبات وجود الله تعالى على ماظهر من آثار قدرته عز وجل وحكمته فى الآفاق ..

وكذلك فعل سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فعند ما سأله قومه : من يعيدنا ؟ دلهم عليه بالآثار لقدرته ، ومنها الخلق من العدم : (الذى فطركم أول مرة) (٦) .

---

(١) الشعراء/٧٥ـ ٨١ . (٢) البقرة/٢٥٨ . (٣) طه/٤٩ـ ٥٥ .

(٤) الشعراء/٢٤ . (٥) ابن كمال باشا : تفسيره ٥١٨ ب .

(٦) الإسراء / ٥١ .

وعندما سألوه صلى الله عليه وسلم (من يحيى العظام وهى رميم) (١) كان جوابه الذى أرشده إليه عز وجل (يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم. الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارًا فاذا أنتم منه توقدون) (٢)..

وعلى ذلك سار الصحابة ومن تبعهم من سلف الأمة ، وذلك مشهور ، لاداعى الى التطويل ببيانه (٣).

والحاصل أن خلق هذا العالم ومافيه من المخلوقات من أدل الدلائل على وجوده تعالى ، ويسمى هذا الدليل دليل الخلق ، ودليل الاختراع (٤).

ب ـ دليل الأنفس :

فالاستدلال بخلق الانسان ، وأطوار حياته ، على وجود الله عز وجل هو وما أشار اليه القرآن الكريم فى غير آية ، .. وهو دليل واضح لاغموض فيه ، وسهل خال عن التعقيد .. وهذا ما سار عليه أهل السنة والجماعة ..

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن هذا الدليل : " الاستدلال على الخالق بخلق الانسان فى غاية الحسن والاستقامة ، وهى طريقة عقلية صحيحة ، وهى شرعية دل القرآن عليها ، وهدى الناس اليها ، وبينها ، وأرشد اليها . وهى عقلية ، فان نفس كون الانسان حادثا ، بعد أن لم يكن ، ومولودا مخلوقا من نطفة ، ثم

(١) يٓس /٧٨. (٢) يٓس ٧٩ ـ ٨٠ .

(٣) انظر : ابن الوزير : ترجيح أساليب القرآن ١٩ـ ٢٠ ؛ وكذلك : رزق الحجر : ابن الوزير اليمنى ومنهجه الكلامى ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

(٤) انظر : ابن رشد : مناهج الأدلة فى عقائد الملة ص ١٥١ ـ ١٥٢ .

من علقة ، هذا لم يعلم بمجرد خبر الرسول ، بل هذا يعلمه الناس كلهم بعقولهم ، سواء أخبر به الرسول ، أو لم يخبر ، لكن الرسول أمر أن يستدل به ، ودل به ، وبينه ، واحتج به ، فهو دليل شرعي ، لأن الشارع استدل به ، وأمر أن يستدل به ، وهو عقلي ، لأنه بالعقل تعلم صحته " (١) .

فهذان الدليلان اللذان استدل بهما العلامة ابن كمال باشا على وجود الله عز وجل اعني دليل الأنفس والآفاق ، هما دليلان عقليان ، وشرعيان في نفس الوقت ، والاستدلال بمثل هذا النوع من الدلائل هو منهج السلف ، إذ منهجهم قبول كل دليل اتفقت العقول على صحته ، وكان شرعيا بمعنى أن الشارع قد أتى به ، وأمر الناس أن يستدلوا به ..

" سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق " (٢) .

وبذلك تظهر جليا موافقة صاحبنا العلامة ابن كمال باشا في الاستدلال بدليل الأنفس والآفاق على وجود الله عز وجل لطريقة القرآن الكريم وطريقة الصحابة ومن سار سيرتهم من السلف وأتباعهم رضوان الله عليهم أجمعين ..

ثانيا : دليل الحدوث :

سبق أن رأينا أن العلامة ابن كمال باشا وافق المتكلمين في طريقتهم التي سلكوها في الاستدلال على وجود الله عز وجل ، وهي الاستدلال بحدوث العالم .. وهذا في حد ذاته استدلال صحيح .

(١) النبوات ص ٥٢ .
(٢) فصلت/ ٥٣ .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى "إن طريقة الاستدلال بحدوث المحدثات على إثبات الصانع الخالق ، هي طريقة فطرية ضرورية" (١) ، الا أن محل النقد في هذا الدليل طريقتهم في إثبات حدوث العالم ، وبنائهم الدليل على مقدمات ليست بينة بنفسها ، قد تكون صحيحة وقد تكون باطلة ، مثل قولهم ان العالم مركب من الجواهر الفردة والأعراض ، وأن الجواهر لاتتعرى عن الأعراض ، وأن الأعراض حادثة ، وأن ما لايخلو عن الحادث فهو حادث ..

فمن الصعوبة بمكان تقرير المقدمات التي يحتاج اليها هذا الدليل من إثبات الأعراض التي هي صفات الأجسام أولا ، ثم إثبات حدوث تلك الأعراض بابطال ظهورها بعد الكمون ، وابطال انتقالها من محل الى محل ثانيا ، ثم إثبات امتناع خلو الجسم عنها ثالثا ، ثم إثبات امتناع حوادث لا أول لها ، وأن ما لايخلو عن الحوادث جنسا أو عينا فهو حادث ، الى غير ذلك مما في مقدمات هذا الدليل من طول وخفاء وصحة وبطلان يتعذر معه ثبوت المطلوب (٢) .

وهذا الطريق يظهر الاستغناء عنها لكل أحد بما يشهده من حدوث الأعيان المحدثة كحدوث نفس الانسان ، والمطر ، والسحاب ، والحيوان ، والنبات ، والمعدن وغير ذلك ؛ إذ أن حدوث الأعيان أمر مشهود معلوم ، لايحتاج أن يستدل على حدوثها بحدوث صفاتها ، وأن ما لايخلو من الحوادث فهو حادث .

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٨٧/٣ .

(٢) انظر: ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ٣٨/١ - ٣٩ ؛ ٣٠٦/٨ - ٣٠٧ ؛ كتاب النبوات ٤٢ ؛ د . هراس : ابن تيمية السلفي ص٦٨ .

فابن كمال باشا وأمثاله ظنوا أن الأعيان لاتحدث ، وإنما تحدث صفاتها • وكأنهم لم يشهدوا حدوث جسم ولا جوهر قائم بنفسه ، وإنما شهدوا حدوث صفات الأجسام ، وأن الأجسام متماثلة مركبة من جواهر متماثلة ، وهي تنقلب فيها من وصف الى وصف (١).

هذا من ناحية •

ومن ناحية أخرى أن الطريقة التي سلكها ابن كمال باشا والمتكلمون طريقة مبتدعة مذمومة في الشرع ، كما أنها معتاصة مخوفة في العقل •

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :
"فهذه الطريقة مما يعلم بالاضطرار أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يدع الناس بها الى الاقرار بالخالق ونبوة أنبيائه • ولهذا قد اعترف حذاق أهل الكلام ـ كالأشعري وغيره ـ بأنها ليست طريقة الرسل وأتباعهم ، ولا سلف الأمة وأئمتها ، وذكروا أنها محرمة عندهم ، بل المحققون على أنها طريقة باطلة ، وأن مقدماتها فيها تفصيل وتقسيم يمنع ثبوت المدّعى بها مطلقا • ولهذا تجد من اعتمد عليها في أصول دينه فأحد الأمرين لازم له :

إما أن يطلع على ضعفها ، ويقابل بينها وبين أدلة القائلين بقدم العالم ، فتتكافأ عنده الأدلة ، أو يرجح هذا تارة وهذا تارة ، كما هو حال طوائف منهم •

وإما أن يلتزم لأجلها لوازم معلومة الفساد في الشرع والعقل ، كما التزم جهم لأجلها فناء الجنة والنار (٢) ، والتزم لأجلها

(١) انظر: ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ٣٠٦/٨ ، وكذلك ٩٨/٣، ٢٦٥ ، و٢١٩/٧ ـ ٢٢٠ ، وكتاب النبوات/ ٥٤ •

(٢) انظر في قول الجهم بفناء الجنة والنار: الأشعري: المقالات١٤٨ ـ ١٤٩ ، =

أبو الهذيل انقطاع حركات أهل الجنة (١) ، (والنار) .

والتزم قوم لأجلها ـ كالأشعرى وغيره ـ أن الماء والهواء والتراب والنار له طعم ولون وريح ونحو ذلك .

والتزم قوم لأجلها ولأجل غيرها أن جميع الأعراض ـ كالطعم واللون وغيرهما ـ لا يجوز بقاؤها بحال ، لأنهم احتاجوا الى جواب النقض الوارد عليهم لما أثبتوا الصفات لله ، مع الاستدلال على حدوث الأجسام بصفاتها ، فقالوا : صفات الأجسام أعراض ، أى أنها تعرض فتزول ، فلا تبقى بحال ، بخلاف صفات الله ، فانها باقية ...

والتزم طوائف من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم لأجلها نفى صفات الرب مطلقا ، أو نفى بعضها ، لأن الدال عندهم على حدوث هذه الأشياء هو قيام الصفات بها ، والدليل يجب طرده ، فالتزموا حدوث كل موصوف بصفة قائمة به ، وهو أيضا فى غاية الفساد والضلال ، ولهذا التزموا القول بخلق القرآن ، وانكار رؤية الله فى الآخرة ، وعلوه على عرشه ، الى أمثال ذلك من اللوازم التى التزمها من طرد مقدمات هذه الحجة التى جعلها المعتزلة ومن اتبعهم أصل دينهم » (٢).

= ١٦٤ ، ٤٧٤ ، ٥٤٢ ؛ البغدادى : الفرق بين الفرق ٢١١ ؛ الشهرستانى : الملل والنحل ١/٨٧ ـ ٨٨ ؛ الاسفراييني : التبصير فى الدين ٩٦ .

(١) أبو الهذيل : محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدى ، المشهور بالعلاف ، من شيوخ المعتزلة ، ولد بالبصرة سنة ١٣٥هـ ، وكف بصره فى آخر عمره ، وتوفى سنة ٢٢٦ ، أو ٢٢٧ ، أو ٢٣٥هـ (انظر عنه وآرائه : الأشعرى : المقالات ١٦٣ ، ٤٧٥ ، ٤٨٥ ، ٥٤٣ راجع فهرس الأعلام أيضا ؛ البغدادى : الفرق بين الفرق ١٢١ ـ ١٣٠ ؛ الشهرستانى : الملل والنحل ١/٤٩ ـ ٥٣ ، الاسفراييني : التبصير فى الدين ٤٢ ـ ٤٣) .

(٢) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ١/٣٩ ـ ٤١ ؛ انظر كذلك ١/٣٠٥ ـ ٣٠٩ ، =

كما تناول القاضي ابن رشد في كتابه مناهج الأدلة هذا الدليل فأوسعه نقضا حيث يقول : " وطريقتهم التي سلكوا في بيان حدوث الجزء الذي لايتجزأ ـ وهو الذي يسمونه الجوهر الفرد ـ طريقة معتاصة ، تذهب على كثير من أهل الرياضة في صناعة الجدل ، فضلا عن الجمهور ، ومع ذلك فهي طريقة غير برهانية ، ولامفضية بيقين الى وجود الباري سبحانه " (١) .

وقال أيضا بعد أن وجه شكوكا على تخصيص الارادة القديمة بالفعل في وقت دون وقت: " ... الى ما في هذا كله من التشعيب والشكوك العويصة التي لايتخلص منها العلماء المهرة بعلم الكلام والحكمة ، فضلا عن العامة . ولو كلف الجمهور العلم من هذه الطرق لكان من باب تكليف ما لايطاق .

وأيضا فان الطرق التي سلك هؤلاء القوم في حدوث العالم قد جمعت بين هذين الوصفين معا ، أعني أن الجمهور ليس في طباعهم قبولها ، ولا هي مع هذا برهانية ، فليست تصلح لا للعلماء ولا للجمهور " (٢)

وأما زعم ابن كمال باشا والمتكلمين أن هذه الطريقة هي طريقة سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام فيما حكاه الله عز وجل عنه بقوله (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لاأحب الآفلين) (٣) حيث انه استدل بالأفول ـ الذي هو الحركة والانتقال من حال الى حال ـ على حدوث الكواكب ، وبالحدوث على أن القمر والكواكب لايصلح أن يكون إلٰها ..

= ٨/٣٠٧، كتاب النبوات ٤٣ ـ ٤٤ ، ٤٧ .

(١) ابن رشد : مناهج الأدلة/١٣٦ .

(٢) ابن رشد : مناهج الأدلة ص١٣٨ ، وكذلك ص ١٤٩ .

(٣) الأنعام/٧٦ .

وهذا خطأ منه ومنهم وباطل لوجوه :

أحدها : أن الأفول باتفاق أهل اللغة والتفسير هو المغيب والاحتجاب ، ليس هو مجرد الحركة والانتقال ، ولا يقول أحد - لا من أهل اللغة ولا من أهل التفسير - إن الشمس والقمر في حال سيرهما في السماء : إنهما آفلان ، ولا يقول للكواكب المرئية في السماء ، في حال ظهورها وجريانها : إنها آفلة ..

الثاني : أنه لو استدل بالحركة - التي يسمونها تغيرا - لكان من حين بزوغها استدل بذلك ، ولما انتظر أفولها .

الثالث : أن قصة ابراهيم عليه السلام هي على نقيض مطلوبهم أدل ، فانه لم يجعل الحركة منافية لما قصده ، بل المنافي هو الأفول .

الرابع : أن ابراهيم عليه السلام لم يكن بصدد اثبات الصانع ، حتى يستدل بحادث على محدث ، لأن قومه كانوا مشركين ، يعبدون الكواكب والأصنام ، ويقرون بالصانع ، ولهذا قال لهم (أفرأيتم ماكنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون . فانه عدو لي الا رب العالمين) (١) .

وقال في آخر قوله (إني برئ مما تشركون . إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين . وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون . وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون) (٢) .

فذكر ابراهيم عليه السلام ماكان يصنعه قومه من اتخاذ الكواكب

---

(١) الشعراء ٧٥ - ٧٧ . (٢) الأنعام/٧٨ - ٨١ .

والشمس والقمر ربا يعبدونه ، ويتقربون اليه بالدعوة له والسجود والقرابين وغير ذلك ، فكانوا بذلك يشركون معه غيره في العبادة ، فأراد ابراهيم عليه السلام أن يبين لهم أنه هو المستحق للعبادة وحده ، دون شريك (١) .

ثالثا : دليل الامكان :

سلك العلامة ابن كمال باشا في هذه الطريقة طريقة ابن سينا (٢) وأمثاله من المتفلسفة ، والطريقة التي سلكها ابن سينا في إثبات واجب الوجود ليس هي طريقة أئمة الفلاسفة القدماء كأرسطو (٣) وأمثاله ، ولا هي طريقة جماهيرهم (٤) .

وهي عند التحقيق لاتفيد الا إثبات مجرد وجود واجب دون أن يتعرض لاثبات وجود الممكنات ، وأن الله خالقها ومبدعها ..

واثبات الواجب في حد ذاته يسلمه منكرو الصانع كفرعون ، والدهرية

---

(١) انظر : ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ١/١٠٩ـ ١١٠ ، ٣١٠ـ ٣١٤ ؛ ٨/٣٥٥ـ ٣٥٦ ؛ ٩/٨٣ـ ٨٤ ؛ بغية المرتاد ٣٥٩ـ ٣٦٠ ، مجموع الفتاوى ٦/٢٥٢ـ ٢٥٤ .

(٢) ابن سينا : أبو علي الحسين بن عبد الله ، الملقب بالشيخ الرئيس . له تصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والفلسفة والإلهيات .. وأشهر مؤلفاته : القانون ، الإشارات ، الشفا .. ولد سنة ٣٧٠ وتوفي ٤٢٨هـ (القفطي : تاريخ الحكماء ٤١٣ ـ ٤٢٦ ، الشهرستاني : الملل والنحل ٣/٣ـ ٧٢ ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ٤٣٧ـ ٤٥٨) .

(٣) آرسطوطاليس بن نيقوماخوس ، رأس الحكماء المشائين ، ويعرف بالمعلم الأول ، لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية . ولد بمقدونيا سنة ٣٨٤ق . م . وتوفي سنة ٣٢٢ ق . م . أخذ الحكمة عن أفلاطون . (الشهرستاني : الملل والنحل ٢/١٧٨ـ ١٩٦ ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ٨٦ـ ١٠٥) .

(٤) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ٧/٢٣٠ .

المحضة من الفلاسفة والقرامطة ونحوهم ، فهم يقولون : هذا الوجود واجب الوجود بنفسه ، والى هذا يؤول قول أصحاب وحدة الوجود القائلين بأن الموجود واحد مع تعدد صوره فى الظاهر... (١).

وقد سلك هذه الطريقة من المتكلمين المتأخرين والفلاسفة مثل الامام الرازى (٢) والآمدى (٣) ، والسهروردى المقتول (٤) ، وعظموها، وظن من ظن منهم وهو الامام الرازى أنها أشرف الطرق ، وأنه لاطريق الا وهو يفتقر اليها ، حتى ظن هؤلاء أن طريقة الحدوث مفتقرة اليها .

وهذه الطريقة هى فى الحقيقة مأخوذة من طريقة الحدوث، ومسروقة منها ، حيث إن ابن سينا رأى المتكلمين قسموا الموجود الى قديم ومحدث ،فقسمه هو الى واجب وممكن ، وأثبت الواجب بهذا الطريق

---

(١) انظر: ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ٣/ ٧٤ـ ٧٥، ١٦٢ ـ ١٦٤ ، ٢٦٧ ، ٣٣٤ ـ ٣٣٥ ، ومذكرات شيخنا كمال هاشم نجا لطلاب السنة المنهجية لعام ١٤٠١ ـ ١٤٠٢ هـ.

(٢) الرازى : هو أبو عبد الله ، فخر الدين ، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمى البكرى ، ويعرف بابن الخطيب ، وبابن خطيب الرى . ولد سنة ٥٤٤ و توفى ٦٠٦هـ . من أئمة الأشاعرة الذين مزجوا المذهب الأشعرى بالفلسفة ومن تصانيفه : مفاتيح الغيب ، وهو تفسيره ، والأربعين ، والمحصول وغير ذلك . (السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ٨١ ـ ٩٦ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٥/ ٢١ ـ ٢٢ ، الزركلى :الأعلام ٦/ ٣١٣) .

(٣) الآمدى : أبو الحسن على بن أبى على بن محمد بن سالم الثعلبى ، سيف الدين . من أئمة الأشاعرة . صنف فى أصول الدين والفقه والمنطق والخلاف . له مؤلفات كثيرة من أشهرها ، أبكار الأفكار فى الكلام ، واحكام الأحكام فى الأصول ، ودقائق الحقائق فى الحكمة . (السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٥/ ١٤٤ ـ ١٤٥ ، الزركلى : الأعلام ٤/ ٣٣٢) .

(٤) السهروردى :شهاب الدين ، أبو الفتوح يحى بن الحسن بن أميرك ، المولود =

ولكن هذا بناء على أن القديم ممكن ، وله ماهية تقبل الوجود والعدم ، اذ أن ابن سينا لايقول بحدوث العالم (١) .

وكان الأولى بالعلامة ابن كمال باشا وهو يركب سنن الفلاسفة أن يدلل على وجود البارى عز وجل بأسلوب سهل يسير من غير تعقيد ولاخلل فيه ، ولاتطويل ، فيقول مثلا :

مثل ما قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وهو ينقد طريقة ابن سينا وأتباعه ويبين الطريق الصحيح لاثبات الصانع على طريقة الامكان وغيرها ، بعد أن بين أن " إثبات الموجود الغنى الخالق ، وإثبات الموجود الممكن المحدَث الفقير المخلوق ، هو من أظهر المعارف وأبين العلوم " (٢) .

فيقول بعد ذلك : " أما ثبوت الموجود المفتقر المحدَث الفقير ، فيما نشاهده من كون بعض الموجودات يوجد بعد عدمه ، ويعدم بعد وجوده ، من الحيوانات والنباتات والمعدن ، ومابين السماء والأرض من السحاب والمطر والرعد والبرق وغير ذلك ، وما نشاهده من حركات الكواكب ، وحدوث الليل بعد النهار ، والنهار بعد الليل ، فهذا كله فيه من حدوث موجود بعد عدمه ، ومعدوم بعد وجوده ، ما هو مشهود لبنى آدم يرونه بأبصارهم .

ثم اذا شهدوا ذلك فنقول : معلوم أن المحدَثات لابد لها من محدِث ، والعلم بذلك ضرورى : ــ كما قد بين ــ ، ولابد من

بسهرورد سنة ٥٤٩ ، وقتل بحلب سنة ٥٧٨ هـ ، وعرف بفلسفته الاشراقية .
(ابن خلكان : وفيات الأعيان ٦/ ٢٦٨ ــ ٢٧٤ ، ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء ٦٤١ ــ ٦٤٦ ، الزركلى : الأعلام ٨/ ١٤٠) .

(١) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ٣/ ١٦٤ ، ٢٦٧ ، ٣٣٤ـ٣٣٥ .

(٢) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ٣/ ٢٦٥ ، وكذلك انظر ص ٧٢ ، ٩٩ .

محدِث لايكون محدَثا ، وكل محدَث ممكن ، والممكنات لابد لها من واجب ، وكل محدَث وممكن فقير مربوب مصنوع ، والمفتقرات لابد لها من غني ، والمربوبات لابد لها من رب ، والمخلوقات لابد لها من خالق .

وأيضا فانه يقال : هذا الموجود : إما أن يكون واجبا بنفسه ، وإما أن لايكون واجبا بنفسه ، بل ممكنا بنفسه واجبا بغيره ، والممكن بنفسه ، الواجب بغيره لابد له من واجب بنفسه ، فلزم ثبوت الواجب بنفسه على التقديرين .

وأيضا : فالموجود : إما أن يكون محدَثا ، وإما أن يكون قديما ، والمحدَث لابد له من قديم ، فلزم وجود القديم على التقديرين .

وأيضا : فالموجود : إما أن يكون مخلوقا ، وإما أن لايكون ، والمخلوق لابد له من خالق ، فيلزم ثبوت الموجود الذى ليس بمخلوق على التقديرين .

وأيضا : فإما أن يكون خالقا ، وإما أن لايكون ، وقد علم فيما ليس بخالق ـ كالموجودات التى علم حدوثها ـ أنها مخلوقة ، والمخلوق لابد له من خالق ، فعلم ثبوت الخالق على التقديرين .

وأيضا : فالموجود : إما غنى عن كل ماسواه ، وإما مفتقر الى غيره ، والفقير الى غيره ، لابد له من غنى بنفسه ، فعلم ثبوت الغنى بنفسه على التقديرين .

فهذه البراهين وأمثالها كل منها يوجب العلم بوجود الرب سبحانه وتعالى ، الغنى القديم الواجب بنفسه " (١) .

---

(١) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ٣/٢٦٥ ـ ٢٦٧ .

والخلاصة أن العلامة ابن كمال باشا بسلوكه هذه الطريقة ـ طريقة الامكان الذى لم يسلكه أحد من أئمة النظار المعروفين من القدماء ، ولاسلكه أحد من أئمة السلف ـ قد جنح عن مذهب السلف رحمه الله تعالى فى ذلك ..

الا أن صاحبنا العلامة ابن كمال باشا لم يمجد هذه الطريقة ولم يتحمس لها كالرازى وغيره ، غاية ما فى الأمر أنه اقتصر على ايراد دليل الإمكان ، على سبيل الحصر للطرق السليمة التى يراها ـ فى نظره ـ صالحة للاستدلال على إثبات الصانع..

مع الملاحظة أيضا أنه اهتم اهتماما بالغا بدليل الآفاق والأنفس ، طريقة القرآن الكريم ، كما بينته سابقا ، فانه اقتنع بصحة هذه الطريقة ، ولذلك أوردها ، ولم يقل بوجوبها ، والاستغناء بها عن سواها ، بل يمكن الاستغناء عنها بطريقة الأنفس والآفاق ، والله أعلم..

الفَصْلُ الثَّانِي

وَحْدَانِيَّةُ اللهِ تَعَالَى

توحيد الله عز وجل من أهم الأركان التي قامت عليها رسالات الرسل والأنبياء عليهم السلام .. فإن المقصود الأصلي من بعثتهم هو توحيد الله سبحانه وتعالى ..(١).

وقد اختلفت عبارات ومسالك العلماء في إثبات الوحدانية ، بعد اتفاقهم على أن الله سبحانه وتعالى واحد بمعنى عدم مشاركة الغير له في الألوهية .

رأي العلامة ابن كمال باشا في التوحيد :

تحدث العلامة ابن كمال باشا في أماكن كثيرة من تفسيره ، ورسائله العديدة عن التوحيد .

فقال في رسالة المنيرة (٢) : " التوحيد : أن تشهد أنه تعالى واحد ، قديم ، أزلي ، لاشريك له ، ولامثل له " .

وأن الله تعالى " لاشريك له ، ولاوزير له ، ولامثل له ، ولانظير له ، كما قال الله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (٣) .. وهو الأحد الذي (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)(٤) "(٥) .

وقال في تفسير قوله تعالى (إنما الله إلٰه واحد) (٦) :
" واحد بالذات ، لاتعدد فيه بوجه من الوجوه " (٧) .

كما قال أيضا في تفسير قوله تعالى (إنما إلٰهكم إلٰه واحد)(٨) :
" فمعنى الواحد : الموجود الذي لابعض له ، ولاانقسام له لذاته ،

---

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٧٦ ب . (٢) ص٦ . (٣) الشورى/١١ .
(٤) الاخلاص/٣-٤ . (٥) ابن كمال باشا : ر. في تفصيل الايمان/١٢ ب .
(٦) النساء/١٧١ . (٧) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٣٤٤ (الحرم المكي) .
(٨) النحل/٥١ . وقال في تفسيره ٤٠١أ : " فيها دلالة على أن المقصود إثبات الوحدانية ، دون الإلٰهية ، وأنها لازمة للإلٰهية " .

فان الله تعالى واحد بذاته ، لا من جهة العدد ، لأنه لو كان من جهة العدد لكان أبعاضا ، فيؤدى الى أن يكون جزء منه خالقا قادرا ، وهذا محال ، لأنه يلزم الشركة "(١) .

أدلة ابن كمال باشا على إثبات الوحدانية :

اعتمد العلامة ابن كمال باشا ـ كبقية المتكلمين ـ على دليل التمانع فى إثبات الوحدانية ، المذكور فى قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) (٢) ، وقوله تعالى (قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا) (٣) ، وقوله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) (٤) .

وهذه الآيات تدل على وقوع الاختلاف عند تعدد الآلهة ، وفساد النظام الجارى فى هذا الكون الفسيح ، فى نظره ...

قال فى تفسير قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله) : صفة لآلهة ، بمعنى : غير الله ، لتعذر الاستثناء ، فان آلهة جمع منكر غير محصور ، لا يشمل الله ، حتى يستثنى منه ، ولد لالته على أن الفساد إنما يلزم من وجود آلهة فيهما دونه . والمراد : لزوم الفساد من وجودها مطلقا ، كانت معه ، أو لا (٥).

ثم إن الفساد الآتى ذكره لزومه ـ على ما ستقف عليه ـ على تقدير مطلق التعدد فى الإله . وإنما فرض الآلهة غير الله تعالى على

---

(١) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص ١٩ .   (٢) الأنبياء/ ٢٢ .

(٣) الاسراء/ ٤٢ . انظر : تفسير ابن كمال باشا / ٤١٨ أ .

(٤) المؤمنون/ ٩١ . انظر : تفسير ابن كمال باشا / ٤٩٥ ب .

(٥) انظر أيضا : البيضاوى : أنوار التنزيل ٤ / ٣٧ ؛ الآلوسى : روح المعانى ١٧/ ٢٤ .

وفق معتقدهم ، لزيادة تجهيلهم فى هذا الأمر الجليل الشأن ، فكأنه ضمّن إثبات مطلب التوحيد إبطال معتقدهم على أفحش وجه وأشنعه . (لفسدتا) لبطلتا ، لما يكون بينهما من التمانع ، اذ لامجال للتوافق فى المراد ، والا يلزم أن تتطارد عليه القدر" (١) .

وتقرير برهان التمانع على ماذكره العلامة ابن كمال باشا فى " إشارات لطيفة ونكات شريفة فى علم الكلام " ١٩٣ أ :

" صانع العالم واحد .

لأنه لو كان اثنين ، لايخلو :

إما أن يتفقا ، أو يختلفا .

فان اتفقا : فان كان لأحدهما قدرة على مخالفة الآخر ، أو لم تكن ، فان لم تكن كانا عاجزين .

وإن كان ، فالقادر إله ، والعاجز منحط عن درجة الألوهية .

وان اختلفا : يلزم عليه فساد العالم ، وعليه يشهد قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) (٢) " اهـ .

---

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٦٨ ب .. وقال العلامة أبو السعود فى تفسير قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) : " لبطلتا بما فيهما جميعا ، وحيث انتفى التالى علم انتفاء المقدم قطعا . بيان الملازمة : أن الإلٰهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيهما على الاطلاق ، تغييرا وتبديلا وإيجادا وإعداما وإحياء وإماتة ، فبقاؤها على ماهما عليه ، إما بتأثير كل منهما ، وهو محال ، لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلل متعددة ، وإما بتأثير واحد منها ، فالبواقى بمعزل من الإلٰهية قطعا . واعلم أن جعل التالى فسادهما بعد وجودهما لما أنه اعتبر فى المقدم تعدد الآلهة فيهما ، والا فالبرهان يقضى باستحالة التعدد على الإطلاق . فانه لو تعدد الإلٰه : فان توافق الكل فى المراد تطاردت عليه القدر ، وان تخالفت تعاوقت ، فلايوجد موجود أصلا ، وحيث انتفى التالى تعين انتفاء المقدم " (إرشاد العقل السليم ٦ / ٦١ ــ ٦٢) .

(٢) الأنبياء / ٢٢ .
انظر فى دليل التمانع : الأشعرى : اللمع ٢٠ ــ ٢١ ، الماتريدى : التوحيد ٢٠ ــ ٢١ ، =

وعليه يشهد كذلك قوله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إلٰه اذا لذهب كل إلٰه بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون) (١) .

أى لو قدر تعدد الآلهة لانفرد كل منهم بخلقه الذى خلقه ، واستبد به ، وكان كل منهم يطلب امتياز ملكه عن ملك الآخرين ، ويقع بينهم التحارب والتغالب ، ولغلب بعضهم بعضا ، كما هو حال ملوك الدنيا ، ممالكهم متمايزة ، وهم متغالبون ، وحين لم نر أثرا لتمايز الممالك والتغالب ، بل نشاهد النظام الدقيق فى الكون كله (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) (٢) ، فليس هناك آلهة ، بل إلٰه واحد ، لاإلٰه الا هو ، وبيده ملكوت كل شىء (٣) .

وهذا الدليل من أشهر أدلة المتكلمين على إثبات الوحدانية لله عز وجل ، هناك أدلة أخرى لهم ذكروها فى كتبهم التى ألفوها فى الكلام ...

إن انتظام أمر العالم العلوى والسفلى وارتباط بعضه ببعض ، وجريانه على نظام محكم دقيق لايختلف ، ولايفسد من أدل الدليل على أن مدبره واحد ، لاإلٰه الاهو . والى هذا النظام العجيب تشير

= الباقلانى : الانصاف ٣٤ ، والتمهيد ٤٥ ، البغدادى : أصول الدين ٨٥ـ ٨٦ ، الجوينى : الارشاد ٥٣ـ ٥٧ ، الشهرستانى :نهاية الاقدام ٩١ـ ٩٣ ، ابن الأنبارى : الداعى الى الاسلام ٢٢٣ـ ٢٢٦ ، القاضى عبدالجبار : شرح الأصول الخمسة ٢٧٨ـ ٢٨٢ ، التفتازانى :شرح المقاصد ٣٤/٤ـ ٣٧ ، شرح العقائد النسفية ٦٢ـ ٦٤ ، السيد الشريف: شرح المواقف ٤٧٩ ، الآمدى :غاية المرام ١٥١ـ ١٥٢ ، ابن تيمية :منهاج السنة ٣٠٤/٣ـ ٣٠٥ ، درء التعارض ٣٦٧/٩ـ ٣٦٨ .

(١) المؤمنون/ ٩١ .
(٢) الملك/ ٣ .
(٣) انظر:ابن كمال باشا :تفسيره ٤٩٥ ب ، ٤١٨ أ .

آيات كثيرة فى القرآن الكريم. مثل قوله تعالى (إن إلهكم لواحد) " جواب للقسم ، وفائدة الاقسام تعظيم القسم ، وتأكيد المقسم عليه على ما هو الأصل فى كلامهم . وأما تحقيقه بالبرهان فبقوله تعالى (رب السموات والأرض) (١) وأن انتظامهما على الوجه الأكمل دليل على وحدة الصانع ، على ما مر فى تفسير قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) (٢) " .

وقوله تعالى (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب) (٣) أى : " لدلالات واضحة على وجود الصانع ، ووحدته ، وكمال علمه وقدرته لذوى العقول " (٤).

ومثل قوله تعالى (أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء) (٥) " ان كل فرد من الموجودات محل للنظر والاعتبار والاستدلال على وجود الصانع ووحدانيته ، كما قيل :

وفى كل شىء له آية ∴ تدل على أنه واحد " (٦)

ثم ان الأدلة التى تدل على وجود الله عز وجل هى بعينها تدل أيضا على وحدانيته سبحانه وتعالى .. ولذلك لا أرى داعيا الى الإطالة فى ذكرها مرة أخرى ، فقد ذكرت فى الفصل السابق أدلة ابن كمال باشا على وجود الله عز وجل بالتفصيل .

تعقيب على رأى ابن كمال باشا فى الوحدانية :

يقترب رأى العلامة ابن كمال باشا فى قضية التوحيد من رأى

(١) الصافات/٤ـ ٥ . (٢) الأنبياء/٢٢ . (٣) آل عمران/١٩٠ .
(٤) ابن كمال باشا : تفسيره ٢٦٦/١ (الحرم المكى) . (٥) الأعراف/١٨٥ .
(٦) ابن كمال باشا : تفسيره /٢٦٦ ب .

المتكلمين ، ان لم يكن هو هو ..

فقد قسم المتكلمون التوحيد الى ثلاثة أقسام ، فقالوا : " ان الله تعالى واحد فى ذاته لاقسيم له ، وواحد فى صفاته لاشبيه له ، وواحد فى أفعاله لاشريك له " (١).

وأطلقوا على هذه الأقسام الثلاثة مصطلحات ثلاثة :

وهى: توحيد الذات ، وتوحيد الصفات ، وتوحيد الأفعال .

وفسر العلامة ابن كمال باشا توحيد الذات بمعنى أنه لاقسيم له فى ذاته ، ولاتعدد بوجه من الوجوه (٢).

وهو بذلك تابع رأى المتكلمين الأشاعرة والمعتزلة (٣).

وفسر معنى الوحدانية فى قوله تعالى (انما إلٰهكم إلٰه واحد) (٤) بأن الواحد هو " الموجود الذى لابعض له ، ولاانقسام له لذاته " (٥) .. وكأنه أراد بذلك متابعة المتكلمين الذين فسروا لفظ " الأحد " بأنه الذى لاقسيم له ، ولاجزء له ، بل ولا صفة له (٦) ، وحملوا هذا اللفظ على معان مجملة ، وادعوا أن هذا معنى "الأحد" فى اللغة .

وهو خلاف ماعليه لغة القرآن الكريم .. ليس فى كلام العرب ، بل ولا عامة أهل اللغات ، أن الذات الموصوفة بالصفات لاتسمى واحدا ،

---

(١) الشهرستانى : نهاية الإقدام/٩٠ ، والملل والنحل ٤٢/١ ، ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ٢٢٥/١ .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٤٤/١ (الحرم المكى) ، ورسالة المنيرة ص ١٩ .

(٣) انظر : الشهرستانى : الملل والنحل ٤٢/١ .

(٤) النحل/٥١ .

(٥) ابن كمال باشا : ر. المنيرة ص ١٩ .

(٦) انظر فى تفسير لفظ " الأحد " : الرازى : أساس التقديس ص ٣١ ــ ٣٤ ، وكذلك : الجليند : الإمام ابن تيمية ص ٢٠٠ .

هذا ، والذين ينفون زيادة الصفات على الذات هم المعتزلة ، وليس كل المتكلمين ، فالأشاعرة والماتريدية منهم يثبتونها .

ولاتسمى أحدا فى النفى والاثبات ، بل المنقول المتواتر عن العرب تسمية الموصوف بالصفات واحدا وأحدا ، حيث أطلقوا ذلك ، ووحيدا .

قال تعالى (ذرنى ومن خلقت وحيدا) (١) ، وهو الوليد بن المغيرة ...

وقال تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) (٢) ...

وقال تعالى (ولا أشرك بربى أحدا) (٣) ، (ولايشرك بعبادة ربه أحدا) (٤) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة ..

فلفظ الأحد فى هذه الآيات يراد بها أشخاص موصوفة بصفات قائمة بهم ومميزة لهم عمن سواهم ، فاذا كان لفظ الأحد لايقال على ماقامت به الصفات ، بل ولاعلى شىء من الأجسام التى تقوم بها الأعراض لأنها منقسمة ، لم يكن فى الوجود مسمى يطلق عليه لفظ الأحد سوى الله تعالى ، لامن الملائكة ، ولامن الانس والجن ، بل لايكون فى الوجود من يصح إطلاق لفظ الأحد عليه فى النفى أو الاثبات . فاذا قيل : (ولم يكن له كفوا أحد) (٥) لم يكن هذا نفيا لمكافأة الرب الا عمن لاوجود له ، ولم يكن فى الموجودات ما أخبر عنه بهذا الخطاب أنه ليس كفؤا لله .

وكذلك قوله (ولاأشرك بربى أحدا) (٦) ، (ولايشرك بعبادة ربه أحدا) (٧) فانه اذا لم يكن لفظ الأحد مستعملا الا فيما لاينقسم ولايتصف ، لم يكن هناك مايدخل تحت مسمى هذا اللفظ ، حتى

---

(١) المدثر/١١ . (٢) التوبة/٦ . (٣) الكهف/٣٨ .
(٤) الكهف/١١٠ . (٥) الاخلاص/٤ . (٦) الكهف/٣٨ .
(٧) الكهف/١١٠ .

يقال (ولأشرك بربي أحدا) (١) ، فيكون معنى الآية : ولأشرك بربي ما لايوجد (٢).

ويقول شيخ الاسلام بعد ذلك :

" ان اللغة التى نزل بها القرآن لفظ الواحد والأحد فيها يتناول الموصوفات ، بل يتناول الجسم الحامل للأعراض ، ولم يعرف أنهم أرادوا بهذا اللفظ مالم يوصف أصلا ، بل ولاعرف منهم أنهم لايستعملونه الا فى غير الجسم ، بل ليس فى كلامهم مايبين استعمالهم له فى غير مايسميه هؤلاء جسما ، فكيف يقال : لايدل الا على نقيض ذلك ، ولم يعرف استعماله الا فى النقيض الذى أخرجوه منه الوجودى - دون النقيض الذى خصوه به وهو العدمى ؟ ، وهل يكون فى تبديل اللغة والقرآن أبلغ من هذا ؟ " (٣).

ويقول شيخ الاسلام فى موضع آخر (٤) : " فتبين أن لفظ " التوحيد " و " الواحد " ، و " الأحد " فى وضعهم واصطلاحهم ، غير التوحيد والواحد والأحد فى القرآن والسنة والاجماع وفى اللغة التى جاء بها القرآن ... بل لفظ " التوحيد " و " الأحد " ، و " الواحد " الموجود فى كلام الله ورسوله يدل على نقيض قولهم ، وأنه موصوف بالصفات الثبوتية ، كما تقدم التنبيه عليه من أنه لايعرف مسمى الواحد فى لغة العرب الا ماكان كذلك ، ومن أن الله وصف هذا الواحد بالصفات الثبوتية ، وسماه بالأسماء المتضمنة للمعانى الثبوتية فى غير موضع " .

---

(١) الكهف/٣٨ .

(٢) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ١/١١٣ - ١١٤ مع تصرف ، وكذلك : الجليند : الإمام ابن تيمية وقضية التأويل ١٩٩ - ٢٠٠ . وهذا النقد موجه للمعتزلة كذلك .

(٣) درء تعارض العقل والنقل ١/١١٤ - ١١٥ . انظر أيضا : ٧/١١٥ - ١١٨ ، ١٢٢ - ١٢٣ .

(٤) درء تعارض العقل والنقل ٧/١٢٢ - ١٢٣ .

والذى أوقع ابن كمال باشا خاصة والمتكلمين المعتزلة عامة فى ذلك الخطأ أنهم استعملوا فى التعبير عن مذهبهم مصطلحات وألفاظاً مجملة تأثرا فى ذلك بمذهب الفلاسفة .. فاصطلحوا على تسمية الصفات أعراضا أو أبعاضا . وهى الفاظ لصيقة بمعنى الجسمية والمحسوسات التى يجب أن ينزه الله تعالى عنها ، فتأولوا الصفات على هذه المعانى ، ليتحقق لهم مذهبهم فى توحيد الذات والصفات (١).

وأشهر هذه الأقسام الثلاثة عند ابن كمال باشا والمتكلمين هو القسم الثالث المسمى " توحيد الأفعال " ، أى توحيد الربوبية وهو الإقرار بأن الله وحده خالق كل شىء وربه ، وليس له شريك فى فعله . وأشهر أدلتهم على هذا القسم هو دليل التمانع الذى أشار اليه قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) (٢) .. وأفنوا أعمارهم فى تقرير هذا التوحيد والاستدلال عليه ، وظنوا - خطأ - انه التوحيد الذى بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب . ولم يفرقوا بين معنى الربوبية ، ومعنى الألوهية ، واعتقدوا أن الإله بمعنى الآله - اسم فاعل - ، وأن الإلهية هى القدرة على الاختراع ، وأن الإله هو القادر على الاختراع ، واعتقدوا أن هذا أخص وصف الإله ، وجعلوا إثبات هذا التوحيد هو الغاية فى التوحيد .

ولم يعرفوا حقيقة التوحيد والطرق التى بينها القرآن الكريم ، فظنوا أنه مجرد اعتقاد أن العالم له صانع واحد (٣).

---

(١) الجليند : مقدمته لكتاب التوحيد لابن تيمية ص٥٦ .

(٢) الأنبياء/٢٢ .

(٣) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ٢٢٥/١ - ٢٢٦ ؛ ٣٤٣/٩ - ٣٤٥ ، ٣٧٧ - ٣٧٨ ؛ منهاج السنة النبوية ٢٨٩/٣ - ٢٩٠ .

ولاشك أن " الإقرار بأن خالق العالم واحد " هو من التوحيد الواجب ، لكنه هو بعض الواجب ، وليس هو الواجب الذى به يخرج الانسان من الإشراك الى التوحيد ، بل المشركون الذين سماهم الله ورسوله مشركين ، وأخبرت الرسل أن الله لايغفر لهم ، كانوا مقرين بأن الله خالق كل شىء ، وربه ومليكه ..

وقد قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) (١) . وقال تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم . سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولايجار عليه إن كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل فأنى تُسحرون) (٢) .

وقال عنهم (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) (٣) ...

وانما التوحيد الذى أمر الله به العباد ، هو توحيد الألوهية ، المتضمن لتوحيد الربوبية ، بأن يُعبد الله وحده ، لايشركون به شيئا ، فيكون الدين كله لله ، ولايُخاف الا الله ، ولايُدعى الا الله ، ويكون الله أحب الى العبد من كل شىء ، فيحبون لله ، ويبغضون لله ، ويعبدون الله ، ويتوكلون عليه .

لأن الإله هو الذى يستحق أن تأله القلوب بالحب والتعظيم ، والاجلال والاكرام ، والخوف والرجاء ، فهو بمعنى المألوه ، وهو المعبود الذى يستحق أن يكون كذلك ..

ولم يتعرض ابن كمال باشا وغيره من المتكلمين لهذا النوع من

---

(١) لقمان/٢٥ . (٢) المؤمنون/٨٤ـ ٨٩ . (٣) يوسف/١٠٦ .

التوحيد ، ولم يتنبه أحد منهم اليه ، مع أنه قطب رحى القرآن ، لأنه يتضمن التوحيد في العلم والقول ، والتوحيد في الارادة والعمل .

فالأول كما في سورة الاخلاص ، فهو توحيد يتضمن إثبات نعوت الكمال لله ، وإثبات صفاته العليا وأسمائه الحسنى .

والثاني كما في سورة الكافرون ، فانه يتضمن إخلاص الدين كله لله . ولذلك كانت سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن ، لأنها براءة من التعطيل باثبات صفات الله وأسمائه ، وبراءة من الشرك باخلاص العبادة كلها لله (١) .

ثم ان الدليل الذي استدل به العلامة ابن كمال باشا على التوحيد — وهو دليل التمانع — هو برهان تام عقلي صحيح يدل على مطلوبه ، وهو امتناع صدور العالم عن اثنين ، الذي هو توحيد الربوبية ، ولكنه قاصر عن توحيد الألوهية (٢) . وليس هو كذلك دليل الآية التي استدل به ابن كمال باشا في التوحيد .

فالآية ليس المقصود منها تقرير توحيد الربوبية ، ولكنه بيان امتناع الألوهية من جهة الفساد الناشئ عن عبادة ماسوى الله تعالى ، لأنه لاصلاح للخلق الا بالمعبود المراد لذاته ، من جهة غاية أفعالهم ، ونهاية حركاتهم ، وما سوى الله تعالى لايصلح .

فلو كان فيهما معبود غيره لفسدتا من هذه الجهة .

فانه سبحانه هو المعبود المحبوب لذاته ، كما أنه هو الرب

---

(١) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ٣/٢٨٩— ٢٩٢، ٣١٣ ، ودرء التعارض ٩/٣٤٤— ٣٤٥ ، ٣٧٧— ٣٧٨ ، ابن أبي العز : شرح الطحاوية ٨٨— ٨٩ ؛ الجليند : الامام ابن تيمية وقضية التأويل /٢٠٣— ٢٠٤ .

(٢) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ٩/٣٤٣ ، ٣٥٤ .

الخالق بمشيئته .

والقرآن إنما جاء بتقرير النوعين معا (١) .

التوحيد الذى جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب وبرهانه :

فما دام أن دليل التمانع ـ مع كونه برهانا عقليا صحيحا ـ ليس هو دليل القرآن فى إثبات الوحدانية ، فما هو إذن برهان القرآن على التوحيد ؟

استدل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى على نفى التعدد فى الألوهية بقوله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) (٢) وقال : انه اذا انتفى اللازم ـ وهو ذهاب كل منهم بما خلق ، وعلو بعضهم على بعض ـ ، فقد انتفى الملزوم ، وهو ثبوت إله مع الله تعالى .

أما بيان الملازمة الأولى ـ وهو ذهاب كل بما خلق ـ :

فلأنه اذا كان معه إله امتنع أن يكون مستقلا بخلق العالم ، وامتنع أيضا أن يكون مشاركا للآخر ، معاونا له ، لأن ذلك يستلزم عجز كل منهما ، والعاجز لايفعل شيئا ، فلايكون لاربا ولا إلها .

لأن أحدهما اذا لم يكن قادرا الا بإعانة الآخر ، لزم عجزه حال الانفراد ، وامتنع أن يكون قادرا حال الاجتماع ، لأن ذلك دور قبلى ، فان هذا لايكون قادرا حتى يجعله الآخر قادرا ، أو حتى يعينه الآخر وذاك لايجعله قادرا ، ولايعينه حتى يكون هو قادرا ، وهو

(١) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ٣/٣٣٢ـ ٣٣٥ ، هراس: باعث النهضة الاسلامية ابن تيمية السلفى /٨٢ .
(٢) المؤمنون /٩١ .

لا يكون قادرا حتى يجعله ذاك أو يعينه ، فيلزم الدور .

فامتنع اذا كان كل منهما محتاجا الى إعانة الآخر فى الفعل أن يكون أحدهما قادرا ، فامتنع أن يكون لكل واحد منهما فعل حال الانفراد ، وحال الاجتماع ، فتعين أن يكون كل واحد منهما قادرا عند الانفراد ، فلا بد اذا فرض معه إله ، أن يكون كل منهما قادرا عند انفراده .

واذا كان كذلك ، ففعل أحدهما ان كان مستلزما لفعل الآخر ، بحيث لايفعل شيئا حتى يفعل الآخر فيه شيئا ، لزم أن لايكون أحدهما قادرا على الانفراد ، وعاد احتياجهما فى أصل الفعل الى التعاون ، وذلك ممتنع بالضرورة .

فلا بد أن يمكن أحدهما أن يفعل فعلا لايشاركه الآخر فيه ، وحينئذ فيكون مفعول هذا متميزا عن مفعول هذا ، ومفعول هذا متميزا عن مفعول هذا ، فيذهب كل إله بما خلق ، هذا بمخلوقاته ، وهذا بمخلوقاته . فتبين أنه لو كان معه إله لذهب كل إله بمخلوقاته وهذا غير واقع ، فانه ليس فى العالم شىء الا وهو مرتبط بغيره من أجزاء العالم ...

وأما البرهان الثانى : وهو قوله (ولعلا بعضهم على بعض)[1] فانه يمتنع أن يكونا متساويين فى القدرة ، لأنهما اذا كانا متساويين فى القدرة لم يفعلا شيئا ، لاحال الاتفاق ، ولاحال الاختلاف ، سواء كان الاتفاق لازما لهما ، أو كان الاختلاف هو اللازم ، أو جاز الاتفاق وجاز الاختلاف .

لأنه اذا قدر أن الاتفاق لازم لهما ، فلأن أحدهما لايريد ولايفعل حتى يريد الآخر ويفعل ، وليس تقدم أحدهما أولى من تقدم الآخر لتساويهما ، فيلزم أن لايفعل واحد منهما ...

---

(١) المؤمنون/ ٩١ .

واذا كان الاختلاف لازما لهما ، امتنع مع تساويهما أن يفعلا شيئا ، لأن هذا يمنع هذا ، وهذا يمنع هذا لتكافؤ القدرتين فلا يفعلان شيئا .

وأيضا فان امتناع أحدهما مشروط بمنع الآخر ، فلا يكون هذا ممنوعا حتى يمنعه ذاك . ولا يكون ذاك ممنوعا حتى يمنعه هذا ، فيلزم أن يكون كل منهما مانعا ممنوعا ، وهذا ممتنع .

ولأن قدرة كل منهما حال التمانع انما هى بقدرة الآخر ، فاذا كانت قدرة هذا لاتزول حتى تزيلها قدرة ذاك ، وقدرة ذاك لاتزول حتى تزيلها قدرة هذا ، فلا تزول واحدة من القدرتين ، فيكونان قادرين .

وكونهما قادرين على الفعل مطيقين ، فى حال كون كل منهما ممنوعا بالآخر عن الفعل عاجزا عنه بمنع الآخر له محال ، لأن ذلك كله جمع بين النقيضين .

وأما اذا قدر إمكان اتفاقهما ، وامكان اختلافهما كان تخصيص الاتفاق بدون الاختلاف ، وتخصيص الاختلاف بدون الاتفاق ، محتاجا الى من يرجح أحدهما على الآخر ، ولامرجح الا هما ، وترجيح أحدهما بدون الآخر محال ، وترجيح أحدهما مع الآخر هو اتفاق ، فيفتقر تخصيصه الى مرجح آخر ، فيلزم التسلسل فى العلل ، وهو ممتنع باتفاق العقلاء ...

فتبين أنه لو قدر إلٰهان متكافئان فى القدرة لم يفعلا شيئا ، لاحال الاتفاق ولاحال الاختلاف .

فلا بد حينئذ اذا قدر إلٰهان أن يكون أحدهما أقدر من

الآخر ، والأقدر عال على من دونه فى القدرة بالضرورة .

فلو كان ثمة آلهة لوجب علو بعضهم على بعض ، ولو علا بعضهم على بعض لم يكن المستقل بالفعل الا العالى وحده ...

فتبين أنه لو كان معه إله لعلا بعضهم على بعض ، كما تبين أنه كان يذهب كل إله بما خلق (١).

وهذه هى أدلة القرآن على توحيد الألوهية ، وهى أدلة عقلية وشرعية ، ومع ذلك هى فطرية مناسبة لجميع العقول والطبقات من الناس ...

---

(١) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ٣١٥/٣ ـ ٣١٩ ، ٣٢٣ ـ ٣٢٥ مع تصرف واختصار ، وكذلك : درء تعارض العقل والنقل ٣٥٩/٩ ـ ٣٦٨ ، هراس : باعث النهضة الاسلامية ٨٣ ـ ٨٥ ، الجليند : الامام ابن تيمية وقضية التأويل ٢٨٨ ـ ٢٨٩ ، د . خفاجى : فى العقيدة الاسلامية ٢٠٧ ـ ٢١١ .

الفصل الثالث

صفات الله تعالى

أ ـ الصفات عامة .
ب ـ صفة الكلام .
ج ـ الصفات الخبرية .

أ- الصفات

إن موضوع الصفات من أهم الموضوعات الكلامية على الإطلاق ، وأكثرها مثارا للخلاف وتنازع الآراء بين الفرق المختلفة من مثبتين ونفاة ، بل إنه المحور الذى تدور عليه مباحث علم الكلام ، اذ أن له علاقة قوية بمسألة التوحيد الذى هو الغاية القصوى والمطلب الأسمى لهذا العلم. كما أن له اتصالا بمسألة قدم العالم وحدوثه ، وبمسألة الجبر والاختيار ، وما الى ذلك من القضايا المختلفة (١).

وليس من شك أن مبحث الصفات كما هو عند المتكلمين على اختلاف مدارسهم فى غاية الدقة ، وأسراره فى نهاية الغموض ، فهو أحوج المباحث الى الايضاح والبيان ، وأولاها بالفحص والاتقان.

وإن الباحث فى التراث العقدي للعلامة ابن كمال باشا ليَرُومُ مطلبا صعبا ، ويطلبُ خطّة منيعة اذا ما أراد الوقوف على رأيه فِى أقسام الصفات الإلٰهية ، فبالرغم من أنه استوعب فى رسائله الكلامية أصول هذا العلم ، وجمع شتيت فوائده ، واستقصى غرائب مسائله ونوادرها ، إلاّ أنه لم يعط موضوع أنواع الصفات حقّه من البحث والتنقيح على عادة المتكلمين الذين سبقوه.

(١) د. هراس: ابن تيمية السلفي / ٨٧ .

وقد نظرت فى تراثه المخطوط والمطبوع ، وأعملت فيه النظر ، وتأملته تأملا مليّا ، بل بالغت فى الفحص ، وأمعنت فى التنقيب ، فلم أظفر بما كنت آمله وأرتجيه ، اللهم إلاّ إشارات مقتضبة لم تمكني من بغيتي فى بسط رأيه فى هذا الموضوع وبيان غامضه وتفصيل مجمله .

وحسبى أننى بذلت وسعى واستنفدت طاقتى للوصول الى عرض آرائه من خلال تلك النتف والقبسات التى عثرت عليها فى ثنايا كتبه ورسائله .

أقسام الصفات عند المتكلمين :

المثبتون للصفات من المتكلمين (الأشاعرة) قسموها الى أربعة أقسام : نفسية ، وسلبية ، ومعانى ، ومعنوية .

١ ـ فالصفة النفسية : صفة ثبوتية ، يدل الوصف بها على نفس الذات ، دون معنى زائد عليها ، وهى الوجود .

٢ ـ والسلبية : وهى التى دلت على سلب مالايليق به سبحانه وتعالى ، ـ وليست منحصرة على الصحيح ـ مثل القدم ، والبقاء ، والوحدانية ...

٣ ـ وصفات المعانى : وهى كل صفة قائمة بموصوف ، زائدة على الذات ، موجبة له حكما . وهى الصفات السبع : الحياة ، والقدرة ، والارادة ، والعلم ، والكلام ، والسمع ، والبصر .. وهى مايسمونه أيضا بالصفات الثبوتية (١) .

---

(١) انظر: البياضى : اشارات المرام / ١١٩ .

٤ ـ والمعنوية : يقصدبها الأحوال الثابتة للذات ، اذا قامت بها المعانى ، عند من يثبت الأحوال (١).

" ولايخفى أن هذا التقسيم مبنى على اعتقادهم اثبات بعض الصفات اثباتا حقيقيا ، والتفويض فى بعضها الآخر ، أو ارجاعه الى معان فيها تنزيه لله سبحانه وتعالى عن مشابهة المخلوقات، على حد زعمهم " (٢).

هذا هو موقف المتكلمين الأشاعرة من تقسيم الصفات .

أما العلامة ابن كمال باشا فانه يرى أن الصفات ثلاثة أنواع:

أحدها : صفات سلبية ، وتسمى صفات الجلال أيضا .. وهى نفى ما لايليق بذاته تعالى من الصفات..

وثانيها : صفات ثبوتية ، وتسمى صفات الجمال ، وهى ثمانية عند الماتريدية : العلم ، والحياة ، والقدرة ، والارادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والتكوين ...

وثالثها : صفات كمالية ، وهى تشمل الصفات الجلالية .. (٣) أى الصفات السلبية ..

والظاهر أن العلامة ابن كمال باشا استلهم هذا التقسيم من

(١) البيجورى :تحفة المريد ٥٤ ، ٦٣ ، ٧٧ ، الجوينى :الشامل ٣٠٨/١ ، أحمد ناصر: ابن حزم وموقفه من الإلٰهيات ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

(٢) الغامدى : البيهقى وموقفه من الإلٰهيات / ١٥٠ .

(٣) ابن كمال باشا : عقائد مختصرة ٦٠ ب ـ ٦١ أ مع الاختصار.
انظر كذلك : تفسيره ٧/١ (الحرم المكى) .

قوله تعالى " ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) (١) ، وقوله تعالى (تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام) (٢) .

فان ذاته تعالى مستجمعة لجميع صفات الكمال ، ونعوت الجلال (٣) .

واعتقد أن تقسيم ابن كمال باشا للصفات فى هذه الرسالة يوافق تقسيم الأشاعرة بشكل عام ، إلا أنه يخالفهم فى تصنيف الصفات الفعلية ، فانه يعتبرها قديمة ليست بحادثة ، وتندرج كلها تحت صفة جامعة هى " صفة التكوين " التى تعتبر من ضمن صفات المعانى (٤) .

وأما فى رسالته المنيرة فهو لايرى هذا التقسيم ، بل يذهب الى تقسيم السلف فى إثبات جميع الصفات ، الذاتية والفعلية دون تفرقة ، نقلا عن إمامه أبى حنيفة رحمه الله فى رسالته " الفقه الأكبر " (٥) ، نقل قبول وارتضاء وتسليم .

يقول : " ان الله تعالى لم يزل ولايزال بأسمائه السنية ، وصفاته الذاتية والفعلية .

أما الذاتية : كالحياة ، والقدرة ، والعلم ، والكلام ، والسمع ، والبصر ، والارادة والمشيئة .

---

(١) الرحمن / ٢٧ .

(٢) الرحمن / ٧٨ . انظر هذا الاستدلال عند السمرقندى فى الصحائف الإلٰهية / ٢٩٧ .

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ١ / ٧ (الحرم المكى) .

(٤) انظر : على القارى : شرح الفقه الأكبر ٣٤ ـ ٣٥ .

(٥) ص ٥٨ (ضمن رسائل الامام أبى حنيفة الخمس) ، وانظر كذلك : البياضى : إشارات المرام ١١٤ ، القارى : شرح الفقه الأكبر ص ٢٥ ـ ٢٦ .

وأما الفعلية: كالتخليق ، والترزيق ، والافضال ، والانعام، والاحسان، والرحمة ، والمغفرة ، والهداية" (١)

وعلى هذا فالامام أبو حنيفة أول من فرق الصفات الى ذاتية وفعلية (٢) ، دون تفرقة بينهما فى القول بأزليتهما ، وتابعه الماتريدية فى القول بأزلية الصفات جميعا ، سواء كانت ذاتية، أو فعلية ..

واختلف المتكلمون فى الفرق بين صفات الذات ، وصفات الفعل .

يرى المعتزلة أن ماجرى فيه النفى والاثبات فهو من صفات الفعل ، كما يقال: خلق لفلان ولدا ، ولم يخلق لفلان .. وما لا يجرى فيه النفى فهو من صفات الذات ، كالعلم والقدرة .. فالارادة والكلام مما يجرى فيهما النفى والاثبات ، فكانا من صفات الفعل ، وكانا حادثين ..

وأما الأشاعرة فيرون أن الفرق بينهما يكمن فى : أن مايلزم من نفيه نقيضه ، فهو من صفات الذات ، كنفى الحياة يستلزم الموت ، وما لايلزم من نفيه نقيضه فهو من صفات الفعل ، فصفات الفعل عندهم عبارة عن الاضافات ، ولذلك اعتبروها حادثة..

وأما عند الماتريدية ـ ومنهم ابن كمال باشا ـ : ان كل ما وصف به ، ولايجوز أن يوصف بضده ، فهو من صفات الذات، كالقدرة

---

(١) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص ٦ .

(٢) النشار: نشأة الفكر الفلسفى ١/٢٣٢ .

والعلم والعزة والعظمة ، وكل ما يجوز أن يوصف به وبضده ، فهو من صفات الفعل ، كالرأفة والرحمة والسخط والغضب ، فمرجع صفات الفعل الى التكوين ، وهو عندهم أزلي (١).

ولذلك يرى الماتريدية ومنهم العلامة ابن كمال باشا " أن الاتصاف بمدلولات الأسماء كلها ثابت في الأزل وفيما لا يزال ، خلافا للأشاعرة في أسماء الأفعال ، فان مدلول الاسم المشتق من صفة أزلية كالقادر والعالم أزلي ، ومدلول الاسم المشتق من الفعل ليس بأزلي ، سواء كان مشتقا من فعله تعالى كالخالق والرازق ، لعدم أزلية صفات الأفعال عندهم ، أو كان مشتقا من فعل غيره كالمعبود والمشكور ، فالقسمان ليسا بأزليين عندهم " (٢).

فالعلامة ابن كمال باشا يرى إثبات الأسماء والصفات لله تعالى ، لأنه لا مشابهة بين الله تعالى وبين مخلوقاته بوجه من الوجوه ، وكذلك لا مشابهة بين صفات الله عز وجل وصفات مخلوقاته بوجه من الوجوه .

يقول : " انه تعالى لا يشبه العالم ولا شيئا من أجزائه بوجه من الوجوه ، اذ المشابهة تقتضي المماثلة بين المشبهين ، ولا مماثلة بين الله تعالى وبين خلقه بوجه من الوجوه " (٣).

---

(١) انظر : على القاري : شرح الفقه الأكبر ٣٣ ـ ٣٥ ، محمود قاسم : مقدمة مناهج الأدلة لابن رشد ٤٨ ـ ٥٠ .

(٢) البياضي : إشارات المرام / ١١٥ .

(٣) ابن كمال باشا : في بيان عقيدة أهل السنة ١٩٢ ب .

" واذا ثبت تنزيهه تعالى عن مماثلة المخلوق ثبت أن حقيقة الأسماء والصفات التي تضاف الى الله تغاير مايضاف منها الى المخلوق . واثبات هذه الصفات له تعالى كاثبات الهوية والوجود ، فكما أنه ليس في إثبات الوجود له تعالى تشابه بالموجودات، فكذلك ليس في إثبات الأسماء والصفات له تشابه بها " (١).

والحقيقة أنه لايمكن تعريفه تعالى وتحقيق ذاته وربوبيته وتنزيهه عن النقائص والعيوب الا بواسطة الأسماء والصفات. يقول في ذلك :

" الذات الأقدس لايعرف الا بصفاته العلى ، ولايعلم الا باسمائه الحسنى " (٢).

صفات الله أزلية أبدية ، قائمة بذاته تعالى :

وفي معرض بيان إثبات الصفات لله عز وجل وأنها قديمة أزلية ، ليس شيء منها حادث ، وصف بها الله بعد أن لم يكن موصوفا بها :

يقول العلامة ابن كمال باشا في ذلك :

" انه تعالى حي ، عالم ، قادر، سميع ، بصير ، مريد ، متكلم ، مكون ، حكيم.

وله حياة ، وعلم ، وقدرة ، وسمع ، وبصر ، وإرادة ، وكلام ، وتكوين ،

(١) أيوب على :عقيدة الاسلام والامام الماتريدى ٣٥٧، انظر كذلك :الماتريدى :كتاب التوحيد / ٢٣ .

(٢) ابن كمال باشا : ر. في علوم الحقائق وحكمة الدقائق ٩٧ ب .

وحكمة ، اذ نفى هذه الصفات عن الله تعالى يوجب أضدادها ، وذلك مستحيل على الصانع القديم جل جلاله ، مع أن السمع ورد باثبات هذه الصفات. قال الله تعالى (أنزله بعلمه) (١) ، وقال الله تعالى (هو الرزاق ذو القوة المتين) (٢) ، وكافر من أنكر ما ورد به الكتاب المبين (٣).

ثم إنه تعالى بجميع صفاته قديم ، ليست بحادثة صفة من صفاته ، بل هي كلها أزلية أبدية قائمة بذات الله تعالى على التحقيق " (٤).

صفات الله تعالى لا هو ولا غيره:

ويقول العلامة ابن كمال باشا بعد كلامه السابق:

" وصفاته لا هو ، ولا غيره. لأن الغيرين الموجودين يقدّر وجود أحدهما مع انعدام الآخر ، وذلك في حق ذات الله تعالى وصفاته مستحيل ، كما في الواحد من العشرة " (٥).

" ولو قلنا بأن هذه الصفات عين الله فيؤدى الى أن يكون إلٰهين ، وذلك محال ، لأنه واحد لا شريك له.

(١) النساء/١٦٦ . (٢) الذاريات/٥٨ .

(٣) انظر هذا المعنى : النسفى : التمهيد ١٧٠ ــ ١٧١ .

(٤) ابن كمال باشا : ر. فى بيان عقيدة أهل السنة ق/١٩٢ ب ، انظر كذلك : رسائل ابن كمال باشا ١/١٣٤ ، ورسالة المنيرة ص ٦ .

(٥) ر. فى بيان عقيدة أهل السنة ١٩٢ ب .

ولو قلنا بأن هذه الصفات غير الله لكانت هذه الصفات محدثة، لاقديمة ، وهذا غير جائز " (١).

وقال العلامة البياضي فى شرح كلام الامام أبى حنيفة فى الوصية (٢) فى صفاته تعالى (لاهو، ولاغيره) ، قال :

" (لاهو) أى ليس الصفة عين الذات فى المفهوم ،
(ولاغيره) أى لاينفك عنه فى الخارج " (٣).

" فان مفهوم الصفات غير مفهوم الذات ، الا أنها لاتغايرها باعتبار ظهورها فى الكائنات" (٤).

و"ان الذات بدون صفات أمر لا وجود له الا فى الأذهان ، وليس لها وجود فى الخارج ، فان الذهن قد يفرض أحيانا المحال وبتخيله. " (٥).

ويقرر الامام على القارى: " أن الصحابة والتابعين وغيرهم من المجتهدين — رضوان الله تعالى عليهم أجمعين — قد أجمعوا على أن كل صفة من صفات الله تعالى ، لاهو ، ولاغيره " (٦).

---

(١) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص ٦ .
(٢) ص ١٧٣ ضمن رسائل الامام أبى حنيفة الخمس .
(٣) إشارات المرام من عبارات الامام ص ١١٨ .
(٤) على القارى: شرح الفقه الأكبر ص ٤٢ .
(٥) د . خفاجى :فى العقيدة الاسلامية ١/ ٢٥٩ نقلا عن منهاج السنة ٢/ ٣٩٠ .
(٦) شرح الفقه الأكبر ص ٤٢ .

ـ تحليل ونقد ـ

ويظهر بعد هذا العرض السريع لمذهب ابن كمال باشا في الصفات:

١ ـ انه يختلف عن السلف في تقسيمه للصفات الى صفات سلبية، وصفات ثبوتية، وصفات كمالية، وذلك في رسالته " عقائد مختصرة ".

وبينا أن هذا التقسيم مبني على اعتقاد إثبات بعض الصفات إثباتا حقيقيا، والتفويض في بعضها الآخر، أو إرجاعه الى معان فيها تنزيه لله تعالى عن مشابهة المخلوقات.

وأما رأيه في رسالته " المنيرة " فهو موافق لرأى إمامه الإمام أبى حنيفة رحمه الله تعالى، وبالتالي موافق مذهب السلف في تقسيمهم الصفات الى ذاتية وفعلية، وإثبات هذه الصفات جميعا لله عز وجل، دون تفرقة بينهما في الأزلية.

يقول الشهرستاني (١) : " اعلم أن جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزلية من العلم، والقدرة، والحياة، والارادة، والسمع، والبصر، والكلام، والجلال، والاكرام، والجود، والانعام، والعزة، والعظمة، ولا يفرقون بين صفات الذات، وصفات الفعل، بل يسوقون الكلام سوقا واحدا ".

---

(١) الملل والنحل ٩٢/١ .

٢ - فهو يثبت لله عز وجل الصفات الثمانية ، ويسميها الصفات الثبوتية ، وهى : الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والارادة ، والكلام ، والسمع ، والبصر ، والتكوين ، ويجمع الصفات الفعلية كلها تحت صفة التكوين ...

وهذا المسلك خلاف ماذهب اليه السلف الذين لم يحصروها فى هذا العدد ، بل أثبتوا لله ما أثبته لنفسه ، وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من صفات الكمال ، ونفوا عنه ما نفاه عن نفسه ، وما نفاه عنه رسوله .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : " فالأصل فى هذا الباب ، أن يوصف الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفته به رسله : نفيا وإثباتا ، فيثبت لله ما أثبته لنفسه ، وينفى عنه مانفاه عن نفسه .

وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ماأثبته من الصفات ، من غير تكييف ولاتمثيل ، ومن غير تحريف ولاتعطيل .

وكذلك ينفون عنه مانفاه عن نفسه ، مع إثبات ماأثبته من الصفات ، من غير إلحاد ، لافى أسمائه ولافى آياته " (١).

وأما حصره الصفات فى ثمانية فلا دليل له عليه ..

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

" ان حصر الصفات فى ثمانية ، وان كان يقوله بعض المثبتين من الأشعرية ونحوهم ، فالصواب عند جماهير المثبتة وأئمة الأشعرية

(١) مجموع الفتاوى ٣/٣ ، وكذلك : منهاج السنة ١١١/٢ .

أن الصفات لاتنحصر في ثمانية ، بل ولايحصرها العباد في عدد "(١).

٣ ــ وأما قول العلامة بأن هذه الصفات كلها قائمة بذاته تعالى ولايجوز أن يقوم شيء منها بغير ذاته ، فهو بذلك يوافق مذهب السلف .

٤ ــ وأما قوله بأن هذه الصفات قديمة أزلية وأبدية ..

فقد ورد عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه قال : " من قال إن الله عز وجل لم يكن موصوفا حتى وصفه الواصفون ، فهو بذلك خارج عن الدين "(٢).

ومعنى ذلك أن صفات الله سبحانه وتعالى قديمة ، ليس شيء منها حادثا وُصِف بها الله بعد أن لم يكن موصوفا بها ..

ولذلك يقول الامام الطحاوي : " مازال بصفاته قديما قبل خلقه ، لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته ، وكما كان بصفاته أزليا ، كذلك لايزال عليها أبديا ".

ويقول شارحه العلامة ابن أبي العز :

" ان الله سبحانه وتعالى لم يزل متصفا بصفات الكمال : صفات الذات ، وصفات الفعل . ولايجوز أن يعتقد أن الله وُصِف بصفة بعد أن لم يكن متصفا بها ، لأن صفاته سبحانه صفات كمال ، وفقدها صفة نقص ، ولايجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفا بضده "(٣).

---

(١) منهاج السنة ٢/٤٩٧ .

(٢) أبو الفضل التميمي : إعتقاد أحمد في ملحق طبقات الحنابلة ٢/٢٩٣ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٢٧ ــ ١٢٨ .

وقال الامام ملا على القارى فى شرح كلام الامام أبى حنيفة فى الفقة الأكبر: " لم يزل ولايزال بأسمائه وصفاته ، لم يحدث له اسم ولاصفة ".

قال: " يعنى أن صفات الله تعالى وأسمائه كلها أزلية لابداية لها ، وأبدية لانهاية لها ، لم يتجدد له تعالى صفة من صفاته ، ولا اسم من أسمائه ، لأنه سبحانه واجب الوجود لذاته ، الكامل فى ذاته وصفاته، فلو حدث له صفة ، أو زال عنه نعت لكان قبل حدوث تلك الصفة ، وبعد زوال ذلك النعت ناقصا عن مقام الكمال ، وهو فى حقه سبحانه من المحال ، فصفاته تعالى كلها أزلية أبدية " (١).

٥ ـ وأما قوله بأن صفات الله عز وجل: لاهو ، ولاغيره ، فهو فى ذلك يوافق مذهب السلف أيضا .. وقد نقلنا فيما سبق إجماع السلف على ذلك ...

يقول شارح العقيدة الطحاوية:

" وقد يقول بعضهم: الصفة لاعين الموصوف ولاغيره ، هذا له معنى صحيح ، وهو: أن الصفة ليست عين الموصوف التى يفرضها الذهن مجردة ، بل هى غيرها ، وليست غير الموصوف ، بل الموصوف بصفاته شئ واحد غير متعدد . فاذا قلت: أعوذ بالله ، فقد عذت بالذات المقدسة الموصوفة بصفات الكمال المقدسة الثابتة ، التى لاتقبل الانفصال بوجه من الوجوه. واذا قلت: أعوذ بعزة الله ، فقد عذت

(١) شرح الفقه الأكبر ص ٣٧ .

بصفة من صفات الله تعالى ، ولم أعذ بغير الله ... الى أن يقول : فعلم أن الذات لا يتصور انفصال الصفات عنها بوجه من الوجوه ، وان كان الذهن قد يفرض ذاتا مجردة عن الصفات ، كما يفرض المحال " (١) .

وقد أكد شيخ الاسلام ابن تيمية هذا المعنى مستشهدا بقول أئمة السلف حيث يقول : " وقد نص الأئمة ، كأحمد بن حنبل ، وغيره ، وأئمة المثبتة ، كأبى محمد بن كلاب (٢) ، وغيره على أن القائل اذا قال : الحمد لله ، أو قال : دعوت الله وعبدته ، أو قال : (عذت) بالله ، فاسم الله متناول لذاته المتصفة بصفاته ، وليست صفاته زائدة على مسمى أسمائه الحسنى " (٣) .

ومنهج السلف رضى الله عنهم هو عدم إطلاق الألفاظ المجملة فى مسألة الصفات ، وكذلك الألفاظ التى لم يرد بنفيها ولا إثباتها شئ فى الكتاب والسنة الصحيحة .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

" فانا لا نطلق على صفاته أنها غيره ، ولا أنها ليست غيره ، على ما هو عليه أئمة السلف ، كالامام أحمد بن حنبل وغيره ، وهو

(١) ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية / ١٣٠ .

(٢) هو عبد الله بن سعيد بن محمد بن كلاب القطان ، المتوفى بعد سنة ٢٤٠ هـ بقليل . عده الأشعرى والبغدادى والشهرستانى من متكلمى أهل السنة ، وقال عنه ابن حزم : انه شيخ قديم للأشعرية (انظر عنه وآرائه فى الصفات بخاصة : الأشعرى : المقالات ١٦٩ــ١٧٠ ، ٢٩٨ــ٢٩٩ ، البغدادى : أصول الدين ٩٠ ، ٢٥٤ ، ٣٠٩ ، الشهرستانى : الملل والنحل ١/ ٣١ ، ٩٣ ، ابن حزم : الفصل ٥/ ٧٧) .

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل ٥/ ٥١ .

اختيار حذاق المثبتة ، كابن كلاب وغيره . ومنهم من يقول : أنا لاأطلق عليها أنها ليست هي هو ، ولاأطلق عليها أنها ليست غيره " (١) .

ومنشأ هذا أن لفظ الغير : يراد به المغاير للشيء ، ويراد به ماليس هو إياه ، وكان في إطلاق الألفاظ المجملة إيهام لمعان فاسدة (٢) .

" ولهذا كان أئمة السنة ـ رحمهم الله تعالى ـ لايطلقون على صفات الله وكلامه : أنه غيره ، ولا أنه ليس غيره .
لأن إطلاق الاثبات قد يشعر أن ذلك مباين له ، واطلاق النفي قد يشعر بأنه هو هو . اذا كان لفظ الغير فيه إجمال ، فلا يطلق الا مع البيان والتفصيل .

فان أريد به أن هناك ذات مجردة قائمة بنفسها ، منفصلة عن الصفات الزائدة عليها ، فهذا غير صحيح ، وان أريد به أن الصفات زائدة على الذات التي يفهم من معناها غير مايفهم من معنى الصفة فهذا حق ، ولكن ليس في الخارج ذات مجردة عن الصفات ، بل الذات الموصوفة بصفات الكمال الثابتة لها لاتنفصل عنها ، وانما يفرض الذهن ذاتا وصفة ، كلا وحده ، ولكن ليس في الخارج ذات غير موصوفة ، فان هذا محال " (٣) ..

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ٥/ ٥٠ .

(٢) د . خفاجي : في العقيدة الاسلامية ص ٢٦٤ ، ابن تيمية : مجموعة الرسائل والمسائل ٥/ ٥١ .

(٣) ابن أبي العز : شرح العقيدة الطحاوية ١٢٩ ـ ١٣٠ .

وبعد هذا البحث الموجز الذى عرضنا فيه رأى العلامة ابن كمال باشا رحمه الله تعالى فى موضوع الصفات، وثنينا فيه برأى السلف الصالح ، مستعينين بجهابذة أهل العلم من ذوى البصائر النافذة والفكر الثاقب الذين التزموا بالكتاب والسنة وطريقة الأئمة ، فتنزهوا عن شوائب اللَّبْسِ وخَلَصوا من أكدار الشبهات .

وكنت أود أن أدرس كل مباحث الصفات بهذا المنهج السديد ، مستضيئا بمشكاة السلف ولكننى وجدت مجال القول ذا سَعَة ، وأن المقام يضيق بهذا التوسع فى رسالتنا هذه ، فعزمت على افراد مشكلتين كلاميتين كانتا لهما الأثر البالغ فى مسيرة الفكر الاسلامى منذ القرن الثانى الى يوم الناس هذا .

هاتان المشكلتان هما :

" صفة الكلام " و

" الصفات الخبرية " .

ب ـ صفة الكلام :

إن من المسائل التى كثر حولها الجدال والخلاف وحظيت باهتمام العلماء من متكلمين وأصوليين ومفسرين ومحدثين على السواء ، مسألة الكلام الإلهى ، أو بعبارة أخرى صفة الكلام .

وهى مسألة صعبة وشائكة (١) ، بل " من أدق المسائل " (٢) ، حتى قيل : " مسألة الكلام حيرت عقول الأنام " (٣) ، كما قيل كذلك : ان علم الكلام سمى بذلك ، لأن مسألة الكلام كانت أشهر مباحثه ، وأكثرها جدالا ونزاعا (٤) .

ولها أيضا اتصال بمسألة خلق القرآن التى وقعت بسببها المحنة لأهل السنة فى زمن المأمون ومن بعده من خلفاء العباسيين ، حتى ضرب الامام أحمد رحمه الله ، وطيف به فى الأسواق ، كما امتحن كثير من علماء أهل السنة بسببها ، مما جعل الناس يتنازعون فى هذه المسألة العويصة نزاعا كبيرا ، وينقسمون طوائف عديدة .

ولاعجب أن يولى العلامة ابن كمال باشا هذه المسألة عناية خاصة ، ويكتب فيها عدة رسائل ، كما هى عادته فى تأليف رسائله التى تعالج أمهات المسائل العويصة فى علوم مختلفة ، الى جانب أنه تطرق اليها فى مؤلفاته الأخرى أيضا ..

(١) هراس: ابن تيمية السلفى / ١٢٤ .

(٢) البزدوى: أصول الدين/ ٦٨ .

(٣) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ١٢ / ١١٣ .

(٤) الشهرستانى: الملل والنحل ١ / ٢٩، التفتازانى: شرح العقائد / ١٥ .

ومن رسائله المتعلقة بالمسألة " رسالة فى أن القران الكريم كلام الله القديم " ، و " رسالة فى مسألة خلق القرآن " ، و "شرح المقالة المفردة فى الكلام لعضد الدين الإيجى " .

وقبل أن ندخل فى الموضوع نترك الكلام لابن كمال باشا ليبين لنا آراء الفرق فيه ، حيث يقول فى مقدمة " رسالته فى مسألة خلق القرآن " :

" وقبل الشروع فى أصل المرام لابد من تقرير الأقوال الصادرة عن فرق الاسلام فى صفة الكلام ، وتقرير محل الخلاف، بتفصيل القال والقيل فيها .

فنقول - ومن الله التوفيق ، وبيده أزمة التحقيق - :

قد أجمع المسلمون قاطبة على اتصاف البارى بكونه متكلما ، وأنه يكلم ، ويتكلم ، غير الإسكافى (١) من المعتزلة ، فانه نازع فى كونه يتكلم ، متحكما فى الفرق بين يكّلم ويتكلم .

١ - لكن معنى كونه تعالى متكلما عند أصحابنا (٢) :

أنه قام بذاته كلام قديم ، أزلى ، نفسى ، أحدى الذات ، ليس بحروف ولا أصوات . وهو - مع ذلك - متعلق بجميع متعلقات الكلام .

---

(١) الاسكافى : هو محمد بن عبد الله ، أبو جعفر ، توفى سنة ٢٤٠ هـ . قال البغدادى فى الفَرق بين الفِرق ص ١٠٢ : " ومن تدقيقه فى ضلالته قوله بأنه يجوز أن يقال : ان الله يكلم العباد ، ولايجوز أن يقال :انه يتكلم، وسماه مكلما ، ولم يسمه متكلما . وزعم أن متكلما يوهم أن الكلام قام به، ومكلم لايوهم ذلك ... " . وانظر فى قوله هذا أيضا : الشهرستانى : الملل والنحل ١ / ٧٤ .

(٢) وهم الأشاعرة . لأن الكلام منقول عن الآمدى ، وهو منهم .

لكن اختلفوا فى وصف كلام الله فى الأزل بكونه أمرا ، نهيا ، مخاطبة ، تكلما . فأثبت ذلك الشيخ أبو الحسن الأشعرى ، ونفاه عبد الله بن سعيد ، وطائفة كثيرة من المتقدمين ، مع اتفاقهم على وصفه بذلك فيما لا يزال .

٢ ـ وأما المعتزلة فقد اتفقوا كافة على أن معنى كونه متكلما : أنه خالق الكلام على وجه لا يعود اليه منه صفة حقيقية ، كما لا يعود اليه من خلق الأجسام صفة حقيقية .

واتفقوا أيضا على أن كلام الله مركب من الحروف والأصوات ، وأنه محدث مخلوق ...

٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ وذهب الامامية ، والخوارج ، والحشوية (١) أيضا الى أن كلام الله مركب من الحروف والأصوات .

ثم اختلف هؤلاء : فذهب الحشوية الى أنه قديم أزلى قائم بذات البارى تعالى . لكن منهم من زعم أنه من جنس كلام البشر ، ومنهم من قال :

ليس من جنس كلام البشر ، بل الحرف حرفان ، والصوت صوتان : قديم وحادث ، والقديم منهما ليس من جنس الحادث .

(١) الحشوية : يقول ابن كمال باشا فى " شرح المقالة المفردة للايجى " (ق ٩٧ أ) : " وهم الجبرية . قال محمد الشهرستانى فى كتاب الملل والنحل (   ) عند تفصيله القائلين بالجبر : وسموهم تارة حشوية ، وتارة جبرية " وكرر هذا فى ق / ٩٨ أ من الرسالة نفسها .

انظر قول الحشوية فى الإرشاد للجوينى ١٢٨ ـ ١٢٩ ، وغاية المرام للآمدى ص ٨٨ ، والملل والنحل للشهرستانى ١ / ٩٦ ، ١٠٦ . وقول ابن تيمية بعدم صدور هذا القول من أى فرقة ولا من أى أحد من المسلمين ، فى درء التعارض ٢ / ٣١١ .

٦ - أما الكرامية (١) : فقالوا : ان الكلام قد يطلق على القدرة على التكلم ، وقد يطلق على الأقوال والعبارات ، وعلى كلا الاعتبارين فهو قائم بذات الله تعالى ...

٧ - وأما الواقفية (٢) : فقد أجمعوا على أن كلام الله تعالى كائن بعد أن لم يكن . لكن منهم من توقف في اطلاق اسم الحادث والمخلوق عليه ، ومنهم من توقف في إطلاق اسم المخلوق ، وأطلق اسم الحادث .

ومن القائلين بالحدوث من قال : ليس جوهرا ولا عرضا .

وذهب بعض المعترفين بالصانع تعالى الى أنه لا يوصف بكونه متكلما ، لا بكلام ولا بغير كلام .

هذا على وفق ماذكره الآمدى فى أبكار الأفكار . (٣).

ثم عقب العلامة ابن كمال باشا على كلام الآمدى بقوله :

" ولم يتعرض فيه لقول الحنابلة ، وكأنه أدرجهم في الحشوية ، وليسوا منهم ، على ماظهر من تفصيل الفاضل التفتازاني الكلام

(١) الكرامية : اتباع محمد بن كرّام ، أبو عبد الله السجزى العابد المتكلم . قال ابن حبان : " خذل حتى التقط من المذاهب أرداها ، ومن الأحاديث أوهاها " . وقال الشهرستانى انه متمس بالزهد ، قليل العلم ، قد قمش من كل مذهب ضغثا ، وأثبته فى كتابه ، ومذهبه أقرب مذهب الى مذهب الخوارج ، وأصحابه مجسمة . انظر قوله فى الكلام (الشهرستانى : الملل والنحل ٣١/١ ، ١٠٩ - ١١١ ، البغدادى : الفرق بين الفرق ١٣٢ ، الآمدى : غاية المرام ٨٩ ، البياضى : إشارات المرام ١٤١) .

(٢) قال الأشعرى فى المقالات ص ٦٠٢ : " وقال قوم من أهل الحديث ممن زعم أن القرآن غير مخلوق : ان قراءته واللفظ به غير مخلوقين ، وأن اللفظية يجرون مجرى من قال بخلقه ، وأكفر هؤلاء " الواقفة " التى لم تقل ان القرآن غير مخلوق . ومن شك فى أنه غير مخلوق ، والشاك فى الشاك ، وأكفروا من قال : لفظى بالقرآن مخلوق " . انظر أيضا : ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ٢٦١/١ .

(٣) ابن كمال باشا : رسالة فى مسألة خلق القرآن ١١٧ أ - ١١٨ أ المحمودية برقم =

في هذا المقام حيث قال في شرحه للمقاصد " (١) :

وبالجملة لاخلاف لأرباب الملل والمذاهب في كون الباري متكلما . وانما الخلاف في معنى كلامه ، وفي قدمه وحدوثه . فعند أهل الحق كلامه تعالى ليس من جنس الأصوات والحروف ، بل صفة أزلية قائمة بذاته تعالى ، منافية للسكوت والآفة ، كما في الخرس والطفولية ، هو بها آمرناه مخبر وغير ذلك ، يدل عليها بالعبارة أو الكتابة أو الاشارة . فاذا عبر عنها بالعربية فقرآن ، وبالسريانية فانجيل ، وبالعبرانية فتوراة . والاختلاف في العبارات دون المسمى ، كما اذا ذكر الله تعالى بألسنة متعددة ، ولغات مختلفة .

وخالفنا في ذلك جميع الفرق ، وزعموا : أنه لامعنى للكلام الا المنتظم من الحروف المسموعة الدال على المعاني المقصودة ، وأن الكلام النفسي غير معقول .

ثم قالت الحنابلة والحشوية : إن تلك الأصوات والحروف مع تواليها وترتب بعضها على البعض ، وكون الحرف الثاني من كل كلمة مسبوقا بالحرف المتقدم عليه كانت ثابتة في الأزل ، قائمة بذات الباري تعالى وتقدس ، وأن المسموع من أصوات القراء ، والمرئي من أسطر الكتب نفس كلام الله تعالى القديم ... " (٢) ثم ذكر رأي الكرامية والمعتزلة .

= ٢٥٩٧ ، و ٨٧ ب ــ ٨٨ أ برنستون برقم/ ٨٣٢ .

(١) ١٤٤/٤ .

(٢) ابن كمال باشا : ر. في مسألة خلق القرآن ١١٨ أ (المحمودية برقم ٢٥٩٧) ، و ٨٨ آ ــ ب (برنستون/ ٨٣٢) .

والشاهد من كلام التفتازاني أنه فرق بين الحنابلة والحشوية ، وذكرهما كطائفتين مستقلتين ، ولم يدرج الحنابلة في الحشوية ، وهو الحق .

وبعد هذه الطليعة المختصرة التي لخص لنا فيها العلامة ابن كمال باشا آراء أشهر الفرق في مسألة الكلام ، نحاول الآن أن نتعرف على رأيه في هذه المعضلة الكلامية ، ونتلمس أوجه الأصالة والابتكار عند صاحبنا .

ان العلامة ابن كمال باشا لم يأت في هذه المسألة بشيء جديد ، ولم يستقل برأى عن أصحابه الماتريدية ومعهم الأشاعرة ، بل انه وافقهم في كل ماذهبوا اليه من ان الكلام نفسي ، وأنه قديم أزلي ، وليس من جنس الحروف والأصوات ، وان هذا الكلام الذى نقرأه دلالة على كلام الله تعالى القديم ، وهو معنى واحد .. واليك مصداق ذلك كله من كلام نفسه .

رأى العلامة ابن كمال باشا في الكلام :

كلام الله تعالى قديم أزلي قائم بذاته تعالى :

يقول العلامة ابن كمال باشا : " البارى جل وعلا متكلم بكلام واحد أزلي ،قائم بذاته، ليس من جنس الحروف والأصوات .

فان قلت : كيف انهم يطلقون الكلام على هذه العبارات ؟

قلت : لأن هذه الحروف والعبارات دالة على الكلام القدسي

القائم بذاته تعالى • ولهذا قال الشاعر :

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما .·. جعل اللسان على الفؤاد دليلا "(١) •

ومعنى كون الكلام اللفظى الحادث عبارة عن ذلك المعنى القديم : أنه يفسره ، كما تفسر ألفاظنا المعانى التى قصدناها "(٢) •

وهذا الرأى هو بعينه رأى أصحابه الماتريدية ، وهو كذلك رأى الأشاعرة أخذوه عن ابن كلاب وأتباعه •

يقول الصابونى البخارى فى البداية(٣) : " قال أهل الحق : إن الله تعالى متكلم بكلام واحد أزلى أبدى ، قائم بذاته ، لا يفارق ذاته ولا يزايله ، ليس من جنس الحروف والأصوات ، غير متجزٍّ متبعّض " •

وكذلك قال سيف الدين الآمدى فى غاية المرام(٤) ، والايجى ، والتفتازانى من الأشاعرة ، كما سبق كلامهما عند ذكر آراء الفرق

(١) ابن كمال باشا : إشارات لطيفة ١٩٤ ب • وهذا البيت نسب فى أكثر كتب المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية الى الشاعر الأخطل • أورده الباقلانى فى التمهيد ٢٨٤ ، والآمدى فى غاية المرام ٩٧ ، والصابونى البخارى فى البداية ٣٢ ، وحافظ الدين النسفى فى الاعتماد ٢٤ ب ، والتفتازانى فى شرح المقاصد ٤/١٥٠ ، وغيرهم • وقيل : انه موضوع على الأخطل ، ولا يوجد فى ديوانه • (انظر : الزبيدى : اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ٢/١٤٦) •

(٢) ابن كمال باشا : حاشية على التلويح ٥٨ أ •

(٣) ص ٣١ • انظر أيضا : النسفى : الاعتماد / ٢٣ أ ، البياضى : إشارات المرام ص ١٧٠ •

(٤) ص ٨٨ •

فى المسألة .

ويؤكد العلامة ابن كمال باشا أن الكلام هو المعنى القائم بالنفس ، وهو المسمى بالكلام النفسى .

يقول : " ان المراد من الكلام ما كان الله به متكلما ، وهو عند الأشاعرة الكلام النفسى ، لا الكلام اللفظى المؤلف من الحروف المرتبة .

وذلك انهم يثبتون معنى آخر للكلام ، ويقولون : ان كلام الله تعالى اسم مشترك بينهما ، وان كونه تعالى متكلما كونه متصفا بقيام ذلك المعنى الآخر بنفسه ، لا بالكلام اللفظى القائم بمحل آخر " (١) .

ونلاحظ أن هذا الرأى نفسه هو الذى تبناه العلامة ابن كمال باشا عند شرحه كلام الايجى : (الكلام يطلق على معنيين) :
" يعنى بالاشتراك اللفظى ، وما وقع فى عبارة بعض المشايخ من أنه مجاز فى اللفظى ، فليس معناه أنه غير موضوع له ، بل ان الكلام فى التحقيق وبالذات للمعنى القائم بالنفس ، وتسمية اللفظ به ، ووضعه لذلك إنما هو باعتبار دلالته على المعنى .
قال الأخطل :

ان الكلام لفى الفؤاد وانما ∴ جعل اللسان على الفؤاد دليلا

أى جعل الواصل الينا من جهة اللسان دليلا على الحاصل فى القلب ، فلا نزاع لهم فى الوضع والتسمية " (٢) .

---

(١) ابن كمال باشا : شرح المقالة المفردة ٦٩ ب .

(٢) ابن كمال باشا : شرح المقالة المفردة / ٦٩ ب ـ ٧٠ أ .

ويقول كذلك في معرض بيان الفرق بين الكلام واللفظ :

" الكلام حقيقة في المعنى النفسي ، ومجاز في اللفظ الدال عليه ..(١) "

ـ القرآن كلام الله غير مخلوق ـ

ان القرآن له اطلاقات عديدة . يطلق ويراد به القراءة ، ك " قرآن الفجر "(٢) ، ويطلق ويراد به المصحف ، كما في حديث " لاتسافروا بالقرآن في أرض العدو "(٣) ، ويطلق ويراد به المقروء ، وهو كلامه القديم ، كما في قوله تعالى (فاذا قرأت القرآن)(٤) اى كلام الله تعالى .

فاذا ذكر لفظ القرآن مع قرينة تدل على القراءة ـ كما يقال : قرأت نصف القرآن ، أو ثلثه ، أو ربعه ، ـ ، أو ذكر مع قرينة تدل على المكتوب ـ كما يقال : يحرم على المحدث والجنب مس القرآن ـ ، كان المراد منه الدلالة على كلام الله تعالى فيكون حادثا

(١) ابن كمال باشا : رسالة في أن القرآن العظيم كلام الله القديم ، ضمن رسائل ابن كمال باشا ١/١٣٥ . ويقول شارح الطحاوية ابن أبي العز ص ١٩٨ :
" وهذا قول ابن كلاب ومن اتبعه " .

(٢) الاسراء/٧٨ .

(٣) أخرجه مسلم (١٤٩٠/٣) في كتاب (٢٤) الامارة ، باب (٣٣) النهى أن يسافر بالمصحف الى أرض العدو ، حديث رقم / ١٨٦٩ .
وأحمد في المسند ٦/٢ ، ١٠ .
ومالك في الموطأ ٤٤٦/٢ .

(٤) النحل/٩٨ .

ومخلوقا عند الماتريدية والأشاعرة(١) .

ويرى العلامة ابن كمال باشا أن القرآن بالمعنى الثالث صفة من صفات الله تعالى وهو قديم قائم بذاته. يقول : " واعلم أن القرآن كلام الله تعالى وصفته ، والله بجميع صفاته قديم ، تكلم به — لا عن صمت متقدم ، ولا سكوت متوهم — بكلام أزلي ، كسائر صفاته من علمه وإرادته وقدرته ، كلم به وسمّاه التوراة والانجيل والزبور والتنزيل ، من غير حروف ولا أصوات ، ولا نغمة ولا لغات ، من غير تشبيه ولا تكييف ، فكلامه تعالى من غير لهات ولا لسان ... ثم انه تعالى كلم جبريل عليه السلام من وراء الحجاب ، خلق صوتا وحرفا ، فأسمعه بذلك الصوت والحرف(٢) .
فحفظ جبريل عليه السلام ، ووعاه ، ونقل به الى النبى عليه السلام ، وتلاه عليه ، وهو هذا الكلام اللفظى المقروء بالألسن ، المنقول الينا ، بالتواتر " (٣) .

إن اطلاق القرآن وكلام الله على هذا المؤلف الحادث بطريق الاشتراك ، أو المجاز المشهور شهرة الحقائق عند العامة ، كما سبق ذكر كلام العلامة ابن كمال باشا فى ذلك .

(١) الصابونى :البداية ٣٢ — ٣٣ ، التفتازانى :شرح العقائد ٩٣ ، القارى :شرح الفقه الاكبر ٤٥ — ٤٦ ، وشرح الأمالى ص٨ ، البياضى :إشارات المرام من عبارات الامام ١٧٥ — ١٧٦ .

(٢) يقول شارح الطحاوية ان هذا القول هو قول الامام الماتريدى. انظر: شرح الطحاوية ص ١٩٠ .

(٣) ابن كمال باشا :ر. فى أن القرآن العظيم كلام الله القديم ١/ ١٣٤. قال فى حاشية الكشاف للجرجانى ق/ ١٦٣ : " وهو المراد من القرآن الذى نقل فيه =

" وبهذا التفصيل تبين وجه قول المشايخ :

القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ، حيث أعقبوا القرآن بكلام الله تعالى ، ثم نفوا عنه المخلوقية ، فانهم لو قالوا :

القرآن غير مخلوق ، لتبادر الى الفهم أن المؤلف من الأصوات والحروف قديم ، كما ذهب اليه الحنابلة جهلا أو عنادا ، لأن "القرآن" شائع الاستعمال فى اللفظ ، و" كلام الله " تعالى بالعكس (١) .

وأيضا فيه تمهيد لقوله " غير مخلوق "بناء على أن كلام الله صفته ، وصفته لاتكون حادثة ، وأقام " غير المخلوق " مقام غير الحادث ، لاتنبيها على اتحادهما كما سبق الى بعض الأوهام (٢) ، لأن القصد اليه بمعزل عن المقام ، بل للاستلزام بينهما عند المتكلمين القائلين بحدوث العالم ، وتنصيصا على محل الخلاف بين الفريقين بالعبارة المشهورة فيما بينهم ، ولهذا يترجم المسألة بـ" مسألة خلق القرآن " .

وأما القصد الى جرى الكلام على وفق الحديث حيث قال عليه السلام :

" القرآن العظيم كلام الله تعالى غير مخلوق ، ومن قال انه مخلوق فهو كافر بالله العظيم " (٣) ، فمبناه على صحة الحديث =

الاختلاف من السلف والخلف ، والقرآن فى عرف القراء والمفسرين هذا المعنى " .

(١) ويلاحظ أن المؤلف هنا قلد التفتازانى ، حيث انه نقل كلامه بعينه . انظر : شرح العقائد ص٩١ ــ ٩٢ .

(٢) وهو سعد الدين التفتازانى .

(٣) هذا الحديث ذكره المتكلمون فى كتبهم مثل التفتازانى فى شرح العقائد ص ٩٢ ، والنسفى فى الاعتماد ٢٣ ب . وقد عده المحدثون من الموضوعات .

قال السيوطى فى تخريج أحاديث شرح العقائد ص٥ :

" أخرجه ابن عدى فى الكامل (١ / ٢٠٣)من حديث أبى هريرة . =

المذكور وقد ردّه الصغاني ، وعده من الموضوعات" (١) .

وهكذا نرى العلامة ابن كمال باشا يرد الحديث في هذا الموضع ، ويحكم عليه بالوضع.

ومن العجب أنه دافع عن استدلال المتكلمين بهذا الحديث في مسألة خلق القرآن في " حاشيته على التلويح للتفتازاني " حيث قال فيها :

" ذكر الصغاني فيما جمعه من الموضوعات أن هذا الحديث موضوع. وقيل : ومن العجب أن أهل السنة استدلوا به على خلق القرآن ، والخصوم (٢) أجابوا عنه بأن المخلوق بمعنى المفترى ، ولم يتفطنوا لكونه موضوعا .

وعندي محل التعجب حكم الصغاني بأن ذلك الحديث موضوع ، مع أن أهل السنة والجماعة تمسكوا به في مطلب جليل وخطب عظيم ، عمّ به البلوى. والخصوم ارتكبوا في جوابه للتأويل والصرف عن الظاهر ، ولم يقدروا التفوه بالطعن ، وهذا أقوى دليل على صحة الحديث المذكور ، وشهرته فيما بينهم بحيث لم يبق مجال للطعن فيه والانكار ، فانه لو كان فيه نوع ضعف لما جاز عادة سكوت الخصوم عنه ، أو غفلتهم مع كثرتهم ، وزيادة تتبعهم أحوال الرواة ،

وقال الحفاظ: إنه موضوع. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٠٧ـ١٠٨) ".
وكذلك عده السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٣٠٤ ، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة ٢٥٧ ، وشرح الفقه الأكبر ٤٢ من الموضوعات.

(١) ابن كمال باشا : رسالة في أن القرآن العظيم كلام الله القديم ١/ ١٣٥ـ١٣٦ .

(٢) وهم المعتزلة. انظر: ابن أبي العز: شرح الطحاوية ١٨٨ .

وكمال قدرتهم على الوقوف على أحوال الأحاديث المروية لقربهم من مأخذها . وبالجملة فالحكم بأن الحديث المذكور موضوع مشكل جدا " (١) .

وهذا منطق غريب منه في تصحيح الحديث ، اذ أن المحدثين - وهم أهل الصناعة - حكموا على الحديث بالوضع كما سبق بيانه في أثناء تخريجنا له .

وأما بالنسبة لبيان مذهب الحنابلة والتشنيع عليهم فذلك راجع - في نظري - الى تقليده التفتازاني تقليدا أعمى حيث انه يعود فينتقد تشنيعه عليهم .

فيقول في معرض بيان كلام الايجي أن الكلام النفسي شامل للفظ والمعنى - وهو المراد عند الشيخ الأشعري - وهو قائم بذات الله تعالى ، يقول : " وهو قديم لأن اللفظ القائم بالنفس ليس بمرتب الأجزاء في نفسه ، لابمعنى أنه ليس بين أجزائه ترتب وضعي وهيئة تأليفية ، لأن الحروف بدونه لاتكون كلمة ، والكلمات بدونه لاتكون كلاما ، والدلالة على المعاني الوضعية والمزايا الخطابية لاتتم بدونه ، بل بمعنى أنه ليس بينها ترتب في الوجود وتعاقب فيه ، حتى يكون وجود بعضها مشروطا بانقضاء بعض آخر ، كما في القراءة ، لعدم مساعدة الآلة ، فانه لايمكننا أن نتلفظ ببعض الحروف مالم نفرغ عن بعضها لعدم مساعدة لساننا

(١) ابن كمال باشا : حاشية على التلويح ٥٧/ أ - ب .

للتلفظ بجميع الحروف معا ، بخلاف وجودها في ذات الباري تعالى ، فان وجود جميعها هناك معا لازم لذاته تعالى ، دائم بدوامه ، فلا يلزم حدوث شيء منها . ويرشدك الى إمكان ماذكر وجود الألفاظ في نفس الحافظ ، فان جميع الحروف بهيئاتها التأليفية العارضة لمفرداتها ومركباتها محفوظة في نفسه ، مجتمعة الوجود فيها ، ليس وجود بعضها مشروطا بانقضاء البعض وانعدامه عن نفسه ، والفرق بأن وجود الحروف على هذا الوجه في ذات الله تعالى بالوجود العيني ، وفي نفس الحافظ بالوجود الظلي الخيالي ، لايضر المقصود بالارشاد ، كما لايخفى على ذوي الرشاد .

وبهذا التفصيل اندفع ماقيل : (١) من أنه اذا لم يكن بين أجزاء اللفظ ترتب ، لايوجد بين " ملح " ، و " لمع " ، ونظائرها ، واتضح فساد ماقيل (٢) : وهو قديم ، لاكما زعمت الحنابلة من قدم النظم المؤلف المرتب الأجزاء ، فانه بديهي الاستحالة للقطع بأنه لايمكن التلفظ بالسين من " بسم الله " الا بعد التلفظ بالباء ، لأن منشأه عدم الوقوف على معنى الترتب الذي أثبته الحنابلة ، فان مرادهم من الترتب المذكور الترتب في الوضع ، لا الترتب في الوجود » (٣) .

---

(١) وهو الخيالي .

(٢) وهو التفتازاني في شرح العقائد ٩٥ ـ ٩٦ .

(٣) ابن كمال باشا : شرح الرسالة المفردة في الكلام للايجي ٧١ أ ـ ب مع تصويب الأخطاء من عدة نسخ .

وقال العلامة ابن كمال باشا ردا على المعتزلة القائلين بأن القرآن أو كلام الله مخلوق :

" ثم المتكلمون قالوا : انه غير مخلوق ، خلافا لبعض المتكلمين .

لأنه لو كان مخلوقا :

فإما أن خلقه الله تعالى فى ذاته ، أو فى محل آخر ، أو لا فى محل .

فإن كان الأول لزم كونه تعالى محلا للحوادث ، وهو محال .

وإن كان الثانى لزم كون المتكلم كونَ المحل ، لأن المتصف بالصفات محالها ، وهو غير جائز .

وإن كان الثالث ، وهو أيضا محال ، لأن الصفة لابد لها من محل موصوف يتقوم بها " (١) .

وقال أيضا : " ولما لم يمكنهم - أى المعتزلة - إنكار كونه تعالى متكلما ، ذهبوا الى أنه متكلم بمعنى إيجاد الأصوات والحروف فى محلها ، وإيجاد أشكال الكتابة فى اللوح المحفوظ وإن لم يقرأ ، على اختلاف بينهم .

وأنت خبير بأن المتحرك من قامت به الحركة ، لا من أوجدها ، وإلا لَصح اتصاف البارى تعالى بالأعراض المخلوقة له ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا " (٢) .

---

(١) ابن كمال باشا : إشارات لطيفة / ١٩٤ ب .

(٢) ابن كمال باشا : شرح المقالة المفردة ٦٩ أ . انظر نقد ابن تيمية كذلك فكرة المعتزلة فى منهاج السنة النبوية ٢ / ٣٧٣ - ٣٧٤ .

فهذه الطريقة التي سلكها الأشعري وأصحابه في مسألة القرآن ، هم ومن وافقهم من أصحاب أحمد ، وأصحاب الشافعي ، وأصحاب مالك ، وكأبي منصور الماتريدي ، وميمون النسفي المتوفي ٥٠٨ هـ ، صاحب تبصرة الأدلة ، وابن كمال باشا وغيرهم ممن أصحاب أبي حنيفة ، قد سبقهم عبد العزيز المكي ، صاحب كتاب " الحيدة " المشهور الى هذا التقسيم ، ماعدا الاختلاف معهم في بعض التفاصيل (١) ..

يقول ابن تيمية رحمه الله تعالى : " والمقصود هنا : أن عبد العزيز احتج بتقسيم حاصر معقول ، فان الله تعالى اذا خلق شيئا ، فاما أن يخلقه في نفسه ، أو في غيره ، أو يخلقه قائما بنفسه ، وقد أبطل الأقسام الثلاثة " (٢).

وقال بعده أيضا :

" وأما القسم الأول ـ وهو كونه سبحانه خلقه في نفسه ـ فأبطله عبد العزيز أيضا ، لكن مافي نفس الله تعالى يحتمل نوعين :

أحدهما : أن يقال : أحدث في نفسه بقدرته كلاما بعد أن لم يكن متكلما . وهذا قول الكرامية وغيرهم ممن يقول : كلام الله حادث ومحدث في ذات الله تعالى ، وأن الله تكلم بعد أن لم يكن يتكلم أصلا ، وأن الله يمتنع أن يقال في حقه : مازال متكلما ، وهذا مما أنكره الامام أحمد وغيره .

---

(١) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ٢/٢٤٤ ـ ٢٤٥ .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٢/٢٥١ ـ ٢٥٢ .

والثاني : أن يقال : لم يزل الله متكلما اذا شاء كما قاله الأئمة . وكل من هاتين الطائفتين لاتقول :

" ان مافي نفس الله مخلوق " ، بل المخلوق عندهم لايكون الا منفصلا عن نفس الله تعالى ، وما قام به من أفعاله وصفاته فليس بمخلوق " (١) .

وخلاصة رأي العلامة ابن كمال باشا في هذه المسألة :

١ ـ ان القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق .

٢ ـ ان الحروف والأصوات التي قامت بالعباد ، وتلفظهم بالقرآن ، وكتابتهم له كبقية أعمالهم :

كما قال الامام أحمد : " نقول القرآن كلام الله غير مخلوق حيث تصرف " ، " أي حيث تُلِي وكتِب وقرئ مما هو في نفس الأمر كلام الله فهو كلامه ، وكلامه غير مخلوق ، وما كان من صفات العباد وأفعالهم التي يقرؤون ويكتبون بها كلامه كأصواتهم ومدادهم فهو مخلوق . ولهذا من لم يهتد الى هذا الفرق يحار " (٢) .

---

(١) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ٢٥٤/٢ .

(٢) ابن تيمية : مجموعة الرسائل والمسائل ٦٠/٣ .

– تحليل ونقد –

١ – ان العلامة ابن كمال باشا ذكر عند ذكر آراء المذاهب فى الكلام ثماينة أقوال ، ولم يذكر القول التاسع ، وهو قول السلف ، كما هو عادة الذين صنفوا فى المذاهب والملل ٠

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

" هذه مسألة كلام الله تعالى ، والناس فيها مضطربون ، وقد بلغوا فيها الى **تسعة أقوال** : وعامة الكتب المصنفة فى الكلام وأصول الدين لم يذكر أصحابها الا بعض هذه الأقوال ، اذ لم يعرفوا غير ماذكروه ، فمنهم من يذكر قولين ، ومنهم من يذكر ثلاثة ، ومنهم من يذكر أربعة ، ومنهم من يذكر خمسة ، وأكثرهم لايذكرون قول السلف ... " (١) .

ثم ذكر قول السلف قائلا : " وسادسها : قول من يقول : انه لم يزل متكلما اذا شاء ، ومتى شاء ، وكيف شاء بكلام يقوم به ، وهو يتكلم به بصوت يسمع ، وأن نوع الكلام أزلى قديم ، وان لم يجعل نفس الصوت المعين قديما ٠

وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة " (٢) .

(١) منهاج السنة ٢/٣٥٨ – ٣٥٩ ٠ انظر كذلك : مجموعة الرسائل والمسائل ٣/٨٧ – ٨٨ ، ودرء التعارض ٢/٣٠٧ ، وشرح الطحاوية ١٧٩ – ١٨٠ ٠

(٢) منهاج السنة النبوية ٢/٣٦٢ ٠ انظر كذلك : مجموعة الرسائل والمسائل ٣/٤٤ – ٤٦ ، ١٥٦ ، وشرح الطحاوية لابن أبى العز / ١٨٠ ٠

٢ ـ وأما ماذكره العلامة ابن كمال باشا منسوبا الى الحنابلة من قدم الحروف فهو ليس بمذهب لهم ، وان كان بعض كتب الكلام نسبه اليهم .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية ـ وهو من مجتهدى الحنابلة ـ وأهل مكة أدرى بشعابها ـ :

" والطائفة الأخرى التى وافقت ابن كلاب على أن الله تعالى لايتكلم بمشيئته وقدرته قالت : بل الكلام القديم هو حروف ، أو حروف وأصوات لازمة لذات الرب أزلا وأبدا ، لايتكلم بها بمشيئته وقدرته ، ولايتكلم بها شيئا بعد شىء ." (١) .

ويقول الامام ابن تيمية بعد حكاية هذا الرأى :

" وهذا قول طائفة من أهل الكلام وأهل الحديث ، ذكره الأشعرى فى المقالات عن طائفة ، وهو الذى يذكر عن السالمية ونحوهم " (٢) .

وقد رد الامام ابن تيمية هذا القول لمخالفته العقل والشرع معا ، حيث قال :

" وهذا أيضا مما يقول جمهور العقلاء : انه معلوم الفساد بالضرورة ، فان الحروف المتعاقبة شيئا بعد شىء يمتنع أن يكون كل منها قديما أزليا ، وان كان جنسها قديما ، لإمكان وجود كلمات لانهاية لها ، وحروف متعاقبة لانهاية لها ، وامتناع كون كل منها قديما أزليا ، فان المسبوق بغيره لايكون أزليا .

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ٣/ ٤٣ـ ٤٤ .

(٢) منهاج السنة ٢/ ٣٦٠ . انظر كذلك درء تعارض العقل والنقل ٢/ ٢٥٥ .

وقد فرق بعضهم بين وجودها وماهيتها فقال : الترتيب في ماهيتها لافي وجودها ، وبطلان هذا القول معلوم بالاضطرار لمن تدبره. فان ماهية الكلام الذى هو حروف لايكون شيئا بعد شيء ، والصوت لايكون الا شيئا بعد شيء ، فامتنع أن يكون وجود الماهية المعينة أزليا متقدما عليها به ، مع أن الفرق بينهما بين لو قدر الفرق بينهما ، ويلزم من هذين الوجهين أن يكون وجودها أيضا مترتبا ترتيبا متعاقبا " (١).

وقال فى مكان آخر مؤكدا هذا المعنى :

" وقالت طائفة: هو حروف وأصوات ، قديمة الأعيان ، لازمة لذات الله ، لم تزل لازمة لذاته ، وان الباء والسين والميم موجودة مقترنة بعضها ببعض معا أزلا وأبدا ، لم تزل ولاتزال لم يسبق منها شيء شيئا. وهذا أيضا مخالف للشرع والعقل " (٢).

كما قال فى موضع آخر:

" ومن قال : ان الحرف المعين أو الكلمة المعينة قديمة العين ، فقد ابتدع قولا باطلا فى الشرع والعقل.

ومن قال : ان جنس الحروف التى تكلم الله بها بالقرآن وغيره ليست مخلوقة ، وان الكلام العربى الذى تكلم به ليس مخلوقا ، والحروف المنتظمة منه جزء منه ، لازمة له ، وقد تكلم الله بها ،

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ٣/ ٤٤ .

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل ٣/ ١٥٦ .

فلا تكون مخلوقة ، فقد أصاب" (١).

وهو بذلك يفرق بين جنس الحروف وبين أعيانها ، فيقول بقدم الأول وحدوث الثاني .

ويظهر مما قدمنا من كلام شيخ الاسلام أن ماحكاه العلامة ابن كمال باشا عن الحنابلة فى مسألة الكلام باطل النسبة اليهم فى الجملة. (٢)

٣ ـ وأما قوله بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس ، وأما النظم المسموع فمخلوق .

يقول شارح الطحاوية رادّا هذا القول :

" ويرد قول من قال : بأن الكلام هو المعنى القائم بالنفس ، قوله صلى الله عليه وسلم : " ان صلاتنا هذه لايصلح فيها شىء من كلام الناس" (٣).

وقال : " ان الله يحدث من أمره مايشاء ، وان مما أحدث : أن لا تكلموا فى الصلاة" (٤).

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ٣/ ٤٦ .

(٢) انظر كذلك : ابن تيمية :مجموعة الرسائل والمسائل ٣/ ٦٨ .

(٣) أخرجه النسائى (٣/ ١٤ ـ ١٧) فى كتاب (١٣) السهو، باب (٢٠) الكلام فى الصلاة ، رقم/ ١٢١٨ .
وأحمد فى المسند ٥/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨ .

(٤) أخرجه النسائى (٣/ ١٦ ـ ١٧) فى كتاب (١٣) السهو، باب (٢٠) الكلام فى الصلاة ، رقم/ ١٢٢٠ .

واتفق العلماء على أن المصلى اذا تكلم فى الصلاة عامدا لغير مصلحتها بطلت صلاته. واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب من تصديق بأمور دنيوية وطلب لا يبطل الصلاة، وانما يبطلها التكلم بذلك. فعلم اتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام.

وأيضا ففى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ان الله تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ، مالم تتكلم به ، أو تعمل به " (١).

فقد أخبر أن الله عفا عن حديث النفس الا أن تتكلم ، ففرق بين حديث النفس وبين الكلام ، وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم به ، والمراد حتى ينطق به اللسان ، باتفاق العلماء. فعلم أن هذا هو الكلام فى اللغة ، لأن الشارع إنما خاطبنا بلغة العرب.

وأيضا ففى السنن أن معاذا رضى الله عنه قال : يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون مما نتكلم به ؟ فقال : وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم الا حصائدُ ألسنتهم " (٢).

فبين أن الكلام انما هو باللسان ، فلفظ القول والكلام وما تصرف منهما ، من فعل ماضى ومضارع وأمر واسم فاعل انما يعرف فى القرآن والسنة وسائر كلام العرب اذا كان لفظا ومعنى.

= وأخرجه البخارى معلقا (١٣/ ٤٩٦) فى كتاب (٩٧) التوحيد ، باب (٤٢) قول الله تعالى : كل يوم هو فى شأن.

(١) أخرجه البخارى (٩/ ٣٨٨) كتاب (٦٨) الطلاق ، باب (١١) الطلاق فى الاغلاق والكره والسكران .. رقم/ ٥٢٦٩.
ومسلم (١/ ١١٦) كتاب (١) الايمان ، باب (٥٨) تجاوز الله عن حديث النفس، رقم/ ١٢٧.

(٢) أخرجه الترمذى (٥/ ١٢) فى كتاب (٤١) الايمان ، باب (٨) ما جاء فى حرمة الصلاة ، رقم / ٢٦١٦.
وأحمد فى المسند ٥/ ٢٣١.

كلام الله تعالى بالحقيقة ،

ليس بمخلوق ككلام البرية ، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر ، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر ، حيث قال تعالى (سأصليه سقر) (١) ، فلما أوعد الله لمن قال (ان هذا الا قول البشر) (٢) علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ، ولايشبه قول البشر " (٣) .

ومعنى قول السلف: " منه بدأ " اى هو المتكلم به ، فمنه بدا ، لامن بعض المخلوقات ، ولم يخلقه فى غيره.

ومعنى قولهم: " واليه يعود " أى يرفع من الصدور والمصاحف فلا يبقى فى الصدور منه آية ولا فى المصاحف ، كما جاء ذلك فى الآثار .

وقولهم " بلا كيفية " لاتعرف كيفية تكلمه به قولا ليس بالمجاز (٤) .

وبهذا البيان يظهر أن كلام العلامة ابن كمال باشا يخالف مذهب السلف فى قوله : " بأنه تعالى كلّم جبريل عليه السلام من وراء الحجاب ، خلق صوتا وحرفا ، فأسمعه بذلك الصوت والحرف ، فحفظ جبريل عليه السلام ووعاه ، ونقل به الى

(١) المدثر/٢٦ . (٢) المدثر/٢٥ .

(٣) العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبى العز /١٧٩ .

(٤) ابن أبى العز: شرح العقيدة الطحاوية ١٩٥ ، ابن تيمية: شرح العقيدة الاصفهانية ٥ ـ ٦ .

ولم يكن في مسمى الكلام نزاع بين الصحابة والتابعين لهم باحسان ، وانما حصل النزاع بين المتأخرين من علماء أهل البدع ، ثم انتشر"[1].

٤ ـ وأما ماذهب اليه العلامة ابن كمال باشا " وكثير من متأخرى الحنفية (من) أنه معنى واحد ، والتعدد والتكثر والتجزؤ والتبعض حاصل في الدلالات ، لافى المدلول .

وأن هذه العبارات مخلوقة ، وسميت " كلام الله" لدلالتها عليه وتأديه بها ، فان عبر بالعربية فهو قرآن ، وان عبر بالعبرانية فهو توراة ، فاختلفت العبارات ، لا الكلام . وتسمى هذه العبارات كلام الله مجازا .

وهذا الكلام فاسد ، فان لازمه أن معنى قوله (ولاتقربوا الزنى)[2] ، ومعنى قوله (وأقيموا الصلاة)[3] ، ومعنى آية الكرسى ، هو معنى آية الدين ، ومعنى سورة الاخلاص هو معنى (تبت يدا أبى لهب)[4].

وكلما تأمل الانسان هذا القول تبين له فساده ، وعلم أنه مخالف لكلام السلف[5]. والحق أن التوراة والانجيل والزبور والقرآن من كلام الله حقيقة ، وكلام الله تعالى لايتناهى ، فانه لم يزل يتكلم بما شاء ، اذا شاء ، كيف شاء ، ولايزال كذلك . قال تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا)[6].

---

(١) شرح الطحاوية ١٩٩ـ٢٠٠ .
(٢) الاسراء/٣٢ .
(٣) البقرة/٤٣ .
(٤) المسد/ ١ .
(٥) انظر هذا النقد أيضا عند ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ١/٢٦٧ ، ٢/٣٠٥ .
(٦) الكهف/ ١٠٩ .

وقال تعالى (ولو أن مافى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم) (١) .

ولو كان ما فى المصحف عبارة عن كلام الله ، وليس هو كلام الله ، لما حرم على الجنب والمحدَث مسّه ، ولو كان مايقرأه القارئ ليس كلام الله لما حرم على الجنب والمحدث قراءته .

بل كلام الله محفوظ فى الصدور ، مقروء بالألسن ، مكتوب فى المصاحف ، كما قال أبو حنيفة فى الفقه الأكبر (٢) » (٣) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية :

" وجمهور العقلاء يقولون ان فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام ... ثم قال :

وقال جمهور العقلاء : نحن اذا عربنا التوراة والانجيل لم يكن معنى ذلك معنى القرآن ، بل معانى هذا ليست معانى هذا .

وكذلك معنى (قل هو الله أحد) ليس هو معنى (تبت يدا أبى لهب) ، ولا معنى آية الكرسى معنى آية الدين ، وقالوا اذا جوزتم أن تكون الحقائق المتنوعة شيئا واحدا فجوزوا أن يكون العلم والقدرة والكلام والسمع والبصر صفة واحدة . فاعترف أئمة هذا القول بأن هذا الالزام ليس لهم عنه جواب عقلى » (٤) .

" وأيضا فالله تعالى يقول (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح) (٥) الى قوله تعالى (وكلم الله موسى تكليما) (٦) ففضل

---

(١) لقمان/٢٧ . (٢) الفقه الأكبر مع شرحه لعلى القارى ص ٤٠ .

(٣) ابن أبى العز : شرح الطحاوية ١٩١ــ١٩٢ .

(٤) ابن تيمية : مجموعة الرسائل ٩٢/٣ . (٥) النساء/ ١٦٣ .

(٦) النساء/ ١٦٤ .

موسى بالتكليم على غيره ممن أوحى اليهم .

وهذا يدل على أن الله يكلم عبده تكليما زائدا على الوحى الذى هو قسيم التكليم الخاص . واذا كان الكلام معنى واحدا لم يكن هناك فرق بين التكليم الذى خص به موسى ، والوحى العام الذى هو لآحاد العباد " (١) .

وقصارى القول أن ما ارتضاه العلامة ابن كمال باشا من القول بأن كلام الله معنى واحد قديم لاينسجم مع الواقع ولا مع مذهب السلف ..

٥ — يقول شيخ الاسلام ابن تيمية :

" مذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم باحسان وسائر أئمة المسلمين ، كالائمة الأربعة وغيرهم مادل عليه الكتاب والسنة ، وهو الذى يوافق الأدلة العقلية الصريحة : أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، فهو المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل وغير ذلك من كلامه ، ليس مخلوقا منفصلا عنه ، وهو سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته ، فكلامه قائم بذاته ، ليس مخلوقا بائنا عنه ، وهو يتكلم بمشيئته وقدرته " (٢) .

ويقول الامام الطحاوى :

" إن القرآن كلام الله ، منه بدا بلا كيفية قولا ، وأنزله على رسوله وحيا ، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا ، وأيقنوا أنه

---

(١) هراس: ابن تيمية السلفى ١١٧ نقلا مختصرا عن مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ٣/٩٦ .

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل ٣/٣٠ . انظر كذلك : ٣/٤٦ ، ١٥٦ .

النبى عليه السلام ، وتلاه عليه ، وهو هذا الكلام اللفظى المقروء بالألسن ، المنقول الينا بالتواتر " (١).

لأن هذا دخول فى كيفية تكلمه تعالى . فكان ينبغى له أن يقف عند كلام إمامه أبى حنيفة حيث يقول : " القرآن كلام الله تعالى ، فى المصاحف مكتوب ، وفى القلوب محفوظ ، وعلى الألسن مقروء ، وعلى النبى عليه الصلاة والسلام منزل ، ولفظنا بالقرآن مخلوق ، وكتابتنا له مخلوقة ، وقراءتنا له مخلوقة ، والقرآن غير مخلوق " (٢).

وقال أيضا مؤكدا هذا المعنى فى " الوصية " (٣) :

" ونقر بأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ، ووحيه وتنزيله ، لا هو ولا غيره ، بل هو صفته على التحقيق ، مكتوب فى المصاحف ، مقروء بالألسنة ، محفوظ فى الصدور ، غير حالّ فيها .

والحبر والكاغد والكتابة كلها مخلوقة ، لأنها أفعال العباد ، وكلام الله تعالى غير مخلوق ، لأن الكتابة والحروف والكلمات والآيات دلالة القرآن لحاجة العباد اليها ، وكلام الله تعالى قائم بذاته ، ومعناه مفهوم بهذه الأشياء .

فمن قال بأن كلام الله تعالى مخلوق فهو كافر بالله العظيم ، والله تعالى معبود لا يزال عما كان ، وكلامه مقروء ومكتوب ومحفوظ من غير مزايلة عنه " .

---

(١) رسائل ابن كمال باشا ١/ ١٣٤ .

(٢) الفقه الأكبر مع شرحه لعلى القارى / ٤٠ ــ ٤١ .

(٣) ص/ ٧٣ ــ ٧٤ ضمن "رسائل الامام أبى حنيفة الخمس" . انظر كذلك : القارى : شرح الفقه الأكبر / ٤١ ، البياضى : إشارات المرام ١٦٧ ــ ١٧٧ .

وقول الامام هو القول الفصل في الموضوع لأنه بين أن ما قام بالله غير مخلوق ، لأنه صفة له تعالى كباقي صفاته في القدم ، وما قام بالخلق مخلوق ، كبقية أعمالهم.

وهذا ما أكده الإمام البخاري رحمه الله تعالى حيث قال :
" حركاتهم ، وأصواتهم ، واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة ، فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف ، المسطور ، المكتوب ، الموعى في القلوب فهو كلام الله ، ليس بخلق.
قال الله تعالى (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) (١) " (٢).

وبعد هذه الجولة الفكرية ، والتي تعرفنا من خلالها على آراء المتكلمين في "صفة الكلام" يتبين لنا بوضوح أن بحثهم لهذه المسألة لم يرزق حظا من التثبيت ، ولم يصدر عن علم صحيح ، بل هو ضرب من الخبط والتخرص البعيد عن جادة الصواب.

كما تبين لنا أن معتقد السلف الصالح في المسألة هو المعتقد الحق الذي تناصرت عليه الحجج ، ونطقت بصحته دلائل العقل والنقل.

---

(١) العنكبوت/ ٤٩.
(٢) البخاري : خلق أفعال العباد ، ضمن عقائد السلف / ١٣٨.

جـ - الصفات الخبرية :

بعد أن فرغنا من بيان رأى العلامة ابن كمال باشا رحمه الله فى صفة الكلام ، نريد أن نتبين هنا رأيه فى " الصفات الخبرية " التى تعتبر من أخطر المسائل التى خاض فيها علماء الكلام ، وذلك لتعلقها بالذات الإلٰهية وما يجب لها من صفات الجلال ونعوت الكمال .

ولن نتطرق الى آراء المعتزلة والفلاسفة المنتسبين الى الاسلام زورا وبهتانا ، فانهم قد عطلوا معظم الصفات الإلٰهية ، بل تمادوا فى ضلالهم ولَجّوا فى غوايتهم فأولوا حقائق أسمائه وكمال أوصافه ، وعبدوا عدما مجردا من كل الصفات ، فكانوا أحدوثة سوء فى الغابرين ، وسبّة باقية فى الأعقاب .

أما الأشاعرة والماتريدية فانهم وان خفضوا من غلوائهم فى التأويل ، وانزجروا وارتدعوا لما رأوه من التكذيب والتعطيل ، الا أنهم لم يستقيموا على الطريقة المثلى والمنهج الأسمى الذى قوامه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يلتزموا بما التزم به السلف الصالح من الفهم والايمان والتسليم ، ليخرجوا من سترة الريب الى صحن اليقين ، ومن ظلمات الشكوك الى تذوق نور البيان .

إن الصفات الخبرية التى تعتبر " من أخطر المسائل التى خاض فيها علماء الكلام وفلاسفة الاسلام ، وذلك لتعلقها بالذات

الإلهية ، وما يجب لها من صفات الكمال " (١) .

المراد بالصفات الخبرية :

" يقصد بالصفات الخبرية ، أو السمعية ما كان الدليل عليها مجرد خبر الرسول ، دون استناد الى نظر عقلي ، كاستوائه تعالى على العرش ، ونزوله الى سماء الدنيا ، ومجيئه يوم القيامة وكمحبته ورضاه عن المؤمنين ، وسخطه وغضبه على الكافرين ، وكالوجه واليد ، والعين ، والقدم ، وغير ذلك مما جاء به الكتاب الكريم ، واستفاضت به الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " (٢) .

وهي نحو سبع عشرة صفة ، كما ذكره البياضي (٣) .

والعقل ليس له دور في إثبات هذه الصفات سوى التصديق بها ، بعد ثبوتها بطريق الوحي (٤) .

والصفات الخبرية كانت مثار جدل بين الفرق الاسلامية ، والناس فيها فريقان :

أ- المثبتون : وهم فريقان :

أحدهما : المشبهة ، وهم يجرون هذه الصفات على ظاهرها ، دون تمييز بين صفات الخالق وصفات المخلوق ، وهم " صنفان : صنف

---

(١) خفاجي : في العقيدة الاسلامية ص ٣٠٦ .

(٢) هراس : ابن تيمية السلفي ص ١٣٥ .

(٣) في إشارات المرام ١٤٤ ، ١٨٦ .

(٤) الغامدي : البيهقي وموقفه من الإلهيات / ٢٢٥ .

شبهوا ذات البارى بذات غيره ، وصنف آخرون شبهوا صفاته بصفات غيره ، وكل صنف من هذين الصنفين مفترقون على أصناف شتى "(١) ، وقد ذكرت آراؤهم فى كتب المقالات والفرق (٢) .

وثانيهما : السلف ومن تبعهم من الخلف : قال الشهرستانى :

" إن جماعة كثيرة من السلف كانوا يثبتون لله تعالى صفات أزلية من العلم ، والقدرة ، والحياة ، والارادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والجلال ، والاكرام ، والجود والانعام ، والعزة ، والعظمة .

ولا يفرقون بين صفات الذات ، وصفات الفعل ، بل يسوقون الكلام سوقا واحدا .

وكذلك يثبتون صفات خبرية ، مثل اليدين ، والوجه ، ولا يؤولون ذلك ، الا أنهم يقولون : هذه الصفات قد وردت فى الشرع ، فنسميها صفات خبرية "(٣) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

" فائمة الصفاتية المتقدمون كابن كلاب ، والحارث المحاسبى ، والأشعرى (٤) وأبى العباس القلانسى ، وأبى عبد الله بن مجاهد ، وأبى الحسن الطبرى ، والقاضى أبى بكر الباقلانى (٥) ، وأبى اسحاق الاسفرائينى ،

(١) البغدادى : الفرق بين الفرق / ١٣٨ .

(٢) انظر عنهم وآرائهم : الاشعرى : المقالات ، مادة (المشبهة والمجسمة من الفهرس) ، البغدادى : الفرق بين الفرق ١٣٨ ـ ١٤١ ، الاسفراييني : التبصير فى الدين ٦٥ ـ ٦٦ ، الشهرستانى : الملل ١ / ١٠٣ ـ ١١٣ .

(٣) الملل والنحل ١ / ٩٢ .

(٤) انظر : الابانة ١٠٥ ـ ١٤٠ ، التفتازانى : شرح المقاصد ٤ / ١٧٤ ، الجرجانى : شرح المواقف ص ٥٠١ ـ ٥٠٢ .

(٥) التمهيد ٢٩٥ ـ ٢٩٨ .

وأبى بكر بن فورك ، وغيرهم يثبتون الصفات الخبرية التى ثبت أن رسول الله أخبر بها ، وكذلك سائر طوائف الاثبات ، كالسالمية والكرامية وغيرهم ، وهذا مذهب السلف والأئمة" (١) .

ب ـ النافون: الجهمية والمعتزلة ومتأخرو الأشعرية والماتريدية ، اى الخلف:

ذهبوا الى تأويل الأخبار الواردة فى الصفات ، زاعمين أن إثباتها يؤدى الى تشبيه الله تعالى بخلقه ، وبالتالى يؤدى الى التجسيم ، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى يزعمون أن الأدلة عليها ظنية ، لأنها ظواهر شرعية ، وهى معارَضة بالأدلة القطعية ، وهى الأدلة العقلية ، وبناء على هذا اختلفت نظرة متأخرى الأشاعرة والماتريدية نحو الأدلة الشرعية الدالة على الصفات الخبرية على رأيين:

الأول: تفويض العلم بمعانيها الى الله عز وجل .

الثانى: تأويل تلك النصوص، بصرفها عن ظواهرها الى معان تليق بالله سبحانه (٢) .

وفى بيان هذين المسلكين فى الظواهر التى تشعر بالجسمية والحيز والجهة ، كقوله تعالى (وجاء ربك) (٣) ، (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله) (٤) ، (الرحمٰن على العرش استوى) (٥) ،

(١) شرح العقيدة الاصفهانية ص ٩ .

(٢) انظر: الغامدى: البيهقى وموقفه من الإلٰهيات / ٢٢٨ .

(٣) الفجر/ ٢٢ . (٤) البقرة/ ٢١٠ . (٥) طه/ ٥ .

(ويبقى وجه ربك) (١) ، (يد الله فوق أيديهم) (٢) ، (ولتصنع على عينى) (٣) ، (خلقت بيدى) (٤) ، (ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله) (٥) ... يقول العلامة سعد الدين التفتازانى :

" والجواب : أنها ظنيات سمعية فى معارضة قطعيات عقلية ، فيقطع بأنها ليست على ظواهرها ، ويفوض العلم بمعانيها الى الله تعالى ، مع اعتقاد حقيقتها جريا على الطريق الأسلم ، الموافق للوقف على (الا الله) فى قوله تعالى (وما يعلم تأويله الا الله) (٦) .

أو تأول تأويلات مناسبة موافقة لما دلت عليه الأدلة العقلية ، على ما ذكر فى كتب التفسير ، وشروح الأحاديث سالكا للطريق الأحكم الموافق للعطف فى (الا الله والراسخون فى العلم) (٧) " (٨) .

" ويبدو لنا أن أول من خالف مسلك السلف ، وقال بالتأويل التفصيلى من أئمة أهل السنة هو الإمام الماتريدى (المتوفى سنة ٣٣٣هـ) ، ثم جرى على هذا السنن إمام الحرمين (المتوفى سنة ٤٧٨هـ) (٩) ، والغزالى (المتوفى سنة ٥٠٥هـ) ، والرازى (المتوفى

(١) الرحمن/٢٧ . (٢) الفتح/١٠ . (٣) طه/٣٩ .
(٤) ص/٧٥ . (٥) الزمر/٥٦ . (٦) آل عمران/٧ .
(٧) آل عمران/٧ .
(٨) شرح المقاصد ٤٩/٤ ـ ٥٠ . انظر ما ذكره البيهقى قريبا من هذا : الاعتقاد ٧١ ـ ٧٢ .
(٩) يقول ملا على القارى : " نقل بعض الشافعية أن امام الحرمين كان يتأول أولا ، ثم رجع فى آخر عمره ، وحرم التأويل ، ونقل إجماع السلف على منعه ، كما بين ذلك فى الرسالة النظامية (٢٣ ـ ٢٤) ، وهو موافق لما عليه من أصحابنا الماتريدية " (شرح الفقه الاكبر ص ٦١) . انظر أيضا : ابن تيمية : مجموع الفتاوى ١٠٠/٥ .

سنة ٦٠٦هـ) ، والآمدى (المتوفى سنة ٦٣١هـ) وغيرهم من متأخرى الأشاعرة" (١) والماتريدية (٢) .

وبعد هذا العرض الموجز لآراء المذاهب حول الصفات الخبرية ننتقل الى بيان رأى العلامة ابن كمال باشا فيها ، حتى يمكننا أن نقف على حقيقة موقفه منها ، والى أى من هذه المذاهب انتسب.

ولكن الصفات الخبرية كثيرة ، لايمكن استقصاء القول فيها بايراد الأدلة على إثباتها أو نفيها بالتفصيل ، ولذلك لاأعقد لكل واحدة من هذه الصفات مبحثا مستقلا لدراستها ، وإنما أذكر منهج ابن كمال باشا فى هذه الصفات من خلال ذكر النصوص ، وتفسيره لها ، مبينا وجهة نظره فى تلك النصوص ، ومثنيا بذكر أقوال علماء السلف فى المسألة.

رأى ابن كمال باشا فى الصفات الخبرية :

ان العلامة ابن كمال باشا خالف متقدمى أئمة مذهبه بعامة ، وامام المذهب أبى حنيفة رحمه الله تعالى بخاصة ، فأول نصوص الآيات والأحاديث ، وصرفها عن ظاهرها ، متنكبا طريقة السلف الصالح.

(١) أبو الخير محمد أيوب على : عقيدة الاسلام والامام الماتريدى ص ١٦٦ .

(٢) البياضى : إشارات المرام ص ١٨٩ .

واليك بعض الأمثلة على تأويله لنصوص الوحي :

١ ـ يقول في تفسير قوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ..) (١) : " والوجه : يعبر به عن ذات الشيء ، وحقيقته ، والمراد بإرادة وجه الله : الإخلاص " (٢) .

وقال الكلام نفسه في تفسير قوله تعالى (فإن حاجّوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن) (٣) : " فالوجه : مجاز عن نفس الشيء وذاته ، كما في (ويبقى وجه ربك) (٤) ، أو عن جملة الشخص تعبيرا عن الكل بأشرف الأجزاء " (٥) .

الظاهر من تفسيره للآيات أنه لم يثبت لله عز وجل صفة ، بل جعل الوجه هو الذات ، وهو مذهب نفاة الصفات ، كأبي الهذيل العلاف من المعتزلة ، حيث إنه يثبت لله تعالى وجها هو هو (٦) .

ويقول الامام ابن خزيمة : " فنحن وجميع علمائنا ـ من أهل الحجاز ، وتهامة ، واليمن ، والعراق ، والشام ، ومصر ـ ، مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه ، نقر بذلك بألسنتنا ، ونصدق بذلك بقلوبنا ، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين ، وعز ربنا

(١) الأنعام / ٥٢ .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ١ / ٣٦٨ (الحرم المكي) ، انظر كذلك : تفسيره / ٥٤٥ ب .

(٣) آل عمران / ٢٠ . (٤) الرحمن / ٢٧ .

(٥) ابن كمال باشا : تفسيره ١ / ٢٠٨ .

(٦) الأشعري : المقالات ١٦٥ ، ١٨٩ ، ٢١٨ .

عن أن نشبهه بالمخلوقين ، وعز ربنا عن مقالة المعطلين ، وعز عن أن يكون عدما كما قاله المبطلون ... تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذى وصف الله بها نفسه فى محكم تنزيله ، وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال الله جل ذكره فى سورة الروم (١) (فآت ذا القربى حقه) الى قوله (للذين يريدون وجه الله)، وقال (وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكوة تريدون وجه الله) (٢) ، وقال (وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى) (٣) " (٤).

كما ذكر الامام البيهقى رحمه الله فى كلامه عن وجهة الاستدلال بالآية (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) (٥) نحو ما ذكره الامام ابن خزيمة رحمه الله (٦).

وهذا هو مذهب السلف رحمه الله فى الوجه ، وقد خالفهم ابن كمال باشا فيه.

٢ - وقال فى تفسير قوله تعالى (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما) (٧) : " مما تولينا نحن إحداثه ، لا يقدر على توليه غيرنا . وذكر الايدى ، واسناد العمل اليها استعارة من عمل من يعمل بالأيدى للمبالغة فى الاختصاص والتفرد باحداثها " (٨).

(١) الروم/٣٨. (٢) الروم/٣٩. (٣) الليل ١٩ - ٢٠.
(٤) كتاب التوحيد ص١٠ - ١١. (٥) الرحمن/٢٧.
(٦) انظر: البيهقى: الاسماء والصفات ٣٨٣-٣٩٤. (٧) يس/٧١.
(٨) ابن كمال باشا: تفسيره ٥٩٧ ب.

ويؤيد هذا الذى ذهب اليه ما قاله أيضا فى شرح الحديث (الخير بيديك ، والشر ليس اليك) (١) من أن " اليد مجاز عن القوة المتصرفة ، ولايخفى وجه التجوز على من له قدم راسخ فى علم البيان " (٢).

وقال أيضا فى تفسير قوله تعالى مؤكدا هذا المعنى (تبارك الذى بيده الملك) (٣) : " بقبضة قدرته ، يتصرف فيه كيف يشاء ... " (٤).

ولايخفى عليك ان ابن كمال باشا لايثبت اليد كصفة لله عز وجل تليق بجلاله وعظمته ، وانما حملها على المجاز ، وأولها بمعنى القوة والقدرة .

يقول الامام البيهقى فى باب ذكر آيات وأحاديث وردت فى إثبات صفة الوجه واليدين والعين : " وهذه صفات طريق إثباتها السمع ، فنثبتها لورود خبر الصادق بها ، ولانكيفها .
قال الله تبارك وتعالى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) (٥) ، فأضاف الوجه الى الذات ، وأضاف النعت الى الوجه ، فقال (ذو الجلال والاكرام) . وقال الله عز وجل (مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى) (٦) ، بتشديد الياء من الاضافة ، وذلك تحقيق فى

---

(١) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (١/٥٣٤-٥٣٦) عن علي رضى الله عنه، فى كتاب (٦) صلاة المسافرين وقصرها ، باب (٢٦) الدعاء فى صلاة الليل ١/٧٧١ .

(٢) ابن كمال باشا : رسالة فى بيان سر عدم نسبة الشر الى الله (ضمن رسائل ابن كمال) ١/١٢٥ ، شرح الأربع والعشرين حديثا ٤٧٥ أ .

(٣) الملك/١ . (٤) ابن كمال باشا : تفسير سورة الملك ص ٣٨ .

(٥) الرحمن/٢٧ . (٦) ص/٧٥ .

التثنية ، وفى ذلك منع من حملهما على النعمة والقدرة ، لأنه ليس لتحقيق التثنية فى نعم الله ولا فى قدرته معنى يصح ، لأن نعم الله أكثر من أن تحصى ، ولأنه خرج مخرج التخصيص ، وتفضيل آدم عليه السلام على إبليس وحملهما على القدرة ، أو على النعمة يزيل معنى التفضيل لاشتراكهما فيها ، ولا يجوز حملهما على الماء والطين ، لأنه لو أراد ذلك لقال " لما خلقت من يدى " ، كما يقال : صنعت هذا الكوز من الفضة أو من النحاس ، فلما قال (بيدى) علمنا أن المراد بهما غير ذلك " (١) .

٣ — وقال فى تفسير قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) (٢) : " كناية عن الملك ، لأن العرش سرير الملك ، ومكان التمكن من ملكه ، فأجريت هذه العبارة مجرى ملك ، واستعمل فى موضعه ، واشتهر كالمترادفين المتساويين فى إفادة المعنى المراد ، مع تصوير العظمة ، وتخييل الأبهة والسلطنة والتمكن فى ملكه ، وإن لم يقعد قط على السرير " (٣) .

وقال أيضا فى تفسير قوله تعالى (ثم استوى على العرش) (٤) : " استوى عليه بالتأثير فى إيجاد الأشياء ، وإثبات صوره عليه ، قصدا مستويا من غير أن يلوى الى شئ آخر ، فهو شأنه الذى عليه كل يوم ، ولما ذكر الاستواء على العرش ، وهو إخبار عن نفاذ أمره ، وكمال ملكه ، واطراد تدبيره ، بين ذلك فى عيان فقال

---

(١) البيهقى : الاعتقاد ص ٥٣ . انظر كذلك : الأسماء والصفات/ ٤٠٤ .

(٢) طه/ ٥ .   (٣) ابن كمال باشا : تفسيره / ٤٥١ ب .

(٤) الأعراف/ ٥٤ .

(يغشى الليل النهار ...) "(١) .

وهكذا يرى أنه إخبار عن نفاذ ملكه تعالى فى أكبر مخلوق من مخلوقاته ، لايرجع اليه شئ منه (٢) .

بل صرح بذلك فى تفسير قوله تعالى (ثم استوى الى السماء)(٣) : " الاستواء : الاعتدال والاستقامة ، من استوى العود ، اذا قام واعتدل . واستوى اليه : قصده ... ولايمكن حمله عليه ، لأنه من خواص الأجسام " (٤) .

ورأى ابن كمال باشا هذا مخالف لمذهب السلف الذى يرى أن الله تعالى استوى على عرشه حقيقة ، كما يليق بجلاله وكمال عظمته ، لا على معنى القعود والمماسة ، ولا على أى معنى يوجب حده وشبهه .

يقول الامام البيهقى بعد أن أورد النصوص الواردة فى هذا الشأن : " ثم المذهب الصحيح فى جميع ذلك الاقتصار على ما ورد به التوقيف ، دون التكييف ، والى هذا ذهب المتقدمون من أصحابنا ، ومن تبعهم من المتأخرين . وقالوا : الاستواء على العرش قد نطق به الكتاب فى غير آية ، ووردت به الأخبار الصحيحة ، وقبوله من جهة التوقيف واجب ، والبحث عنه ، وطلب الكيفية له

---

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ٢٤١ أ .

(٢) انظر ذلك فى تفسيره فى مواضع ٣١٠ ب ، ٣٦٧ ب فى تفسير الآية / ٣ من سورة يونس ، والآية / ٢ من سورة الرعد .

(٣) البقرة / ٢٩ . (٤) ابن كمال باشا : تفسيره ١ / ٤٤ .

غير جائز" (١).

فقد تحدث القرآن عن استواء الرحمن على عرشه في سبعة مواضع. قوله تعالى (إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) (٢)، وقوله تعالى (ان ربكم الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش) (٣) ، وقوله تعالى (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ، ثم استوى على العرش) (٤) ، وقوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) (٥) وقوله تعالى (الذى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) (٦) ، وقوله تعالى (الله الذى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) (٧) ، وقوله تعالى (هو الذى خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش) (٨).

" هذه هي المواضع السبعة التي أخبر فيها سبحانه باستوائه على العرش ، وكلها قطعية الثبوت ، لأنها من كتاب الله ، كما أنها صريحة في بابها لاتحتمل تأويلا ، فان لفظ " استوى " في اللغة اذا عدى ب "على " لايمكن أن يفهم منه الا العلو والارتفاع..

وكان موقف السلفية في ذلك هو نفس النهج الذى أثبته القرآن في صفة الاستواء ، وهو معرفة معنى الاستواء ، وجهل الكيفية ،

(١) البيهقى : الاعتقاد / ٧٠-٧١ . (٢) الأعراف/ ٥٤ .
(٣) يونس/ ٣ . (٤) الرعد / ٢ . (٥) طه/ ٥ .
(٦) الفرقان/ ٥٩ . (٧) السجدة/ ٤ . (٨) الحديد / ٤ .

والنهي عن البحث فيها ، فعندما سئل الإمام مالك (الرحمٰن على العرش استوى) (١) كيف استوى ؟ غضب في وجه السائل ، وقال : الاستواء معلوم ، وكيفه مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة - اى عن الكيفية - ، وأمر به ، فأخرج من محله " (١) .

وروى عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن (ت ١٣٦ هـ) شيخ الامام مالك رحمهما الله تعالى لما سئل عن قوله تعالى (الرحمٰن على العرش استوى) (٢) ، قال " الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ومن الله تعالى الرسالة ، وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم البلاغ ، وعلينا التصديق " (٣) .

وقال الحافظ الذهبي بعد ذكر قول مالك وربيعة : " وهو قول أهل السنة قاطبة : ان كيفية الاستواء لانعقلها ، بل نجهلها ؛ وان استواءه معلوم ، كما أخبر في كتابه ، وانه كما يليق به ، لانتعمق ولانتحذلق ، ولانخوض في لوازم ذلك نفيا ولإثباتا ، بل نسكت ونقف ، كما وقف السلف " (٤) .

---

(١) خفاجي : في العقيدة الاسلامية ٢٢٤ - ٢٢٥ . روى هذا القول عن الامام مالك جمع غفير من أئمة الحديث وحفاظه منهم : الدارمي في الرد على الجهمية ص ٢٨٠ (ضمن عقائد السلف) ، والبيهقي في الأسماء والصفات ٥١٥ - ٥١٦ بسند جيد (كما قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٣/٤٠٧) ، وأبو نعيم في الحلية (في ترجمة الامام مالك) ٦/٣٢٦ ، والذهبي في العلو للعلي الغفار ١٠٣ - ١٠٤ وذكر أن سند البيهقي صحيح .

(٢) طـه/٥ .

(٣) ذكره البيهقي في الأسماء والصفات ص/ ٥١٦ ، والذهبي في العلو للعلي الغفار ص ٩٨ .

(٤) العلو للعلي الغفار ص/ ١٠٤ .

٤ ـ كما أول الامام ابن كمال باشا الصفات الفعلية التى تشعر بانفعالات نفسانية عند المخلوق ، مثل الغضب ، والرحمة ، والفرح الى آخره ..

قال فى تفسير قوله تعالى (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) (١) :
" والغضب تغير يحصل عند غليان دم القلب ، لإرادة الانتقام ، والقانون فى أمثال هذا : ان جميع الأغراض النفسانية ، مثل الرحمة ، والفرح ، والسرور ، والغضب ، والحياء ، والكبر ، والاستهزاء ، لها أوائل ولها نهايات ، ولنبين ذلك فى الغضب : فان أوله غليان الدم ، وغايته إرادة إيصال الضرر الى المغضوب عليه.

فلفظ الغضب فى حق الله تعالى لا يحمل على أوله الذى هو من خواص الجسم ، بل يحمل على غايته ، وهذه قاعدة شريفة " (٢) عند صاحبنا ابن كمال باشا فى تأويل هذه الصفات.

---

(١) الفاتحة/٧ .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ١/١٠ (الحرم المكى) . انظر فى تطبيق هذه القاعدة ، فى تفسيره ١/١٢١ ، ٣٢٣ (الحرم المكى) .

ـ تعقيب على رأى ابن كمال باشا ـ

هذا ما ذكره العلامة ابن كمال باشا فى تفسير النصوص الدالة على الصفات الخبرية ..

وهو بذلك يخالف مذهب السلف رحمهم الله تعالى ـ كما ذكرنا بعض نصوصهم فى أثناء عرض رأى ابن كمال باشا ـ، كما أنه يخالف نفسه، وإمامه أبا حنيفة حيث ذكر فى رسالته " المنيرة " (١) كلام الامام أبى حنيفة فى الفقه الأكبر (٢) متبنيا إياه، شارحا له : " وله تعالى يد، ووجه، ونفس، فما ذكره فى القرآن من ذكر اليد، والنفس، والوجه فهو له صفات بلا كيف ..

فلا يقال : إن يده تعالى قدرته، أو نعمته، لأن فى هذا القول هكذا إبطال الصفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال، ولكن يده صفته بلا كيف، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته تعالى بلا كيف " .

ويبين الامام أبو حنيفة رأيه فى هذه المسألة لأبى مطيع البلخى، فيقول : " لا يوصف الله تعالى بصفات المخلوقين، وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف، وهو قول أهل السنة والجماعة، وهو يغضب، ويرضى، ولا يقال : غضبه عقوبته، ورضاه ثوابه،

(١) ابن كمال باشا : المنيرة ص ٦ مع تصويب الأخطاء من نسخ الفقه الأكبر والمنيرة.
(٢) ص ٥٩ من طبعة اسطنبول الحديث، وص ١٧ من الطبعة القديمة، شرح الفقه الأكبر للقارى ص ٥٨ ـ ٥٩ .

ونصفه كما وصف نفسه ، أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، حي ، قيوم ، قادر ، سميع ، بصير ، عالم ، يد الله فوق أيديهم ، ليست كأيدى خلقه وليست بجارحة ، وهو خالق الأيدى ، ووجهه ليس كوجوه خلقه ، وهو خالق كل الوجوه ، ونفسه ليست كنفس خلقه ، وهو خالق النفوس ، (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (١) » (٢) .

وقال الامام أبو حنيفة أيضا في الوصية (٣) :

ونقر بأن الله سبحانه وتعالى على العرش استوى ، من غير أن يكون له حاجة ، واستقر عليه ، وهو حافظ العرش ، وغير العرش ، من غير احتياج ، فلو كان محتاجا لما قدر على إيجاد العالم ، وتدبيره كالمخلوقين ، ولو كان محتاجا الى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا " .

وقال الامام محمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة رحمهما الله تعالى : " انا نقول : نؤمن بما جاء من عند الله تعالى ، على إرادة الله تعالى ، ولا نشتغل بكيفيته ، وبما جاء من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما أراد به رسول الله صلى الله عليه

(١) الشورى/١١ .

(٢) أبو حنيفة : الفقه الأبسط ص ٥٢ ـ ٥٣ ط . اسطنبول الحديث ، وص ٣٩ من الطبع القديم .

(٣) ص ٧٣ من طبعة سطنبول الحديث ، وص ٥ من الطبعة القديمة ، وشرح الفقه الاكبر للقارى ص ٦١ ، إشارات المرام للبياضى ص ١٩٥ ـ ١٩٦ ، وشرح الوصية لملا حسين بن اسكندر ص ٦٢ ـ ٦٣ .

وسلم "(١).

وقال علاء الدين السمرقندى (ت ٥٣٩ هـ) فى ميزان الأصول فى نتائج العقول :

" وكذا روى عن محمد بن الحسن رحمة الله عليه أنه سئل عن الآيات والأخبار الواردة فى صفات الله تعالى ، مايؤدى ظاهرها الى التشبيه ، فقال : " نمرها كما جاءت ، ونؤمن بها ، ولانقول : كيف ، كيف " .

وهو مذهب مالك بن أنس ، وعبد الله بن المبارك ، وعامة أصحاب الحديث رضوان الله عليهم "(٢).

ويقول فخر الاسلام البزدوى :

" إثبات اليد ، والوجه حق عندنا ، لكنه معلوم بأصله ، متشابه بوصفه ، ولايجوز إبطال الأصل بالعجز عن الوصف بالكيف .

وإنما ضلت المعتزلة من هذا الوجه ، فانهم ردوا الأصول لجهلهم بالصفات على الوجه المعقول ، فصاروا معطلة "(٣).

" كذا ذكره شمس الأئمة السرخسى ، ثم قال : وأهل السنة والجماعة أثبتوا ما هو الأصل المعلوم بالنص ، أى بالآيات القطعية

---

(١) ملا حسين بن اسكندر : شرح الوصية ص ٦٣ .

(٢) السمرقندى : ميزان الأصول فى نتائج العقول ص ٣٦٢ .

(٣) البزدوى : أصوله مع شرحه المسمى بكشف الأسرار ١ / ٦٠ ، وكذلك : على القارى : شرح الفقه الأكبر ص ٦٠ .

والدلالات اليقينية ، وتوقفوا فيما هو المتشابه ، وهو الكيفية ، ولم يجوزوا الاشتغال بطلب ذلك ، كما وصف الله به الراسخين في العلم فقال (يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب) (١) » (٢) .



---

(١) آل عمران/٧٠

(٢) كما نقله على القارى فى شرح الفقه الأكبر ص ٦٠٠

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة
الدراسات العليا

الطالب صحح المطلوب
أعضاء البحث
ا.الدكتور محمود احمد خفاجي — الدكتور عثمان عبد المنعم يوسف — الدكتور صلاح عبد العليم ابراهيم
١٤١٥/١/١٧

ابن كمال باشا
وآراؤه الاعتقادية

دراسة نقدية على ضوء عقيدة السلف

إعداد الطالب: سيد حسين سيد باغجوان

إشراف الأستاذ الدكتور محمود أحمد خفاجي

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة

١٤١٣ — ١٤١٤هـ
١٩٩٢ — ١٩٩٣م

الفصل الرابع

أفعال الله تعالى

المبحث الأول : تعليل أفعال الله تعالى .
المبحث الثاني : خلق أفعال العباد .
المبحث الثالث : حسن الأفعال وقبحها .
المبحث الرابع : القضاء والقدر .
المبحث الخامس : رؤية الله تعالى في الآخرة .

المبحث الأول : تعليل أفعال الله تعالى

ذهب العلامة ابن كمال باشا الى أن أفعال الله تعالى لاتخلو من الحكم ومصالح العباد

لأن الله تعالى حكيم ، " والحكيم – فعيل بمعنى مفعل ، أى – يحكم بمبدعاته ، وذلك لأنه لايفعل الا مافيه حكمة بالغة "[١] ، " يضع الأشياء مواضعها"[٢] ، "ذوحكمة بالغة في أفعاله وأقواله" ، و " فى تدبيره وأحكامه "[٣] ، " يفعل على مقتضى الحكمة "[٤] ، وأن الأحكام والشرائع " شرعها لحكم ومصالح "[٥] .[٦]

وهذا الذى ذهب اليه ابن كمال باشا هو رأى جمهور الحنفية والماتريدية كذلك ..

يقول الشيخ عبدالرحيم بن على الشهير بشيخ زاده (ت ٩٤٤ هـ) :

" ذهب المشايخ من الحنفية الى أن أفعاله تعالى تترتب عليها الحكمة على سبيل اللزوم ، بمعنى عدم جواز الانفكاك تفضلا ، لا وجوبا ، كما هو المفهوم من تعديل العلوم ، والمصرح في شرح الجوهرة ، وحاشية تغيير التنقيح "[٧] .

---

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ١ / ٤٨ (الحرم المكى) .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ٢٩٥ أ ، ٢٩٧ ب .

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ١٨٣/١ ، ٣٩٧ (الحرم المكى) ، وكذلك: ٢٧٠ ب ، ٢٨١ أ ، ٥٧٧ أ .

(٤) ابن كمال باشا : تفسيره ٢٩١ ب .

(٥) ابن كمال باشا : تفسيره ٢٤٣/١ (الحرم المكى)، وكذلك ٣٦٢ أ ، ٥٥٥ أ، ٥٦٠ أ .

(٦) ابن كمال باشا : تفسيره ١٦٠/١ (الحرم المكى).

(٧) شيخ زاده : نظم الفرائد وجمع الفوائد ص ٢٨ .

ويقول العلامة ابن كمال باشا فى حاشيته على تغيير التنقيح - المشار اليها هنا - فى حاشية مبحث القياس (١) : " إن الأصل فى النصوص التعليل ، وإن الأحكام مبنية على الحكم والمصالح " ..

أما صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود المحبوبى (ت ٧٤٧ هـ) ، صاحب تعديل العلوم وشرحه ، من الحنفية يقول :

" أفعاله تعالى معللة بمصالح العباد عندنا ، مع أنه لايجب عليه الأصلح، وما أبعد عن الحق من قال : إنها غير معللة بها ، فان بعثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لاهتداء الخلق وإظهار المعجزات ، فمن أنكر تعليل بعض الأفعال - لاسيما الأحكام الشرعية ، كالحدود - فقد أنكر النبوة ، ولذا كان القياس حجة ، أما الوقوف على ذلك فى كل محل فلا يلزم " (٢) .

ويؤيد ذلك ماقاله التفتازاني من تعليل بعض الأفعال بالحكم والمصالح، واليك ماقاله فى ذلك :

" والحق أن تعليل بعض الأفعال - لاسيما شرعية الأحكام - بالحكم والمصالح ظاهر ، كإيجاب الحدود ، والكفارات ، وتحريم المسكرات وما أشبه ذلك ، والنصوص أيضا شاهدة بذلك ، كقوله تعالى * وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون * (٣)، و (من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل * الآية (٤) ، * فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لايكون على المؤمنين حرج * (٥) الآية .

---

(١) ص ١٨٩ .

(٢) نقلا عن " الحكمة والتعليل فى أفعال الله تعالى " للمدخلى ص ٥٥ .

(٣) الذاريات / ٥٦ .

(٤) المائدة / ٣٢ .

(٥) الأحزاب / ٣٧ .

ولهذا كان القياس حجة، الا عند شرذمة لايعتد بهم ، وأما تعميم ذلك بأن لايخلو فعل من أفعاله عن غرض فمحل بحث "[(١)] .

وقد صرح العلامة إسماعيل الكلنبوى بأن تعليل أفعاله تعالى بالحكم والمصالح هو مذهب أكثر الماتريدية ، حيث قال :

" ذهب أكثر الماتريدية – ومنهم صدر الشريعة – الى تعليل أفعاله بالأغراض . وذهب العلامة التفتازاني – في كتبه – الى أن تعليل بعض أفعاله معلوم قطعا ، وعليه مبنى القياس ، وأما الحكم بتعليل جميع أفعاله بالأغراض فمحل بحث "[(١)] .

وقد سبق تصريح العلامة ابن كمال باشا " بأن الأصل فى النصوص التعليل ، وأن الأحكام مبنية على الحكم والمصالح " .

تعقيب

والذى ذهب اليه العلامة ابن كمال باشا من أن أفعال الله تعالى لاتخلو من حكمة وغاية حميدة هو بعينه مذهب السلف ،بل مذهب جمهور المسلمين. يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى

" وقال الجمهور من أهل السنة وغيرهم : بل هو حكيم فى خلقه وأمره ، والحكمة ليست مطلق المشيئة ، إذلو كان كذلك لكان كل مريد حكيما ، ومعلوم أن الارادة تنقسم الى محمودة ومذمومة ، بل الحكمة تتضمن مافي خلقه وأمره من العواقب المحمودة والغايات المحبوبة . والقول باثبات هذه الحكمة ليس هو قول المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة فقط ، بل هو قول جماهير طوائف المسلمين ، من أهل التفسير ، والفقه ، والحديث ، والتصوف ، والكلام ، وغيرهم .

---

(١) الكلنبوى : حاشيته على الجلال من العقائد ص ٤٦٠ .

فأئمة الفقهاء متفقون على إثبات الحكمة والمصالح فى أحكامه الشرعية...

والحنفية هم من أهل السنة القائلين بالقدر ، وجمهورهم يقولون بالتعليل والمصالح " .(١)

فالحكمة عند السلف مقصودة له تعالى ، يفعل لأجلها ، لأنه يحبها ويرضاها.

يقول الامام ابن القيم رحمه الله تعالى :

" انه سبحانه حكيم ، لايفعل شيئا عبثا ، ولا لغير معنى ومصلحة وحكمة ، هى الغاية المقصودة بالفعل ، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة، لأجلها فعل ، كما هى ناشئة عن أسباب بها فعل ، وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا، وهذا في مواضع لاتكاد تحصى ، ولا سبيل الى استيعاب أفرادها " .(٢)

ويقول فى موضع آخر :

" وجمهور الأمة يثبت حكمته سبحانه ، والغايات المحمودة فى أفعاله ، فليس مع النفاة سمع ، ولا عقل ، ولا إجماع ، بل السمع،والعقل ،والاجماع، والفطرة تشهد ببطلان قولهم ، والله الموفق للصواب . وجماع ذلك :

ان كمال الرب تعالى ، وجلاله ، وحكمته ، وعدله ، ورحمته ، وقدرته ، وإحسانه ، وحمده ، ومجده ، وحقائق أسمائه الحسنى تمنع كون أفعاله صادرة منه لا لحكمة ، ولا لغاية محمودة . وجميع أسمائه الحسنى تنفي ذلك ، وتشهد ببطلانه " .(٣)

وقال في موضع آخر أيضا :

" انكاره سبحانه على من زعم أنه لم يخلق الخلق لغاية ، ولا لحكمة ،

---

(١) منهاج السنة النبوية ١٤١/١ ، ١٤٣ ، انظر كذلك ٤٥٤/١ — ٤٥٥ ، ٤٦٥،ودرء تعارض العقل والنقل ١١٠/٩ — ١١١ .

(٢) شفاء العليل ص ١٩٠ .

(٣) شفاء العليل / ٢٠٤ .

كقوله ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ﴾ (١) ، وقوله ﴿ أيحسب الانسان أن يترك سدى ﴾ (٢) ، وقوله (وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما لاعبين ماخلقناهما الا بالحق ﴾ (٣) . والحق هو الحكم ، والغايات المحمودة التى لأجلها خلق ذلك كله..

فخلق مخلوقاته بسبب الحق ، ولأجل الحق ، وخلقها ملتبس بالحق ، وهو في نفسه حق، فمصدره حق، وغايته حق ، وهو يتضمن الحق .

وقد أثنى على عباده المؤمنين ، حيث نزهوه عن إيجاد الخلق لا لشيء ، ولا لغاية ، فقال تعالى ﴿ ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك ﴾ (٤) . وأخبر أن هذا ظن أعدائه ، لا ظن أوليائه فقال ﴿ وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا ﴾ (٥) .

وكيف يتوهم أنه عرف من يقول : انه لم يخلق لحكمة مطلوبة له ، ولا أمر لحكمة ،ولانهى لحكمة ، وإنما يصدر الخلق والأمر عن مشيئة وقدرة محضة ،لا لحكمة ولا لغاية مقصودة ، وهل هذا الا انكار لحقيقة حمده ، بل الخلق والأمر إنما قام بالحكم والغايات ، فهما مظهران بحمده وحكمته ، فانكار الحكمة إنكار لحقيقة خلقه وأمره " (٦) .

ويقول الامام الأصولي ، أبواسحاق ابراهيم بن موسى اللخمى الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠ هـ) فى الموافقات (٧) :

---

(١) المؤمنون / ١١٥ .

(٢) القيامة / ٣٦ .

(٣) الدخان ٣٨ – ٣٩ .

(٤) آل عمران / ١٩١ قال ابن كمال باشا في تفسيره (٢٦٧/١ الحرم المكي) : " اى ماخلقته خلقا باطلا بغير حكمة " .

(٥) ص / ٢٧ .

(٦) شفاء العليل / ١٩٨ .

(٧) ٧/٢ .

" وأما التعاليل لتفاصيل الأحكام فى الكتاب والسنة فأكثر من أن يحصى ، كقوله بعد آية الوضوء ﴿ مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ﴾ (١) ، وقال فى الصيام ﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ (٢) .

واذا دل الاستقراء على هذا ، وكان فى مثل هذه القضية مفيدا للعلم ، فنحن نقطع بأن الأمر مستمر في جميع تفاصيل الشريعة ، ومن هذه الجملة ثبت القياس والاجتهاد " .

وبعد أن عرفنا مذهب السلف من نقول العلماء الأجلاء من المحققين نستطيع أن نقول أن ماذهب اليه العلامة ابن كمال باشا من أن أفعال الله تعالى معللة بالحكم والمصالح التى تعود على خلقه وعباده ، موافق لمذهب السلف رضى الله عنهم أجمعين ..

---

(١) المائدة / ٦ .

(٢) البقرة / ١٨٣ .

المبحث الثاني : خلق أفعال العباد :

يذهب العلامة ابن كمال باشا كأهل السنة الى " أن الله خالق كل شيء فهو الخالق للعباد ، وما صدر عنهم ، وظهر منهم من الأفعال والأقوال " (١)، ويستدل على ذلك بالنصوص ، والنظر .

يقول :" ويعلم يقينا أن الأفعال كلها من الخير والشر ، والحسن والقبيح مخلوقة لله تعالى، لقوله تعالى ﴿ الله خالق كل شيء ﴾ (٢) ، وقوله تعالى ﴿ والله خلقكم وماتعملون ﴾ (٣) ، أى عملكم ، وكذا المتولدات ، نحو مايوجدمن الانكسار في الزجاج عقيب ضرب الانسان ، ومن الحركة فى الخشبة عقيب اعتماد الرجل عليه ، كل ذلك مخلوق لله تعالى ، لا صنع للعبد في تحصيله ، لما بينا أن العبد ليس له قدرة التخليق ، ولاينبغي له ذلك " (٤) .

وقال فى تفسير الآية التى استدل بها على خلق جميع أفعال العباد، وهى قوله تعالى ﴿ قال أتعبدون ماتنحتون ﴾ (٥) ، أتعبدون أصناما تعملونها أنتم ﴿ والله خلقكم وماتعملون ﴾ (٦) وخلق ماتعملونه من الأصنام، ماتعملونها أنتم فان جواهرها بخلقه ، وأشكالها وان كانت بنحتهم ، ولذلك نُسب اليهم عملُها، فانها بإقداره تعالى إياهم عليها، وخلقِه مايتوقف عليه أعمالُهم من الآلات والجوارح والدواعي " (٧) .

---

(١) ابن كمال باشا : رسائله (المطبوعة) ص ١٢٦ .

(٢) الرعد / ١٦ . وقال في تفسيره (٣٧١ أ) أيضا :" ولاخالق غيره، فيشاركه في العبادة ،جعل الخلق موجب العبادة ، ولازم استحقاقها" .

(٣) الصافات / ٩٦ .

(٤) ابن كمال باشا : رسالة فى بيان عقيدة أهل السنة ١٩٣ أ .

(٥) الصافات / ٩٥ .

(٦) الصافات / ٩٦ .

(٧) ابن كمال باشا : تفسيره / ٦٠٥ أ .

واستدل كذلك بقوله تعالى ﴿ ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ (١) ، حيث قال في تفسيره :"أثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن صورتها وجدت منه ، ونفاها عنه ، لأن أثرها الذى لايقدر عليه البشر فعل الله تعالى، فكان الله فاعلها على الحقيقة ، لا الرسول " (٢) .

واستدل ابن كمال باشا على خلق الله تعالى لأفعال عباده من طريق النظر بقوله :

" ان الله تعالى خالق لأفعال العباد كلها ، لا خالق سواه ،لأنه خلق العباد كلهم ، لأن العبد لو قدر على خلق أفعاله،لقدر على إعادته ، لأن المعاد عين المبدأ ، ومتى قدر عليه فى حال ، لزم صحة اقتداره عليه في سائر الأحوال، لكن اقتداره على إعادته بالاتفاق محال ، فيلزم أن يكون اقتداره على خلق أفعاله مستحيلا " (٣) .

ومع ذلك فان الله تعالى لم يجبر أحدا من خلقه على فعله ، فليس العبد مجبورا ، بل مختارا فى أفعاله ، يقول فى ذلك :

" واعلم أن الايمان والكفر فعل العبد باختياره ، لأن الله تعالى لم يجبر أحدا من خلقه على الإيمان والكفر. فانه تعالى لم يخلق عباده مؤمنين، ولا كفارا ، ولكن خلقهم أشخاصا مجردين عنهما (٤) ، ولهذا قال الله تعالى في آية من كتابه ﴿ انا هديناه السبيل ، اما شاكرا

---

(١) الأنفال / ١٧ .

(٢) تفسيره ٢٧١ أ .

(٣) اشارات لطيفة ١٩٥ أ .

(٤) وهذا القول مأخوذ من الامام أبى حنيفة رحمه الله تعالى في الفقه الاكبر. انظر في شرحه : إشارات المرام من عبارات الامام للبياضي ٢٥٤،وقوله (أشخاصا) :"أى متشخصين بمايعينهم من الذاتيات ولوازم التعينات، وليس الايمان والكفر بالاتفاق من تلك المشخصات المتوقف عليها تمايز الموجودات، فلم يخلقهم =

وإما كفورا ﴾ [1] ، وفي آية آخرى ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ [2] ، وفي آية أخرى ﴿ ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ [3] ، وفي أخرى ﴿ فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها ﴾ [4] " [5] .

ان الاسلام طريق وسط ، " لا جبر ولا تفويض ، لكن أمر بينهما " كمانقله ابن كمال عن " لسان بعض الكمل " وهو الامام محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم [6] .

ويقول فى شرح هذا الكلام :

" أما أنه لا جبر : فلأن العبد مختار فى اكتسابه الحسنات واجتنابه عن السيئات . وقد جرت عادة الله تعالى على أن يخلق فعل العباد عقيب صرفهم الاختيار الى مباشرة أسبابهم الكاسبة [7] .

= حال كونهم مؤمنين ، ولا كافرين من غير مدخل للاختيارات "كما في الإشارات ... وانظر كذلك فى قول الامام : شرح الفقه الاكبر للقارى/ ٧٧ .

(١) الانسان / ٣ .

(٢) الكهف / ٢٩ .

(٣) محمد / ٧ .

(٤) الأنعام / ١٠٤ .

(٥) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص ٧ .

(٦) كما صرح بذلك في إشارات المرام للبياضي ص ٢٥٧ .

(٧) فالعبد كاسب ، والرب خالق ، " فالكسب : هو مباشرة الأسباب بالاختيار " كما في حاشية ابن كمال باشا على حاشية تجريد الطوسي ، ق / ٣٨٣ (من المحمودية برقم/ ٢٥٩٧)، وتغيير التنقيح / ١٢٣ .

وأما أنه لاتفويض [1] : فلأن منشأ اختيار العبد داعية تحدث في قلبه، ودواعي القلب تابعة لمشيئة الله تعالى وإرادته ، ولا دخل فيه للعبد ، ولا لمخلوق آخر . نبه على ذلك في قوله تعالى ﴿ وماتشاؤون الا أن يشاء الله﴾ [2] ، وأشير اليه في قوله عليه السلام (قلوب العباد بين اصبعين من أصابع الرحمن) [3] ، وهو تصوير وتمثيل ، لتمكنه تعالى منه واستقلاله في جريه بأمره ، وحسب تصرفه وتدبيره ، من غير استقصاء وتمانع . والمعنى : ان الله تعالى هو المتمكن من قلوب العباد ، والمتسلط عليها ، والمتصرف فيها ، يصرفها كيف يشاء ، كما قال الله تعالى ﴿ فألهمها فجورها وتقويها ﴾ [4] ، وانما تولى بنفسه أمر قلوبهم، ولم يكله الى أحدمن ملائكته ، رحمة منه وفضلا ، كي لا يطلع على سرائرهم،ولايكتب عليهم مافي ضمائرهم " [5] .

ثم " ان أعمال العباد على ثلاثة أنواع :

فريضة ، وفضيلة ، ومعصية ، فكلها من مكاسب العبد .

فالفريضة : بأمر الله تعالى ، وبمشيئته ، ومحبته ، ورضاه ، وقضائه ،

---

(١) اى لا تفويض الى العباد فيه ، ولا ايجاد لهم عن اختيار كما قاله القدرية (اشارات المرام ص ٢٥٧) .

(٢) الانسان ٣٠ ، والتكوير ٢٩ .

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٤٥/٤) في كتاب (٤٦) القدر ، باب (٣) تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء ، برقم ٢٦٥٤ ولفظه : " ان قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن ... " .
والترمذى (٣٦٧/٥) في كتاب (٤٨) التفسير ، باب (٣٩) ومن سورة صٓ، برقم / ٣٢٣٤ .
وأحمد ١٦٨/٢ ، ١٧٣ .

(٤) الشمس / ٨ .

(٥) ر.في القضاء والقدر، ضمن "رسائل ابن كمال باشا" ١٧٩/١ - ١٨٠ .

وقدره ، وتخليقه ، وحكمه ، وعلمه ، وتوفيقه ، وكتابته في اللوح المحفوظ .

والفضيلة ليست بأمر الله ، ولكن بمشيئته ، ومحبته ، ورضاه ، وقضائه ، وقدره ، وتخليقه ، وحكمه ، وعلمه ، وتوفيقه ، وكتابته في اللوح المحفوظ .

والمعصية ليست بأمر الله تعالى ، ولكن بمشيئته لا بمحبته ، وقضائه لا برضاه ، وتقديره ، وتخليقه ، وخذلانه لابتوفيقه ، وعلمه ، وكتابته في اللوح المحفوظ " (١) .

هذا هو رأى العلامة ابن كمال باشا في خلق أفعال العباد؛خيرها وشرها ، حسناتها وسيئاتها ، ومنشأ اختيار العبد ، وأن الله تعالى خالق الاختيار والإرادة والمعرفة فى نفوس عباده ، فليس لأحد أن يعتذر ويتعلق بما قدر الله تعالى ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وهو الحاكم الذى لا حاكم عليه ، ولا معقب لحكمه .

تعقيب

ان مذهب العلامة ابن كمال باشا في أفعال العباد أنها مخلوقة للهتعالى هو بعينه مذهب السلف ، وهو المشهور من مذاهب العلماء .

قال الامام أبوحنيفة رحمه الله تعالى فى الوصية (٢) :

" ونقر بأن العبد مع أعماله وإقراره ومعرفته مخلوق ، فلما كان الفاعل مخلوقا فأفعاله أولى أن تكون مخلوقة ، وأن الله تعالى خلق الخلق ولم يكن

---

(١) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص ١٤ . وقد نقل ابن الكمال هنا كلام الامام ابى حنيفة فى الوصية ص ٧٣ بشيء من التصرف يسير .
انظر فى شرح قول الامام : إشارات المرام ٢٦٤ - ٢٦٦ ، وشرح الفقه الأكبر للقارى ص ٨٣ - ٨٥ .

(٢) ص ٧٤ .أنظر في شرح كلام الامام في إشارات المرام ٢٥٢ - ٢٥٣،وشرح الفقه الاكبر للقارى ص ٧٩ .

لهم طاقة ، لأنهم ضعفاء ، عاجزون، والله تعالى خالقهم ، ورازقهم لقوله تعالى ﴿ الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم ﴾ ا هـ .

وقال كذلك فى الفقه الأكبر (١) :

" وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة ، والله تعالى خالقها ، وهى كلها بمشيئته ، وعلمه ، وقضائه ، وقدره " .

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

" أفعال العباد مخلوقة باتفاق سلف الأمة وأئمتها ، كما نص على ذلك سائر أئمة الاسلام ، الامام أحمد ومن قبله ومن بعده ، حتى قال بعضهم : من قال ان أفعال العباد غير مخلوقة فهو بمنزلة من قال : ان السماء والأرض غير مخلوقة " (٢) .

ومن هؤلاء العلماء الذين نصوا على أن الله سبحانه هو الخالق لأفعال عباده : الامام البخارى (٣) ، والماتريدى (٤) ، والبيهقي (٥) ، والرازى (٦) ، وابن تيمية (٧) ، وابن القيم (٨) ، والتفتازاني (٩) ، وغيرهم كثيرون ...

---

(١) ص ٦٠ ضمن " الرسائل الخمس " . أنظر كذلك : شرح الفقه الأكبر للقارى ص ٧٨ - ٧٩ ، واشارات المرام للبياضي ص ٢٥٤ .

(٢) مجموع الفتاوى ٤٠٦/٨ .

(٣) في خلق أفعال العباد ١٣٧ - ١٣٨ ، ١٧٧ .

(٤) في كتاب التوحيد ٢٢١ - ٢٢٦ .

(٥) في الاعتقاد والهداية ٩١ - ٩٣ .

(٦) في الأربعين ٣١٩/١ - ٣٣٢ (ط . السقا) .

(٧) فى أماكن كثيرة من كتبه مثل مجموع الفتاوى ٢٣٨/٨ ، ٣٩٤ ، ٤٦١-٤٦٢ .

(٨) في شفاء العليل ٤٩ - ٦٤ .

(٩) في شرح العقائد ١٠٤ - ١١٩ ، وشرح المقاصد ٤ / ٢١٧ - ٢٤٦ .

ويقول العلامة ابن القيم :

" فانهم يثبتون قدرة الله على جميع الموجودات ، من الأعيان والأفعال، ومشيئته العامة ، وينزهونه أن يكون في ملكه مالايقدر عليه ، ولا هو واقع تحت مشيئته ، ويثبتون القدر السابق ، وأن العباد يعملون على ما قدره الله ، وقضاه ، وفرغ منه ، وأنه لايشاؤون الا أن يشاء الله ، ولايفعلون الا من بعد مشيئته ، وأنه " ماشاء كان ، ومالم يشأ لم يكن " ، ولا تخصيص عندهم في هاتين القضيتين بوجه من الوجوه .

والقدر عندهم : قدرة الله تعالى ، وعلمه ومشيئته ، وخلقه ، فلا يتحرك ذرة فما فوقها الا بمشيئته ، وعلمه ، وقدرته ، فهم المؤمنون .ب " لاحول ولاقوة الا بالله " على الحقيقة ....

ويؤمنون بأن من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ...

ويثبتون مع ذلك قدرة العبد ، وإرادته واختياره ، وفعله حقيقة ، لا مجازا .

وهم متفقون على أن الفعل غير المفعول ... فحركاتهم ، واعتقاداتهم، أفعال لهم حقيقة ، وهى مفعولة لله سبحانه ، مخلوقة له حقيقة .

والذى قام بالرب عز وجل علمه ، وقدرته ، ومشيئته ، وتكوينه ، والذى قام بهم هو فعلهم ، وكسبهم ، وحركاتهم ، وسكناتهم ، فهم المسلمون المصلون القائمون ، القاعدون حقيقة ، والله سبحانه هو المقدر لهم على ذلك ، القادر عليه الذى شاءه منهم ، وخلقه لهم ، ومشيئته ، وفعله بعد مشيئته ، فما يشاؤون الا أن يشاء الله ، ومايفعلون الا أن يشاء الله ،واذا وازنت بين هذا المذهب وبين ماعداه من المذاهب وجدته هو المذهب الوسط والصراط المستقيم ، ووجدت سائر المذاهب خطوطا عن يمينه وعن شماله ، فقريب منه وبعيد وبين ذلك". (١)

---

(١) شفاء العليل / ٥٢ .

وبعد هذه المقارنة بين كلام هؤلاء الأئمة من السلف ومن سار على نهجهم يظهر موافقة العلامة ابن كمال باشا لهم في أفعال العباد وخلقها ، والله تعالى الموفق ...

المبحث الثالث : حسن الأفعال وقبحها

ان مسألة الحسن والقبح لها ارتباط وثيق بمسألة الحكمة والتعليل. وذلك أن من قال بالحسن والقبح العقليين قال بتعليل أفعاله عز وجل بالحكم والمصالح ، ومن نفى الحسن والقبح العقليين نفى تعليل أفعال الله عز وجل ، وقال بأنها غير معللة بالأغراض .

وقد أشار الامام ابن القيم الى هذه العلاقة الوثيقة بقوله :

" وكل من تكلم في علل الشرع ومحاسنه ، وماتضمنه من المصالح ودرء المفاسد ، فلا يمكنه ذلك الا بتقرير الحسن والقبح العقليين ، اذ لو كان حسنه وقبحه بمجرد الأمر والنهى لم يتعرض فى إثبات ذلك لغير الأمر والنهى فقط " (١) .

وقد رأينا من قبل أن العلامة ابن كمال باشا من الذين يقولون بتعليل أفعال الله تعالى بالحكم والمصالح ، وبالتالى لابد وأن يقول بالحسن والقبح العقليين في الأفعال .

ومعنى الحسن عند المتكلمين : " كون الشئ متعلق المدح عاجلا، والثواب آجلا ، ويقابله .

القبح بمعنى : كونه متعلق الذم عاجلا ، والعقاب آجلا .

ولهما معنيان آخران ، لاخلاف فى ثبوتهما عقلا .

أحدهما : كون الشئ ملائما للطبع ، وكونه منافرا له .

والثاني : كونه صفة كمال ، وكونه صفة نقصان " (٢) .

---

(١) ابن القيم : مفتاح دار السعادة ٢ / ٤٢ .

(٢) ابن كمال باشا : تغيير التنقيح / ١١٥ . انظر فى معناهما : الرازى، الأربعين ٣٤٦/١، التفتازاني : شرح المقاصد٢٨٣/٤، وشرح العقائد ١١٩ ، ابن ابى شريف : المسامرة / ١٥١ .

وذهب العلامة ابن كمال باشا - بعد تحديد معنى الحسن والقبح ، ومحل النزاع فيهما - الى أن العقل يدرك حسن بعض الأفعال دون بعض .

ومن الأفعال التى يدرك العقل حسنها معرفة الله تعالى،والايمان به وتعظيمه ، وتصديق النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا هو معنى شكر المنعم عنده ، فعند ابن كمال باشا - وكذلك عند عامة مشايخ سمرقند - يجب الايمان بالله تعالى ، ولو لم يُبعَث رسول كما سبق تفصيله في الفصل الأول من الباب .

وكذلك يدرك قبح بعض الأفعال مثل الكذب الضار .

وأما أكثر أحكام الشرع فطريق معرفة حسنها أو قبحها الى الشرع (١) كماهو عند الماتريدية ،ونقل ابن كمال باشا عن الامام علاء الدين السمرقندى (ت ٥٣٩) قوله (في الميزان /١٧٧) نقل قبول وارتضاء :" وعندنا : لما كان للعقل حظ فى معرفة حسن بعض المشروعات ، كالإيمان وأصل العبادات ، كان الأمر دليلا ومعرفا لما ثبت حسنه فى العقل ، وموجبا لما لم يعرف به " (٢) .

فبذلك اتفق مع المعتزلة فى القول بالحسن والقبح العقليين الذاتيين في الأفعال ، وخالف الأشاعرة الذين ينفونهما (٣) .

الا أن هناك فرقا بين قول ابن كمال باشا - والماتريدية القائلين بذلك - وبين رأى المعتزلة :

فالعقل عند المعتزلة حاكم بالحسن والقبح مطلقا ، اما على الله تعالى ، فلأن الأصلح واجب على الله تعالى بالعقل ، فيكون تركه حراما على الله تعالى ،

---

(١) أنظر : ابن كمال باشا : تغيير التنقيح ١١٦ - ١١٧ .

(٢) ابن كمال باشا:تغيير التنقيح ص ١١٥ مع تصرف في نقله عن السمرقندى .

(٣) انظر: ابن كمال باشا :تغيير التنقيح /١١٦، وكذلك شرح الأصول الخمسة ، ٣٠١،٨٨،٧٦ ، ٣١٣ ، التفتازاني :شرح المقاصد ٤/ ٢٨٢ -٢٨٣ .

– والحكم بالوجوب والحرمة يكون حكما بالحسن والقبح ضرورة – ، واما على العباد ، فلأن العقل عندهم يوجب الأفعال ، ويبيحها ويحرمها ، من غير أن يحكم الله تعالى فيها بشئ من ذلك .

وأما عند ابن كمال باشا – والماتريدية – فإن الحاكم بالحسن والقبح هو الله تعالى ، وهو متعال عن أن يحكم عليه غيره ، وعن أن يجب عليه شئ ، وهو خالق أفعال العباد ، الا أن العقل قد يعرفهما بخلق الله تعالى العلم بهما ، وقد لايعرفان الا بالشرع ، كأكثر أحكام الشرع (١) .

وبذلك يكون العلامة ابن كمال باشا – وكذلك الماتريدية – قد نفى وجوب ما أوجبه المعتزلة على الله تعالى ، تفريعا على قولهم بالحسن والقبح العقليين من القول بوجوب الصلاح والأصلح عليه ، ووجوب الرزق ، والثواب على الطاعة ، والعقاب على المعصية ، والعوض في إيلام الأطفال والبهائم ، ذلك لأنه والحنفية منعوا كون مقابلات هذه الأمور مخالفة للحكمة ، بل قالوا: "ما ورد بالسمع من وعد الرزق، والثواب على الطاعة ، وألم المؤمن وطفله ، حتى الشوكة يشاكها ، محض فضل منه تعالى ، دون وجوب عليه عز وجل ، لابد من وجوده لوعده الصادق " (٢) .

تعقيب

إن مذهب العلامة ابن كمال باشا بخاصة والماتريدية بعامة يوافق مذهب السلف في القول بأن الحسن والقبح ثابتان للأفعال في أنفسها ، وفي القول

---

(١) انظر : ابن كمال باشا : تغيير التنقيح / ١١٧ . انظر كذلك : ابن ابى شريف : المسامرة ١٥٢ – ١٥٣ .

(٢) ابن ابى شريف : المسامرة مع المسايرة ص ١٥٥ – ١٥٦ بشئ من التصرف يسير .

بإدراك العقل للحسن والقبح في بعض هذه الأفعال ، إلا أن مذهبه يخالف مذهب السلف فى القول بوجوب الفعل وحرمته بمعنى استحقاق الفاعل الثواب والعقاب قبل ورود الشرع ، لقوله تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ (١) ،فالثواب والعقاب عندهم متوقف على بعثة الرسل ،ففارق بذلك مذهبه مذهب السلف رضى الله عنهم .

يقول الامام ابن القيم رحمه الله :

" وتحقيق القول في هذا الأصل العظيم أن القبح ثابت فى الفعل في نفسه ، وأنه لا يعذب الله عليه الا بعد إقامة الحجة بالرسالة " (٢) .

ويقول أيضا : " والحق الذى لايجد التناقض اليه السبيل ... أن الأفعال في نفسها حسنة وقبيحة ، كما أنها نافعة وضارة ،والفرق بينهما كالفرق بين المطعومات والمشمومات والمرئيات،ولكن لايترتب عليها ثواب ولا عقاب الا بالأمر والنهى ، وقبل ورود الأمر والنهى لايكون قبيحا موجبا للعقاب ، مع قبحه في نفسه ، بل هو في غاية القبح ، والله لايعاقب عليه الا بعد إرسال الرسل ، فالسجود للشيطان ، والأوثان ، والكذب ، والزنا ،والظلم ، والفواحش كلها قبيحة في ذاتها ، والعقاب عليها مشروط بالشرع " (٣) .

---

(١) الاسراء / ١٥ .

(٢) ابن القيم : مفتاح دار السعادة ٢ /٧ .

(٣) ابن القيم : مدارج السالكين ١ /٢٣١ .

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

" الناس في مسألة التحسين والتقبيح على ثلاثة أقول :

طرفان ، ووسط .

الطرف الواحد : قول من يقول بالحسن والقبح ، ويجعل ذلك صفات ذاتية للفعل ، لازمة له ، ولا يجعل الشرع الا كاشفا عن تلك الصفات ، لاسببا لشيء من الصفات ، فهذا قول المعتزلة ، وهو ضعيف ...

وأما الطرف الآخر : في مسألة التحسين والتقبيح ، فهو قول من يقول: إن الافعال لم تشتمل على صفات هي أحكام ، ولا على صفات هي علل للأحكام ، بل القادر أمر بأحد المتماثلين دون الآخر ، لمحض الارادة ، لا لحكمة ولا لرعاية مصلحة في الخلق والأمر ...

فهذا القول ولوازمه أيضا قول ضعيف ، مخالف للكتاب والسنة ، ولاجماع السلف والفقهاء ، مع مخالفته أيضا للمعقول الصريح " ...

ثم يقول : " وقد ثبت بالخطاب والحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع :

أحدها : أن يكون الفعل مشتملا علىمصلحة أو مفسدة ، ولو لم يرد الشرع بذلك ، كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم ، والظلم يشتمل على فسادهم ، فهذا النوع هو حسن وقبيح ، وقد يعلم بالعقل والشرع قبح ذلك ، لا أنه أثبت للفعل صفة لم تكن ، لكن لا يلزم من حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقبا في الآخرة ، اذا لم يرد شرع بذلك ، وهذا مما غلط فيه غلاة القائلين بالتحسين والتقبيح ، فانهم قالوا : ان العباد يعاقبون علىأفعالهم القبيحة ، ولو لم يبعث اليهم رسولا ، وهذا خلاف النص ، قال تعالى ﴿ وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ (١) ... وقال تعالى : ﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها

---

(١) الاسراء / ١٥ .

رسولا يتلوا عليهم آياتنا وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون ﴾ (١) ...

والنصوص الدالة على أن الله لا يعذب الا بعد الرسالة كثيرة ، ترد على من قال من أهل التحسين والتقبيح : ان الخلق يعذبون في الأرض بدون رسول أرسل اليهم .

النوع الثاني : أن الشارع اذا أمر بشئ صار حسنا ، واذا نهى عن شئ صار قبيحا ، وأكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع .

والنوع الثالث : أن يأمر الشارع بشئ ليمتحن العبد ، هل يطيعه ، أم يعصيه ، ولا يكون المراد فعل المأمور به ، كما أمر ابراهيم بذبح ابنه ، فلما أسلما وتله للجبين حصل المقصود ، ففداه بالذبح ، وكذلك حديث أبرص وأقرع وأعمى ، لما بعث الله اليهم من سألهم الصدقة ، فلما أجاب الأعمى ، قال الملك : أمسك عليك مالك ، فانما أبتليتم ، فرضى عنك ، وسخط على صاحبيك (٢) ..

فالحكمة منشأها من نفس الأمر ، لامن نفس المأموربه ، وهذا النوع والذى قبله لم يفهمه المعتزلة ، وزعمت أن الحسن والقبح لا يكون الا لما هو متصف بذلك بدون أمر الشارع . والأشعرية ادعوا : أن جميع الشريعة من قسم الامتحان، وأن الأفعال ليست لها صفة ، لا قبل الشرع ولا بالشرع .

وأما الحكماء والجمهور فأثبتوا الأقسام الثلاثة ، وهو

---

(١) القصص / ٥٩ .

(٢) الحديث أخرجه البخارى (٦ / ٥٠٠ - ٥٠١) فى كتاب (٦٠) الأنبياء، باب (٥١)
حديث أبرص وأعمى وأقرع فى بنى اسرائيل برقم / ٣٤٦٤ .
ومسلم (٤ / ٢٢٧٥) في كتاب (٥٣) الزهد والرقائق ، رقم الحديث / ٢٩٦٤ .

الصواب " (١) .

وأما إطلاق القول فى مسألة التحسين والتقبيح بأنهما عقليان، أو شرعيان ، غير صحيح ، والصواب في هذه المسألة هو التفصيل الذى ذكره شيخ الاسلام ، وكذلك تلميذه الامام ابن القيم رحمهما الله تعالى ...

---

(١) مجموع الفتاوى ٨ / ٤٣١ - ٤٣٦ . انظر فى الأقسام الثلاثة : ابن القيم: مدارج السالكين ٢٣١ - ٢٣٧ ، وفى مذاهب الناس فى التحسين والتقبيح : ابن تيمية : منهاج السنة ٤٤٨/١ - ٤٥١ ، والجواب الصحيح ٣١١/١ - ٣١٢ .

المبحث الرابع : القضاء والقـــــدر :

يرى العلامة ابن كمال باشا أن أصل القضاء فى اللغة : الإحكام والاتمام.

قال تعالى : ﴿ وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا ﴾ [1] ، قال في تفسيره : " أصل القضاء : الإحكام والإتمام، وانما قال (الى بنى اسرائيل) لتضمين معنى الانزال ، أى أعلمنا اعلاما محكما متمما منزلا اليهم فى التوراة..." [2] .

ويأتي بمعنى : أمر ، قال الله تعالى ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه ﴾ [3]
أى أمرأمرامقطوعا به [4].

ويأتي بمعنى : حكم ، قال تعالى ﴿ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيماشجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ [5] أى مماحكمت به ، أو من حكمك [6] .

ويأتي بمعنى : أراد ، وهو قريب من معنى حكم ، قال الله تعالى ﴿ واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ﴾ [7] .

وأما معنى القدر فى اللغـــة :

" يقال : قدَرْت الشىء ، أقدِره وأقـــدُره ، قـــدرا ، وقَدّرتُـــه

---

(١) الاسراء / ٤ .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ٤١٣ أ ، أنظر هذا المعنى أيضا : ١/٩٩(الحـرم المكى) .

(٣) الاسراء / ٢٣ .

(٤) ابن كمال باشا : تفسيره ٤١٥ أ .

(٥) النساء / ٦٥ .

(٦) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٣٠٣ (الحرم المكى) .

(٧) البقرة / ١١٧ ، آل عمران / ٤٧ ، مريم / ٣٥ .

تقديرا [١] ، فهو قَدْرٌ ، أى مقدر ، كما يقال : هدمت البناء ، فهو هَدْمٌ ، أى مهدوم.
وهو في الأصل مصـــدر .

والقدر والتقدير : تبين كمية الشىء " [٢] .

وأما القضاء اصطلاحا :فهو " تعلق الارادة الإلهية بوجود الشىء من حيث إنه يوجبه " [٣] .

وأما القدر اصطلاحا : فـ"هو مايقدره الله تعالى من القضاء" [٤] وعرفه في تفسيره بقوله : هو : " تحديد كل شىء وتقديره على ماهو أولى به . قال تعالى ﴿ انا كل شىء خلقناه بقدر ﴾ [٥] " [٦] .

وقيل القضاء : انفاذ المقدر [٧] .

وقد ألف العلامة ابن كمال باشا لتجلية مسألة القضاء والقدر رسالة مستقلة ، يقول فى مقدمتها :

" فان مسألة الجبر والقدر من مهمات المسائل ، وأمهات الأصول ، وقد زل في مبادئها أقدام الأفهام ، وضل فى بواديها عقول الفحول . وأنا أريد أن أحقق فيها – بعون الحق وتوفيقه – ما يوافق المعقول ، ويطابق المنقول :

فنقول : ان الله جل وعلا بقدم علمه المتعلق بالأشياء تعلقا عاريا عن النسبة الى الزمان ، وتقديره على وفق علمه المنزه عن تطرق الحدثان ، وموجب

---

(١) انظر كذلك : الزمخشرى : أساس البلاغة / ٣٥٧ ، والفيومى : مصباح المنير/ ٤٩٢ .

(٢) ابن كمال باشا :رسالة في القضاء والقدر(ضمن رسائله) ١٨٢/١.

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ٩٩/١ (الحرم المكى) .

(٤) ابن كمال باشا : رسالة في القضاءوالقدر(ضمنرسائله)١٨٢/١ .

(٥) القمر/ ٤٩ .

(٦) ابن كمال باشا: رسالة فى بيان عقيدة أهل السنة ١٩٣ ب .

(٧) المناوى : التوقيف على مهمات التعاريف / ٥٨٤ .

إرادته المرجحة لها إبرازا حسب العلم الشامل ، والتقدير الكامل ، وقدرته المؤثرة التى تفيض عنها مارجحته الارادة من وجود الماهيات ، وكمالاتها في الأعيان ، أوجد الأشياء مرتبة ترتيبا حكيما ، لا يتحول عن ذلك الترتيب ، لعدم التحول والتبدل فى العلم والتقدير، لا لأنه لاقدرة له تعالى على التحويل والتبديل ، والا يلزم خروج بعض الممكنات عن حيز قدرته تعالى ، وذلك عجزتعالى شأنه " (١) .

ثم ان " الثابت عندنا أن ما علم الله تعالى عدم وقوعه لا يقع البته. وأما أن ذلك بسبب علمه تعالى وتقديره فلم يثبت .

بل نقول : عندنا مايدل على خلافه ، وهو أن التقدير تابع للعلم ، والعلم تابع للمعلوم ، وشأن التابع أن لايؤثر فى المتبوع ، لاإيجابا ولا منعا ، والا ينعكس أمر الأصالة والتبعية .

وتوضيح ذلك : أنه تعالى علم موت أبي جهل ـ مثلا ـ على الكفر، وقدره ، لأنه مات على الكفر في الواقع ، لا لأنه مات على الكفر فى الواقع لأنه علم موته على الكفر وقدره" (٢) .

ان تقديره تعالى ليس إلزاميا ، وإنما هو على وفق علمه الأزلى الشامل للأمور كلها :

" واذا تقرر أن علمه تعالى وتقديره لايُخرِج أحد طرفي الممكن عن حد الامكان وحيز القدرة ، فالعبد غير مجبور على أفعاله التى يكسبها ، وغير مضطر في الأعمال التي يباشرها بسبب علمه تعالى وتقديره ، كما زعمه المجبرة ،

---

(١) ابن كمال باشا : رسالة فى القضاء والقدر (ضمن رسائل ابن كمال باشا) ١٥٨/١ – ١٥٩ .

(٢) ابن كمال باشا : رسالة فى القضاء والقدر (ضمن رسائل ابن كمال باشا) ١٦٠/١، وكذلك : تفسيره ٢٥٣/١ (الحرم المكى) .

وتبعهم من تبعهم بلا تدبر ، كالامام البيضاوى ، حيث قال في تفسير قوله تعالى ﴿ وماكان أكثرهم مؤمنين ﴾ من سورة الشعراء (١) : في علم الله وقضائه ، فلذلك لا ينفعهم أمثال هذه الآيات العظام " (٢) .

وفي قوله تعالى" ﴿ لايصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولايطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ﴾ (٣) ، وفي قوله تعالى ﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسنى السوء ﴾ (٤) دلالة على أن التقدير ليس بملزم ، فانه لو كان مايصيب كل شخص من الخير والشر مقدرا ، بحيث لايحتمل الزيادة والنقصان لما كان للتعليق المذكور وجه صحة .

وتفصيل ذلك : أنه لو كان للتقدير تأثير يجعل المقدر على حد معين خيرا كان أو شرا حتما مقضيا ، لم يكن بد من حصول المقدر لمن قُدِّر له نفعا كان أو ضرا ، ووصوله اليه مكروها كان أو مرضيا ، فيلزم من ذلك أن لايكون لقدرة العبد واختياره مدخل فى جلب نفعه ودفع ضره ، عالما كان بأسبابهما أو جاهلا، واللازم منتف بما دل عليه النص المذكور من تفاوت الحال بالعلم والجهل " (٥) .

ويرى أنه لايجوز الاعتذار عن الذنب بالتقدير ، لأن التقدير على وفق الواقع :

يقول :" واذا تحققت أن التقدير الأزلى لايلجئنا الى مافعلناه من الخير والشر ،ولايضطرنا الى ماعملناه من الطاعة والمعصية فقد عرفت يقينا أنه

---

(١) الآية / ٨ ، ٦٧ ، ١٠٣ ، ١٢١ ، ١٣٩ ، ١٥٨ ، ١٧٤ ، ١٩٠ .

(٢) ابن كمال باشا : ر . في القضاء والقدر ١ / ١٦٤ - ١٦٥ .

(٣) التوبة / ١٢٠ .

(٤) الاعراف / ١٨٨ .

(٥) ابن كمال باشا : رسالة في القضاء والقدر ١ / ١٦٦ .

لا مساغ للاعتذار عن الذنب الصادر عنا بالاختيار والرضا ، بأن يقال : إنه كان مكتوبا علينا في الأزل فلا نستحق اللوم والتبعة في العمل " .(١)

وقد سبق أن أشرنا الى تفسيره قول الامام محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم : " لا جبر ولا تفويض " في خلق أفعال العباد ، فلا نعيده هنا مرة أخرى .

وأما الايمان بالقضاء والقدر فهو ركن من أركان العقيدة الاسلامية ، وهو الركن السادس للايمان ، يقول :

و" أن تؤمن بأن تقدير الخير والشر من الله تعالى ، والخير بقضائه ، وقدره ، ورضاه ، ومحبته ، والشر بتقديره ، ولكن لايرضاه ، والعباد يثابون باختيار الخير ، ويعاقبون باختيار الشر " .(٢)

تعقيب

ان ماذهب اليه العلامة ابن كمال باشا وحققه فى مسألة القضاء والقدر يوافق ماذهب اليه السلف .

يقول شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى :

" ان الله تعالى علم الأمور ، وكتبها على ماهى عليه ، فهو سبحانه قد كتب : أن فلانا يؤمن ويعمل صالحا فيدخل الجنة ، وفلانا يفسق ويعصى فيدخل

---

(١) ابن كمال باشا : رسالة فى القضاء والقدر ١٧١/١ .
وقال في تفسير قوله تعالى ﴿ قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ﴾ (المؤمنون /١٠٦) عن الحق والصواب ، وليس هذا باعتذار ، بل هو اعتراف منهم بسوء الصنيع ، ولاصحة لما قيل : غلبت علينا ما كتب علينا من الشقاوة ، لأنه إنما يكتب مايفعل العبد ومايعلم أنه يختاره ، والعلم تابع للمعلوم ، لا العكس ، فلا يكون مغلوبا ومضطرا فى الفعل بسبب التقدير الأزلي" (تفسيره /٤٩٦ ب) .

(٢) ابن كمال باشا : رسالة فى تفصيل الإيمان / ١٣ أ .

النـــار ، كما علم وكتب أن فلانا يتزوج امرأة ويطؤها فيأتيه ولد ، وأن فلانا يأكل ويشرب فيشبع ويروى ، وأن فلانا يبذر البذر فينبت الزرع ، فمن قال : إن كنتُ من أهل الجنة فأنا أدخلها بلا عمل صالح ، كان قوله قولا باطلا متناقضا لما علمه الله وقدره ... فمن ظن أنه يدخل الجنة بلا إيمان ، كان ظنه باطلا ، واذا اعتقد أن الأعمال التى أمر الله بها لايحتاج إليها ، ولا فرق بين أن يعملها ، أو لا يعملها ، كان كافرا ، والله قد حرم الجنة الا على أصحابها" (١) .

ويقول كذلك :

" مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى خالق كل شيء، وربه ومليكه، لارب غيره ، ولا خالق سواه ، ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن ، وهو على كل شيء قدير ، وبكل شيء عليم ، والعبد مأمور بطاعة الله ، وطاعة رسوله ، منهى عن معصية الله ، ومعصية رسوله ، فإن أطاع كان ذلك نعمة ، وإن عصى كان مستحقا للذم والعقاب ، وكان لله عليه الحجة البالغة ، ولا حجة لأحد على الله تعالى، وكل ذلك كائن بقضاء الله وقدره ، ومشيئته وقدرته ، لكن يحب الطاعات ، ويأمر بها ، ويثيب أهلها على فعلها ، ويكرمهم ، ويبغض المعصية ، وينهى عنها ، ويعاقب أهلها ، ويهينهم .

ومايصيب العبد من النعم فالله أنعم بها عليه، ومايصيبه من الشر فبذنوبه ومعاصيه ، كما قال تعالى ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ (٢) ، وقال تعالى ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ (٣) ، أى ما أصابك من خصب ونصر ، وهدى، فالله أنعم به عليك ، وما أصابك من حزن ، وذل ، وشر فبذنوبك وخطاياك ، وكل الأشياء كائنة بمشيئة الله وقدرته ، وخلقه ، فلابد

---

(١) ابن تيمية : رسالة القضاء والقدر (ضمن المجموعة الكبرى) ٩٢/٢.

(٢) الشورى / ٣٠ .

(٣) النساء / ٧٩ .

أن يؤمن العبد بقضاء الله وقدره ، وأن يوقن العبد بشرع الله وأمره "[(١)] .

إن الايمان بالقدر على أربع درجات عند أهل السنة ، وفي بيان ذلك يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله :

" والايمان بالقدر على درجتين ، كل درجة تتضمن شيئين :

فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم ، الذى هو موصوف به أزلا ، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال .

ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق : (فأول ماخلق الله القلم، قال له : اكتب . قال : مااكتب ؟ قال : اكتب ماهو كائن الى يوم القيامة)[(٢)] .
فما أصاب الانسان لم يكن ليخطئه ، وماأخطاه لم يكن ليصيبه ، جفت الأقلام، وطويت الصحف ، كما قال سبحانه وتعالى ﴿ ألم تعلم أن الله يعلم مافي السماء والأرض إن ذلك فى كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾[(٣)] . وقال ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير﴾[(٤)]....

وأما الدرجة الثانية : فهو مشيئة الله النافذة ، وقدرته الشاملة ، وهو الايمان بأن ماشاء الله كان ، ومالم يشأ لم يكن ، وأنه مافي السماوات من حركة ولا سكون الا بمشيئة الله سبحانه ، لايكون فى ملكه الا مايريد،وأنه سبحانه وتعالى على كل شئ قدير ، من الموجودات والمعدومات .

---

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٦٣/٨ ـ ٦٤ .

(٢) أخرجه أبوداود (٧٦/٥) في كتاب (٣٤) السنة ، باب (١٧) في القدر ، رقم الحديث / ٤٧٠٠ .
والترمذى (٤٥٨/٤) في كتاب (٣٣) القدر ، باب (١٧) ، رقم الحديث / ٢١٥٥ .
وأحمد في المسند ٥/ ٣١٧ .

(٣) الحج / ٧٠ .

(٤) الحديد / ٢٢ .

فما من مخلوق فى الأرض ولا في السماء الا الله خالقه سبحانه ، لاخالق غيره ، ولا رب سواه .

ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ، ونهاهم عن معصيته .

وهو سبحانه يحب المتقين ، والمحسنين ، والمقسطين ، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ولا يحب الكافرين ، ولايرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء ، ولا يرضى لعباده الكفر ، ولا يحب الفساد .

والعباد فاعلون حقيقة ، والله خالق أفعالهم ، والعبد هو المؤمن، والكافر ، والبر ، والفاجر ، والمصلي والصائم ، وللعباد قدرة على أعمالهم ،ولهم ارادة،والله خالقهم ، وخالق قدرتهم وإرادتهم ، كما قال تعالى: ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم . وماتشاءون الا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ (١) " (٢) .

فالايمان بالقدر اذاً أربع مراتب :

١ – علم الرب سبحانه بالاشياء قبل كونها ، وعلمه بأفعال العباد قبل أن يعملوها ،

٢ – كتابة ذلك فى اللوح المحفوظ ،

٣ – مشيئة الله النافذة ، وقدرته الشاملة ،

٤ – إيجاد الله لكل المخلوقات ، وأنه الخالق ، وكل ماسواه مخلوق . (٣)

---

(١) التكوير / ٢٨ – ٢٩ .

(٢) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٣ / ١٤٨ – ١٥٠ . أنظر كذلك : ابن القيم : شفاء العليل ٢٩ – ٦٥ .

(٣) انظر: ابن القيم : شفاء العليل ٢٩ ، د.ياسين : كتاب الايمان ص ١٣٣ .

فالعلامة ابن كمال باشا يثبت هذه المراتب كلها ، من العلم ، والكتابة ، وعموم المشيئة ، والخلق ، كما سبق بيان ذلك .

هذا ، ومما ذكرنا من النصوص يظهر لنا أن العلامة ابن الكمال في القضاء والقدر موافق لرأى أهل السنة والجماعة ، وأن مذهبه فيهما مذهب السلف رضى الله عنهم ...

المبحث الخامس : رؤية الله تعالى

أ ـ رؤية الله تعالى فى الآخرة

ذهب العلامة ابن كمال باشا الى أن رؤية الله تعالى بالأبصار فى الآخرة جائزة عقلا ، وواجبة سمعا .

قال : " إن رؤية الله تعالى جائزة بالأبصار عقلا ، ان كل موجود جائز الرؤية ، لأن جواز الرؤية يدور مع الوجود وجودا وعدما ، والله تعالى موجود، فيجوز أن يرى (١) .

مع أن السمع قد ورد بايجاب رؤية المؤمنين الله تعالى فى دار الآخرة، نحو قوله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ﴾ (٢) ، وقوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ (٣) . قيل : هى رؤية الله تعالى ، هكذا بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسر هذه الزيادة برؤية الله تعالى " (٤) .

وأكد هذا المعنى فى رسالة "إشارات لطيفة " (٥) له مع ذكر دليل عقلي آخر حيث قال :

---

(١) انظر في استدلال الأشاعرة والماتريدية بدليل الوجود على جواز الرؤية : الأشعرى : الابانة ٥١ ـ ٥٢، الغزالي : الاقتصاد ص ٤١ ، الرازى : الأربعين ٢٦٨/١ ـ ٢٧٧ ووجه عليه اثنا عشر سؤالا لتضعيفه ، التفتازاني : شرح المقاصد ١٨٨/٤ ـ ١٩١ ، الجرجاني : شرح المواقف /٥٠٦ ، الصابوني: البداية ٤١، النسفي : التمهيد ٢٢١ ـ ٢٢٣ .

(٢) القيامة / ٢٢ ـ ٢٣ .

(٣) يونس / ٢٦ .

(٤) ابن كمال باشا : رسالة فى بيان عقيدة أهل السنة ق / ١٩١ أ .

(٥) ١٩٤ ب ـ ١٩٥ أ .

" رؤية الله تعالى جائزة عقلا ، وواجبة للمؤمنين في دار الآخـــرة ، لأن الله تعالى راء لذاته ، فذاته قابل لرؤيته ، وكل مايكون قابلا لشئ في صورة يكون قابلا لذلك الشئ مطلقا ،اذ القابلية عبارة عن الامكان ، فذاته قابـــل للرؤية مطلقا .(١)

على أن الله تعالى قال ﴿ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ﴾ " .

ومن الأدلة على جواز رؤية الله تعالى في الآخرة قوله تعالى ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر اليك ، قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ... ﴾ (٢) استدل به العلامة ابن كمال باشا على جواز الرؤية حيـــث قال في تفسيره (٣) :

" وهو دليل على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة ، لأن طلب المستحيل على الأنبياء محال ، وخصوصا مايتعلق بمعرفة الله تعالى ، و (ما) يقتضي الجهل به.

ورده بقوله ﴿ لن تراني ﴾ ليس لامتناع رؤيته تعالى في نفس الأمـــر والا لقال " لن أر " بل لقصور الطالب عن رؤيته لبقية الحجاب ، فهي موقوفـــة على ارتفاعه ...

والاستدلال على استحالتها بالجواب أبعد عن الصواب ، اذ لا دلالة فيه على أن لايراه عليه السلام أبدا ، ولا على أن لايراه غيره أصلا ، فضلا عن أن يدل على استحالتها ، ودعوى الضرورة فيه مكابرة ، أو جهالة بحقيقة الرؤية ....

---

(١) انظر في هذا الدليل : الأشعري : الإبانة ٥٢ - ٥٣ الشهرستاني : نهايـــة الإقدام ص ٣٥٨ ، د. الحمد : رؤية الله تعالى ص ١١٨ - ١٢١ .

(٢) الاعراف / ١٤٣ .

(٣) ٢٥٤ ب - ٢٥٥ أ . (وفي نسخة بني جامع ١ / ٢٠٥ أ - ب) .

(قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل) استدراك ، يريد أن يبين به أنه لايطيقه ، فان الجبل مع شدته وصلابته اذا لم يستقر ، فالآدمي مع ضعف بنيته أولى أن لايستقر ، وهذا تسكين لقلب موسى عليه السلام ، وتخفيف عنه ثقل أعباء المنع.

ولا يذهب على من نظر بعين الانصاف ، وتجنب عن التعصب والاعتساف [(١)] أنه ليس بجواب من سأل محالا ، وقد قال الله تعالى لنوح عليه السلام ﴿ فلا تسألن ماليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ [(٢)] ، فلو سأل موسى عليه السلام محالا لكان في الجواب زجر ما .

(فان استقر مكانه فسوف تراني) بعد رفع الموانع من البين ، علق رؤيته بالاستقرار ، وهو أمر ممكن في نفس الأمر ، ففهم منه أنه ممكن فى نفسه لكن المانع من جهته على مادل عليه قوله تعالى ﴿ ماكان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ﴾ [(٣)] حيث قال :
" ما كان لبشر " ، ولم يقل : " ماكان له تعالى " ، أتى بالتعليق ، ثم التسويف مبالغة فى تعذر المطلب .

أما التعليق فلبيان أن الطاقة البشرية لاتتحمل رؤيته تعالى .

وأما التسويف فلبيان أنه على تقدير التحمل لابد من ارتفاع موانع ، زوالها تدريجي يقتضي مهلة ومدة .

(فلما تجلى ربه للجبل) أى ظهر له ظهور المرئى للرائي ، بأن خلق الله تعالى فيه حياة وحسا ، وهذا المعنى هو المروى عن ابن عباس رضى الله عنهم ، وهو الموافق لمساق الكلام ، المطابق لأصل أهل السنة

---

(١) يقصد به الزمخشرى المعتزلي في تفسيره الكشاف ٨٩/٢ — ٩٠

(٢) هود / ٤٦ .

(٣) الشورى / ٥١ .

والجماعة [1]، ومن صرفه عن الظاهر فقد دس فيه مذهب الاعتزال [2] " اهـ ٠

ومن الأدلة التى استدل بها ابن كمال باشا على جواز الرؤية قوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ [3] حيث ذكر من معانيها: النظر الى وجهه الكريم ، ورد على الزمخشرى المعتزلي فى إنكاره الحديث الوارد بذلك وتحريفه إياه ، قال :

" وقيل : الحسنى الجنة ، وزيادة : النظر الى وجه الله تعالى ٠

ومن غلاة أصحاب الضلال من قال [4] : " زعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر الى وجه الله تعالى ، وجاءت بحديث مرقوع : اذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن ياأهل الجنة ، فيكشف الحجاب ، فينظرون اليه ، فوالله ماأعطاهم الله شيئا هو أحب اليهم منه " ٠

قوله : مرقوع ، صح بالقاف عنده ، ومعناه : مرقوع مفترى ٠

وأما عند أهل الحق فقد صح بالفاء ٠

رواه أبوبكر الصديق رضى الله عنه ، وأبو موسى الأشعرى ، وحذيفة ،وابن

---

(١) قال الدكتور أحمد بن ناصر الحمد في كتابه " رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها " (ص / ٩٠) : " لايمتنع أن يخلق الله تعالى فى ذات الجبل الحياة والعقل والفهم وسائر مايتصف به الحى ، ثم يخلق فيه رؤية متعلقة بذاته تعالى حين تجلى له ،ويؤيدهذا أنه تعالى قال﴿ ياجبال أوبي معه والطير﴾ (سبأ/١٠)، وكونه مخاطبا بهذا الخطاب مشروط بحصول الحياة والعقل،ونحتج لهذا بتسبيح الحصى بيد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وسلام الحجرعليه، وغير ذلك ، وهو ليس بغريب ، والله أعلم " (أنظر في ذلك ايضا :شرح العقيدة الاصفهانية لابن تيمية ص ٧ ،والبداية للصابوني ص ٣٩)٠

(٢) ويقصد به الزمخشرى المعتزلي حيث قال فى الكشاف (٩١/٢) في تفسيره :"فلما ظهر له اقتداره ، وتصدى له أمره وارادته " ٠

(٣) يونس / ٢٦ ٠

(٤) وهو الزمخشرى ، انظر قوله في الكشاف ١٨٨/٢ ٠

عباس ، وعكرمه ، وقتاده ، والضحاك ، وابن أبي ليلى ، ومقاتل .(١)

أورده مسلم في صحيحه عن صهيب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم .(٢)

وأورده البخارى في صحيحه بلا اسناد .(٣)

وصححه أحمد بن حنبل(٤) ، والترمذى(٥) ، وابن ماجه(٦) .

فالحديث متفق على صحته ، وذلك المتعصب طعن في الحديث الصحيح ، والخبر الحق الصريح ، ترويجا لاعتقاده الفاسد، وتصحيحا لمذهبه الباطل ، وصحف المرفوع فجعله مرقوعا يرقع به مذهبه المخروق ، هيهات اتسع الخرق على الراقع ،والحق الواقع ماله من دافع " .(٧)

---

(١) انظر في رواياتهم : البيهقي : الاعتقاد ٧٧ - ٧٨ ، القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ٣٣٠/٨ - ٣٣١، ابن القيم : حادى الأرواح الى بلاد الأفراح ٢٢٧ -٢٣٠، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٣ / ٤٩٧ - ٤٩٨ ، ابن خزيمه : كتاب التوحيد ١٨٠ - ١٨٤ ، ابن حجر: الكافي الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف /٨٤، الآلوسي : روح المعاني ١٠٢/١١ - ١٠٣ ، ابن أبي العز : شرح الطحاوية /٢٠٦.

(٢) مسلم (١٦٣/١) في كتاب (١) الايمان، باب (٨٠) اثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ، رقم (١٨١) .

(٣) فتح البارى ٣٤٥/٨ ، ٣٤٧ .

(٤) في المسند ٣٣٢/٤ ، ١٥/٦ - ١٦ .

(٥) في السنن (٦٨٧/٤) في كتاب (٣٩) صفة الجنة ، باب (١٦) ماجاء فى رؤية الرب ، رقم / ٢٥٥٢ .

وفي (٢٨٦/٥) كتاب (٤٨) التفسير ، باب (١١) ومن سورة يونس ، /٣١٠٥.

(٦) في السنن (٦٧/١) في المقدمة ، باب (١٣) فيما أنكرت الجهمية ، رقم/١٨٧. وكذلك الدارقطني فى الرؤية رقم ٢٥١- ٢٥٥ ، والبيهقي فى الاعتقاد ص ٧٧ .

(٧) ابن كمال باشا : تفسيره ٣١٥ ب .

ومن الأدلة النقلية التى استدل بها ابن كمال باشا على جواز الرؤية قوله تعالى ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ (١) ، حيث قال في تفسيره : " فلا متمسك فيه لمن أنكر الرؤية ، وأما الجواب عنه بتخصص الحكم ببعض الأوقات ، أو ببعض الأشخاص فلا يتحمله الكلام " (٢) .

هذا ولم يبين ابن كمال باشا وجه الاستدلال بالآية على جواز أو وقوع الرؤية ، وانما اكتفى بالاشارة المذكورة .

وفي بيان وجه الاستدلال بالآية يقول الامام ابن أبى العز :

" فالاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف ، وهو أن الله تعالى إنما ذكرها فى سياق التمدح ، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية ، وأما العدم المحض فليس بكمال ، فلا يمدح به ، وإنما يمدح الرب تعالى بالنفى اذا تضمن أمرا وجوديا ، كمدحه بنفي السنة والنوم ، المتضمن كمال القيومية ، ونفى الموت المتضمن كمال الحياة ...

فان المعنى : أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به ، فقوله (لاتدركه الأبصار) يدل على كمال عظمته ، وأنه أكبر من كل شىء ، وأنه لكمال عظمته لايدرك بحيث يحاط به ، فان " الادراك " هو الاحاطة بالشىء ، وهو قدر زائد على الرؤية ، كما قال تعالى ﴿ فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون ، قال كلا ﴾ (٣) ، فلم ينف موسى الرؤية ، وإنما نفى الادراك ، فالرؤية والادراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه ، فالرب تعالى يرى ولا يدرك ، كما يعلم ولا يحاط به علما ، وهذا هو الذى فهمه الصحابة والأئمة من الآية .....

---

(١) الأنعام / ١٠٣ .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ١ /٣٨٨ (الحرم المكى) .

(٣) الشعراء / ٦١ — ٦٢ .

بل هذه الشمس المخلوقة لايتمكن رائيهـا من إدراكها على ماهى عليه " (١) ٠

ب – روية الله تعالى فى المنام:

سئل الامام ابن كمال باشا عن روية الله تعالى فى المنام :

فأجاب بأن هذه مسألة اختلف فيها العلماء ، الا أن الخلاف غير متصور بعد الكشف عن حقيقة هذه المسألة (٢) ٠

فقال مشايخ سمرقند : روية الله تعالى فى المنام باطلة لاتكون ، لأن مايرى فى المنام لايكون عين المرئي ، بل هو خيال ، والله منزه عن ذلك٠

حتى قال الامام أبو منصور الماتريدى فيمن قال بأني رأيت الله : هذا الرجل شر من عابد الوثن (٣) ٠

وذهب العلامة ابن كمال باشا الى أن اطلاق القول بأن روية الله تعالى في المنام جائزة، وذلك مثل إطلاق القول بروية الرسول صلى الله عليه وسلم ، اذ روية الله تعالى فى المنام مثل روية النبى صلى الله عليه وسلم فيه٠ فان من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام رأى مثال روحه الشريفة ، لا ذاته ، بواسطة مثال صادق ، ذى شكل ولون وصورة ٠

---

(١) ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ٢٠٨ – ٢٠٩ – انظر كذلك : ابن القيم : حادى الأرواح ٢٢٧ – ٢٣٠ ، التفتازاني : شرح المقاصد ٤ / ٢٠٣ – ٢٠٥ ، الجرجاني : شرح المواقف ص ٥١٣ ، الآلوسي: روح المعاني ٧ / ٢٤٥ – ٢٤٧ ، الحمد : روية الله تعالى ٩٢ – ٩٥ ، ١٣١– ١٣٣ ٠

(٢) انظر : ابن كمال باشا : رسالة فى روية الله تعالىفي المنام ص ٦ ٠

(٣) انظر : ابن كمال باشا : رسالة في روية الله تعالى فى المنام ص ٦ ٠ وكذلك : القارى : شرح الفقه الأكبر ١٢١ – ١٢٢ ، ١٨٦ – ١٨٧ ، البياضي: إشارات المرام ٢٠٩ – ٢١٠ ٠

ومثل ذلك من يرى الله تعالى فى المنام ، فان ذاته منزهة عن الشكل والصورة،ولكن تنتهى تعريفاته الى العبد بواسطة مثال محسوس من نور أوغيره من الصور الجميلة ، ويكون ذلك المثال صادقا فى كونه واسطة في التعريف، فيقول الرائي : رأيت الله تعالى فى المنام ، لايعني به أنه رأى ذاته، بل يعنى : أني رأيت مثاله ، كما يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم،لابمعنى أنه رأى روحه أو جسده ، بل بمعنى أنه رأى مثاله (١) ٠

فهناك فرق بين المثل والمثال ، " فالمثل عبارة عن التساوى في جميع الصفات ، والمثال لايحتاج فيه الى المساواة " (٢) ٠

ثم استدل ابن كمال باشا على جواز روٌية الله تعالى فى المنام بماتواتر عن جماعة من الأئمة أنهم رأوا الله تعالى فى منامهم (٣) ، وبما " ورد به الاذن باطلاق ذلك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رأيت ربي في أحسن صورة) (٤) ، وهذا مما ورد في الأخبار التى وردت في إثبات الصورة لله تعالى

---

(١) انظر : ابن كمال باشا : رسالة فى روٌية الله تعالى ص ٦ - ٧ ٠

(٢) ابن كمال باشا : رسالة فى روٌية الله تعالى فى المنام ص ٧ ٠

(٣) انظر كذلك التفتازاني : شرح المقاصد ٢١٠/٤ ، الصابوني : البداية ص ٤٣ ، القارى : شرح الفقه الأكبر ١٨٦ - ١٨٧ ، البياضي : إشارات المرام ٢١٠ ، النسفي : الاعتماد ق / ٣٤ ب ، البزدوى : أصول الدين ٧٨، الآلوسي : روح المعاني ٥٢/٩ ٠

(٤) روى هذا الحديث جماعة من الصحابة ، انظر في تخريجه وطرقه مفصلا الدارقطني: كتاب الروٌية :
أخرجه عن معاذ برقم ٢٢٨ - ٢٣١ ،
وعن عبد الرحمن بن عائش برقم ٢٣٣ ، ٢٣٥ - ٢٤٠ ،
وعن ابن عباس برقم ٢٤١ - ٢٤٣ ،
وعن أبي أمامة الباهلي برقم ٢٤٨ - ٢٤٩ ، ٢٦٤ - ٢٦٧ ،
وعن أبى هريرة برقم ٢٥٧ ٠

=

لقوله (خلق آدم على صورته) [1] ، وأمثال ذلك ، وليس المراد به صورة الذات؛ اذ الذات لا صورة لها الا من حيث التجلي بالمثال ، كما تجلى جبريل فى صورة دحية الكلبي ، وفي غيره من الصور ، حتى رئى مرارا كثيرة ، ومارئى جبريل في صورته الحقيقية الا مرتين ، وتمثل جبريل فى صورة دحية الكلبى ليس بمعنى: أن صورة ذات جبريل انقلبت الى صورة دحية الكلبي ، بل بمعنى : أنه ظهر بتلك الصورة للنبي عليه الصلاة والسلام مثالا مؤديا عن جبريل عليه السلام ما أوحى اليه. وكذلك قوله تعالى ﴿ فتمثل لها بشرا سويا ﴾ [2] ، واذا لم تكن تلك الاستحالة في الملك انقلابا ، بل يبقى جبريل عليه السلام على حقيقته ووصفه ، وان ظهر للنبي عليه الصلاة والسلام فى صورة دحية الكلبي " [3] .....

فاذا حصل " الاتفاق على حظر المعنى من أن ذات الله غير مرئية ، وأن المرئي مثال ، فظن من ظن استحالة المثال فى حق الله سبحانه وتعالى خطأ ، بل يضرب الله سبحانه وتعالى لصفاته الأمثال ، فينزه من المِثْل ، لا عن المِثَال، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب " [4] .

= وفي بعض طرق هذا الحديث التصريح بأن هذه الرؤية كانت منامية (أنظر أيضا : كتاب الرؤية للدارقطني : حديث رقم ٢٣٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧، ٢٥١، وأقاويل الثقات للكرمي ص ١٦٧) .

(١) أخرجه البخارى (٣/١١) في كتاب (٧٩) الاستئذان ، باب (١) بدء السلام رقم / ٦٢٢٧ .

ومسلم (٢٠١٧/٤) في كتاب (٤٥) البر والصلة ، باب (٣٢) النهى عن ضرب الوجه ، برقم / ٢٦١٢ .

وأحمد ٢٤٤/٢ ، ٢٥١ ، ٣١٥ ، ٣٢٣ ، ٤٣٤ ، ٤٦٣ ، ٥١٩ .

(٢) مريم / ١٧ .

(٣،٤) ابن كمال باشا : رسالة فى رؤية الله تعالى فى المنام ص ٨ .

تعقيب

أ - رؤية الله تعالى فى الآخرة

لاريب أن ماذهب اليه العلامة ابن كمال باشا الىالقول باثبات رؤية المؤمنين لربهم بأبصارهم يوم القيامة هو الرأى الذى لايجوز العدول عنه، لصراحة أدلته من الكتاب والسنة وإجماع سلف هذه الأمة عليه .

وأما الأدلة من الكتاب على ذلك فقد ذكرها ابن كمال باشا ، بيد أنه لم نجد عنده تفسير الآية الكريمة التي تدل على وقوع الرؤية فى الآخرة ، مع أنه أشار اليها ، واستدل بها على الرؤية فى رسائله ، وذلك لأن تفسيره غير كامل لم يصل الى السورة التى فيها هذه الآية الكريمة ، وهى قوله تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ﴾ (١) ، ونذكر هنا وجه الاستدلال بالآية،لأنها من أظهر الأدلة على الرؤية .

ومعنى (ناظرة) : أى رائية رؤية بصرية يوم القيامة كما قال أهل السنة والجماعة .

قال الامام ابن أبي العز : " إضافة النظر الى الوجه ، الذى هو محله،في هذه الآية ، وتعديته بأداة " الى " الصريحة فى نظر العين ، وإخلاء الكلام من قرينة تدل على خلافه ، حقيقة موضوعة صريحة في أن الله أراد بذلك نظر العين التى فى الوجه الى الرب جل وعلا " (٢) .

وقال الباقلاني :" لأن النظر في كلام العرب يحتمل وجوها ، منها: نظر الانتظار ،ومنها : الفكر والاعتبار ، ومنها : الرحمة والتعطف ، ومنها:

---

(١) القيامة ٢٢ - ٢٣ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٢٠٥ .

الادراك بالأبصار ، واذا قرن النظر بذكر الوجه ، وعدى بحرف الجر ، ولم يضف الوجه الى قبيلة أو عشيرة ، كان الوجه الجارحة التى توصف بالنضارة التى تختص بالوجه الذى فيه العينان ، فمعناه : روّية الأبصار "[١] خلافا للمحرفين للنصوص الصريحة عن مواضعها ......

أما الأحاديث الدالة على روّية الله تعالى ولقائه فقد نص العلماء على أنها متواترة[٢] ، وقد عد الامام ابن القيم قرابة ثلاثين صحابيا ممن رووها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر أحاديثهم[٣] .

ومن هذه الأحاديث ما رواه البخارى بسنده عن جرير بن عبدالله قال : قال النبي صلى الله عليو وسلم : " إنكم سترون ربكم عيانا "[٤] .

ومنها : ما أخرجه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه أن ناسا قالوا : يارسول الله ! هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل تضارون فى روّية القمر ليلة البدر ، قالوا : لا يارسول الله . قال : هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يارسول الله ، قال : فانكم ترونه كذلك "[٥] .

---

(١) تمهيد الأوائل ٣١١ ، انظر كذلك : البيهقي : الاعتقاد ٧٤ – ٧٥ .

(٢) انظر : البيهقي : الاعتقاد والهداية ٨٢ ، ابن القيم : حادى الارواح ٢٣٣ ، ابن ابى العز : شرح العقيدة الطحاوية ٢٠٩ ، ابن قطلوبغا : شرح المسايرة ٣٨ .

(٣) انظر حادى الأرواح ٢٣١ – ٢٣٤ ، وكذلك ابن قطلوبغا في شرح المسايرة ٣٧-٤١ .

(٤) البخارى (٤١٩/١٣) في كتاب (٩٧) التوحيد ، باب (٢٤) قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) . حديث رقم ٧٤٣٥ .

(٥) البخارى (٤١٩/١٣) في كتاب (٩٧) التوحيد ، باب (٢٤) قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) ، رقم ٧٤٣٧ .

ومسلم (١٦٣/١) في كتاب (١) الايمان ، باب (٨١) معرفة طريق الروّية ،رقم ١٨٢ .

الى غير ذلك من الأحاديث الكثيرة المتواترة فى هذا الباب ، وقد أفردها العلماء بالتصنيف ، منهم الامام البيهقي ، والدارقطني ، وغيرهما .

قال الامام عثمان بن سعيد الدارمى رحمه الله تعالى بعد أن ذكر الأحاديث الدالة على إثبات الروّية :

" فهذه الأحاديث كلها وأكثر منها رويت فى الروّية على تصديقها ، والايمان بها ، أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا ، ولم يزل المسلمون قديما وحديثا يروونها ، ويوّمنون بها ، لايستنكرونها ، ولاينكرونها ، ومن أنكرها من أهل الزيغ نسبوه الى الضلال ، بل كان من أكبر رجائهم ، وأجذل ثواب الله في أنفسهم النظر الى وجه خالقهم ، حتى ما يعدلون به شيئا من نعيم الجنة " .(١)

وقال أيضا : " قد صحت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن بعده من أهل العلم ، وكتاب الله الناطق به ، فاذا اجتمع الكتاب وقول الرسول وإجماع الأمة لم يبق لمتأول عندها تأول الا لمكابر أو جاحد " .(٢)

وأما الاجماع ذكره كثير من علماء السلف والخلف .

قال التفتازاني :" أما الاجماع فاتفاق الأمة قبل حدوث المخالف على وقوع الروّية ، وكون الآيات والأحاديث الواردة فيها على ظواهرها ، حتى روى حديث الروّية أحدٌ وعشرون رجلا من كبار الصحابة "(٣) ، "ومثل هذا الاجماع مفيد لليقين"(٤) .

---

(١) الرد على الجهمية (ضمن عقائد السلف) ص ٣٠٥ .

(٢) الرد على الجهمية ص ٣٠٦ .

(٣) شرح المقاصد ١٩٣/٤ . أنظر أيضا : شرح العقائد له ص ١٠٧ ، الصابوني : البداية ٤٠ ـ ٤١ ، الجرجاني : شرح المواقف / ٥١١ ، ابن قطلوبغا : شرح المسايرة / ٣٨ ، ابن أبى شريف : المسامرة ٣٧ ، السفاريني : لوامع الانوار ٢ / ٢٤٠ .

(٤) الجرجاني : شرح المواقف / ٥١١ .

وأما الدليل العقلي الذى استدل به ابن كمال باشا على جواز الرؤية ، أعنى به دليل الوجود فقد وجه علي أصحابه اعتراضات عقلية قوية ، مماجعله أنه لا يقوى أن يُعتَمد عليه كل الاعتماد في الدلالة العقلية ، ولذلك نرى الامام الرازى يقول - بعد أن أورد عليه اثنا عشر سؤالا -:

" انا نقول : اعلم أن الدليل العقلي المعول عليه فى هذه المسألة هذا الذى أوردناه ، وأوردنا عليه هذه الاسئلة ، واعترفنا بالعجز عن الجواب عنها .

اذا عرفت هذا فنقول : مذهبنا في هذه المسألة ما اختاره الشيخ أبومنصور الماتريدى السمرقندى ، وهو أنا لانثبت صحة روية الله تعالى بالدليل العقلي، بل نتمسك فى هذه المسألة بظواهر القرآن والأحاديث . فان أراد الخصم تعليل هذه الدلائل ، وصرفها عن ظواهرها بوجوه عقلية ، يتمسك بها في نفى الروية ، اعترضنا على دلائلهم ، وبينا ضعفها ، ومنعناهم عن تأويل هذه الظواهر " (١) .

ولأجل هذا سلك شيخ الاسلام ابن تيمية فى تقرير هذا الدليل طريقا آخر، فلم يجعل المصحح للروية الوجود المجرد حيث لزم عليها لوازم فاسدة ، فلا تصلح أن تكون مصححا للروية ، وانما جعل المصحح لها أمورا وجودية ،لأن كل موجود تصح رويته ، قال رحمه الله : " أن الأدلة العقلية بينت جواز الروية وامكانها (٢) ، وليست العمدة على دليل الأشعرى ، ومن وافقه في الاستدلال ، لأن المصحح للروية مطلق الوجود ، بل ذكرتُ أدلة عقلية دائرة بين النفي والاثبات لاحيلة لنفاة الروية فيها " (٣) .

---

(١) الرازى : الأربعين ١ / ٢٧٧ .

(٢) وهو دليل الوجود الذى ذكره أيضا ابن كمال باشا ، كما سبق بيانه .

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٢٥٢/١ .

وقال أيضا : " من الأشياء مايرى ومنها ما لايرى ، والفارق بينهما لايجوز أن يكون أمورا عدمية ، لأن الرؤية أمر وجودى - والمرئي لايكون الاموجودا ، فليست عدمية - لا تتعلق بالمعدوم ، ولا يكون الشرط فيه الا أمرا وجوديا ، - لايكون عدميا ، وكل ما لا يشترط فيه الا الوجود دون العدم كان بالوجود الأكمل أولى منه بالأنقص - ، فكل ما كان وجوده أكمل كان أحق بأن يرى ، وكل مالم يمكن أن يرى فهو أضعف وجودا مما يمكن أن يرى ، فالأجسام الغليظة أحق بالرؤية من الهواء ، والضياء أحق بالرؤية من الظلام ، لأن النور أولى بالوجود ، والظلمة أولى بالعدم ، والموجود الواجب الوجود أكمل الموجودات وجودا ، وأبعد الأشياء عن العدم ، فهو أحق بأن يرى ، وانما لم نره لعجز أبصارنا عن رؤيته ، لا لأجل امتناع رؤيته ...... ، فاذا كان في الدار الآخرة أكمل الله تعالى الآدميين ، وقواهم حتى أطاقوا رؤيته ... " (١) .

فالأدلة العقلية اذاً تدل على إمكان الرؤية ووقوعها ، لأن " الرؤية أمر وجودى لا يتعلق الا بموجود ، وما كان أكمل وجودا كان أحق أن يرى ، فالبارى سبحانه أحق أن يرى من كل ماسواه ، لأن وجوده أكمل من كل موجود سواه " (٢) .

ب - رؤية الله تعالى في المنام

ان الرأى الذى ذهب اليه ابن كمال باشا من جواز رؤية الله تعالى في المنام - بعد بيان الاختلاف فى الموضوع - هو رأى جمهور السلف (٣) ، بل

---

(١) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ٢ / ٣٣١ - ٣٣٣ ، انظر كذلك مجموع الفتاوى له ٦/١٣٦ ، د. الحمد : رؤية الله تعالى ١٢٢ - ١٢٤ .

(٢) الموصلي : مختصر الصواعق المرسلة ١ /٢٨٠ .

(٣) انظر: التفتازاني : شرح المقاصد ٤ / ٢١٠ ، الصابوني : البداية ٤٣ .

نقلوا فيه : اتفاق الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - والتابعين من بعدهم على جوازها ووقوعها (١) .

واستدلوا عليه " بما روى الترمذى ، وأحمد بن حنبل ، والدارمي ، والطبراني - رحمهم الله تعالى - عن ابن عباس ، ومعاذ بن جبل ، وعبد الرحمن ابن عائش - رضى الله تعالى عنهم - عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: " رأيت ربي في منامي في أحسن صورة ، فقال : يامحمد! هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى" (٢) ، الحديث " (٣) .

وورد عن ابن عباس وغيره بلفظ : " أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أتاني ربي الليلة فى أحسن صورة .... " (٤) .

وفي هذا الحديث دليل على رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم لربه في المنام ...

وأما لغير النبي صلى الله عليه وسلم فهو جائز أيضا كما بين ذلك ابن كمال باشا .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " وقد يرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه ، فاذا كان إيمانه صحيحا لم يره الا في صورة حسنة ، واذا كان في إيمانه نقص رأى مايشبه إيمانه ، ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة فى اليقظة ، ولها تعبير وتأويل لما فيها من الأمثال

---

(١) الحمد: رؤية الله تعالى ص ١٧٥ نقلا عن " سراج الطالبين على منهاج العابدين" لاحسان محمد دحلان ١ / ١٣٣ .

(٢) وقد سبق تخريج الحديث . انظر كذلك: ابن خزيمة :كتاب التوحيد ٢١٧- ٢١٨ .

(٣) البياضي : إشارات المرام من عبارات الامام / ٢١٠ .

(٤) أخرجه الترمذى (٥/٣٦٦) في كتاب (٤٨) التفسير، باب (٣٩) ومن سورة (ص) ، رقم/٣٢٣٣ .

وابن خزيمة في كتاب التوحيد ٢١٧-٢١٨، والدارقطني في الرؤية برقم / ٢٤٤ .

المضروبة للحقائق " .(١)

وقال أيضا : " .. لكن لابد من أن تكون الصورة التى رآه فيها مناسبة ومشابهة لاعتقاده فى ربه ، فان كان إيمانه واعتقاده مطابقا أتى من الصور، وسمع من الكلام مايناسب ذلك ، والا كان بالعكس . قال بعض المشايخ : اذا رأى العبد ربه فى صورة كانت تلك الصورة حجابا بينه وبين الله (٢)، ومازال الصالحون وغيرهم يرون ربهم فى المنام ويخاطبهم ، وما أظن عاقلا ينكر ذلك ، فان وجود هذا مما لايمكن دفعه ، اذ الروّيا تقع للانسان بغير اختياره ، وهذه مسألة معروفة ، وقد ذكرها العلماء من أصحابنا وغيرهم فى أصول الدين ، وحكوا عن طائفة من المعتزلة وغيرهم انكار روّية الله ، والنقل بذلك متواتر عمن رأى ربه في المنام (٣)، ولكن لعلهم قالوا :

لايجوز أن يعتقد أنه رأى ربه في المنام ، فيكونون قد جعلوا مثل هذا من أضغاث الأحلام ، ويكونون من فرط سلبهم ونفيهم نفوا أن تكون روّية الله في المنام صحيحة ، كسائر مايرى في المنام ، فهذا مما يقوله المتجهمة ، وهو باطل ، مخالف لما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، بل ولما اتفق عليه عقلاء بنى آدم ، وليس فى روّية الله في المنام نقص ، ولا عيب يتعلق به سبحانه وتعالى ، وإنما ذلك بحسب الرائي ، وصحة إيمانه ، وفساده ، واستقامة حاله

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٩٠/٣ . أنظر كذلك : الرازى : أساس التقديس ص ١١٩ ، القارى : شرح الفقه الأكبر ١٨٦ - ١٨٧ .

(٢) قال الآلوسي في روح المعاني (٥٢/٩) : " ونقل المناوى أن الكمال بن الهمام سئل عما رواه الدارقطني وغيره عن أنس من قوله صلى الله عليه وسلم :" رأيت ربي فى أحسن صورة " بناء على حمل الروّية على الروّية في اليقظة فأجاب بأن هذا حجاب الصورة " ا هـ .

(٣) انظر : النسفي : الاعتماد ق ٣٤ ب ، القارى : شرح الفقه الاكبر ١٢١-١٢٢ ، ١٨٦ - ١٨٧ ، ابن الجوزى : مناقب الامام أحمد بن حنبل ص ٤٣٤ .

وانحرافه . وقول من يقول : ماخطر بالبال ، أو دار في الخيال ، فالله بخلافه، ونحو ذلك اذا حمل على مثل هذا كان محملا صحيحا ، فلا نعتقد أن تخيل للانسان فى منامه أو يقظته من الصور ، أن الله فى نفسه مثل ذلك " (١) .

وقال أبوالقاسم القشيرى ماحاصله : " ان رؤياه – تعالى – على غيرصفته لاتستلزم الا أن يكون هو ، فانه لو رأى الله على وصف يتعالى عنه ، وهو يعتقد أنه منزه عن ذلك لا يقدح في رؤيته ، بل يكون ذلك الرؤيا ضرب من التأويل " (٢) .

وقال ابن حجر : " جوز أهل التعبير رؤية البارى عز وجل فى المنام مطلقا ، ولم يجروا فيها الخلاف فى رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم ... فلما كان الوقوف على حقيقة ذاته ممتنعا ، وجميع من يعبر به يجوز عليهم الصدق والكذب كانت رؤياه تحتاج الى تعبير دائما " (٣) .

وقال القاضي عياض : " انه لانزاع فى وقوعها وصحتها ، فان الشيطان لايتمثل به تعالى كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام " .

وتعقبه بعضهم قائلا : " ان الشيطان يتمثل به تعالى دون النبي، والفرق أن النبي بشر ، فيلزم من التمثل به اللبس ، بخلاف المولى ، فأمره معلوم " (٤) .

وقال الامام البغوى :" رؤية الله تعالى فى المنام جائزة . قال معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم :" إنى نعست فرأيت ربى " ، وتكون رؤيته جلت قدرته ظهور العدل والفرج والخصب ... " (٥) .

مما ذكرنا من النصوص يظهر لنا أن رأى ابن كمال باشا في رؤية الله تعالى في المنام موافق " لما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها" . والله أعلم بالصواب .....

---

(١) ابن تيمية : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ٧٣/١ – ٧٤ .

(٢) ابن حجر : فتح البارى ٣٨٨/١٢ .

(٣) ابن حجر : فتح البارى ١٢ / ٣٨٧ .

(٤) البيجورى : تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ١١٨ .

(٥) البغوى : شرح السنة ١٢ / ٢٢٧ .

الباب الثالث

النبوات

تمهيد :

الفصل الأول : النبوة والرسالة .

الفصل الثاني : إمكان البعثة وحكمها .

الفصل الثالث : معجزات الأنبياء والرسل .



ــ تمهيـــــــــــــد ــ

إن أهميـة البحـث فـى هذا البـاب تأتى مـن جهـة أن الإيمـــــان بالأنبياء والرسـل ركن مـن أركان الإيمان ، ولا إيمان لمـن أنكر ركنا منـــــها ، والإنكار ببعضها إنكار بجميعهـا ، وكذلك الإنكار والتكذيب ببعـض الرسل ، بـل بواحد منهم يستلزم إنكار جميعهم .

ولـذا نـرى العلامـة ابن كمـال باشا يقول فى تفسير قوله تعالى (إن الذين يكفرون باللـه ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسلـه ، ويقولون نؤ من ببعـــض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هـم الكافرون حقا) (١):

" قوله (باللـه) توطئة لرسلـه ، بدليل قولـه (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسلـه) بالإيمان باللـه والكفر بالرسل ، والمراد بالتوطئة : بيان أن الكفر بالرسل كفر باللـه ، فالتفريق خطأ ظاهر ، اذ لا واسطة بين الكفر والإيمان ، (ويقولـون نؤ من ببعض ونكفر ببعض) نؤ من ببعض الأنبياء ، ونكفر ببعضهم ، (ويريـدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) طريقا وسطا بين الإيمان والكفر ، أوما فـى أول الآية أن الكفر بالبعـض كفر بالكـل ، وصرح بـه فـى آخرها بقولـه (أولئك هــــم الكافـرون) علـى سبيل الحصر بتوسيـط الضمـير ، وتعريف ما بعـده ، أى الكاملـون فـى الكفر ، وبالتأكيـد بالمصدر ، فإن قولـه (حقا) مصدر مؤكـد لغيره ، أو صفـة لمصدر الكافريـن هـم الذين كفـروا كفـرا حقـا ، أى بينا محققا " (٢).

هـذا مـن ناحية ومـن ناحية أخرى فان النبوات هـى الوسيلة الى معرفة مايجب اعتقاده فـى الذات الإلهية ، وفـى صفاتها وأفعالهـا ، فـيمكـن بواسطتـــها التعـرف علـى أحوال الآخرة مـن الحياة البرزخيـة وما بعدها مـن بعث وحشـر

---

(١) النســـاء ١٥٠ ــ ١٥١ .

(٢) ابـن كمـال باشـا : تفسـيره ٣٣٧/١ ــ ٣٣٨ (الحـرم المكـى) .

ونشر ، وعرض وحساب ، وميزان وصراط ، وجنة ونار الى غير ذلك من الأمور التى لا تعلم الا من قبل الأنبياء والرسل عليهم السلام . (١)

هذا ، وسأتناول فى هذا الباب ، المسائل التالية :

أولا : النبوة والرسالة ، معناهما ، والإيمان بالأنبياء والرسل ، وصفاتهم ، وهو الفصل الأول .

ثانيا : إمكان بعثة الرسل ، وهو الفصل الثانى .

ثالثا : معجزات الرسل ، وهو الفصل الثالث .

---

(١) انظر : الكمال بن أبى شريف : المسامرة ١٨٩ ، ٢١٢ .

الفصل الأول

النبوة و الرسالة

أ ـ النبي والرسول لغة .

ب ـ النبي والرسول اصطلاحا .

ج ـ الايمان بالأنبياء والرسل .

د ـ طبيعة الرسل وصفاتهم .

أ ـ النبى والرسول لغة :

لفظ النبى : مأخوذ من النبأ ، وهو الخبر ، ومنه : الإنباء ، أى الإخبار ، قال تعالى (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) (١) ، وقال تعالى (فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا ، قال نبأنى العليم الخبير) (٢) .

فاذا أخبر أمته بما أوحى الله اليه فهو فعيل بمعنى فاعل ، أى المنبىء ، الذى أنبأ الناس عن الله تعالى وصفاته ، والى هذا مال العلامة ابن كمال باشا فى تفسيره . (٣) .

وان كان المراد أن الله يخبره بما يوحى اليه فهو فعيل بمعنى مفعول ، أى المنبأ ، الذى أنبأه الله بوحيه وأسرار غيبه ، والى ذلك مال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله . (٤) .

وقيل : هو مأخوذ من النَّبْءِ ـ بالهمزة وسكون الباء ـ ، أو النَّبْوَة ، أو النَّبَاوة ، وكلها بمعنى واحد ، وهو ما ارتفع من الأرض وعلا ، فالنبى : مرتفع المنزلة والرتبة على غيره ، أو مرفوعها .

وقيل : النَّبِيءُ ـ بالهمز ـ الطريق ، فالنبى طريق ووسيلة الى الله عز وجل . (٥) .

---

(١) ابراهيم / ٩ .
(٢) التحريم / ٣ .
(٣) ٢٥٨ ب .
(٤) النبوات/ ١٧٧ .
(٥) انظر : البزدوى : أصول الدين / ٢٢٢ ، التفتازانى : شرح المقاصد ٥ / ٥ ، الجرجانى : شرح المواقف / ٥٤٥ ، الكمال بن أبى شريف: المسامرة ١٩٨ ، ابن قطلوبغا : شرح المسايرة/ ١٨٧ .

وتتحقق هذه المعاني اللغوية في النبي ، لأنه المنبأ عن الله عز وجل ، وهو عالي المنزلة ، رفيع الشأن ، وطريق الى الله عز وجل (١) .

الرسول لغة :

الرسول ، المرسَل ، فهو فعول بمعنى مفعول . يقال : أرسله فهو مرسَل ورسول . ويكون بمعنى الرسالة . قال تعالى (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين) (٢) ، وقال تعالى (فأتياه فقولا انا رسولا ربك) (٣) . جاء في الآية الأولى (إنا رسول) وفي الثانية (إنا رسولا) ، لأن فعولا وفعيلا يستوى فيهما المذكر والمؤنث ، والواحد والجمع ، ويجوز التثنية والجمع ، فيجمع على " رسل " بضمتين (٤) .

والرسالة : سفارة بين مرسِل ومرسَل اليه ، ومن هنا فلفظ الرسول عام يتناول كل من أرسل بأية رسالة . (٥) .

ورسل الله تارة يراد بها الملائكة ، وتارة يراد بها الأنبياء . فمن الملائكة " إنه لقول رسول كريم " (٦) ، ومن الأنبياء " إنا رسول رب العالمين " (٧) .

---

(١) متممات التعريفات للسيد الشريف ص ١٧٥ .

(٢) الشعراء / ١٦ .

(٣) طه / ٤٧ .

(٤) الفيروزآبادي : القاموس ٣ / ٣٩٥ ؛ الفيومي : المصباح المنير ٢٢٦ .

(٥) انظر : مذكرات شيخنا كمال هاشم نجا في العقيدة ، وتفسير ابن كمال باشا ٢٥٨ ب ، و ١ / ٨٩ (الحرم المكي) .

(٦) التكوير / ١٩ .

(٧) الشعراء / ١٦ .

ب ـ النبى والرسول اصطلاحا :

اختلف علماء العقيدة فى تحديد معنى النبى والرسول اصطلاحا ، هل هما بمعنى واحد ، فيكون النبى هو الرسول ، والرسول هو النبى[١] ، أم أنهما مختلفان ، لكل منهما معنى غير معنى الآخر[٢].

فاذا كان النبى والرسول يتغايران فى المعنى فما الفرق بينهما ؟

أولا : لقد عرف العلامة ابن كمال باشا فى رسالته المنيرة كلا من الرسول والنبى فقال :

" الرسول : من له الوحى والكتاب .

والنبى : من له الوحى والإلهام والرؤيا الصادقة ، وليس له الكتاب " .

ثم عرف الوحى والإلهام والرؤيا الصادقة فقال :

" الوحى : هو أن يأتى علم للشئ من الله تعالى الى رسوله بواسطة جبريل عليه السلام بالمعاينة .

والإلهام : هو أن يلقى علم للشئ من الله تعالى الى قلب رسوله فى حال يقظته بغير واسطة جبرائيل عليه السلام .

والرؤيا الصادقة : هو أن يلقى علم للشئ من الله تعالى (الى نبيه) فى حال نومه بالدليل على صدقه من الله تعالى "[٣] .

وكلامه فى تفسير قوله تعالى (واذكر فى الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا)[٤] فى بعثة اسماعيل عليه السلام بشرع أبيه الى جرهم يشعر تأييد ماذهب اليه فى المنيرة ، حيث يقول فى تفسير الآية : " بعث بشرع أبيه الى قوم دون قوم أبيه ، وهم جرهم ، فكان صاحب شريعة بالنظر اليهم ، لاختصاص شرع أبيه بحسب دعوته لقومه "[٥] .

---

(١) وهو رأى المعتزلة وسعد الدين التفتازانى . أنظر : شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ٥٦٧ ـ ٥٦٨ ، وشرح المقاصد للسعد ٥/٥ .

(٢) وهو رأى جمهور أهل السنة والجماعة .

(٣) المنيرة ص ٧ . (٤) مريم/٥٤ .

(٥) تفسير ابن كمال باشا ٤٤٦ ب .

وكأن الرسول لابد له من شريعة سواء أكانت متجددة أم لا ، بأن يكون مبعوثا لتقرير شرع سابق مثل إسماعيل عليه السلام ، اذ كان رسولا نبيا ، وعلى هذا فمدار الفرق بين الرسول والنبى عند ابن كمال باشا الى الكتاب كما صرح به فى المنيرة ، والى الشريعة كما لوح به فى تفسيره.

ثانيا : بينما كلامه فى أماكن عديدة من تفسيره ينافى ما ذكره - والذى نقلناه آنفا - فى المنيرة ، حيث يذكر أن مدار الفرق بين الرسول والنبى يرجع الى التبليغ ، لا الى الكتاب ، ولا الى الشريعة المجددة . فقال فى تفسير قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى ...) (١) :

" وصفه بالرسالة باعتبار تبليغ الأحكام من الله تعالى ، وقدمه لأنه الأعم ، حيث يوصف به الملك ، ثم بالنبوة باعتبار إنبائه عن الله تعالى ، وصفاته وإخباره عن الغيوب وأحوال الآخرة ، وفيها جهة عموم اذا اعتبر الرسالة فى بنى آدم ، فلو اعتبر بهذه الجهة يكون تقديم الرسالة فبالنظر الى أنه أرسله الله الى الخلق ، فأنبأهم عنه تعالى .. " (٢)

وكذلك اعتراضه على القاضى البيضاوى فى اشتراطه الشريعة المجددة للرسول فى تفسير قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ...) (٣)

يؤكد ذلك ، حيث قال العلامة ابن كمال باشا فيه : " قد سبق تفسيرهما وبيان الفرق بينهما بعموم الثانى ، وخصوص الأول (٤) . ومن شرط فى الرسول شريعة مجددة (٥) ، فكأنه نسى ما زعمه من الدلالة فى قوله تعالى (وكان رسولا نبيا) (٦) على أن الرسول لايلزم أن يكون صاحب شريعة " (٧) ..

---

(١) الأعراف /١٥٧ .

(٢) ابن كمال باشا . تفسيره ٢٥٨ ب (دار الكتب) ، وكذلك انظر : ٤٤٦ ب .

(٣) الحج /٥٢ . (٤) انظر : تفسيره ٢٥٨ ب .

(٥) وهو القاضى البيضاوى فى تفسيره ٤ /٧٥ .

(٦) مريم ٥١ ، ٥٤ . انظر كلام البيضاوى فى تفسيره ٤ /١٠ .

(٧) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٨٤ ب .

اللهم الا أن نقول إن ابن كمال باشا يشترط فى الرسول التبليغ الى جانب الكتاب والشريعة ـ سواء أكانت خاصة به ، أو بمن قبله من الرسل كما فى إسماعيل عليه السلام ـ ، ففى هذه الحالة لايكون التنافى بين كلامه فى رسالة المنيرة وبين ما ورد فى تفسيره ، والله أعلم ..

ـ تحليـــــل ونقـــــد ـ

أقول : كلام العلامة ابن كمال باشا في معنى النبي والرسول الذي ذكرناه أولا من رسالته المنيرة مقتضاه أن عدد الكتب المنزلة لايمكن أن يكون أقل من عدد الرسل ، بل لابد وأن يكون مساويا لعدد الرسل ، مع العلم أن عدد الكتب أقل من عددهم ، فالكتب مائة كتاب وأربعة كتب ، والرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر .. ولذلك اعترض عليه التفتازاني وغيره بما ورد في الحديث من زيادة عدد الرسل على عدد الكتب المنزلة .(١)

أخرج ابن حبان في صحيحه (٢) عن أبي ذر رضي الله عنه حديثا مطولا ، وفيه :

" قلت : يارسول الله ، كم الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وعشرون ألفا . قلت : يارسول الله ، كم الرسل من ذلك ؟ قال : ثلثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا ..." .

---

(١) شرح المقاصد ٥/٦ ؛ البياضي : إشارات المرام ص ٣٣٣ ؛ الجزيري : توضيح العقائد ص ١٣٩ .

(٢) موارد الظمآن ٥٢ ـ ٥٤ ، ٥٠٨ . وأخرجه أيضا أبو نعيم في الحلية ١/١٦٧ ـ ١٦٨ ؛ والحاكم في المستدرك ٢/٥٩٧ . قال ابن حبان : " فيه ابراهيم بن هشام بن يحى الغساني . قال أبو حاتم وغيره : كذاب " .
وأخرجه كذلك الامام أحمد عن أبي أمامة في المسند ٥/٢٦٥ ـ ٢٦٦ وفيه : عدد الرسل ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا .
وكذلك الطبراني في الأوسط ـ مختصرا ـ ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ١/٢٠١ ؛ المسامرة شرح المسايرة للكمال بن أبي شريف ص ١٩٤) .
والحاكم في المستدرك ٢/٢٦٢ (مختصرا) وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي . قال العلامة الآلوسي في روح المعاني ١٧/١٧٢ : "وزعم ابن الجوزي أنه موضوع ، وليس كذلك ، نعم ، قيل في سنده ضعف ، جبر بالمتابعة " . وانظر أيضا قول ابن حجر المؤيد لقول الآلوسي في الكافي الشاف ص ١١٤ .

وفيه أيضا "قلت : يارسول الله ، كم كتابا أنزله ؟ قال : مائة كتاب وأربعة كتب ..."

وقال شيخنا العلامة كمال هاشم نجا رحمه الله تعالى : " قد يقال : من اشترط في الرسول الكتاب المنزل لايشترط أن يكون كتابا خاصا به ، بل يشترط أن يكون معه كتاب ، سواء أنزل عليه ، أو على من قبله ، لكن يكون عاملا بالكتاب .

إلا أن في هذا القول ضعفا ، لأنه لايساعده النقل ، بل هو مجرد احتمال ، والاحتمال لايكفي في باب المرويات .

وان قيل . يجوز تكرر نزول الكتاب الواحد ، كما تكرر نزول الفاتحة ، فانها نزلت مرة بمكة ، ومرة بالمدينة ، ومع هذا الجواز يكون مع كل رسول كتاب منزل ، فلا يكون عدد الرسل أزيد - إن قيل هذا - ،

قلنا : هذا مجرد احتمال أيضا ، فلا يكفي ، اذ ليس هناك نقل يؤيده "(١)

وأما ماذكره العلامة ابن الكمال في الفرق بين النبي والرسول ، وقيامه على الأمر بالتبليغ ، فالمأمور بالتبليغ رسول ونبي ، ومن لم يؤمر بالتبليغ مع الإيحاء اليه نبي وليس برسول - والذي نقلناه من تفسيره سابقا - فهو قول الجمهور . ويقول شارح العقيدة الطحاوية(٢) :

" وقد ذكروا فروقا بين النبي والرسول ، وأحسنها : أن ما نبّأه الله بخبر السماء ، إن أمره أن يبلغ غيره ، فهو نبي ورسول ، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره ، فهو نبي وليس برسول ، فالرسول أخص من النبي ، فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا " .

وبهذا القول أيضا قال العلامة القاري(٣) ، والسفاريني(٤) ، والآلوسي(٥) .

---

(١) مذكرات شيخنا كمال هاشم نجا في العقيدة لطلاب الدراسات العليا الشرعية بجامعة أم القرى ، عام ١٤٠٢هـ . انظر كذلك : الجزيري : توضيح العقائد/١٣٩ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص١٦٧ . (٣) شرح الأمالي ص ١٦ .

(٤) لوامع الأنوار ١/٤٩ ، ٢/٢٥٨ . (٥) روح المعاني ١٧/١٧٢ .

وقال ابن أبي شريف (١) ، وعلي القاري (٢) ، والسفاريني (٣) : إنه هو القول المشهور بين العلماء .

ولعل هذا القول هو أسلم الأقوال وأبعدها عن الاعتراضات التي ترد على غيره .

جـ - حكم الايمان بالأنبياء والرسل :

الإيمان بجميع الأنبياء والرسل ركن أساسي من أركان العقيدة الاسلامية كما ذكرت في أول الباب . قال الله تعالى : " آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لانفرق بين أحد من رسله " (٤) . وقال تعالى " قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى ابراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون (٥) " .

وليس في القرآن نص يحدد لنا عدد الأنبياء والمرسلين ، وإنما الذي فيه أن الله عز وجل قد بعث في كل أمة رسولا ونذيرا .

قال تعالى " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطغوت ... " (٦) . وقال تعالى " انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة الا خلا فيها نذير " . (٧)

ولهذا يجب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام ، والإقرار بهم ، والتصديق بنبوتهم تفصيلا فيما جاء به الدليل تفصيلا (٨) ، وإجمالا فيما جاء به الدليل إجمالا .

---

(١) المسامرة شرح المسايرة ١٩٨ . (٢) شرح الفقه الأكبر ص ٩٤ .

(٣) لوامع الأنوار ١/ ٤٩ . (٤) البقرة/ ٢٨٥ . (٥) البقرة / ١٣٦ .

(٦) النحل/ ٣٦ . (٧) فاطر/ ٢٤ .

(٨) ومعنى كون الإيمان واجبا بهم تفصيلا : أنه لو عرض عليه أحد منهم لم ينكر نبوته ولارسالته ، فمن أنكر نبوة واحد منهم أو رسالته ، كفر . لكن العامي لايحكم عليه بالكفر الا إن أنكر بعد تعليمه . (البيجوري : تحفة المريد ٤٣ ـ ٤٤) .

ثم الأولى " ألا نحصرهم على عدد معين (١) ، لئلا يدخل فيهم من ليس منهم ، أو يخرج منهم من هو منهم. وهذا لأنا لو حصرناهم على عدد معين لأخرجنا البعض من كونه نبيا ، اذا كانوا أزيد من ذلك ، أو شهدنا على غير النبي بالنبوة ، اذا كانوا أنقص من ذلك ، وذلك لايجوز" (٢) .

بل " نقول : كل من سمّاه الله تعالى نبيا فاني آمنت به" (٣)

د ــ طبيعة الرسل وصفاتهم :

إن الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم هم صفوة الخلق ونخبة البشر ، اصطفاهم الله عز وجل من بين سائر المخلوقات فضلا منه على أقرانهم (٤) ، وخصهم بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية (٥) ، وصانهم عن كل وصمة ونقيصة (٦) ، وأرسلهم الى الناس قدوة لهم ، آمرين بالمعروف ، وناهين عن المنكر ، ومبشرين المؤمنين بالجنة ، ومنذرين العاصين بالنار . (٧)

ولذلك فهم جامعون لمحاسن الأوصاف ، ومحاسن الأخلاق (٨) ، وموصوفون بأشراف الأوصاف ، لأنهم هم الأشراف ، فان " أوصاف الأشراف أشراف الأوصاف " (٩) .

---

(١) ابن كمال باشا :عقائد مختصرة ٦١ ب؛ رسالة فى تفصيل الإيمان ١٣ أ .

(٢) النسفى : الاعتماد ٤٦ ب ــ ٤٧ أ . انظر كذلك :التفتازانى :شرح المقاصد ٥/٦١ــ٦٢ ؛ وشرح العقائد ١٦٩ ؛ الكمال بن أبى شريف: المسامرة شرح المسايرة للكمال بن الهمام ١٩٣ ؛ وملا على القارى :شرح الأمالى ١٨ ؛ وشرح الفقه الأكبر ٢٠ ، ٨٨ ، ٩٠ ؛ السفارينى :لوامع الأنوار ٢/٢٥٨ ، ٢٦٣ ــ٢٦٤ ؛ الشيخ بخيت: القول المفيد ص ٦٠ .

(٣) ابن كمال باشا : رسالة فى تفصيل الإيمان : ١٣ أ .

(٤) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٤٧ ب ، ٣٥١ ب .

(٥) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٢١٣ (الحرم المكى) .

(٦) ابن كمال باشا : تفسيره ٥٧٦ أ .

(٧) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص ٧ .

(٨) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٧١ ب .

(٩) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٢٨٠ (الحرم المكى) .

وقد فصل ابن كمال باشا الصفات التى يجب توفرها فى الأنبياء والرسل عليهم السلام ، وهى :

١ ـ الذكورة
٢ ـ الصدق
٣ ـ الأمانة
٤ ـ كمال العقل أو الفطانة
٥ ـ التبليغ
٦ ـ العصمة

١ ـ الذكورة :

يرى العلامة ابن كمال باشا كما يرى جمهور علماء أهل السنة والجماعة أن الذكورة شرط من شروط النبوة ، يجب توفرها فى الأنبياء عليهم السلام ، واحتج على ذلك بأدلة :

منها : قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فسئلوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) (١) قال فى تفسيره : " وفى الآية دليل على أنه تعالى لم يرسل ملكا ، ولا امرأة ، ولاصبيا للدعوة العامة ، ولاينافيه نبوة عيسى عليه السلام ، وهو فى المهد ، لأنها أخص من الرسالة ". (٢)

ونقل عن ابن عباس رضى الله عنه قوله فى تفسير الآية : (معناه : نفى استنباء النساء " . (٣)

ومنها : قوله تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض ...) (٤) قال فى تفسيره : " وفيه دليل على أن الرجال إنما يستحقون الولاية عليهن بالفضل ، لا بالتغلب والقهر ، وهو كمال العقل ،

(١) النحل / ٤٣ .
(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٠٠ أ ، وأيضا : رسالة الاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية ص ٥٩ .
(٣) وذلك فى تفسير الآية ١٠٩ من سورة يوسف فى تفسيره ٣٦٥ ب . انظر فى نسبة هذا التفسير الى ابن عباس رضى الله عنه : مختصر تفسير ابن كثير ٢/٢٦٥ـ٢٦٦ .
(٤) النساء / ٣٤ .

وحسن التدبير، وقوة العزم والحزم، ومزيد القدرة على الطاعات، وسائر الأعمال، ولذلك خصوا بالنبوة، والإمامة، والولاية، وإقامة الشعائر، ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها". (١)

وذكر العلامة ابن كمال باشا أن الماتريدية يرون الذكورة شرطا في النبوة حتى لايجوز أن يكون الأنثى نبيا، والأشعرية لايرونها شرطا فيها، بل يرون صحة نبوة النساء. (٢)

ولكن العلامة البياضي يقول: "وخالف في الذكورة بعض المحدثين، وروى عن الأشعري" (٣)، وبذلك تكون عبارته أدق من عبارة ابن كمال، لأن الأشاعرة يرون الذكورة شرطا في النبوة الا بعضهم تبعا للرواية عن شيخهم... (٤)

ويؤيده كلام الامام ابن الهمام وتلميذه ابن قطلوبغا في المسايرة مع شرحها حيث يقولان: "(وخالف بعض أهل الظواهر والحديث في الذكورة، حتى حكموا بنبوة مريم عليها السلام) قال الامام جلال الدين جار الله: اتفق أهل السنة والجماعة (٦) أن الذكورة شرط النبوة، خلافا للأشعري" (٥)

والبعض عن أهل الظواهر والحديث المذكور في كلام ابن الهمام هو ابن حزم الظاهري حيث دافع بشدة عن نبوة النساء ورد على من لايقول بها في "الفصل في الملل والأهواء والنحل" (٧).

٢ ـ الصدق :

يرى العلامة ابن كمال باشا أن الأنبياء عليهم السلام كانوا مشهورين

---

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ٢٩٠/١ (الحرم المكي).

(٢) ابن كمال باشا : رسالة الاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية ص٥٩ انظر أيضا : الصابوني : البداية ص٤٦ ؛ القاري : شرح بدء الأمالي ص٢١ ؛ شيخ زاده : نظم الفرائد ص٥٢.

(٣) إشارات المرام من عبارات الامام ص٣٢٩ .

(٤) السفاريني : لوامع الأنوار ٢٦٦/٢ .

(٥) المسايرة مع شرحها لابن قطلوبغا ١٩٦ ــ ١٩٧ .

(٦) يقصد بهم الأشاعرة والماتريدية.

(٧) ١١٩/٥ ــ ١٢١ ..وانظر في الرد عليه : ابن تيمية :مجموع الفتاوى ٣٩٦/٤ .

بالصدق والأمانة في قومهم(١) ، وكانوا فيما يخبرون الناس من أمر الدين والدنيا صادقين ، وعن الكذب معصومين. (٢)

وقد وصفهم الله في كتابه بالصدق ، مثل قوله تعالى (واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا) (٣) :" ملازما للصدق ، كثير التصديق ، لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته " (٤) ، وقوله تعالى (واذكر في الكتاب اسمعيل إنه كان صادق الوعد) (٥) : " ذكره بذلك لشهرته به ، واتصافه بأشياء من هذا الباب لم تعهد من غيره " (٦) .

وما ثبت لهما يثبت لإخوانهما من الأنبياء عليهم السلام ، ولافرق ...

ونفى عن ابراهيم الخليل عليه السلام الكذب في قوله تعالى (فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم) (٧) قال : " وقوله (إني سقيم) من معاريض الكلام(٨) ، وليس بكذب ؛ اني سقيم القلب لكفركم ، أو مشارف للسقم ، لأن من كان بصدد الموت كان مستعدا للسقم ، فلا يخلو صحيح من ذلك ، فلم يكن كاذبا فيما أظهر من الكلام ، فلم يلحقه به شيء من الملام ... (٩) أو كان في نفسه كبير الأصنام ، فاحتال لإظهار الحق ، وإبطال الباطل(١٠) ، فكان عملا مبرورا وسعيا مشكورا " (١١) .

٣ ـ الأمانة :

سبق أن ذكرنا رأيه في أن الأنبياء عليهم السلام كانوا مشهورين بالصدق

---

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٤٥أ ، ٤٤٦ ب ، ٥٢٢ أ .

(٢) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص٧ ؛ ورسالة في تفصيل الايمان ١٣ أ .

(٣) مريم/٤١ . (٤) ابن كمال باشا : تفسيره/٤٤٥أ . (٥) مريم/٥١ .

(٦) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٤٦ ب . (٧) الصافات ٨٨ ـ ٨٩ .

(٨) وبه قال أيضا ابن الجوزي في زاد المسير٦ /٣٠٠ ، وكذلك ٥ /٢٥٠ ـ ٢٥١ .

(٩) انظر هذا المعنى أيضا عند القاضي عياض في الشفا ٢ /٣٢١ ، والرازي في عصمة الأنبياء /٥٩ .

(١٠) وذلك في قوله تعالى (قال بل فعله كبيرهم هذا) (الأنبياء/٦٣) . قال ابن قتيبة : " هذا من المعاريض ، ومعناه : ان كانوا ينطقون ، فقد فعله كبيرهم " (ابن الجوزي : زاد المسير ٥ /٢٥٠) .

(١١) ابن كمال باشا : تفسيره ٦٠٤ ب .

والأمانة فى قومهم (١).. ثم ان الله تعالى بين على لسان كل من نوح، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب عليهم السلام أنهم قالوا لأقوامهم (انى لكم رسول أمين) (٢).

كما حكى الله تعالى عن عزيز مصر بوصفه يوسف عليه السلام بالأمانة حيث (قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) (٣) : " أى مؤتمن على كل شىء (٤) "

ثم إن الله تعالى أكد أمانته ونفى عنه الخيانة على لسانه (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وان الله لايهدى كيد الخائنين) (٥) : " وفيه تعريض بامرأة العزيز فى خيانتها أمانة زوجها ، وتوكيد لأمانته ، ولذلك عقبه بقوله (وما أبرئ نفسى) (٦) نفيا لتزكية نفسه ، وهضما لها ، واحترازا عن اعجابها بأمانتها وعصمتها ، واقرارا بأن ذلك بتوفيق الله تعالى ورحمته ، وتسديده وعصمته " (٧).

وكان خاتمهم صلى الله عليه وسلم يسميه قومه فى حال صغره " محمد الأمين " (٨)، ولأمانته وصدقه رضى قومه عن تحكيمه عند ما تنازعت القبائل فى وضع " الحجر الأسود " الى موضعه ، فقالوا حينما دخل المسجد : " هذا محمد ، هذا الصادق الأمين ، رضينا به " . (٩)

٤ ـ كمال العقل أو الفطانة :

من الصفات الواجبة للأنبياء والرسل عليهم السلام كمال العقل أو الفطانة ، وهى " سرعة إدراك مايراد تعريضه على السامع " (١٠) ويرى ابن كمال باشا أنه من خصائص النبوة ، وبه خصوا بالنبوة والإمامة ... ونراه يفسر سبب حذف النداء

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٤٥ أ ، ٤٤٦ ب، ٥٢٢ أ.
(٢) الشعراء/١٠٧، ١٢٥، ١٤٣، ١٦٢، ١٧٨ .
(٣) يوسف/٥٤ . (٤) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٥٧ ب .
(٥) يوسف/٥٢ . (٦) يوسف/٥٣ .
(٧) ابن كمال باشا :تفسيره ٣٥٧ ب .
(٨) ابن الأنبارى: الداعى الى الاسلام/٤٦١ .
(٩) ابن الديبع: حدائق الأنوار ١٥٨/١ .
(١٠) ابن كمال باشا : رسالة فى بيان أسماء الله تعالى توقيفية ١٠٧ أ.

فى قوله تعالى حاكيا عن السيد (يوسف أعرض عن هذا ..) (١) هو اتصافه عليه السلام بالفطنة وسرعة الفهم والذكاء ، حيث يقول :

" حذف حرف النداء لقربه ، وكمال فطنته ، وسرعة فهمه للحديث لذكائه " (٢) .

ثم ان الله عز وجل وصفهم بالصلاح ، " وهو الاتيان بما ينبغى ، والتحرز عما لاينبغى " (٣) ، وآتاهم الحكم ـ اى الحكمة ، وهو العلم المؤيد بالعمل ، أو فعل ما ينبغى فعله ـ ، والعلم ـ اى الفقه فى الدين ، والحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه (٤) ـ .

وكل ذلك لأداء مهامهم كما ينبغى ، والدعوة الى سبيل ربهم بالطرق المناسبة لأحوال قومهم ومستواهم ، اذ يقول الله عز وجل مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم (ادع الى سبيل ربك بالحكمة) بالمقالة المحكمة ، وهو الدليل القاطع الموضح للحق ، المزيل للشبهة (والموعظة الحسنة) بالخطابات الاقناعية ، والعبر النافعة على وجه لايخفى عليهم أنك تناصحهم ، وتقصد بها ماينفعهم ... (وجادلهم) وجادل معانديهم (بالتى) بالطريقة التى (هى أحسن) (٥) طرق المجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الأيسر ، والطريق الأشهر ، فان ذلك أشد تسكينا لشغبهم ، وتليينا لعريكتهم " (٦) .

ولسلوك هذه الطرق المناسبة للدعوة ، وإلزام خصومهم المعاندين ، وقطع شغبهم لابد وأن يتحلوا بالذكاء والفطنة حتى يقوموا بواجبهم على أتم وجه وأكمله ...

قال تعالى (ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه

---

(١) يوسف /٢٩ . (٢) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٥٢ ب .

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ١ / ٢٨٠ (الحرم المكى) .

(٤) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٥١أ ، ٤٧٣ ب ، ٥٣٧ ب .

(٥) النحل /١٢٥ . (٦) ابن كمال باشا : تفسيره ٤١٢ أ .

الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذى يحى ويميت) ـ أى يحى الأموات، ويميت الأحياء ـ (قال : أنا أحى وأميت) ـ أى أعفو عن القتل ، وأقتل ، فأعرض ابراهيم عليه السلام عنه ، وان كان يتيسر عليه أن يقول له : ليس هذا بإحياء ، ولا إماتة ، لكن كان هذا عند ملأ من الناس ، وفيهم الضعفة ، فأراد ابراهيم عليه السلام أن يفضحه فضيحة ظاهرة ، لايخفى على أحد ، فجاء بما لايمكنه المعارضة بالتلبيس ... (قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر) اى انقطع فى هذا الإلزام الظاهر متحيرا .. (والله لايهدى القوم الظالمين) (١) .

وكان ابراهيم عليه السلام " رئيس الموحدين ، وقدوة المحققين ، جادل فرق المشركين ، وأبطل مذاهبهم الزائفة بالحجج الدامغة" (٢) ..

وما ثبت لسيدنا محمد وابراهيم صلوات الله وسلامه عليهما من الفطنة والذكاء يثبت لأخوانهما الأنبياء ، لأنهم مثلهما (٣) .

٥ ـ التبليغ :

من الصفات الواجبة للرسل عليهم السلام .. وظيفتهم تبليغ ما أنزل اليهم من ربهم ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وتبشير المؤمنين بالجنة ، وإنذار العاصين بالنار (٤) .

ويقول العلامة ابن كمال باشا فى صدد بيان أوصاف الأنبياء وعلو درجتهم ، والفرق بينهم وبين الأولياء : " ولا يبلغ ولى درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لأن الأنبياء معصومون ، مأمونون عن خوف الخاتمة ، مكرمون بالوحى ومشاهدة الملك ، مأمورون بتبليغ الأحكام ،

---

(١) البقرة/٢٥٨ . ابن كمال باشا : تفسيره ١/١٨٠ (الحرم المكى) .
(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ٤١١ أ .
(٣) الشيخ بخيت : القول المفيد ص ٤٨ .
(٤) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص ٧ .

وإرشاد الأنام ، بعد الاتصاف بكمالات الأولياء ، فما نقل عن بعض الكرامية (١) من جواز كون الولي أفضل من النبي كفر وضلال " (٢) .

٦ ـ العصمة :

إن الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم معصومون عن الذنوب ، صادقون فيما يخبرون الناس من أمر الدين والدنيا ، عالمون بما أنزل إليهم من ربهم ... (٣)

ويقول العلامة ابن كمال في تفصيل المذاهب والآراء في عصمة الأنبياء في رسالته " عقائد مختصره " ما معربه :

" فالأنبياء عليهم السلام معصومون عن الكفر بالإجماع (٤)

وأما بعد الوحي فهم معصومون عن تعمد الكبيرة عند جمهور العلماء ، خلافا للمشبهة (٥) ، وجوزوا صدور الكبيرة منهم على سبيل السهو .

وأما عند المعتزلة : فلا يجوز صدور الصغيرة منهم عمدا .

---

(١) انظر أيضا : البغدادي : أصول الدين ص ١٦٧ ؛ وانظر نقد ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٤ /٣١٨ .

(٢) ابن كمال : رسالة المنيرة ص ١١ . نقل ابن كمال هذا الكلام عن شرح العقائد ص ١٨٨ للعلامة التفتازاني ، وارتضاه . ونقله أيضا العلامة ملا على القاري في شرح الفقه الأكبر ص ١٨٢ .

(٣) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص ٧ ؛ ورسالة في تفصيل الإيمان ق /١٣ أ .

(٤) وقد ذكر هذا الاجماع كثيرون ، منهم : شارحا المسايرة ابن قطلوبغا ، والكمال ابن أبي شريف في شرح المسايرة ص ١٩٥ ؛ والتفتازاني في شرح العقائد ص ١٧٠ ، وشرح المقاصد ٥ /٤٩ ؛ والسيد الشريف في شرح المواقف ص ٥٦٧ ؛ والقاضي عياض في الشفا ٢ /٣٢٨ ، ٣٩٣ .

(٥) وهم الكرامية . قال الامام ابن حزم في الفصل (٤ /٥) : " فذهبت طائفة الى أن رسل الله صلى الله عليهم وسلم يعصون الله عز وجل في جميع الكبائر والصغائر عمدا ، حاشا الكذب في التبليغ فقط ، وهذا قول الكرامية من المرجئة " .
انظر أيضا : الأشعري : مقالات الاسلاميين ص ١٥١ ، والبغدادي : أصول الدين ص ١٦٨ .

وأما عند الشيعة (١) : فلا يجوز صدور أى ذنب منهم ، ولكنهم يجوزون عليهم إظهار كلمة الكفر خوفا من العدو على سبيل التقية " (٢).

ونراه يدافع عن عقيدة أهل السنة والجماعة فى العصمة ، وذلك فى تفسير الآيات التى قد يفهم منها صدور أفعال مخلة بالعصمة من الأنبياء عليهم السلام ..

قال عقب تفسير الآيات المتعلقة بقصة آدم عليه السلام : أكله من الشجرة ، وخروجه من الجنة ، وهبوطه الى الأرض : " ولا متمسك للحشوية فى هذه القصة على عدم عصمة الأنبياء عليهم السلام ، لأن مبناه على أن يكون آدم عليه السلام نبيا (٣) ، وأن يكون النهى تكليفيا (٤) ، وأن لا تكون التوبة الا عن معصية ، وواحد منها غير مسلم " (٥).

---

(١) فى الاصل : الأشعرية ، وهو خطأ بين،والصواب ما أثبته . انظر رأى الأشعرية فى المصادر المذكورة أعلاه ، وفى عصمة الأنبياء للرازى ص٢٦ ، ٢٨ ، وشرح الفقه الأكبر للقارى ص ٩٣ .

(٢) ابن كمال باشا : عقائد مختصرة ق /٦٢ أ.

(٣) قال التفتازانى فى شرح المقاصد ٥٣/٥ : " انه كان قبل البعثة ، ولم تكن له فى الجنة أمة " انظر أيضا : القاضى عياض : الشفا ٣٦٨/٢ ، الرازى : عصمة الأنبياء /٣٧ .

(٤) " اذ لاتكليف فى تلك الدار، وحقيقة العصيان ـ بحسب اللغة ـ : المخالفة لمطلق الأمر، لا المخالفة للأمر التكليفى خاصة ، ... فلايتجه أن يقال : إن عصيان آدم عليه السلام كان ذنباً..لأنه إنما يكون ذنبا أن لو كان الأمر الذى كان مخالفته عصيانا تكليفيا إيجابيا ، وقد عرفت أنه ليس كذلك .
واعلم أن عتاب الله تعالى آدم عليه السلام فى قوله (ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين) (الاعراف /٢٢) عتاب تلطيف وتأديب ، لاعتاب تعنيف ، وتعذيب ، وتنزيله من السماء الى الأرض بأمر (اهبطا منها جميعا) (طه/١٢٣) تكميل،وتبعيده تقريب " (ابن كمال باشا : ر. فى الجبر والقدر ، ضمن رسائل ابن كمال باشا ١٧٥ ـ ١٧٦).

(٥) ابن كمال باشا : تفسيره ٥٣/١ (الحرم المكى).

وقال أيضا في تفسيرقوله تعالى (وعصى آدم ربه فغوى) (١) : " وفي النعي عليه بالغي مع صغر زلته تعظيم لها ، وتشديد عليه في العتاب، وتغليظ لعلو مرتبته ، وعدم مناسبة الزلة لمقامه ، وزجر بليغ وموعظة كافية لأولاده (٢) " (٣)

وقال أيضا في تفسير قوله تعالى حكاية عن امرأة العزيز لتبرئة ساحة يوسف عليه السلام من صدور أي ذنب مخل بعصمته (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) (٤) ، قال : " فامتنع طالبا للعصمة ، أقرت لهن حين عرفت أنهن عذرنها ، كي تعاونّها على إلانة عريكته .

الاستعصام : بناء مبالغة ، يدل على الامتناع البليغ ، والتحفظ الشديد ، كأنه في عصمة ، وهو يجتهد في الاستزادة منها ... وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لامزيد عليه ، وبرهان لاشئ أنور منه على غاية عصمته ، ونهاية طهارته ، وفي الفاء التعقيبية دلالة على أنه ما صدر عن يوسف عليه السلام بين المراودة والاستعصام فعل يفصله عنها .

فمن هنا تبين أن الواقع من جانبه عليه السلام مجرد همّ (٥) غير اختياري ، فما زيد على ذلك ، وذكر في كتب التفسير والقصص مردود بنص الكتاب ، فافهم والله الهادي الى الصواب " (٦) .

---

(١) طه /١٢١ .

(٢) " ... وموعظة كافية لأولاده عنها ، بدليل قوله تعالى قبله (ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي) (طه/١١٥) فقد أخبر تعالى بأنه نسي العهد ، وهو أمره تعالى بأن لايقرب الشجرة ، ومن المعلوم أن النسيان لامؤاخذة عليه ولا عذاب ، ولا توبيخ ولاعتاب ، بدليل الحديث الوارد عن سيد الأحباب صلى الله عليه وسلم " (ابن عابدين : رفع الاشتباه عن عبارة الأشباه ، ضمن رسائل ابن عابدين ٣١١/١) انظر أيضا : القاضي عياض : الشفا ٣٦٧/٢ ـ ٣٦٨ .

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٦٤ ب . (٤) يوسف/٣٢ .

(٥) هو الهم المذكور ـ في قوله تعالى (ولقد همت به وهم بها لو لا أن رأى برهان ربه ..) يوسف/٢٤ ـ وهو ميل النفس ، لاالقصد الاختياري (تفسير ابن كمال ٣٥٧ ب) .

(٦) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٥٣ ب : انظر كذلك : ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٢٩٧/١٠ .

ولقد رد على الزمخشري المعتزلي في نسبته الخطأ الى نبينا عليه الصلاة والسلام في تفسير قوله تعالى (عفا الله عنك) " الاخبار عن العفو مقصود بالإفادة ، فلا يكون كناية عن الخطأ ، نعم يفهم منه وجود الخطأ بطريق الاقتضاء .

وهذا من لطيف المعاتبة ، ولو لم يفتح باب المخاطبة بالعفو لما كان عليه السلام يتحمل بقوله تعالى (لم أذنت لهم) (١) ، ولا يخفى ما في تقديم العفو على ذكر ما يوهم العتاب من تعظيم شأنه عليه السلام ، والتنبيه على لطف مكانه ، ومن لم يتنبه لذلك قال (٢) : " إنه كناية عن الجناية ، ومعناه : أخطأت ، وبئسما فعلت " .

ثم انه لم يدر أن الاذن المذكور من قبيل الخطأ في الاجتهاد ، فهو مظنة الثواب ، لا العتاب ، والله أعلم بالصواب " (٣) .

وهكذا مضى العلامة ابن كمال باشا في الدفاع عن أنبياء الله تعالى ورسله ، وتنزيه ساحتهم مما نسب اليهم من خلال تفسيره الآيات التي قد يوهم ظاهرها صدور الأفعال المنافية لعصمتهم ...

---

(١) التوبة / ٤٣ .

(٢) وهو الزمخشري المعتزلي في تفسيره الكشاف ٢/١٥٣ .

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ٢٩٢أ . انظر أيضا رد العلامة أبي السعود على الزمخشري في إرشاد العقل السليم ٤/٦٩ ، تجد عنده كلاما نفيسا في الرد عليه .

ـ تحليل ونقد ـ

والذى ذهب اليه ابن كمال باشا من أن الأنبياء عليهم السلام صفوة الخلق ، المختارون من بين الناس ، الموصوفون بالصفات الممتازة هو مدلول الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ، وهو ما ذهب اليه أئمة السلف والمتكلمين وأهل الحديث .. وهذا الاصطفاء وذلك الاختيار لهداية البشرية الى صراط مستقيم ، وإخراجهم من الظلمات الى النور .

قال تعالى (... الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) (١)

وقال تعالى (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمرآن على العالمين) (٢) .

وقال تعالى فى وصفهم (... كل من الصالحين) (٣) ، (وكل من الأخيار) (٤) ، (... وكلا جعلنا صالحين) (٥) .

وقال تعالى حكاية على لسانهم (إنى لكم رسول أمين) (٦) ، لأنهم كانوا مشهورين بالأمانة فى قومهم كنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى قريش (٧) .

ثم إننا لا نرى فيما ذهب اليه العلامة ابن كمال باشا من الصفات الواجبة للأنبياء عليهم السلام شيئا يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة .

١ ـ أما بالنسبة للذكورة :

فانه استشهد فى اشتراطها عليهم بالآيات الكريمة ، وبين وجه الاستشهاد بها على أحسن بيان وأكمله .. وكذلك استدل بالعقل مع بيان وجه الدلالة فيه على أتم وجه .

فتأكيداً لما ذكره ابن كمال باشا وعلاوة عليه نذكر أن النبوة من شروطها

---

(١) الحج /٧٥ . (٢) آل عمران /٣٣ . (٣) الأنعام/٨٥ .
(٤) ص /٤٨ . (٥) الأنبياء/٧٢ .
(٦) الشعراء/١٠٧ ، ١٢٥ ، ١٤٣ ، ١٦٢ ، ١٧٨ .
(٧) ابن كمال باشا : تفسيره ٥٢٢ أ .

كمال العقل ، والنساء ناقصات عقل ، ولذلك لا يصلحن للنبوة ، يشهد لذلك قوله تعالى (واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامراتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر إحداهما الأخرى)(١) .

كما يشهد له أيضا قول الرسول صلى الله عليه وسلم :"مارأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لبّ منكن "(٢) .

ويقول الحافظ ابن كثير ـ وهو أحد مقرري مذهب السلف ـ : " الذى عليه أهل السنة والجماعة ، وهو الذى نقله الشيخ أبو الحسن الأشعرى عنهم ، أنه ليس في النساء نبية ، وإنما فيهن صدّيقات "(٣) .

٢ ـ وأما بالنسبة للصدق :

الذى هو ضد الكذب فهو " واجب فى حقهم عقلا وشرعا ، وهو مطابقة أخبارهم للواقع(٤) إيجابا وسلبا ، اذ لو جاز عليهم الكذب ـ الذى هو عدم مطابقة الواقع ـ لجاز الكذب فى خبره تعالى ، لتصديقه إياهم بالمعجزة المنزلة منزلة قوله " صدق عبدى فى كل مايبلغ عنى " ، وتصديق الكاذب من العالم بكذبه محض الكذب ، والكذب على الله تعالى محال ، فملزومه ـ وهو عدم صدقهم ـ محال ، واذا استحال عدم صدقهم وجب صدقهم ، وهو المطلوب(٥) .

---

(١) البقرة /٢٨٢ .

(٢) متفق عليه. أخرجه البخارى (١/٤٠٥) فى كتاب (٦) الحيض ، باب (٦) ترك الحائض الصوم ، رقم/٣٠٤ .
ومسلم (١/٨٧) فى كتاب (١) الايمان ، باب (٣٥) بيان اطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة ، رقم ٧٩ ، ٨٠ واللفظ له.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير ٢/٢٦٥. انظر كذلك ابن تيمية :مجموع الفتاوى ٤/٣٩٦ .

(٤) ولو بحسب اعتقادهم ، كما فى قوله صلى الله عليه وسلم " كل ذلك لم يكن " لما قال له ذو اليدين : أقصرت الصلاة ، أم نسيت يارسول الله ! حين سلم من ركعتين (البيجورى : تحفة المريد ص ١٢٢) انظر أيضا : الشيخ بخيت :القول المفيد ص ٤٧ .

(٥) السفارينى : لوامع الأنوار ٢/٣٠٧ ، البيجورى :تحفة المريد ١٢٢ ، الظواهرى : التحقيق التام ص ١٦٢ .

٣ ـ وأما بالنسبة للأمانة :

ـ التي هو ضد الخيانة ـ : وهى حفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه ، إذ لوجاز عليهم أن يخونوا الله تعالى بفعل محرم أو مكروه ـ على قول ـ لكنا مأمورين به ، لأن الله تعالى أمرنا باتباعهم فى أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم من غير تفصيل ، والله تعالى لا يأمر بمحرم ولا بمكروه ، فقد قال تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (١) .

٤ ـ وأما بالنسبة لكمال العقل ، أو الفطانة :

وهى حدة العقل وذكاؤه ، وسرعة الإدراك ، وقوة الحجة ، والتيقظ لإلزام الخصوم ورد دعاويهم الباطلة ..

فالدليل على وجوب ثبوت الفطانة للرسل عليهم السلام آيات كثيرة ، تحتوى على محاجة ومجادلة بين الرسل وأقوامهم ، فكانوا يلزمون خصومهم بالحجج الدامغة ، ويفحمونهم بالبراهين القاطعة ، مثل قوله تعالى (ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الملك ، إذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت ، قال : أنا أحيى وأميت ، قال إبراهيم : فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ، فبهت الذى كفر ، والله لايهدى القوم الظالمين) (٢) ، والذى سبق أن ذكرنا تفسير العلامة ابن كمال باشا لهذه الآية ...

وقوله تعالى حكاية عن قوم نوح عليه السلام (قالوا يانوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) (٣) ، أى خاصمتنا ، فأطلت جدالنا ، وحاججتنا ، أوأوتيت بأنواعه ... وماثبت لنوح وابراهيم عليهما السلام يثبت لإخوانهما الأنبياء ، لأنهم

---

(١) الحشر/٧ . انظر : السفارينى : لوامع الأنوار ٢/٣٠٨ ، البيجورى : تحفة المريد ص ١٢١ ، د . البوطى : كبرى اليقينيات الكونية/٢٠٣ ، الظواهرى : التحقيق التام ص ١٦٤ ، الشيخ بخيت : القول المفيد ص ٤٨ .

(٢) البقرة/٢٥٨ . (٣) هود /٣٢ .

لأنهم مثلهما (١) .

ومن لم يكن فطنا بأن كان مغفلا لايمكنه القيام بما أرسلوا لأجله ، ولايمكنه كذلك إقامة الحجة ، ولا المجادلة ، فتضيع حينئذ فائدة الرسالة (٢) .

٥ ــ وأما بالنسبة للتبليغ :

وهو إيصال ما أمرهم الله تعالى بتبليغه الى الخلق ، من غير زيادة ، أو نقصان ، أو تبديل ، أو تحريف .

والدليل على وجوب تبليغهم : أنهم لو كتموا شيئا مما أمروا بتبليغه للخلق ، لكنا مأمورين بكتمان العلم ، لأن الله تعالى أمرنا بالاقتداء بهم ، واللازم باطل ، لأن كاتم العلم ملعون ..

وأيضا لو كتموا شيئا مما أمروا بتبليغه لضاعت الفائدة من إرسالهم ..

ولو جاز عليهم كتمان شيء لكتم خاتمهم صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك ، واتق الله ، وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس ، والله أحق أن تخشاه) (٣) ، وسائر آيات العتاب أيضا ، لكنه صلى الله عليه وسلم لم يكتم آية واحدة ....

ولذلك تقول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : " لو كان محمد صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا مما أنزل عليه لكتم هذه الآية .. " (٤)

وأخرج البخارى عنها أيضا أنها قالت: " من حدثك أن محمدا صلى الله عليه وسلم كتم شيئا مما أنزل عليه فقد كذب ، والله يقول (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك) (٥) " .

وقد شهدت لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته ــ وهم العدول

(١) الشيخ بخيت : القول المفيد /٤٨ .

(٢) البيجورى : تحفة المريد ص١٢٢ ، د . الحديدى : عصمة الأنبياء ٥٩ ــ ٦٠ ، الظواهرى : التحقيق التام/١٦٣ ، الشيخ بخيت : القول المفيد ص٤٩ .

(٣) الأحزاب /٣٧ .

(٤) أخرجه مسلم (١/١٦٠) فى كتاب (١) الايمان ، باب (٧٧) معنى قول الله عز وجل : ولقد رآه نزلة أخرى ... ، رقم/١٧٧ .

(٥) المائدة/٦٧ . والحديث أخرجه البخارى (٨/٢٧٥) فى كتاب (٦٥) التفسير ، =

(وكذلك جعلناكم أمة وسطا) [1] بأنه بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، حين خاطبهم في حجة الوداع.

أخرج مسلم وغيره عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه فى حديث طويل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى خطبته يومئذ : " وأنتم تسألون عنى ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال ، باصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكبها الى الناس : اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، ثلاث مرات ..." (٢)

فالرسل جميعا قد بلغوا كل ما أمرهم الله عز وجل بتبليغه مما أنزل اليهم ، ولم يكتموا منه شيئا ، لأن ما ثبت لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم يثبت لجميع الرسل عليهم السلام (٣).

٦ – وأما بالنسبة لعصمتهم عن الذنوب :

فقد بين العلامة ابن كمال باشا مذهب جمهور المتكلمين ، وكذلك المذاهب الأخرى بالتفصيل ، الا أنه لم يتطرق الى عصمة الأنبياء عليهم السلام عن الصغائر ، مع الإشارة الى أنهم معصومون عن تعمد الكبيرة – عند الجمهور – ، وجواز صدورها منهم على سبيل السهو ..

ولكن الإمام ابن الهمام وتلميذه ابن أبى شريف قالا : " (والمختار)

= تفسير سورة المائدة ، باب (٧) " يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك "، رقم/ ٤٦١٢ ، وكذلك / ٧٥٣١ .

(١) البقرة / ١٤٣ .

(٢) جزء من الحديث الذى أخرجه مسلم (٢/ ٨٨٦–٨٩٢) فى كتاب (١٥) الحج ، باب (١٩) حجة النبى صلى الله عليه وسلم ، رقم ١٢١٨ .
وأبو داود (٢/ ٤٥٥–٤٦٤) فى كتاب (٥) المناسك ، باب (٥٧) حجة النبى صلى الله عليه وسلم ، رقم / ١٩٠٥ .
وابن ماجه (٢/ ١٠٢٢–١٠٢٧) فى كتاب (٢٥) المناسك ، باب (٨٤) حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم رقم / ٣٠٧٤ .

(٣) البيجورى : تحفة المريد ١٢٣ ؛ الشيخ بخيت : القول المفيد ص ٤٨ ، د. الحديدى : عصمة الأنبياء ٥٦ – ٥٩ .

لجمهور أهل السنة (العصمة) أي وجوب عصمتهم (عنهما) أي عن الكبائر مطلقا ، وعن الصغائر (الا الصغائر غير المنفرة) ، حال إتيان كون غير المنفرة (خطأ) في التأويل ، (أو سهوا) مع التنبيه عليه .

وأما الصغائر المنفرة كسرقة لقمة أو حبة ، - وتسمى صغائر الخِسّة - فهم معصومون عنها مطلقا " (١) .

وقال الامام النووي (٢) : " هو مذهب المحققين من المتكلمين والمحدثين "

وهذا كله بعد الوحي والنبوة ..

وأما قبله فقد اختلفوا ، فأوجب بعضهم العصمة عن الكبائر والصغائر ، وأجاز بعضهم وقوع الصغائر منهم سوى المنفرات .

والحق - كما يقول العلامة السعد - : منع ما توجب النفرة منهم ، كعهر الأمهات والفجور (٣) ، والصغائر الدالة على الخسة (٤) .

(١) المسايرة مع شرحها المسامرة ص ١٩٩ ، ونقل الملا على القاري قولهما في شرح الفقه الأكبر ص ٩٣ ، وارتضاه .. ولكن حصل في كلامهما تحريف في تلك الطبعة .. انظر كذلك : موافقة التفتازاني للكمال بن الهمام وتلميذه في شرح المقاصد ٥ / ٥٠ - ٥١ ؛ والبغدادي في أصول الدين / ١٦٨ ، والجرجاني في شرح المواقف ٥٦٧ - ٥٦٨ ؛ والقاضي عياض في الشفا ٢ / ٣٩٣ ؛ وزين الدين العراقي في لوامع الأنوار للسفاريني ٢ / ٣٠٤ - ٣٠٥ ؛ والتقي السبكي في طبقات الشافعية الكبرى لابنه ١٠ / ٢٩٥ ؛ والبياضي في إشارات المرام ص ٣١٩ وقال : " هذا مذهب أئمتنا " ، والشيخ بخيت في القول المفيد ٤٨ - ٤٩ ، والبزدوي في أصول الدين / ١٦٧ .

(٢) نقلا عن " إشارات المرام " للبياضي ص ٥٦ ، ٣٢٢ .

(٣) لذلك يرى العلامة ابن كمال باشا أن خيانة أمراة نوح وامرأة لوط عليهما السلام " ليست بالفجور ، وانما هي بالكفر والنفاق " (رسالة في تحقيق التغليب ، ضمن رسائل ابن كمال بالمحمودية / ٢٥٩٧ ، ق / ٢٤٧ ب) .

(٤) التفتازاني : شرح العقائد ص ١٧١ ، السفاريني : لوامع الأنوار ٢ / ٣٠٥ ، القاضي عياض: الشفا ٢ / ٣٣٠ ، السيد الشريف : شرح المواقف / ٥٦٨ ، د . حسن عتر : نبوة محمد في القرآن / ٢٤٠ . هذا ، وقد عدّ الامام ابن الهمام والعلامة السعد والبياضي والسفاريني : الذكورة ، وكمال العقل ، وقوة الرأي ، والسلامة من دناءة الآباء ، وغمز الأمهات ، والقسوة ، والعيوب المنفرة كالبرص والجذام ، وقلة =

وبعد هذا العرض المفصل يظهر أن ما ذهب اليه ابن كمال باشا من عصمة الأنبياء عن تعمد الكبائر ، وجواز صدورها عنهم على سبيل السهو ، وكذلك جواز صدور الصغائر عنهم فهو مذهب جماعة من السلف ، ومذهب أبي جعفر الطبري ، وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين (١) .

الا أنه ليس مذهبا مختارا لدى جماعة من المحققين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين (٢) .

= المروءة ، كالأكل على الطريق ، ودناءة الصناعة كالحجامة ، وكل ما يخل بحكمة البعثة من شروط النبوة .. (المسايرة مع شرحها المسامرة ١٩٤ ــ ١٩٥ ، شرح المقاصد ٦١/٥ ، إشارات المرام ص ٣٢٩ ، لوامع الأنوار ٢٦٧/٢) .

(١) القاضي عياض : الشفا ٣٢٨/٢ ، انظر كذلك : ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٣١٩/٤ .

(٢) القاضي عياض : الشفا ٣٢٩/٢ ، ٣٩٣ ، البياضي : إشارات المرام ٣١٩ ، ٣٢٢ ، الشيخ بخيت : القول المفيد ص ٤٩ .

الفَصْلُ الثَّانِي

إِمْكَانُ البَعْثَةِ وحُكْمُهَا

امكان البعثة

لم يرد خلاف بين المسلمين فى إمكان بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام ووقوعها، وإنما اختلفوا فى كونها جائزة ، أو واجبة ، وكلاهما داخل فى نطاق الامكان العام .

أما المعتزلة — وتبعتهم الشيعة — فقالت بوجوب البعثة على الله تعالى بناء على أصلهم فى وجوب الصلاح والأصلح عليه تعالى ، فقالوا : ان النظام المؤدى الى صلاح حال النوع الانسانى على العموم فى المعاش والمعاد لا يتم الا ببعثة الأنبياء ، فيكون إرسالهم من اللطف بالخلق ، وفيه صلاحهم ، وهو الأصلح لهم ، وكل ما هو كذلك فهو واجب على الله تعالى (١) .

وقال جمهور المتكلمين : إنها من قبيل الممكنات فى العقل ، والله تعالى فاعل مختار ، لايجب عليه تعالى فعل شىء منها أو تركه . " إن ربك فعال لما يريد " (٢) ثم انه من الجائز عقلا أن يودع الله تعالى فى غرائز عقول البشر معرفة كل ما يحتاجون اليه فى معاشهم ومعادهم ، وما يوجب السعادة والشقاوة ، فلا يحتاجون بعد ذلك الى إرسال الرسل (٣) .

وأما صاحبنا العلامة ابن كمال باشا يرى أن بعثة الأنبياء جائزة عقلا ، بل إنها واجبة لكونها من مقتضيات الحكمة ، ولكونها واقعة سمعا (٤) ، حيث يقول : " ويعترف اعتراف مصدق بجواز إرسال الرسل ، مبشرين ومنذرين ، من الله تعالى ، ليبينوا للناس مصالح داريهم ، لأنه واجب بقضية الحكمة ،

---

(١) القاضى عبدالجبار : شرح الأصول الخمسة ٥٦٣ — ٥٦٤ ؛ التفتازانى : شرح المقاصد ٥/٦-٧ . ابن أبى شريف : المسامرة ص ١٩١ .

(٢) هود /١٠٧ .

(٣) بخيت : القول المفيد ص ٥٧ .

(٤) انظر أيضا : السفارينى : لوامع الأنوار ٢/٢٥٦ ، ٢٥٩ .

اذ لاريب أن فيما خلق الله تعالى من جواهر العالم ما يتعلق به صلاح الأبدان ، وما يحصل به تلفها ، وليس في قوى العقول إمكان الوقوف على مافيه مصلحة ليقدموا عليه ، وعلى مافيه مضرة ليجتنبوا عنه ، فاقتضت الحكمة من الله تعالى ورود الرسل والأنبياء المعصومين عما يسقط أقدارهم ، ليبينوا للناس مافيه صلاحهم ، ويعلمهم مافيه فسادهم " ،

ثم أشار الى أنها وقعت فعلا فقال : " وقد جاءوا ، وبينوا ، وبلغوا ما أنزل اليهم من ربهم " ، ثم بين إيمانه بهؤلاء الرسل والأنبياء ، وحمد الله تعالى على إحسانه هذا ولطفه ، فقال : " ونحن على ذلك شاهدون ، ولربنا حامدون " (١).

والذى ذهب اليه ابن كمال باشا هو رأى محققى الحنفية ..

هذا ، فلا بد من الاشارة هنا الى الفرق بين وجوب الرسالة عند المعتزلة ووجوبها وكونها من مقتضيات الحكمة عند محققى الحنفية :

ان الحنفية لايعنون بالوجوب بقضية الحكمة ، أنها تجب على الله تعالى بإيجاب أحد ، أو بايجابه على نفسه ، بل يريدون أنها متحققة الوجود ، وأنها ثابتة لابد منها ، لكون الرسالة من مقتضيات حكمة البارى ، ولأن تركها سفه لايليق بالحكيم ، فاقتضاء الحكمة يرجح جانب الوقوع فقط ، مع جواز الترك فى نفسه .

وهذا بخلاف الوجوب عند المعتزلة ، فانهم يعنون به الوجوب على الله تعالى ، بايجاب أحد ، أو بايجابه على نفسه ، وذلك بناء على قاعدتهم القائلة بوجوب الأصلح للعباد على الله تعالى (٢).

---

(١) ابن كمال باشا : رسالة فى بيان عقيدة أهل السنة/١٩٣ أ .

(٢) أبو المعين النسفى : التمهيد ٢٣٢ ــ ٢٣٣ مع الهامش ، النسفى : الاعتماد ق/٣٨ أ ــ ب ، ابن قطلوبغا : شرح المسايرة للكمال بن الهمام (نقلا عن أبى المعين النسفى) ص ١٩١ ــ ١٩٢ .

ومع ذلك يقول الامام الصابوني البخاري الحنفي صاحب " الكفاية " في أصول الدين : " امتنع عامة أصحابنا عن إطلاق الواجب في باب الرسالة ، لئلا يتوهم المشابهة بمذهب المعتزلة في وجوب الأصلح على الله تعالى ، وهذا أحوط ، والله تعالى أعلم " (١) .

وأجاب العلامة ابن كمال باشا على سؤال في الحكمة من إرسال الرسل بقوله : " ان الله تعالى خلق الانسان ، وقدر له البقاء بقدر عمره ، ثم جعل لبقاء عمره أسبابا ، وهي الطعام والشراب واللباس والمسكن ونحوها ، فكان الانسان حريصا بسبب بقاء عمره الى جميع هذه الأسباب ، فلم يقنع بما رزقه الله تعالى له ، فتجاوز بالظلم ، والغصب والسرقة والقتل ونحوها ، فلا بد أن يكون الرجل الواحد من صاحب الشرع رسولاً لهم ، فيمنعهم عن هذه الفسادات ، ويجعل بشرعه وحكمه نظاما فيما بينهم في هذا العالم ، فلا يكون هذا العالم خرابا ، ويرشدهم الى عبادة ربهم من البدنية والمالية ، ليستحقوا بها الجنة في الآخرة ، فان لم يكن كذلك يكون الإنسان في الآخرة ضائعا وهلاكا (٢) " .

" ثم إن بعثة الرسل والدعوة الى الحق ، والتكليف أمر جرت به السنة الإلهية في الأمم كلها لهدى من أراد اهتداءه ، وازدياد ضلال من أراد ضلاله ، كالغذاء الصالح الذي ينفع من اعتدل مزاجه ، ويضر من انحرف مزاجه " (٣) ، و " ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة " (٤) ، لأن الله تعالى حكيم ، لايخل " بشيء من أسباب كما لهم ، ووسائل اهتدائهم ، كنقص حواسهم ، وسلب عقولهم وبصائرهم ، وإهمالهم سدى

---

(١) نقلا عن ابن قطلوبغا في شرح المسايرة ص١٩٢ .

(٢) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص ١٠ .

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٩٩أ .

(٤) الأنفال /٤٢ .

بلا تنبيه ببعثة الرسل وإنزال الكتب " (١) ، (إن الله لايظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون) (٢) ، وإنما أرسل الله تعالى رسله وأنزل كتبه قطعا لأعذارهم ، وإلزاماً للحجة عليهم " (٣) . (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (٤) ، (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) (٥) ، (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون) (٦) ، " يعنى أنه لو أهلكهم وهم غافلون ، لم ينتهوا برسول وكتاب لكان ظلما ، وهو تعالى منزه عن الظلم " (٧) .

النبوة ليست مكتسبة وانما هى اصطفاء واختيار : النبوة اصطفاء ونعمة ورحمة من الله ، يمن بها على من يشاء من عباده ويختار ، قال تعالى (ولقد مننا) " أى أنعمنا (على موسى وهٰرون) (٨) بالنبوة وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية .. " (٩) . وقال تعالى (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) (١٠) .

ومن هنا ذهب ابن كمال باشا الى أن النبوة رحمة من الله تعالى على عباده ونعمة عليهم (١١) ، وأنها " ليست بكبر النفس ، ولا بالمال والجاه ، وانما هو بخصائص يخص الله تعالى بها من يشاء من عباده ، ويصطفى بها

---

(١) ابن كمال باشا : تفسيره/٣١٨ أ .
(٢) يونس/٤٤ .
(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ١/١٢٩ ، ٣٩٨ (الحرم المكى) ، ٥٤١ أ ، ٥٤٢ أ .
(٤) النساء/١٦٥ .
(٥) طه/١٣٤ .
(٦) الأنعام/ ١٣١ .
(٧) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٣٩٨ (الحرم المكى) .
(٨) الصافات/١١٤ .
(٩) ابن كمال باشا : تفسيره ٦٠٦ ب .
(١٠) الحج/٧٥ .
(١١) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٢٨١ (الحرم المكى) .

من يعلم أنه يصلح لها ، وهو يعلم بالمحل الذى يضعها فيه ...
انه يعلم نفس المحل المستحق لوضع الرسالة فيه ، لا أشياء فى المحل "(١).
(الله أعلم حيث يجعل رسالته) (٢).

وهذا هو رأى جمهور السلف والأئمة . يقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى بعد أن بين رأى الجهمية والأشاعرة ، والمعتزلة والشيعة ، والفلاسفة فى النبوة :

" والقول الرابع :ـ وهو الذى عليه جمهور سلف الأمة وأئمتها وكثير من النظار ـ أن الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته ، فالنبى يختص بصفات ميّزه الله بها على غيره ، فى عقله ودينه ، واستعد بها لأن يخصه الله بفضله ورحمته ، كما قال تعالى (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) (٣). وقال تعالى (مايود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (٤). وقال تعالى لما ذكر الأنبياء بقوله (ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين. وزكريا ويحى وعيسى وإلياس كل من الصالحين. وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين. ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم) (٥).
فأخبر أنه اجتباهم وهداهم " (٦)

---

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٣٩٥ (الحرم المكى).
(٢) الأنعام/١٢٤ . (٣) الزخرف/٣١ ـ ٣٢ .
(٤) البقرة /١٠٥ . (٥) الأنعام/٨٤ ـ ٨٧ .
(٦) منهاج السنة النبوية ٢/٤١٦ ـ ٤١٧ .

ولاتبتنى النبوة على استحقاق من المبعوث واجتماع شروط فيه كما زعمه الفلاسفة يقول شارح الطحاوية : " وإرسال الرسل من أعظم نعم الله على خلقه ، وخصوصا محمد صلى الله عليه وسلم ، كما قال تعالى (لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين)(١) . وقال تعالى (وما أرسلناك الارحمة للعالمين)(٢) "(٣)

وهو أيضا رأى الأشاعرة ، يقول الشهرستانى : " قال أهل الحق : النبوة ليست صفة راجعة الى نفس النبى ، ولادرجة يبلغ اليها أحد بعلمه وكسبه ، ولا استعداد نفسه ، يستحق به اتصالا بالروحانيات ، بل رحمة من الله تعالى ، ونعمة يمن بها على من يشاء من عباده "(٤) .

ومن هنا يظهر جليا موافقة ابن كمال باشا لمذهب السلف والمتكلمين ومخالفته لمذهب الفلاسفة .

---

(١) آل عمران/١٦٤ . (٢) الأنبياء/١٠٧ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ١٦٧ ــ ١٦٨ .

(٤) نهاية الاقدام ص ٤٦٢ ، وانظر كذلك : السفارينى : لوامع الأنوار ٢/٢٦٧ــ ٢٦٨ ؛ الآمدى : غاية المرام ص ٣١٧ .

ـ نقـــد وتحليـــــــل ـ

يرى السلف ومعهم جمهور الحنفية وابن كمال باشا أن الله تعالى حكيم، ولا يخلو فعل من أفعاله تعالى عن حكمة وغاية حميدة ..

والحكمة عندهم مقصودة له تعالى، يفعل لأجلها، لأنه يحبها ويرضاها [1]. قال العلامة ابن قيم الجوزية: " ان الله سبحانه حكيم، لايفعل شيئا عبثا، ولالغير معنى ومصلحة وحكمة، هي الغاية المقصودة بالفعل، بل أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة، لأجلها فعل، كما هي ناشئة عن أسباب بها فعل، وقد دل كلامه وكلام رسوله على هذا، وهذا في مواضع لاتكاد تحصى " [2].

وقال أيضا: " إن كمال الرب تعالى، وجلاله وحكمته وعدله ورحمته وقدرته واحسانه وحمده ومجده وحقائق أسمائه الحسنى تمنع كون أفعاله صادرة منه لا لحكمة، ولا لغاية مطلوبة، وجميع أسمائه الحسنى تنفي ذلك، وتشهد ببطلانه " [3].

فليست الحكمة عندهم مطلق المشيئة والإرادة، والا كان كل مريد حكيما. ثم ان القول بالحكمة والتعليل مذهب جمهور أهل السنة والجماعة.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى [4]: " أجمع المسلمون على أن الله تعالى موصوف بالحكمة ....

وقال الجمهور من أهل السنة وغيرهم: بل هو حكيم في خلقه وأمره، والحكمة ليست مطلق المشيئة، إذ لو كان كذلك لكان كل مريد حكيما، ومعلوم أن الارادة تنقسم الى محمودة ومذمومة، بل الحكمة تتضمن مافي

---

(١) زمزم آدم: الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى ص ٣١.

(٢) شفاء العليل ص ١٩٠، وانظر كذلك: مفتاح دار السعادة، له، ٢/٤٢.

(٣) شفاء العليل ص ٢٠٤.

(٤) منهاج السنة النبوية ١/١٤١، ١٤٣ ـ ١٤٤، انظر كذلك ١/٤٥٤ ـ ٤٥٥، ٤٦٤ ـ ٤٦٥، ودرء تعارض العقل والنقل ٨/٥٤ ـ ٥٦؛ ٩/١١٠ ـ ١١١.

خلقه وأمره من العواقب المحمودة والغايات المحبوبة ، والقول باثبات هذه الحكمة ليس هو قول المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة فقط ، بل هو قول جماهير طوائف المسلمين من أهل التفسير والفقه والحديث والتصوف والكلام وغيرهم ... والحنفية هم من أهل السنة القائلين بالقدر ، وجمهورهم يقولون بالتعليل والمصالح — الى أن قال — وأكثر أهل السنة على إثبات الحكمة والتعليل " فى أفعاله وأحكامه تعالى .

ولذلك نرى جمهور الحنفية ومعهم ابن كمال باشا يقولون : إن ارسال الرسل واجب بقضية الحكمة ، فيعنون به أن قضية الحكمة تقتضيه ، لما فيه من الحكم والمصالح ، وليس بممتنع كما زعمت السمنية والبراهمة ، ولا بممكن يستوى طرفاه كما ذهب اليه بعض المتكلمين ، وقد يعنون به أيضا وجوب الوقوع لتعلق العلم القديم بوقوعه .. (١)

وسبق أن بينا الفرق بين معنى الوجوب عند الحنفية وبين معناه عند المعتزلة زيادة بيان ، فلا نعيده هنا مرة أخرى .

وأما المعتزلة فقد أساءوا الأدب مع الله تعالى ، حيث أوجبوا عليه تعالى ماحكمت عقولهم بحسنه ، ووضعوا له شريعة من عند أنفسهم ، فقاسوه بخلقه فيما ينبغى أن يفعل ، وما لاينبغى أن يفعل ، فشبهوا الخالق بالمخلوق .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " ولكن المعتزلة ونحوهم ومن وافقهم من الشيعة النافين للقدر يوجبون على الله من جنس مايوجبون على العباد ، ويحرمون عليه مايحرمونه على العباد ، ويضعون له شريعة بقياسه على خلقه ، فهم مشبهة الأفعال .

وأما المثبتون للقدر من أهل السنة والشيعة فمتفقون على أن الله تعالى لايقاس بخلقه فى أفعاله ، كما لايقاس بهم فى ذاته وصفاته ، فليس

(١) التفتازانى : شرح العقائد ١٦٤—١٦٥ ؛ الكمال بن أبى شريف : المسامرة/١٩٢ .

كمثله شيء ، لافى ذاته ،ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله . وليس ماوجب على أحدنا وجب مثله على الله تعالى، ولا ماحرم على أحدنا حرم مثله على الله تعالى ، ولا ماقبح منا قبح من الله ، ولا ماحسن من الله تعالى حسن من أحدنا ، وليس لأحد منا أن يوجب على الله تعالى شيئا ، فهذا أصل قولهم الذى اتفقوا عليه .

واتفقوا على أن الله تعالى إذا وعد عباده بشيء كان وقوعه واجبا بحكم وعده ، فانه الصادق فى خبره الذى لايخلف الميعاد – الى أن قال – وأما أن العباد يوجبون عليه ، أو يحرمون عليه فممتنع عند أهل السنة كلهم . ومن قال : انه أوجب على نفسه ، أو حرم على نفسه ، فهذا الوجوب والتحريم يعلم عندهم بالسمع " (١) .

وبذلك يظهر أن إطلاق الوجوب على الله تعالى ، بمعنى الايجاب على نفسه بمقتضى حكمته ووعده صحيح ، بل نطق بذلك الكتاب والسنة (٢) . وهو ماذهب اليه ابن كمال باشا وجمهور الحنفية ..

وقال الامام الشاطبى فى تحكيم المعتزلة عقولهم :

" تحكيم العقل على الله تعالى ، بحيث يقول : يجب عليه بعثة الرسل ، ويجب عليه الصلاح والأصلح ، ويجب عليه اللطف ، ويجب عليه كذا ، الى آخر ما ينطق به فى تلك الأشياء ، وهذا إنما نشأ من ذلك الأصل ، وهو الاعتيادفى الإيجاب على العباد . ومن أجَلَّ البارى وعظّمه لم يجترئ على إطلاق هذه العبارة ، ولا ألمّ بمعناها فى حقه ، لأن ذلك المعتاد إنما حسن فى المخلوق من حيث عبد مقصور محصور ممنوع ، والله تعالى ما يمنعه شيء ، ولايعارض أحكامه حكم ، فالواجب الوقوف مع قوله (قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهديكم أجمعين) (٣) ، وقوله تعالى (ويفعل الله

---

(١) ابن تيمية : منهاج السنة ١/ ٤٤٧–٤٤٨ ، ٤٥٢. وانظر كذلك: ابن القيم: مفتاح دار السعادة ٢/ ١١٠ .

(٢) ابن تيمية : منهاج السنة ١/ ٤٥٢ . (٣) الأنعام / ١٤٩ .

مايشاء) (١) ، وقوله تعالى (ان الله يحكم مايريد) (٢) ، (والله يحكم لامعقب لحكمه) (٣) (ذو العرش المجيد ، فعال لما يريد) (٤)

فالحاصل من هذه القضية أنه لاينبغى للعقل أن يتقدم بين يدى الشرع ، فانه من التقدم بين يدى الله ورسوله ، بل يكون ملبيا من وراء وراء " (٥) .

واما ماذكره العلامة ابن كمال باشا من حكمة الإرسال وبيان ضرورة الحاجة الى البعثة من نوع البشر لإقامة النظام فيما بينهم ، وارشادهم الى عبادة ربهم ، لينالوا بها سعادة داريهم ، ولئلايكونوا ضائعين فيهما، فهو موافق لما ورد فى النصوص . قال الله تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لاترجعون فتعالى الله الملك الحق ، لااله الا هو رب العرش الكريم) (٦) .

قال العلامة ابن القيم : " وبالجملة : فحاجة العالم الى النبوة أعظم من حاجتهم الى نور الشمس ، وأعظم من حاجتهم الى الماء والهواء الذى لاحياة لهم بدونه " (٧) .

وقال العلامة السفارينى : " إن الرسالة ضرورية للعباد ، لاغنى لهم عنها ، وحاجتهم اليها فوق حاجتهم الى كل شىء ، فان الرسالة روح العالم ونوره وحياته فأى صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور ؟ " (٨)

---

(١) ابراهيم/٢٧ . (٢) المائدة/١ . (٣) الرعد /٤١ .
(٤) البروج / ١٥ ـ ١٦ . (٥) الشاطبى : الاعتصام ٢/٣٣١ .
(٦) المؤمنون ١١٥ ـ ١١٦ .
(٧) مفتاح دار السعادة ٢/١١٨ . وكذلك السفارينى : لوامع الأنوار ٢/٢٥٦، ٢٦٢ .
(٨) لوامع الأنوار ٢/٢٥٩ .

الفصل الثالث

معجزات الأنبياء والرسل

أ ـ أصل لفظها .

ب ـ ركنها .

جـ ـ شرائطها .

د ـ وجه دلالتها .

المعجزة :

أ ـ أصل لفظها

ب ـ ركنها

جـ ـ شرائطها

د ـ وجه دلالتها

تكلم ابن كمال باشا في المعجزة من نواحي عدة ، فلنترك الكلام اليه ليبين لنا هذه النواحي . قال : " الكلام هنا ـ في المعجزة ـ في مواضع :

أ ـ في بيان أصل لفظها

ب ـ وفي بيان ركنها

جـ ـ وفي بيان شرائطها

د ـ وفي بيان وجه دلالتها على الصدق " .

أ ـ في بيان أصل لفظها :

" المعجزة : مأخوذة من العجز بمعنى الضعف المقابل للقوة . قال الأزهري في التهذيب (١) : " ومعنى الإعجاز : الفوت ، والسبق ، يقال : أعجزني فلان ، أي فاتني . قال الليث : أعجزني : إذا عجزت عن طلبه وادراكه "

" فالإعجاز : وصف المتحدي ، أسند الى ما تحدى به مجازا ، من قبيل إسناد الشيء الى سببه . ثم جعل اسما للأمر المعهود ـ الآتي بيانه ـ فالتاء للنقل من الوصفية الى الإسمية كما في الحقيقة ، وقيل : للمبالغة ، كما في العلامة " (٢) .

---

(١) ٣٤٠/١ .

(٢) ابن كمال باشا : ر . في تحقيق المعجزة وبيان وجه دلالتها على صدق من ادعى النبوة ص ١٣٧ .

ب ــ ركـــن المعجـــزة :

" فهـو مايعجـز المنكريـن لمـن يدعـى النبوة ، فعـلا كان كشـق القمـر ، أو منعـا لغيره عـن الفعـل .

فان إظهار المعجـزة كما يكون بإتيـان غـير المعتاد ، كذلك يكـون بمنع الغير عـن المعتاد . كما اذا قـال مـن يدعى النبوة فـى مقام التحدى : إنما أضع يـدى علـى رأسى ، وأنـتم لاتقـدرون عليـه ، ففعـل وعجزوا (١) ، صادرا كان ذلـك الفعـل عنـه صدور الأفعـال الاختياريـة عنـا ، بأن يكـون لكسبـه وارادته مدخل فيـه ، كمـا فـى المثال الأول ، فـان انشقاق القمـر لمـاكان بإشارتـه عليـه السـلام كان لكسبـه وإرادته مدخل فيـه ، أو ظاهـرا على يـده مـن غير صدور منه، بأن لايكـون لكسبـه وإرادته فيـه مدخل ، كالقرآن العظيم والفرقان الكريم ، فانـه معجـز ، ظهر علـى يد نبينـا عليـه السـلام ، ولادخل فيـه لإرادتـه وكسبه (٢) .

وانمـا قلنا : صادراً كـان ذلك الفعل عنـه ، لأن القسـم المنحى مـن العجز لاحظ لـه مـن هذا التقسيم ، فان منـع المنكر عـن وضـع يـده علـى رأسه مثـلا ، مرجعـه الـى عدم خلق القدرة عليـه ، فلا نسبة لـه الـى مدعى النبوة ، لابالصـدور عنـه ، ولا بالظهور على يـده ، وذلك ظاهـر ، نعـم ، له نسبة اليـه من حيـث إنـه ظهر على وفـق دعـواه ، مقرونـا بتحديـه (٣) ".

وعـلى ضوء هـذا التفصيل الدقيق وجـه اعتراضات على السابقين من المتكلمـين

---

(١) قال العلامة الخازن فى تفسيره لباب التأويل ١١٨/٢ : " وهى ــ اى المعجزة ــ على ضربين ، فضرب منها : هو على نوع قدرة البشر ، ولكن عجزوا عنه ، فعجزهم عنه دل على أنه من فعل الله ، ودل على صدق النبى صلى الله عليه وسلم ، كتمنى الموت فى قوله (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) (البقرة/٩٤) . فلما صرفوا عـن تمنيه مع قدرتهم عليه ، علم أنه من عند الله ، ودل على صدق النبى صلى الله عليه وسلم. والضرب الثاني : ماهو خارج عن قدرة البشر ، كإحياء الموتى ، وقلـب العصا حية ... " . قلت: ومثاله فى القسم المنحى أظهر وأنسب مما ذكره ابن كمال باشا فى منع الغير عن المعتاد ...

(٢) انظر أيضا : رسالة فى تحقيق أن القران معجز لابن كمال باشا ، ق ١١٢/ أ .

(٣) ابن كمال باشا : رسالة فى تحقيق المعجزة ص١٣٨ .

فـــى تعريفهـــم المعجـــزة .

وجـه اعتراضات علـى تعريـف الفاضل التفتازانى فـى شرح العقائد (١) :

"وهى أمر ، يظهر بخلاف العادات ، علـى يـد مدعـى النبوة ، عنـد تحدى المنكرين، علـى وجـه يعجز المنكرين عـن الإتيان بمثلـه " .

أولا — ان قيـد " الظهور علـى يـد مدعى النبوة " لا يوجد فى القسم المنحى .

ثانيا — المعجز فيـه — أى فـى القسم المنحى — انمـا هـو المنع ، لا " مـا يعجز المنكريـن عـن الإتيان بمثلـه " ، فانـه أمر عادى ، غير خـارق للعادة .

ثالثا — قولـه " بخلاف العادات " يأبـى صدق التعريـف المذكور علـى الفعـل الصادر عـن مدعى النبوة فـى القسم المذكـور ، أى المنحـى .

رابعا — قولـه " عن الإتيان " يأبـى عـن صدقه علـى المنع الظاهر عقيب تحديـه .

وانتهـى الـى القول : " فعلـى التعريف المذكور يلـزم أن لا يـوجـد المعجزة فـى الصورة المذكـورة وأمثالهـا " .

كما وجـه نقـده علـى تعريفه فـى شرح المقاصـد (٢) القائـل :

" والمعجزة فـى العرف : أمر ، خارق للعـادة ، مقـرون بالتحدى ، مـع عـدم المعارضـة " ، وعلـى شرحـه " وانمـا قـال : " أمر " ليتنـاول الفعل كانفجار الماء مـن بيـن الأصابـع ، وعدمـه ، كعدم إحـراق النـار . ومـن اقتصـر على الفعـل جعـل المعجـز ههنـا كـون النـار بـردا وسـلامـا ، أو بقـاء الجسـم على مـا كان عليـه مـن غيـر احتـراق " ..

حيث قـال : " إن مبنى توجيهـه الاقتصـار المذكـور الغفول عـن القسـم المنحـى للمعجزة ، لما عرفت أن مرجعـه الـى عـدم خلق القدرة ، فلا فعل أصلا فـى الصـورة المذكـورة " (٣) .

---

(١) ص ١٦٦ .
(٢) شرح المقاصد ٥/١١ .
(٣) ابن كمال باشا : رسالة فى تحقيق المعجزة ص ١٣٨ — ١٣٩ .

وعزز رأيه بقول صاحب المواقف (١) : " ولا فعل ثمة ، فان عدم خلق القدرة ليس فعلا ، ومن جعل الترك وجوديا حذفه " ، معلقا على كلام الايجي :

" ولايخفى مافي جعل الترك – ترك خلق القدرة – وجوديا من التعسف " (٢) .

ويقول الآمدي في أبكار الأفكار : " ان المعجز إن كان عدميا كما هو أصل شيخنا ، فالمعجز – يعني الصورة السالف ذكرها – عدم خلق القدرة ، فلا يكون فعلا ، وان كان وجوديا كما ذهب اليه بعض أصحابنا ، فالمعجز هو خلق العجز فيهم ، فيكون فعلا " مع تعليقه عليه : " والحق أن ماذكره وجه الاعجاز ، لاالمعجز نفسه " .

وكذلك لايسلم تعريف صاحب المواقف (٣) ، وشارحه الفاضل (٤) للمعجزة بقولهما : " وهي – أي حقيقة المعجزة – بحسب الاصطلاح عندنا : عبارة عما قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله " ، من نقد صاحبنا العلامة ابن كمال باشا ، لاسقاطهما قيد " التعجيز " المعتبر في حقيقة المعجزة عن تعريفهما المعجزة من ناحية ، وذكرهما في التعريف " الرسول " بدلا من " النبي " ، اذ أنه أعم من الرسول ، فالوجه أن يذكر النبي بدل الرسول ، من ناحية أخرى (٥) .

جـ – شرائط المعجزة :

قسم العلامة ابن كمال باشا شرائط المعجزة الى قسمين :

أحدهما : مالابد منه في تحقق ركنها

---

(١) الايجي : المواقف/٣٣٩ . (٢) ابن كمال باشا : الرسالة السابقة ، نفس الصفحة .

(٣) الايجي : المواقف ص ٣٣٩ . وانظر أيضا : تعريف الآمدي في غاية المرام ص ٣٢٣ ؛ و أبكار الأفكار ٢/١٣٠ أ .

(٤) السيد الشريف : شرح المواقف ص ٥٤٧ .

(٥) ابن كمال باشا : رسالة في تحقيق المعجزة ١٣٩ – ١٤٠ .

وثانيهما : مالابد منه في دلالتها على صدق من يدعي النبوة .

ولم يسبقه أحد في هذا التقسيم فيما أعلم من علماء العقيدة ، حيث ذكروا شروط المعجزة بدون تفرقة وتقسيم في مكان واحد [1] .

القسم الأول : مالا بد منه في تحقق ركن المعجزة :

" فهو أن يكون أمرا خارقا للعادة [2] ، اذ لا اعجاز دونه " واعترض على الشريف الفاضل في تصديه لبيانه في شرحه للمواقف [3] بقوله :

" فان المعجزة تنزل من الله تعالى منزلة التصديق بالقول ، كما سيأتي . وما لا يكون خارقا للعادة ، بل معتادا ، كطلوع الشمس في كل يوم ، وبدو الأزهار في كل ربيع ، فانه لايدل على الصدق لمساواة غيره إياه في ذلك ، حتى الكذاب في دعوى النبوة " .

قال العلامة ابن كمال باشا في اعتراضه عليه : " ولم يصب في ذلك البيان ، لأن الصدور من الله تعالى كاف في التنزل المذكور ، خارقا كان ذلك الصادر للعادة ، أو لم يكن خارقا لها ، وقد اعترف به نفسه حيث قال : " والمعجزة عندنا مايقصد به تصديق مدعي الرسالة،وان لم يكن خارقا للعادة " .

---

(١) انظر في ذلك على سبيل المثال : الباقلاني : البيان ٤٥ـ٤٨ ، البغدادي : أصول الدين / ١٧٠ ، الجويني : الارشاد ٣٠٧ ، ٣١٥ ، والعقيدة النظامية ٤٨ ـ ٥١ ، ابن الأنباري : الداعي الى الاسلام ٢٨٠ـ ٢٨٤ ، الآمدي : غاية المرام ٣٢٣ـ٣٣٤ ، الايجي : المواقف ٣٣٩ـ ٣٤٠ ، السيد الشريف : شرح المواقف ٥٤٧ـ ٥٤٩ ، الدواني : شرح العقائد العضدية مع حاشية الشيخ محمد عبده بعنوان : الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والمتكلمين ٢ / ٦٣٥ ، البيجوري : تحفة المريد ١٣٣ ـ ١٣٤ ، الشيخ بخيت : القول المفيد / ٥٠ ، وغيرها من الكتب الكلامية .

(٢) اى : أمر يفوق طاقات البشر ، ويخرق قوانين الطبيعة وخواص العادة المعروفة لنا (عتر : بينات المعجزة الخالدة ٢٦ ، ٤٤ ، الحميضي : خوارق العادات ص ١٨) .

(٣) السيد الشريف الجرجاني : شرح المواقف / ٥٤٧ .

ثم ان ما ذكره بقوله : " وما لايكون خارقا للعادة ، بل معتادا ... الخ " انما يدل على أنه لابد من ذلك الشرط في دلالة المعجزة على صدق من يدعي النبوة ، لاعلى أنه لابد منه في تحقق الاعجاز بها ، والكلام فيه . فانه قد أورد ما نقل عنه في شرح قول صاحب المواقف (١) : " اذ لااعجاز دونه ". فمنشأ الخبط : الخلط بين نوعي الشرط ، وعدم الفرق بينهما .

بل لم يصب – أي الشريف الفاضل – في التصدي للبيان ، لما عرفت أن المبين أظهر من ذلك البيان . "

كما وجه نقده على صاحب المواقف في عده "تعذر المعارضة" أي معارضة مدعي النبوة من جملة الشرائط ، لأنه في الحقيقة معنى الاعجاز المعتبر في ركن المعجزة ، فلا وجه لعده من الشروط ، فصاحب المواقف مع اعترافه بما ذكر حيث قال : " فان ذلك حقيقة الاعجاز " لم يصب في عده من جملة الشرائط .

ثم ان اعتباره شرطا غني عن اشتراطه " بأن يكون أمرا خارقا للعادة" لاستلزمه اياه لزوما بينا ، فلا وجه لعد كل واحد منهما شرطا على حدة ، كما فعله ذلك الفاضل ومن حذا حذوه (٢) .

<u>القسم الثاني</u> : مالا بد منه في دلالة المعجزة على صدق من يدعي النبوة :

١ – فمنه : أن يكون ظاهرا على وفق دعوى من تحدى به ، حتى يكون تصديقا فعليا من الله تعالى ، نازلا منزلة التصديق القولي .

فلو قال : معجزتي أن أحيي ميتا ، فأتى بخارق آخر ، كنتق الجبل لم يدل على صدقه .

(١) ص ٣٣٩ . (٢) ابن كمال باشا : رسالة في تحقيق المعجزة ١٤٠ – ١٤١ .

٢ ـ ومنه: أن لايكون مكذبًا له• فلو قال: معجزتي أن ينطق هذا الضب، فقال: إنه كذاب، لم يعلم به صدقه، بل ازداد انكار المنكر، وقوى اعتقاده بكذبه••

٣ ـ ومنه: أن يكون ظاهرا على يده، والمراد من ظهوره على يده أن يكون لكسبه،أو إرادته مدخل فيه، فمثل طلوع الشمس على الوجه المعتاد خارج بهذا القيد•

٤ ـ ومنه: أن لايكون متقدما على الدعوى، لأن التصديق قبل االدعوى لايعقل• المراد: التقدم في الظهور••

ونقل العلامة ابن كمال باشا عن صاحب المواقف(١) قوله: فما تقولون في كلام عيسى عليه السلام في المهد(٢)، وتساقط الرطب الجني من النخلة اليابسة؟(٣).

قلنا: تلك الخوارق كرامات، وظهورها على الأولياء جائز، والأنبياء قبل نبوتهم لايقصرون عن درجة الأولياء•

وقد قال القاضي: "ان عيسى عليه السلام كان نبيا في صباه (٤)، لقوله تعالى (وجعلني نبيا)، ولايمتنع من القادر المختار أن يخلق في الطفل ما هو شرط في النبوة من كمال العقل وغيره•

ولايخفى بعده، مع أنه لم يتكلم بعد هذه الكلمة ببنت شفة الى أوانه، ولم يظهر الدعوة بعد أن تكلمها الى أن يتكامل فيه شرائطها•

(١) الايجي: المواقف/٣٤٠•

(٢) اشارة الى قوله تعالى (قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) مريم/٣٠•

(٣) إشارة الى قوله تعالى (وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) مريم/٢٥•

(٤) وذكر هذا الرأي القاضي البيضاوي بصيغة التمريض في أنوار التنزيل ٤/٦، وكذلك أبو السعود في إرشاد العقل السليم ٥/٢٦٤•
وذكر النسفي في مدارك التنزيل (٣/٢٢٠)، والآلوسي في روح المعاني (١٦/٨٩) أنه رواية عن الحسن•

وقوله (وجعلني نبيا) فهو كقول النبي عليه السلام " كنت نبيا وآدم بين الماء والطين " (١) ، يعني في التعبير عن القبول والأهلية بالفعل . فمعنى القول المحكي عن عيسى عليه السلام : أنه جعلني أهلا مستعدا للنبوة وأنا في المهد . ومعنى قول نبينا عليه السلام : كنت مستعدا للنبوة ، قبل خلق آدم عليه السلام ، وهذا الاستعداد كان لروحه الشريف المخلوق قبل بدنه اللطيف . وهذا هو الوجه ، لا ماذكره الشارح الفاضل (٢) بقوله : "في أنه تعبير عن المتحقق فيما يستقبل بلفظ الماضي " ، فانه وهم .. " (٣) .

كما اعترض على صاحب المواقف في كلامه السابق بقوله "أن تساقط الرطب الجني من النخلة اليابسة " على مريم على مانطق بنص القرآن ، لا على عيسى عليه السلام ...

وأما تأخر ظهور المعجزة عن الدعوى ، فإن كان بزمن يسير يعتاد مثله فجائز بلا خلاف فيه ، في وجه دلالته ، وإن كان بزمان كثير ،

---

(١) الى هنا انتهى كلام صاحب المواقف . والحديث نقل السيوطي في تخريج أحاديث شرح المواقف (ص٢٠)عن الزركشي أنه قال : لا أصل له بهذا اللفظ . انظر أيضا : القاري : الأسرار المرفوعة / ٢٦٨ .
وقال السخاوي في المقاصد الحسنة/ ٣٢٧ : "فلم نقف عليه بهذا اللفظ" . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : "لا أصل له ، ولم يروه أحد من أهل العلم الصادقين ، ولا هو في شيء من كتب العلم المعتمدة بهذا اللفظ ، بل هو باطل ، فان آدم لم يكن بين الماء والطين قط ، فإن الله خلقه من تراب ، وخلط التراب بالماء حتى صار طينا ... " (مجموع الفتاوى ٢/ ١٤٧ ، ٨/ ٢٨٣ ، الرد على البكري ص٨-٩) .

(٢) الجرجاني : شرح المواقف ص٥٤٩ .

(٣) وكأنه يؤيد رأيه هذا في تفسيره حيث قال في تفسير قوله تعالى حاكيا عن عيسى عليه السلام (...وجعلني نبيا) : "عن الحسن : أنه كان في المهد نبيا ، وكلامه معجزته . وقيل : معناه : ان ذلك سبق في قضائه ، أو جعل الآتي لا محالة كأنه وجد " (تفسيره/ ٤٤٤ب) ، حيث ضعف القولين الآخرين في تفسير الآية ... (انظر : أيضا / ٤٠٠ أ من تفسيره) .

مثل أن يقول : معجزتي أن يكون كذا ، بعد شهر، فكان ، فجائز أيضا بلا خلاف فيه ، دون وجه دلالته ، فانهم اختلفوا فيه . فقيل : إخباره عن الغيب قبل وقوعه ، فيكون أصل المعجز متأخرا ، وهذا هو الوجه في تحرير الكلام في هذا المقام" (١)

هـ ـ ومنه : أن يكون فعلا لله تعالى ، أو ما يقوم مقامه من المنح . وهذا لأن التصديق من الله تعالى لايحصل بما ليس من قبله .

قال الآمدي في أبكار الأفكار : فان قيل : شرط المعجزة يجب أن يكون خاصا بالمعجزة ، غير عام لها ولغيرها ، واذا كانت جميع الأفعال من فعل الله تعالى ، سواء كانت معجزة ، أو لم تكن ، فلا معنى لعد ذلك من شرائط المعجزة ؟!

قلنا : عموم الوصف لايخرجه عن أن يكون شرطا في غيره ، اذا كان ذلك الغير متوقفا عليه . وانما يمتنع أخذ عموم الفعل شرطا في المعجزة ، أن لو كان شرطا ـ بمعنى كونه ـ مميزا عن غيرها وحده ، وليس كذلك بل ذلك شرط ، بمعنى توقف المعجزة عليه ، وتميزها عن غيرها بجملة ماذكرناه من الشروط " (٢)

د ـ بيان وجه دلالة المعجزة على صدق من يدعى النبوة :

يرى العلامة ابن كمال باشا " أنها عادية ، قد جرت عادة الله بخلق العلم بالصدق عقيب ظهورها . فان إظهار المعجز على يد الكاذب ، وان كان ممكنا عقلا ، فمعلوم انتفاؤه عادة ، كسائر العاديات (٣) . وهذا البيان صريح في أن وجه عدم كون دلالتها عقلية ، تجويز العقل

---

(١) ابن كمال باشا : رسالة في تحقيق المعجزة ١٤٢ ـ ١٤٤ .

(٢) ابن كمال باشا : رسالة في تحقيق الفعجزة ١٤٤ ـ ١٤٥ .

(٣) انظر: الايجي : المواقف ص ٣٤١ ، وكذلك : التفتازاني : شرح المقاصد ١٨/٥ .

ظهورها على يد الكاذب ، لا وقوع تخلف الصدق عنها في الكاذب ، كما توهمه الشريف الفاضل ، حيث قال في شرحه للمواقف (١) : " فلا يكون دلالته عقلية ، لتخلف الصدق منه في الكاذب " . والفرق بين المعنيين ، وعدم استلزام الأول للثاني واضح " (٢) .

وأما قول ذلك الفاضل (٣) : " وهذه الدلالة ليست دلالة عقلية محضة ، كدلالة الفعل على وجود الفاعل ، ودلالة إحكامه وإتقانه على كونه عالما بما صدر عنه . فان الأدلة العقلية ترتبط بنفسها بمدلولاتها ، ولا يجوز تقديرها غير دالة عليها ، وليست المعجزة كذلك ، فان خوارق العادات ، كانفطار السماوات ، وانتثار الكواكب ، وتدكدك الجبال يقع عند تصرم الدنيا ، وقيام الساعة ، ولا إرسال في ذلك الوقت . وكذلك تظهر الكرامات على أيدى الأولياء ، من غير دلالة على صدق مدعى النبوة .

ولا دلالة سمعية ، لتوقفها على صدق النبي عليه السلام ، فيدور ، بل هي دلالة عادية " فيعقب ابن كمال باشا على كلامه بقوله : " فان مساق كلامه على الذهول عن اعتبار الشرائط المذكورة في المعجزة ، أو الغفول عن أن الكلام فيها ، لا في مطلق الخارق للعادة ..." (٣) .

" وقال القاضي (٤) : اقتران ظهور المعجزة بالصدق ليس لازما لزوما عقليا ، بل هو أحد العاديات ، فاذا جوزنا انخراقها عن مجراها العادى جاز إخلاء المعجز عن اعتقاد الصدق ، وحينئذ يجوز إظهاره على يد الكاذب ، اذ لا محذور فيه سوى خرق العادة في المعجزة ، والمفروض أنه جائز " .

قال العلامة ابن كمال باشا معقبا عليه : " وكأنه غافل عن أن

---

(١) ص ٥٥٠ . (٢) ابن كمال باشا : رسالة في تحقيق المعجزة ص ١٤٥ .

(٣) الجرجاني : شرح المواقف ص ٥٤٩ .

(٤) ابن كمال باشا : رسالة في تحقيق المعجزة ص ١٤٧ .

المعجز ليس بمطلق الخارق ، بل خارق قصد الله تعالى به تصديق من ظهر على يده في دعواه . فمن وقف على الخارق المعجز ، وعرف أن الخارق لايكون معجزا الا بما ذكر ، لابد له من اعتقاد الصدق ، فعدم الاعتقاد لانعدام أحد الأمرين المذكورين ، وليس في انعدام واحد منهما خرق عادة ، فليس اخلاء المعجز عن اعتقاد الصدق من قبيل الخوارق ، كما توهمه القائل المذكور " .

وتابع ابن كمال باشا قوله : " واذ قد عرفت : أن مدار دلالة المعجزة على صدق من يدعي النبوة ، على أنها تصديق فعلي من الله تعالى، جار مجرى التصديق القولي (١) ، فقد وقفت على أن من أنكر إحاطة علمه تعالى بالحوادث الجزئية ، أو قدرته بمعنى صحة الفعل والترك فقد أنكر دلالتها على صدق من يدعي النبوة ، سواء اعترف بانكاره لها ، كالفلاسفة ، أو لم يعترف كالمتفلسفين من المنتمين الى ملة الاسلام، ومنهم الفارابي ، وابن سينا " (٢) .

وبعد اعتراضات وتوجيه انتقادات الى المتكلمين السابقين في تعريفهم المعجزة ، وبيان أركانها ، وشرائطها بنوعيها ، ووجه دلالتها على صدق من يدعي النبوة ، وصل صاحبنا العلامة ابن كمال باشا الى تعريف يرى أنه جامع مانع ، خال من القصور والأمور التي استشكلت في تعاريف المتكلمين، اذ يقول : " اعلم أنه قد تلخص مما قررناه فيما تقدم ، أن المعجزة : أمر ، يظهر على يد مدعي النبوة ، على وجه يعجز المنكرين عن المعارضة . سواء كان ذلك الأمر ثبوت ماليس بمعتاد ، أو نفي ماهو معتاد " (٣) .

---

(١) انظر هذا المعنى عند النسفي في التمهيد ص ٢٣٨ .

(٢) ابن كمال باشا : رسالة في تحقيق المعجزة ١٤٧ ، وانظر أيضا : رسالة في أن القرآن العظيم كلام الله القديم ص ١٣١ .

(٣) ابن كمال باشا : رسالة في تحقيق المعجزة ص ١٤٧ .

ثم ان الله تعالى قد جعل معجزة كل نبى مما يتعاطاه أهل زمانه ، ونبغوا فيه ، فمثلا " ان موسى عليه السلام كان فى زمانه السحرة كثيرون ،حتى جعل كل واحد منهم عصاه حية بالسحر ، فأبطل موسى عليه السلام سحرهم بعصاه . وكذا عيسى عليه السلام كان فى زمانه الأطباء الحاذقون كثيرون ،فأعجزهم عيسى عليه السلام بإحياء الأموات. وكذا محمد عليه الصلاة والسلام كان فى زمانه الفصحاء والبلغاء فى الكلام كثيرون ، فأعجزهم بالقرآن العظيم الذى أدرج فيه جميع العلوم .. " (١).

والذى تحدى به فصحاءَ العرب وبلغاءهم " أولا بالإتيان بمثل كل القرآن لقوله تعالى (فليأتوا بحديث مثله) (٢) ، ثم أخبرهم عن عجزهم عن ذلك بقوله (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله) (٣) ، ثم بعشر سور مثله بقوله تعالى (قل فأتوا بعشر سور مثله) (٤) . ثم لما ظهر عجزهم عنها أيضا تحداهم بسورة بقوله (فأتوا بسورة من مثله) (٥) ، فعجزوا عن ذلك كله ...

ولما كان الأمر المذكور أمر تهكم وتعجيز أخبر أنهم ليسوا قادرين على إتيان المأمور بقوله (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) (٦) ... فالمعنى : فان لم تأتوا بسورة من مثله ، ولن تأتوا بسورة من مثله ... أى لستم بفاعلين ذلك أبدا ، لأن " لن " لتأكيد النفى فى المستقبل " (٧).

ولسان المعارضة عَيّ الى الآن ، والى الأبد ، وهو أكثر من ألف سنة

---

(١) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص٨ ؛ انظر أيضا : شرح المقاصد ١٤/٥ــ١٥ .

(٢) الطور/٣٤ . (٣) الاسراء/٨٨ .

(٤) هود / ١٣ . (٥) البقرة/٢٣ ، وكذلك سورة يونس / ٣٨ .

(٦) البقرة/٢٤ .

(٧) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٤/١ ــ ٣٥ (الحرم المكى) ؛ ورسالة فى تحقيق أن القرآن معجز ١١٢ ب ومابعدها ...

وأربعمائة سنة .. وفي ذلك أكبر دليل وبرهان على أنه منزل من الملك الدّيان ، وأنه معجزة كبرى الى آخر الدهر لمن نزل عليه صلى الله عليه وسلم .

هذا ، ولعلى اخترت الاطناب بدلا من الايجاز في عرض رأيه في المعجزة : تعريفها ، وركنها ، وشروطها ، ووجه دلالتها على صدق من يدعي النبوة ، وبيان اعتراضات ابن كمال باشا فيها على السابقين ، وذلك لتأكيد القول بأنه ليس مجرد جامع أو ناقل لآراء السابقين ، وانما هو ينظر في نصوصهم ، ويستقصي الأقوال في الموضوع ، ثم يتحرى في البيان الدقة ، ويتخير من بينها القول الصحيح ، ويبين أماكن الضعف والخلل فيها ، ويأتي برأي من عنده جديد ان لم يعجبه أقوال السابقين ، كما فعله هنا في تعريف المعجزة ، حيث بين أماكن الزلل في تعريفات السابقين ، ونقدها ، ووضع لها تعريفا من عنده ، أعتقد أنه خال من الاعتراضات والزلل .. وهذا هو منهجه في معظم رسائله التي كتبها لمعالجة الموضوعات المختلفة ، والتي دار حولها النقاش في أيامه أو ماقبلها ..

ـ نقـد وتحليـــــل ـ

تسميـــة المعجـــزة :

ان علماء الكلام ومنهم العلامة ابن كمال باشا قد أطلقوا عليها اسم " المعجزة " لأن خصم النبى يعجز عن الاتيان بمثلها • وقال ابن حجر العقسلانى : " وسميت المعجزة لعجز من يقع عندهم ذلك عن معارضتها " (١) .

وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية أن الله تعالى سماها آية ، وبينة ، وبرهانا • فقال : " الآيات والبراهين الدالة على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرة متنوعة ، وهى أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء •

ويسميها من يسميها من النظار معجزات ، وتسمى دلائل النبوة ، وأعلام النبوة ، ونحو ذلك • وهذه الألفاظ اذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ، ولهذا لم يكن لفظ " المعجزات " موجودا فى الكتاب والسنة ، وانما فيه لفظ " الآية ؟ و " البينة " ، و " البرهان " ••• ولهذا كان كثير من أهل الكلام لايسمى معجزا الا ماكان للأنبياء فقط ، وما كان للأولياء ـ ان أثبت لهم خرق عادة ـ سماها كرامة • والسلف ـ كأحمد وغيره ـ كانوا يسمون هذا وهذا معجزا ، ويقولون لخوارق الأولياء انها معجزات ، إذ لم يكن فى اللفظ مايقتضى اختصاص الأنبياء بذلك " (٢) .

وأنت ترى أن شيخ الاسلام ابن تيمية لم يفرق فى كلامه بين مايسمى أعلام النبوة ، ودلائل النبوة ، وبين المعجزات ، حيث ان الأولى أعم من

---

(١) فتح البارى ٦/٥٨١ ـ ٥٨٢ .

(٢) الجواب الصحيح ٤/٦٧ ، ٧٠ ، وأيضا السفارينى : لوامع الأنوار ٢/٢٩٠ ـ ٢٩١ .

الثانيــة.. وأمــا المتكلــمونففرقــوا بينهمــا وبــين الكرامــات أيضا ...

قــال الحافــظ ابن حجــر فــى التميز بين د لائل النبوة والمعجــزات فــى شرح (باب علامــات النبوة) مــن صحيح البخارى : " العــلامــات جمع علامــة ، وعبر بهــا المصنف لكون مايورد ه مــن ذلك أعم مــن المعــجزة والكرامــة . والفرق بينهمــا أن المعجــزة أخص ، لأنه يشترط فيهــا أن يتحــد ى النبى مــن يكذ بــه .... ويــشترط أن يكــون المتحــد ى بــه ممــا يعجــز عنــه البشر فى العــاد ة المستمرة " (١).

شـــروط المعجـــــزة :

وجــه شيــخ الاســلام ابن تيميــة الــى المتكلمــين ومنهــم العــلامــة ابــن كمــال باشا انتقــاد ات فــى شروط المعجـــزة .

ومــن هــذ ه الشروط المنتقــد ة مــن قبلــه أن تكــون المعجــزة خــارقة للعــاد ة ، أى مخالفــة لسنن الكــون وقوانيــن الطبيعة وخــواص المــاد ة ، وخارجة عــن قانــون الأسبــاب والمسببــات المعهــود للنــاس (٢) .

والمتكلمــون وكذ لك ابــن كمال باشــا يرون أن " المعــتبر فــى كون الآيــة حجة أن يكــون ذ لــك نقضا لعــاد ة مــن كانت الآيــة حجــة عليــه ، والعــاد ة عــاد ة لــه " (٣) .

ولــو قــد رنــا أن مــا أتــى بــه النــبى " معتــاد ا عنــد أمــة مــن الأمــم ، فــى قطــر مــن أقطــار الأرض ، فــلا يكــون ذ لــك مانعــا لمــا أتــى بــه النــبى أن يكــون خارقــا للعــاد ة بالاضــافة الــى مــن بعــث اليهــم ، ووقــع التحــد ى معــهــم " (٤).

---

(١) فتح البارى ٦ / ٥٨١ (٢) د . عتر : بينات المعجزة الخالد ة ص ٢٦ .
(٣) الشهرستانى : نهاية الاقدام / ٤٣٩ . انظر أيضا : ابن تيمية : النبوات / ١١١ .
(٤) ابن الأنبارى : الداعى الى الاسلام ص ٣١٢ .

وأما شيخ الاسلام ابن تيمية فيرى أن معجزة الأنبياء لابد أن تكون خارقة لجميع العادات ، عادات الانس والجن ، ماعدا عادة الأنبياء.

قال في كتابه النبوات (١) : " فصل : في معنى خرق العادة ، وأن الاعتبار أن تكون خارقة لعادة غير الأنبياء مطلقا ، بحيث تختص الأنبياء ، فلا توجد الامع الاخبار بنبوتهم " .

وقال فيه أيضا (٢) : " النبوة لها خواص مستلزمة لها ، تعرف بها ، وتلك الخواص خارقة لعادة غير الأنبياء ، وان كانت معتادة للأنبياء ، فهي لاتوجد لغيرهم ... فاذا أتى مدعى النبوة بالأمر الخارق للعادة الذى لايكون الالنبي لايحصل مثله لساحر ولا كاهن ولاغيرهما ، كان دليلا على نبوته " .

وأكد أن الخارق الذى يخرق عادة غير الأنبياء هو الذى جنسه خارج عن مقدور البشر وجنس الحيوان . قال في كتابه المذكور (٣) : " جنس آيات الأنبياء خارجة عن مقدور البشر ، بل وعن مقدور جنس الحيوان . وأما خوارق مخالفيهم - كالسحرة والكهان - فانها من جنس أفعال الحيوان من الانس وغيره من الحيوان والجن ، مثل قتل الساحر وتمريضه لغيره . فهذا أمر مقدور ، معروف للناس بالسحر وغير السحر ، وكذلك ركوب المكنسة أو الخابية ، وغير ذلك حتى تطير به ، وطيرانه في الهواء من بلد الى بلد ، هذا فعل مقدور للحيوان ، فان الطير يفعل ذلك ، والجن تفعل ذلك " .

وقال فيه أيضا (٤) : " ان آيات الأنبياء هي الخارقة للعادات ، عادات الانس والجن ، بخلاف خوارق مخالفيهم ، فان كل ضرب منها معتاد لطائفة " .

---

(١) ص ٢١٩ . (٢) ص ٢٣ . (٣) ص ٦ - ٧ .

(٤) ص ٢٩٩ . انظر كذلك ص ٢٢٦ ، و ١١٥ .

ويبدو لي أن ماذهب اليه ابن تيمية من أن تكون المعجزة خارقة لجميع العادات أوفق لشروط المعجزة ..

وقد رد ابن تيمية على المتكلمين أيضا في اشتراطهم للمعجزة مقارنتها للدعوى حيث انه يرى أن آيات الأنبياء متى اختصت بنبي كانت آية له ، سواء وجدت قبل ولادته ، أو بعدها ، أو بعد موته ، أو على يد أحد من الذين آمنوا به ، كما أن أشراط الساعة آية للنبي الذي أخبر بها ، قال في ذلك : (١)

" فان كل نبي خص بآيات ، لكن لايجب في آيات الأنبياء أن تكون مختصة بنبي ، بل ولايجب أن يختص ظهورها على يد النبي ، بل متى اختصت به ، وهي من خصائصه ، كانت آية له ، سواء وجدت قبل ولادته ، أو بعد موته ، أو على يد أحد من الشاهدين له بالنبوة ، فكل هذه من آيات الأنبياء . والذين قالوا : من شرط الآيات أن تقارن دعوى النبوة غلطوا غلطا عظيما ... بل وأشراط الساعة هي من آيات الأنبياء " .

وقال أيضا (٢) : " فقد تبين أنه ليس من شرط دلائل النبوة لاقترانه بدعوى النبوة ، ولا الاحتجاج به ، ولا التحدي بالمثل ، ولا تقريع من يخالفه ، بل كل هذه الأمور قد تقع في بعض الآيات ، لكن لايجب أن ما لايقع معه لايكون آية ، بل هذا ابطال لأكثر آيات الأنبياء لخلوها من هذا الشرط " .

فهنا يتحدث ابن تيمية عن آيات الأنبياء عموما ، وهي التي تسمى آيات النبوة ، ودلائل النبوة ، وأعلام النبوة ، من ناحية ..

ثم إنكاره منصب على ماذهب اليه المعتزلة من جعلهم مقارنة المعجزات للدعوى شرطا لازما مما أدى بهم الى تأويل بعض المعجزات (٣) ،

---

(١) النبوات/٢٢٨ . (٢) النبوات/١٥٢ .

(٣) الحميضي : خوارق العادات ص ٣٢ .

من ناحية أخرى .

فهو لم ينف هذا الشرط ، اذ أنه يرى أن من الآيات ما لابد من وجوده في حياة النبي ، وخاصة به ، وذلك لتقوم به الحجة ، وتظهر به المحجة :

يقول : " وآيات النبوة وبراهينها تكون في حياة الرسول ، وقبل مولده ، وبعد مماته ، لاتختص بحياته ، فضلا عن أن تختص بحال دعوى النبوة ، أو حال التحدي ، كما ظنه بعض أهل الكلام ، بل لابد من آيات في حياته تدل على صدقه تقوم بها الحجة ، وتظهر بها المحجة ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (١) :

" ما من نبي من الأنبياء الا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر ، وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله الي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة " (٢) .

كما أنه لم ينف غيره من الشروط عن الآيات عموما (٣) ؛ إنما الذي نفاه هو جعلهم بعض هذه الشروط مما تتميز به المعجزة عن غيرها ، ومن خصائصها ، ووصفا لازما لها .

قال في ذلك (٤) : " وهؤلاء ـ أي المعتزلة ـ جعلوا مجرد كونه ـ أي المعجز ـ خارقا للعادة هو الوصف المعتبر ، وفرق بين أن يقال : لابد أن يكون خارقا للعادة ، وبين أن يقال : كونه خارقا للعادة هو المؤثر ،

---

(١) أخرجه البخاري (٣/٩) في كتاب (٦٦) فضائل القرآن ، باب (١) كيف نزل الوحي وأول مانزل برقم /٤٩٨١ ، وأيضا برقم/٧٢٧٤ .
ومسلم (١٣٤/١) في كتاب (١) الايمان ، باب (٧٠) وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، برقم/١٥٣ .

(٢) ابن تيمية : الجواب الصحيح ٢٥٠/٤ ـ ٢٥١ .

(٣) انظر : الحميضي : خوارق العادات /٢٩ .

(٤) النبوات /٣١ .

فان الأول يجعله شرطا ، لاموجبا ، والثاني يجعله موجبا ".

وقال أيضا (١) : " ولهذا لم يسمها – اى المعجزات – الله تعالى في كتابه الا آيات وبراهين ، فان ذلك اسم يدل على مقصودها ، ويختص بها ، لايقع على غيرها ، لم يسمها معجزة ، ولا خرق عادة ، وان كان ذلك من بعض صفاتها ، فهى لاتكون آية وبرهانا حتى تكون قد خرقت العادة ، وعجز الناس عن الإتيان بمثلها ، لكن هذا بعض صفاتها ، وشرط فيها ، وهو من لوازمها ، لكن شرط الشيء ولازمه قد يكون أعم منه ".

ويقول أيضا (٢) : " التاسع أن يقال : آيات الأنبياء لاتكون الا خارقة للعادة ، ولاتكون مما يقدر أحد على معارضتها ، فاختصاصها بالنبى ، وسلامتها من المعارضة شرط فيها ، بل وفى كل دليل ".

وبذلك يظهر أن العلامة ابن كمال باشا يقترب من رأى شيخ الاسلام ابن تيمية فى معظم شروط المعجزة ..

وأما وجه دلالة المعجزة على صدق من يدعى النبوة :

فإن المعجزة تدل على صدق من يدعى الرسالة فى دعواه ، وهذا أمر لاخلاف فيه بين المسلمين (٣).

ولكن هل دلالتها على صدق صاحبها عقلية ، أم عادية ؟

وهذه المسألة فى الحقيقة مبنية على مسألة جواز صدور المعجز على يد الكاذب، أو لا ؟

فالعلامة ابن كمال باشا وجمهور الأشاعرة يرى أن ظهور المعجز على يد الكاذب جائز عقلا ، بناء على شمول قدرة الله تعالى ، ولكنه ممتنع عادة، معلوم الانتفاء قطعا ، كما هو سائر العاديات .. وبناء على ذلك يقولون :

(١) النبوات/٢٢٠، انظر كذلك : ٢٢٦ـ ٢٢٧ .   (٢) النبوات/١١٤ .

(٣) د. عتر: بينات المعجزة الخالدة ص ٨٥ ؛ مغفور عثمان : النبوة/١١٦ .

إن دلالة المعجزة على صدق من يدعى النبوة عادية ، بمعنى أن الله تعالى أجرى عادته فى خلقه بخلق العلم لدى المرسل اليهم بصدق من يظهر على يده المعجزة ، عقب ظهورها .. (١)

والأشعرى ومن تبعه من منتسبيه يقولون : إن ظهور المعجزة على يد الكاذب ممتنع عقلا ، لأن للمعجزة دلالة قطعية على الصدق ، يمتنع التخلف فيها ، فلا بد لها من وجه دلالة ، اذ به يتميز الدليل الصحيح عن غيره ، وان لم نعلم ذلك الوجه بعينه.

فإن دل المعجز المخلوق على يد الكاذب على الصدق كان الكاذب صادقا ، وهو محال ، والا انفك المعجز عما يلزمه من دلالته القطعية على مدلوله ، وهو أيضا محال (٢).

ضح من ذلك أن الأشعرى ومن تبعه يرى أن دلالة المعجزة على صدق صاحبها دلالة عقلية.

وأما الماتريدية فيرون أن ظهور المعجز على يد الكاذب مستحيل عقلا، لأن ذلك يوجب التسوية بين الصادق والكاذب ، وعدم التفرقة بين النبى والمتنبى ، وهو سفه ، لايليق بالحكيم (٣).

وهذا يقتضى أن دلالة المعجزة على صدق من يدعى النبوة عند الماتريدية دلالة عقلية ، لايجوز تخلف الصدق عنها عقلا (٤).

وكان الأولى لابن كمال باشا أن يقتدى بأصحابه الماتريدية القائلين بامتناع ظهور المعجزة على يد الكاذب ، لأنه يؤدى الى التسوية بين الصادق والكاذب ، والنبى والمتنبى ، وهو سفه ، لايليق بالله تعالى الحكيم.

---

(١) ابن كمال باشا : رسالة فى تحقيق المعجزة/١٤٥ ؛ الجرجانى : شرح المواقف /٥٥٠ ؛ التفتازانى : شرح المقاصد ١٨/٥ .

(٢) الجرجانى : شرح المواقف/٥٥٠ .

(٣) التفتازانى : شرح المقاصد ١٨/٥ .

(٤) انظر أيضا : مغفور عثمان : النبوة والرسالة /١١٦ ــ ١١٧ .

وبالتالى كان يقول ان دلالة المعجزة على صدق صاحبها دلالة عقلية، لايمكن عقلا تخلف الصدق عنها ..

وهذا القول هو ما ذهب اليه شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله.قال فى كتابه النبوات (١) : " والتحقيق أن إظهار المعجزات - الدالة على صدق الأنبياء - على يد الكاذب لايجوز ، لكن قيل : لامتناع ذلك فى نفسه ، كما قاله الأشعرى ، وقيل : لأن ذلك يمتنع فى حكمة الرب وعدله ، وهذا أصح ، فانه قادر على ذلك ، لكن لو فعله بطلت دلالة المعجز على الصدق ".

وقال أيضا (٢) : "إن مايدل على النبوة ، هو آية على النبوة ، وبرهان عليها ، فلا بد أن يكون مختصا بها ، لايكون مشتركا بين الأنبياء وغيرهم، فان الدليل هو مستلزم لمدلوله ، لايجوز (٣) أن يكون أعم وجودا منه ، بل إما أن يكون مساويا له فى العموم والخصوص ، أو يكون أخص منه ، وحينئذ فآية النبى لاتكون لغير الأنبياء ".

وقال فيه أيضا (٤) : " فصل فى آيات الأنبياء وبراهينهم : وهى الأدلة والعلامات المستلزمة لصدقهم ، والدليل لايكون الامستلزما للمدلول عليه ، مختصا به ، لايكون مشتركا بينه وبين غيره ، فانه يلزم من تحققه تحقق المدلول ، واذا انتفى المدلول انتفى هو ، فما يوجد مع وجود الشىء ، ومع عدمه لايكون دليلا عليه ، بل الدليل لايكون الا مع وجوده ، فما وجد مع النبوة تارة ، ومع عدم النبوة تارة لم يكن دليلا على النبوة ، بل دليلها مايلزم من وجوده وجودها ".

وأكد هذا المعنى أيضا فى موضع آخر (٥) فقال : "إنه لابد أن تكون الآية التى للنبى أمرا مختصا بالأنبياء ، فان الدليل مستلزم للمدلول عليه ، فآية النبى هى دليل صدقه ، وعلامة صدقه ، وبرهان صدقه ، فلا توجد

---

(١) ص ١٣٣ . (٢) النبوات ص ١٢ . (٣) فى الأصل : لايجب والسياق ينفيه .

(٤) النبوات/٣٠ . (٥) النبوات/١١٢ .

قط الا مستلزمة لصدقه ...".

ويبدو جليا من كلام ابن تيمية أن آيات الأنبياء أدلة نبوتهم، وعلامة صدقهم، فهي مستلزمة للنبوة متى وجدت، ولا يجوز أن تتخلف عنها أبدا، فلا توجد قط الا مستلزمة للنبوة، ولصدق صاحبها ..

فاذن تكون دلالة المعجزة على النبوة وصدق صاحبها دلالة عقلية. وبذلك يظهر مجانبة صاحبنا العلامة ابن كمال باشا للصواب في هذا الباب، والله أعلم ..

وقفة مع ابن كمال باشا في تفسيره للحديث :-

" كنت نبيا وآدم بين الماء والطين"، وقوله بأقدمية الأرواح، وبخاصة روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على الأجساد، حيث يرى في معنى الحديث أنه تعبير عن القبول والأهلية بالفعل، وأنه صلى الله عليه وسلم كان مستعدا للنبوة قبل خلق آدم عليه السلام، وهذا الاستعداد كان لروحه الشريف المخلوق قبل بدنه اللطيف، كما يرى أن معنى القول المحكي عن عيسى عليه السلام (وجعلني نبيا) : أنه تعالى جعله أهلا مستعدا للبنوة وهو في المهد (١).

وقد أكد هذا المعنى في رسالته " الفرائدوشرحه (٢)"، بل ذهب الى أبعد من ذلك حيث قال : " اعلم أن روح محمد صلى الله عليه وسلم أول باكورة أثمرها الله تعالى بإيجاده من شجرة الوجود، وأول شيء تعلقت به القدرة، شرفه بتشريف إضافته الى نفسه، فسماه روحي، كما سمى أول بيت من بيوت الله تعالى وضع للناس بيت الله، وشرفه بالاضافة

---

(١) ابن كمال باشا : رسالة في تحقيق المعجزة ١٤٣ ــ ١٤٤ .

(٢) ابن كمال باشا : رسالة الفرائد وشرحه ص ٢٧٣ .

الى نفسه . ثم حين أراد أن يخلق آدم عليه السلام سواه ، ونفخ فيه من روحه ، أى من الروح المضاف الى نفسه ، وهو روح النبى عليه السلام ، فكان روح آدم عليه السلام من روح النبى عليه السلام ، فهو أبو الأرواح ، كما أن آدم عليه السلام أبو الأشخاص. قال عليه السلام : "كنت نبيا وآدم بين الماء والطين" ، وهذا أحد أسرار قوله عليه السلام "آدم ومن دونه تحت لوائى يوم القيامة" (١) .

وقال فى موضع آخر (٢) فى تفسير قوله تعالى (استكبرت أم كنت من العالين) (٣) : "لعلهم ـ أى العالين ـ أرواح الأنبياء" ، "فان الأرواح مخلوقة قبل الأجساد بألفى عام (٤)" ، وقد قال عليه السلام "كنت نبيا وآدم بين الماء والطين" اهـ .

والذى يهمنا هنا مناقشة ابن كمال فى ثلاثة آراء له ، وهى :

أ ـ قوله بأقدمية الأرواح على الأجساد .

ب ـ قوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أول المخلوقات .

ج ـ قوله بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الأرواح كما أن آدم عليه السلام أبو الأشباح .

أ ـ قوله بأقدمية الأرواح على الأجساد :

وليس هذا القول هو القول الراجح فى المسألة ..

اختلف المسلمون فى خلق الأرواح هل كان قبل الأجساد ، أو تأخر عنها ؟ وذلك بعد اتفاقهم فى حدوثها حدوثا زمانيا ..

(١) والحديث جزء من حديث الشفاعة الطويل ، أخرجه بهذا اللفظ الامام أحمد عن ابن عباس فى مسنده ١/١٨١ . وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠/٣٧٢) : "رواه أبو يعلى وأحمد . وفيه على بن زيد ، وقد وثق على ضعفه ، وبقية رجالهما رجال الصحيح" .
وأخرجه الطيالسى فى مسنده ٣٥٢ـ٣٥٤ برقم/٢٧١١ . والبيهقى فى دلائل النبوة ٥/٤٨١ـ٤٨٣ .
وأخرج معناه الترمذى (٥/٣٠٨ـ٣٠٩) عن أبى سعيد الخدرى فى كتاب (٤٨) التفسير ، باب (١٨) ومن سورة بنى اسرائيل ، رقم ٣١٤٨ ، وقال : حسن صحيح .

(٢) رسالة الفرائد ص٢٨٤ .

(٣) سورة ص/٧٥ .

(٤) سيأتى تخريجه وكلام الأئمة فيه قريبا ..

وذهب طائفة الى تقدم خلقها : منهم محمد بن نصر المروزى ، والتقى السبكى(١) ، وصاحبنا العلامة ابن كمال باشا ، وابن حزم الظاهرى (٢) وحكاه إجماعا - وقد افترى - وغيرهم ، واستدل ابن حزم لذلك بما فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف(٣) " . وزعم أنها فى برزخ ، وهو منقطع العناصر ، فاذا استعد جسد لشئ منها هبط اليه ، وأنها تعود الي ذلك البرزخ بعد الوفاة ..

قال العلامة الآلوسى بعد أن ذكر رأيه : " ولادليل لهذا من كتاب أو سنة " (٤).

وأما استدلال ابن كمال باشا ومن معه بخبر " خلق الله تعالى الأرواح قبل الأجساد بألفى عام " .

قال العلامة ابن القيم (٥) : " فلا يصح اسناده . ففيه عتبة بن السكن قال الدار قطنى : متروك . وأرطأة بن المنذر ، قال ابن عدى : بعض

---

(١) انظر : السيوطى : الحاوى للفتاوى ٢/٢٦٧ .

(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ٣/١٦٨ - ١٦٩ ؛ ٤/١٢٢ - ١٢٣ .

(٣) أخرجه البخارى تعليقا (٦/٣٦٩) فى كتاب (٦٠) الأنبياء ، باب (٢) الأرواح جنود مجندة . ومسلم (٤/٢٠٣١) عن أبى هريرة فى كتاب (٤٥) البر والصلة ، باب (٤٩) الأرواح جنود مجندة ، برقم/٢٦٣٨ .
وأبو داود (٥/١٦٨ - ١٦٩) فى كتاب (٣٥) الأدب ، باب (١٩) من يؤمر أن يجالس ، /٤٨٣٤ . والامام أحمد فى مسنده ٢/٢٩٥ ، ٥٢٧ .
قال ابن القيم فى الروح (١٤٨) : " وهذا الحديث رواه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أبو هريرة ، وعائشة أم المؤمنين ، وسلمان الفارسى ، وعبد الله ابن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمرو ، وعلى بن أبى طالب ، وعمرو بن عبسة رضى الله عنهم " .

(٤) روح المعانى ١٥/١٥٦ ؛ وكذلك ابن القيم: الروح ١٥٦ ؛ السفارينى : لوامع الأنوار ٢/٤٠ .

(٥) الروح /١٧٢ . وأقر كلامه العلامة السفارينى فى لوامع الأنوار ٢/٤٥ ، والآلوسى فى روح المعانى ١٥/١٥٦ .

أحاديثه غلط " .

وقال السيوطي في تخريج أحاديث شرح المواقف (١) : "سنده ضعيف جدا " .

وقال ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية (٢) : "ضعيف جدا ، فلا يعول عليه " .

وذهب طائفة أخرى منهم الغزالي (٣) وشيخ الاسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية والسفاريني والآلوسي وغيرهم الى أن الأرواح خلقت بعد الأجساد ، وهذا القول هو الراجح لقوة أدلته وسطوع برهانه (٤) .

قال العلامة ابن القيم (٥) بعد أن ذكر الأدلة على أن خلق الأرواح متأخر عن خلق أبدانها : " ولو دل دليل على أنها - اى الأرواح - خلقت جملة ، ثم أودعت في مكان ، حية عالمة ناطقة ، ثم كل وقت تبرز الى أبدانها شيئا فشيئا لكنا أول قائل به ، فالله سبحانه على كل شيء قدير ، ولكن لانخبر عنه خلقا الا بما أخبر به عن نفسه ، على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يخبر عنه بذلك ، وانما أخبر بما في الحديث الصحيح " أن خلق ابن آدم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل اليه الملك ، فينفخ فيه الروح (٦) " .

---

(١) ص ١٣ برقم / ١٠ .

(٢) ص ١١٦ . وأقره العجلوني في كشف الخفا ١ / ٢٦٥ .

(٣) انظر الآلوسي : روح المعاني ١٤ / ٤٠ .

(٤) انظر أدلة الفريقين عند ابن القيم في الروح ١٥٦ ـ ١٧٣ ، والسفاريني في لوامع الأنوار ٢ / ٤٠ ـ ٤٥ .

(٥) الروح ١٧٤ ـ ١٧٥ . انظر أيضا : السفاريني : لوامع الأنوار ٢ / ٤٤ .

(٦) متفق عليه : أخرجه البخاري (٦ / ٣٠٣) في كتاب (٩) بدء الخلق ، باب (٦) ذكر الملائكة ، برقم ٣٢٠٨ ، وأيضا بأرقام ٣٣٣٢ ، ٦٥٩٤ ، ٧٤٥٤ .
ومسلم (٤ / ٢٠٣٦) في كتاب (٤٦) القدر ، باب (١) كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه ، ٢٦٤٣ .
والترمذي (٤ / ٤٤٦) في كتاب (٣٣) القدر ، باب (٤) ماجاء أن الأعمال بالخواتيم ، رقم ٢١٣٧ .
وأبوداود (٥ / ٨٢) في كتاب (٧٤) السنة ، باب (١٧) في القدر ، رقم / ٤٧٠٨ .
وابن ماجه (١ / ٢٩) في المقدمة ، باب (١٠) في القدر ، رقم / ٧٦ .

فالملك وحده يرسل اليه ، فينفخ فيه ، فاذا انفخ فيه ، كان ذلك سبب حدوث الروح فيه . ولم يقل : يرسل اليه الملك بالروح ، فيدخلها في بدنه ، وانما أرسل اليه الملك فأحدث فيه الروح بنفخته فيه ، لا أن الله سبحانه أرسل اليه الروح التى كانت موجودة قبل ذلك بالزمان الطويل مع الملك " .

ونقل العلامة الآلوسى (١) عن صاحب " روضة المحبين ونزهة المشتاقين " اختياره هذا القول قائلا : " إن القول بأن الأرواح خلقت قبل الأجساد قول فاسد ، وخطأ صريح . والقول الصحيح الذى عليه الشرع والعقل أنها مخلوقة مع الأجساد ، وأن الملك ينفخ الروح ، أى يحدثه بالنفخ فى الجسد ، اذا مضى على النطفة أربعة أشهر ، ودخلت فى الخامس ، ومن قال : إنها مخلوقة قبل ، فقد غلط ، وأقبح منه قول من قال : إنها قديمة " .

وبذلك يظهر مجانبة صاحبنا العلامة ابن كمال باشا للصواب فى هذه المسألة .

ب ـ قوله بأن روح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أول المخلوقات :

ولم يذكر ابن كمال باشا دليلا على ماذهب اليه من أقدمية روح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى " كنت نبيا وآدم بين الماء والطين " .

قال الامام ملا على القارى (٢) : " وروى : أن أول ماخلق الله العقل ، وأن أول ماخلق الله نورى ، وأن أول ماخلق الله روحى ، وأن أول ماخلق الله العرش . فالأولية من الأمور الاضافية ، فيؤول أن كل واحد مما ذكر خلق قبل ماهو من جنسه ، فالقلم خلق قبل جنس الأقلام ، ونوره قبل الأنوار ، والا فقد ثبت أن العرش قبل خلق السماوات والأرض ، فتطلق

---

(١) روح المعانى ١٥/١٥٧ . (٢) مرقاة المفاتيح ١/١٤٠ .

الأولية على كل واحد بشرط التقييد ، فيقال : أول المعاني كذا ، وأول الأنوار كذا . ومنه قوله " أول ما خلق الله نوري (١) " ، وفي رواية " روحي " ومعناهما واحد ، فان الأرواح نورانية ، أي أول ماخلق الله من الأرواح روحي ".

وقال القاري قبل ذلك أيضا (٢) في شرح حديث " كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء (٣) ". قال ابن حجر : اختلفت الروايات في أول المخلوقات . وحاصلها ـ كما بينتها في شرح شمائل الترمذي ـ أن أولها : النور الذي خلق منه عليه الصلاة والسلام ، ثم الماء ، ثم العرش ".

وقال في مكان آخر (٤) : " فالأولية إضافية ، والأول الحقيقي هو النور المحمدي ، على مابينته في المورد للمولد ".

وكذلك استشهدوا على أولية خلق روحه صلى الله عليه وسلم بحديث : " كنت أول النبيين في الخلق ، وآخرهم في البعث (٥) ".

---

(١) انظر أيضا : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١٦١/١ ، وشرح الأمالي ص١٧ ، والأسرار المرفوعة/٣٨٦ .

(٢) مرقاة المفاتيح ١٢٢/١ .

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٤٤/٤) في كتاب (٤٦) القدر ، باب (٢) حجاج آدم وموسى عليهما السلام رقم/٢٦٥٣ . والترمذي (٤٥٨/٤) في كتاب (٣٣) القدر ، باب (١٨) ، رقم/٢١٥٦ . وقال : حسن صحيح غريب .

(٤) مرقاة المفاتيح ١٣٩/١ . وانظر أيضا : العجلوني : كشف الخفا ٣١٢/١ .

(٥) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ٤٢/١ ، وتمام الرازي في فوائده (رقم ١٠٠٠) كلاهما من حديث سعيد بن بشير حدثنا قتادة عن الحسن عن أبي هريرة به.
قال محقق فوائد تمام : اسناده ضعيف ، فيه علتان : ضعف سعيد بن بشير ، والانقطاع بين الحسن وأبي هريرة ".
وأخرجه أيضا : ابن أبي حاتم في تفسيره ، وابن لال في مكارم الأخلاق ، كما في شرح الشفا (١٠٩/١) ، والأسرار المرفوعة (ص ٢٦٩) لعلي القاري ، والخصائص الكبرى (٩/١) للحافظ السيوطي . وأخرجه أيضا : الطبري في جامع البيان ٧٩/٢١ =

قال القاري (١) : " أي خلق روحه قبل أرواحهم " .

وأما استدلال ابن كمال باشاوغيره على أولية خلق روح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديث " كنت نبيا وآدم بين الماء والطين " ،فقد سبق تخريجه وأقوال أئمة الحديث فيه ، وأنه ليس بثابت بهذا اللفظ في كتب الحديث المعتبرة ..

وكذلك ما روى في ذلك "أول ماخلق الله نوري" ، وفي رواية " روحي " . يقول الحافظ السيوطي في تخريج أحاديث شرح العقائد (٢) : " لايحضرني بهذا اللفظ " .

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية فيمن يزعم أنه صلى الله عليه وسلم بحقيقته موجود بخلاف غيره من الأنبياء ، بعد أن بين أنه كذب واضح ومخالف لإجماع أئمة الدين :

" فان الله علم الأشياء ، وقدرها قبل أن يكونها ، ولاتكون موجودة بحقائقها الا حين توجد ، ولافرق في ذلك بين الأنبياء وغيرهم ، ولم تكن حقيقته صلى الله عليه وسلم موجودة قبل أن يخلق (٣) ، الا كما كانت

= عن قتادة ، وابن عدي في الكامل ٣/٩١٩ ، ٩٠٩ ، ١٢٠٩ . وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٤/١٢٧ ؛ والآلوسي في روح المعاني ١٤/٤١ ؛ و ٢١/١٥٤ وغيرهم من المفسرين .

وذكره القاضي عياض في الشفا ١/١١٤ . وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/٤٦٩ بعد أن ذكر الحديث عن أبي هريرة مرفوعا : "سعيد بن بشير فيه ضعف ، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به مرسلا وهو أشبه ، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفا ، والله أعلم " .

(١) شرح الشفا ١/١٠٩ . انظر ايضا : الآلوسي : روح المعاني ٢١/١٥٤ .

(٢) ص ١٣ برقم / ١٢ .

(٣) أو نوره ، أو روحه كذلك كما يدعيه أول مرة الحلاج في كتابه (الطواسين) ، وتبعه غيره في ذلك مثل ابن عربي ، وكذلك التقي السبكي ، وابن كمال في رسالة المنيرة (ص ١٠) ، وعلى القاري ، والعجلوني... (انظر حول نظرية الحلاج في النور المحمدي ، أو الحقيقة المحمدية : د . محمد مصطفى حلمي :الحياة الروحية ١٤٢ ــ ١٤٤)

حقيقة غيره ، بمعنى أن الله علمها وقدرها .

لكن كان ظهور خبره واسمه مشهورا أعظم من غيره ، فانه كان مكتوبا في التوراة والانجيل وقبل ذلك ، كما روى الامام أحمد في مسنده (١) عن العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " اني لعبد الله مكتوب خاتم النبيين ، وان آدم لمنجدل في طينته ، وسأنبئكم بأول ذلك (٢) : دعوة أبي ابراهيم ، وبشرى عيسى ، ورؤيا أمي ، رأت حين ولدتني كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام " .

وحديث ميسرة الفجر (٣) : قلت : يارسول الله ! متى كنت نبيا ؟ وفي لفظ : متى كتبت نبيا ؟ قال : " وآدم بين الروح والجسد " وهذا لفظ الحديث .

وأما قوله : " كنت نبيا وآدم بين الماء والطين " فلا أصل له ، لم

---

(١) ٤ / ١٢٧ ـ ١٢٨ . وكذلك الحاكم في المستدرك ٢ / ٦٠٠ ، وقال : صحيح الاسناد ، ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الدلائل ١ / ٨٠ ـ ٨١ ؛ وأبو نعيم في الدلائل ١ / ٤٨ ـ ٤٩ . وقال في مجمع الزوائد ٨ / ٢٢٦ : " رواه أحمد والبزار والطبراني ، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد ، وقد وثقه ابن حبان .. " . وأخرجه أيضا ابن حبان في صحيحه (الموارد ٢٠٩٣) ؛ والبخاري في التاريخ الكبير ٦ / ٦٨ . وذكره ابن الجوزي في الوفا ١ / ٣٣ ؛ والسيوطي في تخريج أحاديث شرح العقائد ص ٢١ ، برقم ٢٥ ؛ والخصائص الكبرى ١ / ١٠ ، ٢٣ .

(٢) قال البنافي شرح هذا الحديث : " والمعنى : أنه أراد بدء أمره بين الناس ، واشتهار ذكره ، فذكر دعوة ابراهيم الذي تنسب اليه العرب ... وأما في الملأ الأعلى فقد كان أمره مشهورا مذكورا معلوما من قبل خلق آدم عليه السلام " (بلوغ الأماني ٢٠ / ١٨١) .

(٣) أخرجه الامام أحمد في المسند ٥ / ٥٩ ؛ والبيهقي في الدلائل ١ / ٨٤ ـ ٨٥ ؛ وأبو نعيم في الحلية ٩ / ٥٣ ، وابن سعد في الطبقات ٧ / ٦٠ ؛ والحاكم في المستدرك ٢ / ٦٠٨ ـ ٦٠٩ وصححه ووافقه الذهبي ؛ وصححه ابن تيمية في مجموع الفتاوى ٢ / ١٤٧ ؛ ٨ / ٢٨٢ ؛ وذكره ابن الجوزي في الوفا ١ / ٣٣ ؛ =

يروه أحد من أهل العلم بالحديث بهذا اللفظ ، وهو باطل ، فانه لم يكن بين الماء والطين ، اذ الطين ماء وتراب ، ولكن لما خلق الله جسد آدم نفخ الروح فيه كتب نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقدرها [١] ، كما ثبت في الصحيحين [٢] عن ابن مسعود ، قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الصادق المصدوق : إن خلق أحدكم يجعل في بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث اليه الملك ، فيؤمر بأربع كلمات ، فيقال : اكتب رزقه ، وعمله ، وأجله ، وشقيا أو سعيدا ، ثم ينفخ فيه الروح ".

وروى أنه كتب اسمه على ساق العرش ، ومصاريع الجنة .. فأين الكتاب والتقدير من وجود الحقيقة ؟ ". [٣] اهـ .

" فثبوت الشيء في العلم والتقدير ليس هو ثبوت عينه في الخارج [٤] ".

وقال أيضا [٥] : " فينبغي للعاقل أن يفرق بين ثبوت الشيء ووجوده في نفسه ، وبين ثبوته ووجوده في العلم ، فان ذاك هو الوجود العيني

= والهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٢٢٦ وقال : " رواه أحمد والطبراني ، ورجاله رجال الصحيح " . وأخرج عن أحمد بطريق آخر وقال : رجاله رجال الصحيح .

(١) " فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه كتب نبيا حينئذ ، وكتابة نبوته هو معنى كون نبوته ، فانه كون في التقدير الكتابي ، ليس كونا في الوجود العيني ، اذ ثبوته لم يكن وجودها حتى نبأه الله تعالى على رأس أربعين سنة من عمره صلى الله عليه وسلم " (مجموع الفتاوى ٢/١٤٩) .

(٢) تقدم تخريجه قريبا .

(٣) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٢/٢٣٧ ـ ٢٣٨ ؛ وانظر كذلك ٢/١٤٧ ـ ١٤٩ .

(٤) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٢/١٤٦ .

(٥) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٢/١٥٨ ـ ١٥٩ ، وانظر كذلك ٢/٤٧٠ ؛ ١٨ / ٣٦٩ .

الخارجي الحقيقي ، وأما هذا فيقال له الوجود الذهني والعلمي ، وما من شيء إلا له هذان الثبوتان ، فالعلم يعبر عنه باللفظ ، ويكتب اللفظ بالخط ، فيصير لكل شيء أربع مراتب : وجود في الأعيان ، ووجود في الأذهان ، ووجود في اللسان ، ووجود في البنان ؛ وجود عيني ، وعلمي ، ولفظي ، ورسمي ".

ثم قال : " فأما إثبات وجود الشيء في الخارج قبل وجوده ، فهذا أمر معلوم الفساد بالعقل والسمع ، وهو مخالف للكتاب والسنة والاجماع ".

والى هذا المعنى الذى ذهب اليه ابن تيمية ذهب الغزالي من قبله في معنى الحديث : " كنت أول النبيين في الخلق ، وآخرهم في البعث "، فقال (١) : " فالخلق فيه بمعنى : التقدير ، دون الإيجاد ، فانه صلى الله عليه وسلم قبل أن يولد لم يكن مخلوقا موجودا ، ولكن الغايات سابقة في التقدير ، ولاحقة في الوجود ... ولايفهم هذا إلا بأن يعلم أن للدار مثلا وجودين : وجودًا في ذهن المهندس ، حتى كأنه ينظر الى صورتها ، ووجودا خارج الذهن مسببا عن الوجود الأول ، فهو سابق عليه لامحالة .

وحينئذ يقال : ان الله تعالى يقدر أولا ، ثم يوجد على وفق التقدير ثانيا ...

فاذا فهمت معنى الوجود فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم قبلُ بالمعنى الأول منهما ، دون المعنى الثاني ".

والحاصل أنا قد ذكرنا ونقلنا سابقا أقوال الأئمة المحققين أن الأرواح خلقت مع الأجساد ، وأن معاني الأحاديث الواردة في إثبات نبوة نبينا

---

(١) نقلا عن : روح المعاني للآلوسي ٤١/١٤ ـ ٤٢ . وانظر كذلك : المناوي : فيض القدير شرح الجامع الصغير ٥٣/٥ .

صلى الله عليه وسلم وآدم بين الروح والجسد هى تقدير نبوته وكتابة نبوته وإعلانها فى الملأ الأعلى وآدم فى هذه الحالة ، فاذا ثبت ذلك ثبت أن روح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق مع جسده الشريف ، وبذلك يظهر جليا أنه قد جانبه الصواب فى فهمه لهذه المسألة ، وأن الرأى المعتبر والذى يطمئن اليه النفس ويؤيده الدليل هو رأى شيخ الاسلام ابن تيمية ومن معه من الأئمة الأعلام رحمهم الله تعالى .

جـ - وأما قوله انه صلى الله عليه وسلم أبو الأرواح ، كما أن آدم عليه السلام أبو الأشخاص ، اذ أن الله سبحانه وتعالى حين أراد أن يخلق آدم عليه السلام نفخ فيه من روحه ، أى من الروح المضاف الى نفسه ، وهو روح النبى صلى الله عليه وسلم ، فصار روح آدم عليه السلام من روح النبى صلى الله عليه وسلم ..

وهو رأى غريب وأمر عجيب من العلامة ابن كمال باشا حيث لم أر هذا الرأى عند غيره من المفسرين ، اذ راجعت كثيرا من كتب التفسير المعتبرة فى قصة خلق آدم ونفخ الروح فيه ، بل هو مخالف لما ذهب اليه هو فى تفسيره حيث يقول فى تفسير قوله تعالى (ونفخ فيه من روحه) (١) :

" أضافه الى نفسه تشريفا ، واظهارا بأن له خلقا عجيبا ، وأن له شأنا ، له مناسبة ما الى حضرة الربوبية " (٢) .

---

(١) السجدة / ٩ .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ٦٣ ب . وانظر كذلك : البيضاوى : أنوار التنزيل ٤/١٥٥ ؛ ابو السعود : إرشاد العقل السليم ٧/٨١ ؛ الآلوسى : روح المعانى ٢١/١٢٤ .

ويقول أيضا فى تفسير قوله تعالى (فاذا سويته ونفخت فيه من روحى) [1] : " وإضافة الروح الى نفسه لأنه صدر منه بلا واسطة " [2] ..

إن هذا الروح المضاف الى الله عز وجل هى روح سيدنا آدم عليه السلام ، وليس روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، كما صرح به المفسرون الأعلام .

قال الامام الفخر الرازى [3] فى تفسير الآية السابقة : " وانما أضاف الله سبحانه روح آدم الى نفسه تشريفا له وتكريما " .

وقال العلامة الخازن [4] : " وأضاف الله عز وجل روح آدم الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم لها ، كما يقال : بيت الله ، وناقة الله ، وعبد الله " .

وقال العلامة ابن الجوزى [5] فى تفسير قوله تعالى (فاذا سويته ونفخت فيه من روحى) [6] : " هذه الروح هى التى يحيا بها الانسان ، ولاتعلم ماهيتها ، وانما أضافها اليه تشريفا لآدم ، وهذه إضافة ملك " .

وقال الامام الشوكانى [7] : " ولاشك أن الاضافة فى " روحى " للتشريف والتكريم ، مثل : ناقة الله ، وبيت الله " . ثم نقل عن القرطبى [8] قوله " والروح جسم لطيف أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة فى البدن مع ذلك الجسم . وحقيقته إضافة خلق الى خالق ، فالروح خلق من خلقه ، أضافه الى نفسه تشريفا وتكريما ـ كقوله : أرضى ، وسمائى ، وبيتى ، وناقة الله ، وشهر الله ، ومثله : " وروح منه " .

---

(١) الحجر/٢٩ .　　(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٨٩ أ .

(٣) مفاتيح الغيب ١٨٢/١٩ .　(٤) لباب التأويل ٩٥/٣ . وانظر كذلك ٤٤٥/٣ ، ٤٧/٤ .

(٥) زاد المسير ٤٠٠/٤ (ط. المكتب الاسلامى) .　(٦) الحجر/٢٩ .

(٧) فتح القدير ١٣٠/٣ .　(٨) الجامع لأحكام القرآن ٢٤/١٠ .

وبقول هؤلاء الأئمة المفسرين يظهر جليا أن العلامة ابن كمال باشا قد جانبه الصواب في رأيه الغريب في هذه المسألة أيضا ، ولذلك لا يلتفت اليه .

البَابُ الرَّابِعُ

السَّمْعِيَّاتُ

الفصل الأول : أمور تتعلق بالموت .

الفصل الثاني : أشراط الساعة .

الفصل الثالث : اليوم الآخر وأحداثه .

تمهيــــــــــــد :

المراد من السمعيات هي الأمور التي تتوقف معرفتها على السمع الوارد في الكتاب أو السنة والآثار الصحيحة ، ولايستقل العقل بادراكها واثباتها ، ولاطريق الى العلم بصدقها لابالحس ولابالعقل ، ولابالبديهة ولا بالكسب ، كعذاب القبر ونعيمه ، والحشر والنشر ، والصحف والحساب ، والميزان ، والصراط ، والشفاعة والحوض ، والثواب والعقاب في الجنة والنار (١) .

وهذا من اصطلاحات المتكلمين ، وهم يقولون " ان الغرض من هذا الاصطلاح انما هو تقريب المسائل ، وجمع كل طائفة منها في باب ، كي يسهل ضبطها ، والرجوع اليها عند الحاجة بدون عناء" (٢) .
وعلى كل فهذا مما اصطلح عليه علماء العقيدة ، ولامشاحة في الاصطلاح .

وللتصديق بهذه الأمور الغيبية السمعية لابد من التصديق والايمان بوجود الله عز وجل أولا ، والايمان بارسال الرسل الكرام عامة ، وخاتمهم وسيدهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، ثم الاقرار بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى القديم أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويأتي بعد ذلك كله الايمان بالأمور الغيبية السمعية التي أخبر بها الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم (٣) .

ونريد أن ندرس آراء العلامة الفاضل ابن كمال باشا في هذه

---

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ١٣/١ ، الكمال بن أبي شريف : المسامرة شرح المسايرة ص٢١٢ ، السفاريني : لوامع الأنوار ٣/٢ .
(٢) الجزيري : توضيح العقائد ص١٢٨ .
(٣) د . البوطي : كبرى اليقينيات الكونية ص٣٠٤ ـ ٣٠٥ .

الأمـور الغيبيـة فـى ثـلاثـة فصـول :

الفصـل الأول : أمـور تتعلـق بالمـوت

الفصـل الثانـى : أشـراط السـاعـة

الفصـل الثالـث : اليـوم الآخـر وأحداثـه

الفصل الأول

أمور تتعلق بالموت

١ - الموت ، وملك الموت ، وقبضة الأرواح .

٢ - فتنة القبر وسؤاله .

٣ - عذاب القبر ونعيمه .

الموت حقيقة مشاهدة كبرى في هذا الوجود ، مصير كل من له حياة ، قاصمة جبروت المتجبرين والمتكبرين وعناد المنكرين ، وهادم لذات الغافلين ...

فوقوع الموت لا علاقة له بالأمور الغيبية حيث انه أمر مشاهد ومحسوس ، ولكن هناك أمورا أخرى تحيط به لا مجال للعلم بها الا عن طريق الخبر الصادق ... فالحياة البرزخية التي تبدأ بالموت من الأمور الغيبية السمعية بالنسبة الينا .

وهذه الأمور الغيبية هي :

١ ـ الموت ، وملك الموت ، وقبضة الأرواح .

٢ ـ فتنة القبر وسؤاله

٣ ـ عذاب القبر ونعيمه

١ ـ الموت ، وملك الموت وقبضة الأرواح :

أ ـ الموت :

ان " الموت والحياة من مخلوقات عالم الملكوت (١) ، قال الله تعالى (الذي خلق الموت والحياة) (٢) ، والخلق هنا غير مقابل للأمر ، بل على المعنى اللغوي العام " (٣) .

---

(١) قال علامة الروم أبو السعود في " إرشاد العقل السليم " ٩/ ٢ : " الموت عند أصحابنا صفة وجودية مضادة للحياة " ثم استشهد على ذلك بهذه الآية ... وروى عن ابن عباس ومقاتل والكلبي في قوله تعالى (الذي خلق الموت والحياة) أن الموت والحياة جسمان (القرطبي : التذكرة ٢/ ١٠٥ ، الخازن لباب التأويل ٤/ ٢٨٩) .

(٢) الملك/ ٢ . (٣) ابن كمال باشا : رسالة الفرائد ص ٢٧٥ .

ثم تابع الفاضل ابن كمال باشا حديثه قائلا : "ولكل منهما صورة مثالية في ذلك العالم ، بها يرى ويشاهد ، يشاهده من يغيب عن عالم الملك ، ومن يُسلخ عن البدن ، ولقد جاء في الخبر عن خير البشر : ان الموت يؤتى يوم القيامة - وينظر اليه أهل المحشر في صورة الكبش ، ويذبح ... (١)

ومن هنا انكشف وجه التعبير عن ادراكه - اى عن ادراك الموت ومعرفته - بالذوق في قوله تعالى (لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى) (٢) ، دون سائر أسباب الإدراك من الحواس " (٣) .

ان " الموت زوال الحياة " (٤) الدنيا ، و " ليس بعدم محض ، بل هو انتقال من حال الى حال " (٥) . أي انتقال من الدار الدنيا الفانية الى دار البرزخ ، ومنها الى الدار الآخرة الباقية ...

---

(١) والحديث الذى ذكره ابن كمال بالمعنى أخرجه : البخارى (الفتح ٨/٤٢٨) في كتاب (٦٥) التفسير ، باب (١) "وأنذرهم يوم الحسرة" ، من سورة مريم ، رقم ٤٧٣٠ .
ومسلم (٤/٢١٨٨) في كتاب (٥١) الجنة وصفة نعيمها ، باب (١٣) النار يدخلها الجبارون ، /٢٨٤٩ .
كلاهما عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه . وسيأتي أحاديث اخرى في مباحث الجنة والنار من الرسالة .

(٢) الدخان/٥٦ . (٣) ابن كمال باشا : رسالة الفرائد ص ٢٧٥ .

(٤) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٢٨ .

(٥) ابن كمال باشا : رسالة في تحقيق القول بأن الشهداء أحياء في الدنيا ص ٩٢ ، وابن القيم في الروح ص ٣٦ كلاهما نقلا عن القرطبى في التذكرة ١/١٦ .

ـ نقد ـ

إن تمثل الموت في صورة كبش أملح وذبحه بين أهل الجنة والنار هو مدلول الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وقد قال العلامة ابن قيم الجوزية ـ بعد أن ذكر أحاديث ذبح الموت ـ : " وهذا الكبش والأضجاع ، والذبح ومعاينة الفريقين ذلك حقيقة لاخيال ولاتمثيل كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحا ، وقال : الموت عرض ، والعرض لايتجسم ، فضلا عن أن يذبح ! ، وهذا لايصح ، فان الله سبحانه ينشيء من الموت صورة كبش يذبح ، كما ينشيء من الأعمال صورا معاينة يثاب بها ويعاقب ، والله تعالى ينشيء من الأعراض أجساما تكون الأعراض مادة لها ، وينشيء من الأجسام أعراضا ، كما ينشيء سبحانه من الأعراض أعراضا ، ومن الأجسام أجساما ، فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تعالى ، ولايستلزم جمعا بين النقيضين ، ولاشيئا من المحال " (١) .. ثم ذكر العلامة ابن القيم أدلة على تمثل الأعمال يوم القيامة ورؤيتها من الأحاديث المروية وأقوال السلف رضى الله عنهم ...

ب ـ ملك الموت وأعوانه :

ذهب العلامة ابن كمال باشا الى أن المحيي والمميت هو الله عز وجل .. فهو الذى يتوفى الأنفس حين مفارقتها للدنيا (الله يتوفى الأنفس حين موتها) (٢) . ولكن اقتضت حكمته أن يكل قبض الأرواح عند انتهاء مدد أعمار البشر الى أحد ملائكته المقربين .

---

(١) ابن القيم : حادى الأرواح ص ٣٠١ .

(٢) الزمر / ٤٢ .

قال الامام ابن كمال باشا فى تفسير قوله تعالى (قل الله يتوفاكم) يقبض نفوسكم بتمامها (ملك الموت الذى وكل بكم) (١) اى يقبض أرواحكم عند انتهاء مدد أعماركم ، وفى عبارة " وكل بكم " إشارة الى وجه التوفيق بين هذه الآية ، وقوله تعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها) (٢) ، وهو أن فعل الوكيل فعل الموكل" (٣) .

ولهذا الملك المقرب أعوان دل عليه قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة) الجمهور على أنهم حفظة الأعمال . وقيل : انهم الذين يحفظون أنفاس الخلق ويعدونها الى وقت انقضائها ، ثم يقبضون الروح ، ويناسبه ما بعده ... (حتى اذا جاء أحدكم الموت) اى أسبابه (توفته) قبضت روحه ... (رسلنا) جاءوا جميعا ، يعنى به ملك الموت وأعوانه ، وفى عبارة " رسلنا " اشارة الى ان ذلك بأمره تعالى ، ولذلك أسنده الى نفسه فى موضع آخر ، وقال (الله يتوفى الأنفس حين موتها) (٢) ، (وهم لايفرطون) (٤) ... اى لاينقصون مما أمروا به ، ولايزيدون فيه " (٥) .

---

(١) السجدة/١١ . (٢) الزمر/٤٢ .

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ٥٦٤ (أ) . (٤) الأنعام/٦١ .

(٥) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٣٧٢ .

ـ نقد ـ

والذى ذهب اليه علامة الروم ابن كمال باشا من أن الله تعالى هو المحيى والمميت ، وأنه تعالى وكل قبض الأرواح الى ملك الموت وأعوانه هو مدلول النصوص التى ذكرها العلامة ، وموافق لما ذهب اليه السلف رضى الله عنهم . قال ابن عباس وغير واحد : لملك الموت أعوان من الملائكة ، يخرجون الروح من الجسد ، فيقبضها ملك الموت اذا انتهت الى الحلقوم (١).

وقال الامام الطحاوى رحمه الله : " ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين " (٢).

٢ ـ فتنة القبر وسؤاله :

" القبر : الدفن ، يقال : قبرتُ الميت أقبُرُه وأقبِره ـ بالضم والكسر ـ قبرا : أى دفنته . وأقبرته : أى أمرت بأن يُقبر .

والمراد هنا ، موضع الدفن ، وقد شاع استعماله فيه " (٣).

وأما المراد من سؤال القبر السؤال فى البرزخ ، وهو " ما بين الدنيا والآخرة ، من وقت الموت الى أن يبعث ، فمن مات فقد دخل البرزخ " (٤). واسناد السؤال الى القبر على وجه التغليب ، اذ

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (المختصر ١/٥٨٤ و ٣/٧٢) ، القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ١٤/٩٣ ـ ٩٤ ، والتذكرة ١/٨٧ ، ٩٣ ـ ٩٤ .

(٢) ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٠ .

(٣) ابن كمال باشا : شرح الأربعين ص ٦٢ ضمن "رسائل ابن كمال باشا" ط . ١٣١٦ .

(٤) ابن كمال باشا : رسالة فى الشخص الانسانى ص ١٠٠ هامش ، "رسائل ابن كمال باشا" ط . ١٣١٦ .

غالب من يموتون يدفنون ، والا فالسؤال ثابت لكل من مات ، سواء دفن في القبر ، أو غرق في البحر ، أو أكلته السباع ، أو احترق حتى صار رمادا ونسف في الهواء (١) .

ان الموت باب الدار الآخرة ، والقبر أول منازلها (٢) .

ذهب العلامة ابن كمال باشا الى أن الروح بعد مفارقة الجسد لها علاقة خاصة بموضع دفن بدنها ، فتعرف من يزورها ، وترد عليه السلام ، قال : "وكذلك قبور سائر المؤمنين بينها وبين أرواحهم نسبة خاصة مستمرة ، فيعرفون من يزور قبورهم ، ويردون على من يسلم عليهم . يدل عليه ماذكره الحافظ عبد الحق الاشبيلي (٣) في

(١) ابن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٥١ .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٢٦٥ . عن هانئ بن عثمان قال : كان عثمان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته ، فقيل له: تذكر الجنة والنار ولا تبكي ، وتبكي من هذا ؟ قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان القبر أول منازل الآخرة ، فان نجا منه فما بعده أيسر منه ، وان لم ينج منه فما بعده أشد منه " . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مارأيت منظرا قط الا والقبر أفظع منه" .
أخرجه الترمذي (٤/٥٥٣) في كتاب (٣٧) الزهد ، باب (٥) حديث رقم ٢٣٠٨ وقال : " هذا حديث حسن غريب ، لانعرفه الا من حديث هشام بن يوسف " .
وابن ماجه (٢/١٤٢٦) في كتاب (٣٧) الزهد ، باب (٣٢) ذكر القبر والبلى ، ٤٢٦٧ .
وأحمد ١/٦٣ ، والبيهقي في عذاب القبر ص ٥٣ والحاكم في المستدرك ١/٣٧١ .

(٣) عبد الحق الاشبيلي : هو عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله ، أبو محمد الأزدي المعروف بابن الخراط ، كان فقيها حافظا حجة عالما بالحديث وعلله ، وعارفا بالرجال .. توفي ٥٨١ هـ .
(الذهبي : تذكرة الحفاظ ٤/١٣٥٠ ، محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية ١٥٥) .

" كتاب العاقبة " عن أبى عمر بن عبد البر أنه ذكر من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه فى الدنيا ، فيسلم عليه الا عرفه ، ورد عليه السلام (١) " وهو صحيح الاسناد " (٢) .

ويؤمن ابن كمال باشا بأن " سؤال منكر ونكير ، وهما ملكان ، يسألان من مات بعد ما دفن فى القبر : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ حق " (٣) .

ولقد استدل العلامة ابن كمال باشا بقوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) (٤) على سؤال القبر ، حيث قال فى تفسيره : " وتثبيتهم فيها - اى فى الآخرة - أنهم اذا سئلوا عن معتقدهم فى الموقف لم يتلعثموا ولم يدهشهم أحوال القيامة . وقيل : معناه : الثبات عند سؤال القبر ، وروى فيه الخبر المرفوع " (٥) .

ومن الأخبار الواردة فى سؤال الملكين فى القبر ما رواه البراء بن عازب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) (٦)

---

(١) ابن كمال باشا : شرح الأربعين ص ٦٣ - ٦٤ .

(٢) والحديث أخرجه ابن عبد البر فى "التمهيد " ، و"الاستذكار" (١ / ٢٣٤) كما فى التذكرة ١ / ١٨٣ للقرطبى ، وفى " أحوال الروح " للسيوطى (ق ١٥٧ برنستون برقم ١٦١٤) ، وكذلك فى الحاوى فى الفتاوى ٢ / ٣٠٢ فقال :صححه أبو محمد عبد الحق " .

(٣) ابن كمال باشا : رسالة فى بيان عقيدة أهل السنة ١٩٣ ب (مكتبة الحرم المكى ١٥١ مجاميع)،وكذلك رسالة المنيرة ص ١٣ .

(٤) ابراهيم/ ٢٧ . (٥) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٨١ أ .

(٦) ابراهيم/ ٢٧ .

قال : نزلت في عذاب القبر ، فيقال له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم ، فذلك قوله عز وجل (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) " واللفظ لمسلم (١) .

ـ نقد ـ

لقد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثبوت عذاب القبر ، وسؤال الملكين ، فيجب الايمان بذلك ، واعتقاد ثبوته من غير بحث في كيفيته ، اذ ليس للعقل وقوف على ذلك (٢) ، لكونه لاعهد له به في هذه الدار ، والشرع لايأتي بما تحيله العقول ، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول (٣) .

ومن الأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في فتنة القبر :

١ ـ ما أخرجه الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن العبد اذا وضع في قبره ، وتولى عنه أصحابه ـ انه ليسمع قرع نعالهم ـ ، أتاه ملكان ،

(١) أخرجه البخاري (الفتح ٣/٢٣٢) في كتاب (٢٣) الجنائز، باب (٨٦) ماجاء في عذاب القبر ، رقم ١٣٦٩ .
ومسلم (٤/٢٢٠١) في كتاب (٥١) الجنة ، باب (١٧) عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه رقم/٢٨٧١ .
والبيهقي في عذاب القبر ص ٢٠ ـ ٢١ .

(٢) لأنه من الأمور الغيبية التي غابت عن الحس العقل غيبة كاملة حيث لايدركه واحد منهما بالبديهة ولابالاستدلال (ابن كمال باشا :تفسيره ١/١٣) .

(٣) انظر: ابن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية ٤٥٠ ـ ٤٥١ .

فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر الى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة ، فيراهما جميعا . قال قتادة : وذكر لنا انه يفسح له فى قبره . ثم رجع الى حديث أنس .

وأما المنافق والكافر فيقال له : ماكنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لاأدرى ، كنت أقول مايقول الناس ، فيقال : لادريت ، ولاتليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين » (١) واللفظ للبخارى .

ومنها أيضا ما أخرجه الشيخان عن أسماء رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من شىء كنت لم أره الا قد رأيته فى مقامى هذا ، حتى الجنة والنار . ولقد أوحى الىّ أنكم تفتنون فى القبور مثل ـ أو قريبا من ـ فتنة الدجال يؤتى أحدكم فيقال له : ماعلمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمنون ـ أوالموقن ـ فيقول : محمد رسول الله ، جاءنا بالبينات والهدى ، فأجبنا وآمنا واتبعنا ، فيقال له : نم صالحا ، فقد علمنا ان كنت لموقنا به .
وأما المنافق ـ أو المرتاب ـ فيقول : لا أدرى ، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته » (٢) . متفق عليه واللفظ للبخارى .

---

(١) أخرجه البخارى (الفتح ٣/٢٠٥) فى كتاب (٢٣) الجنائز ، باب (٦٧) الميت يسمع خفق النعال ، حديث رقم ١٣٣٨ ، و (الفتح ٣/٢٣٢) باب (٨٦) ماجاء فى عذاب القبر/١٣٧٤ .
ومسلم (٤/٢٢٠٠) فى كتاب (٥١) الجنة ، باب (١٧) عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، رقم ٢٨٧٠ (مختصرا) .

(٢) البخارى (الفتح ٢/٥٤٣) فى كتاب (١٦) الكسوف ، باب (١٠) صلاة النساء مع الرجال فى الكسوف/١٠٥٣ .

وهناك أحاديث كثيرة ، وردت فى كتب الصحاح ، تثبت فتنة القبر وسؤال الملكين ، رويت بطرق متعددة ، وبألفاظ مختلفة عن جمع من الصحابة مثل على ، وزيد بن ثابت ، وابن عباس ، والبراء بن عازب ، وأبى أيوب الأنصارى ، وأنس بن مالك ، وجابر ، وعائشة ، وأبى سعيد الخدرى رضى الله عنهم ، بلغ مجموعها حد التواتر الذى لايقبل الريب او الاحتمال (١) .

٣ — عذاب القبر ونعيمه

ان " عذاب القبر ، وسؤال منكر ونكير ، حق ثابت لجميع الكافرين ، ولبعض عصاة المؤمنين ، لقوله تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون) (٢) " ، وقوله تعالى أيضا (وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك) (٣) .

وقد استشهد العلامة ابن كمال بآيات أخرى من القرآن الكريم على عذاب القبر .

منها قوله تعالى (... فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاخزى فى الحيوة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) (٤) ، قال

ومسلم (٢/٦٢٤) فى كتاب (١٠) الكسوف ، باب (٣) ماعرض على النبى صلى الله عليه وسلم فى صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار ، ٩٠٥ .

(١) ابن قطلوبغا : شرح المسايرة ٢٢٨ — ٢٢٩ ، القرطبى : التذكرة ١/١٨٤ .

(٢) السجدة /٢١ . ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص ١٣ ، وكذلك : رسالة فى بيان عقيدة أهل السنة ١٩٣ ب . قال العلامة ابن القيم فى الروح /٧٦ : " وقد احتج بهذه الآية جماعة ، منهم عبد الله بن عباس على عذاب القبر " .

(٣) الطور/٤٧ . استشهد بها ابن كمال باشا على من ينكر عذاب القبر فى كتابه الرد على الفرق ٧ ب .

(٤) البقرة /٨٥ .

فى تفسيره : " ففيه إشارة الى أنهم كانواقبل ذلك مرة أخرى فى أشد العذاب ، وهو ما فى القبر " (١) .

ومنها قوله تعالى (وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين) (٢) : " بالفضيحة والقتل ، أو بأحدهما وعذاب القبر ، أو بأخذ الزكاة ونهك الأبدان ... " (٣)

ومنها قوله تعالى (ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) (٤) ، " اليوم " الوارد فى الآية " يريد به وقت الإماتة (٥) ، أو الوقت الممتد من الموت الى ما لانهاية له " (٦) . اى ان الملائكة يخاطبونهم بهذا الخطاب وقت إماتتهم ... قال ابن حجر : " ويشهد له قوله تعالى فى سورة القتال (فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) (٧) ، ثم قال : " هذا وان كان قبل الدفن ، فهو من جملة العذاب الواقع قبل يوم القيامة . وانما أضيف العذاب الى القبر لكون معظمه يقع فيه ، ولكون الغالب على الموتى أن يقبروا " (٨) .

ومنها قوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة ...) (٩) " يعنى فى دار الآخرة ، ولفظ التوفية ان لم يشعر بأنه قد يكون فى هذه الدار بعض الأجور فلا يدل على

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٨١ (الحرم المكى) . (٢) التوبة/١٠١ .
(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٠٤أ . (٤) الانعام/٩٣ .
(٥) وهو مروى عن عباس رضى الله عنهما (فتح البارى ٣/٢٣٣) .
(٦) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٣٨٣ . (٧) محمد /٢٧ .
(٨) ابن حجر : فتح البارى ٣/٢٣٣ ، انظر كذلك : ابن قيم الجوزية : الروح ص ٧٥ .
(٩) آل عمران/١٨٥ .

عدمه ، فلا ينافي عليه مايدل على وقوعه من الأخبار لقوله عليه السلام : " الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الأعمار " (١) .
وأما ما يحطى في القبر فمما يوفى في الدار الآخرة ، لأن الموت بابها والقبر أول المنزل " (٢) .

ومن الآيات الدالة على ثبوت عذاب القبر قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) (٣) ولم نجد تفسير هذه الآية عند صاحبنا العلامة ابن كمال باشا حيث لم يصل الى تفسير سورة غافر ، وانما اخترمته المنية قبل إكماله ، وانقل تفسير هذه الآية من القاضي البيضاوي والعلامة أبي السعود ــ تلميذ ابن كمال باشا ــ حيث تتفق عباراتهم في الغالب ، قالا في تفسيرها : " فان عرضهم على النار إحراقهم بها ، من قولهم : عرض الأسارى على السيف : اذا قتلوا به ، وذلك لأرواحهم كما روى عن ابن مسعود : أن أرواحهم في أجواف طيور سود ، تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيامة ... (٤) وفيه دليل على بقاء النفس ، وعذاب القبر " (٥) .

(١) قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف ص ١٣٩ :
" أحمد من طريق القاسم عن عائشة ، لكن قال " وحسن الخلق " بدل " الصدقة "
ورواه البيهقي في الشعب من هذا الوجه كذلك ، وزاد " وحسن الجوار " . وله
طريق أخرى عند الاصفهاني عن أبي سعيد بلفظ : "صلة الرحم وحسن الخلق ،
وبر الوالدين " ، وزاد "وان كان القوم فجارا " . انظر أيضا : السيوطي : تخريج
أحاديث شرح العقائد ص ٧٢ ، السخاوي : المقاصد الحسنة / ٢٦١ .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ١ / ٢٦٥ (الحرم المكي) . (٣) غافر / ٤٦ .

(٤) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : .. وان أرواح آل فرعون
في أجواف طيور سود ، تغدو على جهنم وتروح عليها ، فذلك عرضها " (مختصر
تفسير ابن كثير ٣ / ٢٤٦ ، القرطبي : التذكرة ١ / ١٩٤) .

(٥) البيضاوي : أنوار التنزيل ٥ / ٤٠ ، أبو السعود : ارشاد العقل السليم ٧ / ٢٧٨ ــ

ان النفس تنعم مفردة عن البدن ، ومتصلة به (١) . اذ أن " روح الانسان : جسم لطيف (٢) ، لايفنى بخراب البدن ، ولا يتوقف عليه ادراكه ، وتألمه ، والتذاذه ، ويؤيد ذلك قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) (٣) . وما روى عن ابن عباس رضى الله عنه (٤) أنه عليه السلام قال : " أرواح الشهداء فى أجواف طيور خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى الى قناديل معلقة فى ظل العرش " (٥) .

وقال أيضا : " واذا انكشف لك حال الروح فقد وقفت على أسرار عالم البرزخ ، وأحوال القبر ، وما فيه من الألم واللذة الجسمانيين ، وانجلى عندك وجه كونه " روضة من رياض الجنان ، أو حفرة من حفر النيران " (٦) ، وكان عندك حل شبهات المنكرين على طرف

---

٢٧٩ . وانظر: الآيات الدالة على ثبوت عذاب القبر ونعيمه عند ابن القيم فى الروح ٧٥ ـ ٧٦ .

(١) ابن أبى العز: شرح العقيدة الطحاوية ٤٥١ ، ابن القيم : الروح ص ٥١ .

(٢) المراد من اللطيف مالايتعلق به حاسة النظر لعدم حظه من الكثافة .
(ابن كمال باشا : تفسيره ٣٨٨/١) .

(٣) غافر ٤٦ .

(٤) أخرجه أبو داود (٣٢/٣) فى كتاب (٩) الجهاد ، باب (٢٧) فضل الشهادة ، رقم / ٢٥٢٠ .
والحاكم فى المستدرك ٨٨/٢ وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى .
وأحمد فى المسند ٢٦٦/١ ، وابن أبى شيبة فى المصنف ٢٩٤/٥ ،
والبيهقى فى البعث والنشور ١٥٢ .
وأخرج مسلم معناه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه (١٥٠٢/٣) برقم/١٨٧٨ .

(٥) ابن كمال باشا :تفسيره ٢٥٩/١ ، وكذلك :رسالة فى تحقيق القول بأن الشهداء أحياء ص ٩٥ ، ورسالة فى الشخص الانسانى ٩٩/ .

(٦) جزء من الحديث الذى أخرجه الترمذى (٦٣٩/٤ ـ ٦٤٠) فى كتاب (٣٨) صفة =

التمـــام " (١) .

وليس السؤال فى القبر للروح وحدها .. وكذلك عذاب القبر ، بل يكون للنفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة (٢). وان الروح بعد مفارقة البدن فى الحياة الدنيا ، تعود اليه ، وتتصرف فيه فى عالم البرزخ ، كما تصرفت فيه فى الدنيا .. قال العلامة ابن كمال باشا : " ان الروح تدخل فى بدنها بعد ما خرجت ، وتتصرف فيه تصرف الأحياء فى أبدانهم قبل الحشر ... وقد شهد بذلك الأخبار . منها : مانقله الامام القرطبى فى التذكرة (٣) عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : بينما أنا أسير بجنبات بدر ، اذ خرج رجل من الأرض فى عنقه سلسلة يمسك طرفها أسود ، فقال : ياعبد الله إ اسقنى ، فقال ابن عمر رضى الله عنهما ، لا أدرى أَعَرَفَ اسمى أو كما

القيامة ، باب (٢٦) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه بلفظ : " انما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار " وقال : هذا حديث حسن غريب لانعرفه الا من هذا الوجه".

والبيهقى فى عذاب القبر/٦٤ .

قال السخاوى فى المقاصد الحسنة ص٣٠٢ : " الترمذى والطبرانى معا عن أبى سعيد ، والطبرانى فقط فى ترجمة مسعود بن محمد الرملى من معجمه الأوسط عن أبى هريرة كلاهما به مرفوعا ، وسند كل منهما ضعيف "

وقال القرطبى فى التذكرة ١٦٥/١ : " قوله (روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار) محمول عندنا على الحقيقة لاالمجاز ، وان القبر يملأ على المؤمن خضرا ، وهو العشب من النبات ، وقد عينه ابن عمر فى حديثه أنه الريحان ".

(١) ابن كمال باشا : رسالة فى الشخص الانسانى ص١٠٠ ، ورسالة الفرائد ٢٧٤ .

(٢) ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص٤٥١ ، ابن قيم الجوزية : الروح ص٥١ .

(٣) ١٧٢/١ ، وكذلك ابن قيم الجوزية فى الروح ص٦٧ .

يقول الرجل : ياعبد الله ! فقال لي الأسود : لاتسقه ، فانه كافر ، فاجتذبه ، فدخل به الأرض . قال ابن عمر رضي الله عنهما : فأتيت رسول الله عليه السلام ، فأخبرته ، فقال : أَوَقَدْ رأيته ؟ ذاك عدو الله أبو جهل بن هشام ، وهو عذابه الى يوم القيامة " (١) .

تعقيب

ان عذاب القبر ونعيمه قد تضافرت عليه د لائل من الكتاب ، والسنة الصحيحة المتواترة ، واجماع الأمة .. ولذلك يجب الاعتقاد بثبوته ، والايمان به (٢) .

وأما الأدلة من القرآن الكريم فقد ذكرناها أثناء عرض رأي ابن كمال باشا مع تفسيره للآيات الكريمات ...

وأما الأحاديث الصحيحة الثابتة في عذاب القبر فكثيرة جدا ، تبلغ حد التواتر . قال الامام النووي في شرح صحيح مسلم : " اعلم أن

(١) ابن كمال باشا : رسالة في تحقيق القول بأن الشهداء أحياء في الدنيا ص٩٦ . والحديث أخرجه : البيهقي في عذاب القبر ص١٨٣ ، والوائلي الحافظ في " كتاب الابانة " له كما ذكره القرطبي في التذكرة ١/١٧٢ ، وابن أبي الدنيا في كتاب القبور كما ذكره ابن قيم الجوزية في الروح ص٦٧ ، والطبراني في الأوسط ، وفيه عبد الله بن محمد بن المغيرة وهو ضعيف كما في مجمع الزوائد للهيثمي ٣/٦٠ . وذكره ابن الاثير : في النهاية ٢/٢١٩ (رِمْزِيَة) .

(٢) ابن القيم : الروح ٧٥ ، ابن أبي العز : شرح العقيدة الطحاوية ٤٥٠ ، الجرجاني : شرح المواقف ٥٩٠ ــ ٥٩١ : القرطبي : التذكرة ١/١٦٠ .

مذهب أهل السنة اثبات عذاب القبر ، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة . قال الله تعالى (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) (١) ، وتظاهرت به الأحاديث الصحيحة عن النبى صلى الله عليه وسلم من رواية جماعة من الصحابة فى مواطن كثيرة . ولا يمتنع فى العقل أن يعيد الله تعالى الحياة فى جزء من الجسد ويعذبه ، واذا لم يمنعه العقل ، وورد الشرع به وجب قبوله واعتقاده » (٢).

ومن الأحاديث الواردة فى عذاب القبر ونعيمه ما أخرجه الشيخان عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة " (٣).

ومنها ما أخرجه أصحاب الكتب الستة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : " مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين ، فقال :

---

(١) غافر/٤٦ . (٢) النووى : شرح صحيح مسلم ١٧/ ٢٠٠ـ ٢٠١ .

(٣) أخرجه البخارى (الفتح ٣/ ٢٤٣) فى كتاب (٢٣) الجنائز ، باب (٨٩) الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى ، رقم ١٣٧٩ .

ومسلم (٤/ ٢١٩٩) فى كتاب (٥١) الجنة ، باب (١٧) عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، رقم ٢٨٦٦ .

ومالك ١/ ٢٣٩ .

والترمذى (٣/ ٣٧٥) فى كتاب (٨) الجنائز ، باب (٧٠) ماجاء فى عذاب القبر رقم ١٠٧٢ .

والنسائى (٤/ ١٠٦) فى كتاب (٢١) الجنائز ، باب (١١٦) وضع الجريدة على القبر ، رقم ٢٠٧٠ .

انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير . أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لايستتر من بوله ، قال : فدعا بعسيب رطب ، فشقه باثنين ، ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا ، ثم قال : لعله أن يخفف عنهما مالم ييبسا " (١).

ويقول العلامة ابن قيم الجوزية : " مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت اذا مات يكون في نعيم أو عذاب ، وان ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وان الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن أحيانا ، ويحصل له معها النعيم أو العذاب ، ثم اذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح الى الأجساد ، وقاموا من قبورهم لرب العباد ، ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى " (٢).

وبعد عرض رأي ابن كمال باشا في عذاب القبر ونعيمه على مذهب السلف نستطيع أن نقول إنه اتبع مذهبهم في ذلك حيث أثبت ماورد في الكتاب والسنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دون تأويل وصرف عن معانيه الحقيقية ، وآمن به .

---

(١) البخاري (الفتح ٢٤٢/٣) في كتاب (٢٣) الجنائز ، باب (٨٨) عذاب القبر من الغيبة والبول /١٣٧٨ .
ومسلم (٢٤١/١) في كتاب (٢) الايمان ، باب (٤٣) الدليل على نجاسة البول رقم ٢٩٢ .
والترمذي (١٠٢/١) في كتاب (١) الطهارة ، باب (٥٣) ماجاء في التشديد في البول رقم/٧٠ .
والنسائي (١٠٦/٤) في كتاب (٢١) الجنائز ، باب (١١٦) وضع الجريدة على القبر/٢٠٦٩ .
وابن ماجه (١٢٥/١) في كتاب (١) الطهارة ، باب (٢٦) التشديد في البول رقم ٣٤٧ ، واحمد ٢٢٥/١ .
(٢) ابن القيم : الروح ص٥٢ .

الفصل الثاني

أشراط الساعة

١ - ظهور الدجال .
٢ - نزول عيسى عليه السلام .
٣ - ظهور يأجوج ومأجوج .
٤ - طلوع الشمس من مغربها .
٥ - خروج الدابة .

الساعة اسم من اسماء يوم القيامة .. قال الله تعالى (يسألونك عن الساعة) (١) وقال الامام ابن كمال باشا في تفسيره: " اى عن يوم القيامة ، لقوله تعالى (يسألون أيان يوم الدين) (٢) .

وهي من الاسماء الغالبة ، وإطلاقها على ذلك اليوم : اما لوقوعها بغتة ، أو لسرعة حسابها ، أو لأنها على طولها كساعة عند الله " (٣).

وقد أخفى الله تعالى موعد الساعة عن الناس كلهم ، " ولم يطلع أحدا ، لانبيا ولاملكا " (٤) . وقد صرح القرآن والأحاديث بهذا المعنى مكررا ومؤكدا ، قال الله تعالى (يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل إنما علمها عند ربي لايجليها لوقتها الا هو) اى لايبينها ولايكشف أمرها للناس ، واللام للتوقيت ، كما في " أقم الصلاة لدلوك الشمس " (٥) ، والمعنى : ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها ، ولايظهر الا في ذلك الوقت الذى يقع فيه بغتة بنفس الوقوع ، لابالإخبار عنها ، ليكون أدعى الى الطاعة ، وأنهى عن المعصية ، كإخفاء الأجل الخاص الذى هو وقت الموت (٦) ... (ثقلت في السموات والأرض لاتأتيكم الا بغتة) فجأة على غفلة منكم ، كما قال (ماينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون) (٧) .

وقد ورد في الحديث : ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه ، والرجل يسقى ماشيته ، والرجل يقوّم سلعته في السوق ، والرجل يَخْفِض

---

(١) الأعراف/١٨٧ . (٢) الذاريات/١٢ .

(٣) تفسير ابن كمال باشا ٢٦٥ أ . أنظر:الأوجه الأخرى في سبب تسميته بالساعة : القرطبي : التذكرة ١/٢٦٧-٢٦٨ .

(٤) تفسير ابن كمال باشا /٥٧٥ ب . (٥) الاسراء/٧٨ .

(٦) انظر في حكمة اخفاء موعد الساعة ، وبيان علاماتها : القرطبي التذكرة ٢/٣٠٨، السفاريني : لوامع الأنوار ٢/٦٦ .

(٧) يس/ ٤٩ .

ميزانه ويرفعه (١) ... (يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لايعلمون) (٢) أى علمها عند الله تعالى ، لم يؤته أحدا من خلقه • (٣).

أشـــراط الساعـــة :

إن أشراط الساعة وأماراتها تنقسم الى ثلاثة أقسام: قسم ظهر وانقضى ، وهى الأمارات البعيدة ، وقسم ظهر ولم ينقض ، بل لايزال فى زيادة حتى اذا بلغ الغاية ظهر القسم الثالث ، وهى الأمارات القريبة الكبيرة التى تعقبها الساعة ، وأنها تتابع كنظام خرزات انقطع سلكها (٤) .

وقد جمع الحديث الذى ذكره العلامة ابن كمال باشا جزءا منها ، والذى أخرجه الشيخان وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه معظم أشراط الساعة ، وهو: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان ، تكون بينهما مقاتلة عظيمة ،

---

(١) لم أعثر على الحديث بهذا اللفظ فيما اطلعت من كتب الحديث، وسيأتى تخريجه بعد قليل بلفظ قريب من هذا .

(٢) الأعراف/١٨٧ .   (٣) ابن كمال باشا :تفسيره ٢٦٥ أ ـ ب بشىء من التصرف.

(٤) السفارينى : لوامع الأنوار ٦٦/٢ ثم ذكر علامات كل قسم منها .

وقد قسم كل من ابن حجر فى فتح البارى ٨٣/١٣ ، والسخاوى فى " القناعة فيما يحسن الاحاطة به من أشراط الساعة " ، والشريف محمد بن رسول البرزنجى فى " الاشاعة لأشراط الساعة " ،

وصديق حسن خان القنوجى ، فى " الاذاعة لما كان ومايكون بين يدى الساعة " الى هذه الأقسام وذكروا فى كل قسم منها مايتعلق به.

دعوتهما واحدة ، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين ، كلهم يزعم أنه رسول الله ، وحتى يقبض العلم ، وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج - وهو القتل - ، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهمّ رب المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه : لا أَرَب لى به ، وحتى يتطاول الناس فى البنيان ، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول : ياليتنى مكانه ، وحتى تطلع الشمس من مغربها ، فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، فذلك حين (لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا) (١) ، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولايطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لِقْحته فلا يَطْعَمه ، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يَطْعمها » (٢) . واللفظ للبخارى فى الفتن .

قال الامام القرطبى : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : هذه ثلاثة

---

(١) الأنعام/١٥٨ .

(٢) البخارى (الفتح ١٣/٨١ - ٨٢) فى كتاب (٩٢) الفتن ، باب (٢٥) ، رقم/٧١٢١ .
وطرفا منه فى (١١/٣٥٢) فى كتاب (٨١) الرقاق ، باب (٤٠) ، رقم/٦٥٠٦ .
وأخرج مسلم الجزء الأول منه (١/١٣٧) فى كتاب (١) الايمان ، باب (٧٢) بيان الزمن الذى لايقبل فيه الايمان ، برقم/١٥٧ . والجزء الأخير منه (٤/٢٢٧٠) فى كتاب (٥٢) الفتن وأشراط الساعة ، باب (٢٧) قرب الساعة برقم/٢٩٥٤ .
وأبو داود مختصرا (٤/٤٩٢) فى كتاب (٣١) الملاحم ، باب (١٢) أمارات الساعة ، برقم/٤٣١٢ .
وابن ماجه مختصرا (٢/١٣٥٢) فى كتاب (٣٦) الفتن ، باب (٣٢) طلوع الشمس من مغربها ، برقم/٤٠٦٨ .

عشرة علامة ، جمعها أبو هريرة في حديث واحد ، ولم يبق بعد هذا ماينظر فيه من العلامات والأشراط في عموم انذار النبي صلى الله عليه وسلم بفساد الزمان ، وتغيير الدين ، وذهاب الأمانة مايغني عن ذكر التفاصيل الباطلة ، والأحاديث الكاذبة في أشراط الساعة " (١)

وأنا أقتصر هنا في بيان رأي العلامة ابن كمال باشا في علامات الساعة الكبرى حسبما وجدت رأيه في كل منها إن شاء الله تعالى .

ان مذهب العلامة ابن كمال باشا في الساعة وعلامات قربها هو وجوب الايمان بها ، وأنها آتية لامحالة ، وأنها قريبة الوقوع ، وان موعدها لايعلمه الا الله عز وجل ، أخفاه على الناس كلهم ، بما فيهم أنبياؤه المرسلون وملائكته المقربون (٢) ، وأنه ليس لأحد من سبيل الى معرفة مابقي من عمر الدنيا (٣) .

---

(١) القرطبي : التذكرة ٢/٣١٠ .

(٢) انظر : تفسير ابن كمال باشا ٢٦٥ أ ، ٤٥٣ أ ، ٥٧٥ ب .

(٣) ابن كمال باشا : رسالة في بيان مدة الدنيا وخروج الدجال وطلوع الشمس من مغربها ، ضمن مجموعة بجامعة القاهرة برقم/ ٣٩٣٧ ت وهي مصورة عندي . وقد انتدب جماعة من العلماء على تعيين قرب الساعة وزمن كونها ومجيئها ، واستدلوا بأحاديث غير صحيحة ، وماصح منها فدلالتها غير صريحة . وذكر الحافظ جلال الدين السيوطي ذلك في رسالة سماها " الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف " وذكر فيها أنها تقوم على رأس الخمسمائة بعد الألف .. وقد ألف ابن كمال باشا رسالته المذكورة للرد على السيوطي في تحديده قيام الساعة اعتمادا على حديث : "الدنيا سبعة آلاف أنا في آخرها ألفا " .

قال أبو الفيض أحمد بن الصديق الغماري في " المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير " ص٤٨ : " قال الحافظ : موضوع . ولو كان المؤلف ـ السيوطي ـ في عصرنا لاستحى أن يذكره ، وكذلك البيهقي الذي زعم أنه لايخرج حديثا يعلم ==

وقال العلامة ابن كمال باشا في تفسير قوله تعالى (يسألك الناس عن الساعة) أي عن وقت قيامها ، كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجالا — لا على سبيل الهزء والانكار — وامتحانا ... (قل إنما علمها عند الله) لم يطلع أحدا ، لا نبيا ، ولا ملكا ، ثم بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله (وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا) (١) أي أنها قريبة الوقوع ، تهديدا للمستعجلين ، واسكاتا للممتحنين . (٢).

وقال العلامة ابن كمال باشا أيضا في بيان علامات الساعة :

" وعلامات قرب الساعة حق ثابت ، لقوله عليه الصلاة والسلام :

" لاتقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : كوقوع الدخان ، وخروج الدجال ودابة الأرض ، وطلوع الشمس من مغربها ، ونزول عيسى عليه السلام ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، وآخر ذلك نار يخرج من جانب اليمن ، فتطرد الناس الى محشرهم " كذا في المصابيح . (٣)

أنه موضوع" . نقل عنه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في هامش" الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة "ص ٧٩"، انظر أيضا : القاري : الأسرار المرفوعة / ٤٣١ ، السفاريني :لوامع الانوار ٢ / ٦٦ .

(١) طه/ ١٥ . (٢) ابن كمال باشا : تفسيره ٥٧٥ ب .

(٣) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص ١٣ .

والحديث :أخرجه مسلم (٤ / ٢٢٢٥ — ٢٢٢٧) من طرق عن أبي هريرة وحذيفة ابن أسيد الغفاري في كتاب (٥٢)الفتن وأشراط الساعة ، باب (١٣) في الآيات التي تكون قبل الساعة ، رقم ٢٩٠١ .

والترمذي (٤ / ٤٧٧ — ٤٧٨) في كتاب (٣٤) الفتن ، باب (٢١) ماجاء في الخسف ، رقم/ ٢١٨٣ . وقال : " وفي الباب عن علي وأبي هريرة وأم سلمة وصفية بنت حيي وهذا حسن صحيح " .

وأبو داود (٤ / ٤٩١) في كتاب (٣١) الملاحم ، باب (١٢) أمارات الساعة ، ٤٣١١ . ==

والآن أتحدث باختصار عن بعض هذه العلامات الكبرى الواردة في الحديث الذي ذكره العلامة ابن كمال باشا ، علما بأن العلماء اختلفوا في ترتيب وقوع هذه الآيات .

قال الامام القرطبي : إن أول الآيات: ظهور الدجال ، ثم نزول عيسى عليه السلام ، ثم خروج يأجوج ومأجوج ، ثم دابة الأرض ، ثم طلوع الشمس من مغربها ، (١) وذكر هذا الترتيب أيضا الامام البيهقي (٢) .

١ ـ ظهور الدجال :

الدجال هو الكذاب ، شديد الدّجل . والدجل في اللغة هو التغطية والتمويه . وسمى الكذاب دجالا ، لأنه يغطى الحق ويستره بسحره وكذبه ، أو يغطى الارض بالجمع الكثير (٣) .

وان من أمارات الساعة الكبرى ظهور شخص لقبه الرسول صلى الله عليه وسلم بالدجال ، لشدة تدجليه وكذبه ، يدعى الألوهية ، ويحاول أن يفتن الناس عن دينهم بما يحدثهم من خوارق العادات ، وعجائب

وابن ماجه (٢ /١٣٤٧)في كتاب (٣٦)الفتن ، باب (٢٨)الآيات ، رقم/٤٠٥٥ .
وأحمد في المسند ٤ /٧٠٦ .
وفي مشكاة المصابيح ٢ /١٥٠٥ ، برقم/٥٤٦٤ .

(١) التذكرة ٢ /٣٤٠ باختصار . انظر حول ترتيب ظهور علامات الساعة : ابن كثير : النهاية في الفتن ١ /١٠٩ ، ١١١ ، ١١٣ ، وابن أبي العز : شرح العقيدة الطحاوية ٥٦٦ ، ابن حجر :فتح الباري ١١ /٣٥٢ ـ ٣٥٣ ، السفاريني :لوامع الأنوار ٢ /١٤٢ .

(٢) ابن كثير :النهاية في الفتن ١ /١١٣ ـ ١١٤ ، ابن حجر :فتح الباري ١١ /٣٥٤ .

(٣) البيومي : مصباح المنير ١٩٠ ، القرطبي : التذكرة ٢ /٣٤٤ ـ ٣٤٥ .

الأمور بإذن الله تعالى ، فيفتن به بعض الناس ، ويثبت الله الذين آمنوا ، فلا يخدعون بدجله وضلاله ، ثم يأذن الله تعالى بالقضاء على فتنته ، فينزل عيسى عليه السلام فيقتله .. (١)

لم أجد كلاما لابن كمال باشا في الدجال سوى قوله في تفسير قوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك) (٢) : " ونزول عيسى عليه السلام لدعوى الخلق الى دين الحق بعد خروج الدجال " (٣) . فنستطيع أن نستنتج من هذا النص أنه يؤمن بخروج الدجال ، وأن ذلك قبل نزول عيسى عليه السلام من السماء ، حيث انه يقتل الدجال .

ولقد فاض بالأحاديث الصحيحة المتعلقة به جميع كتب السنة تحذيرا ، وإخبارا ووصفا (٤) .

منها : ما أخرجه الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس ، فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم ذكر الدجال فقال : اني لأنذركموه ، وما من نبي الا وقد أنذر قومه ، ولكني سأقول لكم فيه قولا لم يقله نبي لقومه : انه أعور وان الله ليس بأعور " (٥) ، واللفظ للبخاري .

ومنها : ما أخرجه مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول

---

(١) انظر: د . ياسين: كتاب الايمان ص١٠١ . (٢) الأنعام/١٥٨ .
(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٤١٠ (الحرم المكي) .
(٤) انظر: الأحاديث الواردة في الدجال : ابن كثير: النهاية في الفتن والملاحم ١/ ٥٢ ــ ٨٤ .
(٥) البخاري (١٣/ ٩٠) في كتاب (٩٢) الفتن، باب (٢٦) ذكر الدجال ، ٧١٢٧ . ومسلم (١/ ١٥٤ ــ ١٥٥)في كتاب (١)الايمان، باب (٧٥)ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال ، برقم١٦٩ . وفي (٤ /٢٢٤٧)كتاب (٥٢)الفتن وأشراط الساعة ، باب (٢٠) ذكر الدجال .

الله صلى الله عليه وسلم: لأنا أعلم بما مع الدجال منه ، معه نهران يجريان ، أحدهما رأى العين ، ماء أبيض ، والآخر ، رأى العين ، نارٌ تَأَجَّجُ . فإما أدركنّ أحد فليأت النهر الذى يراه نارا وليغمّض ، ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه ، فانه ماء بارد . وان الدجال ممسوح العين ، عليها ظفرة غليظة ، مكتوب بين عينيه كافر ، يقرأه كل مؤمن : كاتب ، أو غير كاتب " (١) .

ومنها : ماأخرجه الشيخان عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مامن نبى الا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب ، ألا انه أعور ، وان ربكم ليس بأعور ، ومكتوب بين عينيه: ك ف ر " (٢) واللفظ لمسلم .

ومنها : ماأخرجه مسلم وأصحاب السنن عن النّواس بن سمعان قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة ، فخفّض فيه ورفّع (٣) ، حتى ظنناه فى طائفة النخل ، فلما رحنا اليه عرف ذلك

(١) مسلم (٤/ ٢٢٤٩) فى كتاب (٥٢) الفتن وأشراط الساعة ، باب (٢٠) ذكر الدجال ، برقم ٢٩٣٤ ـ ٢٩٣٥ .
وأبو داود (٤/ ٤٩٤) فى كتاب (٣١) الملاحم ، باب (١٤) خروج الدجال ، برقم ٤٣١٥ .
والبخارى مختصرا (الفتح ١٣/ ٩١) فى كتاب (٩٢) الفتن ، باب (٢٦) ذكر الدجال ، برقم/ ٧١٣٠ .

(٢) البخارى (١٣/ ٩١) فى كتاب (٩٢) الفتن ، باب (٢٦) ذكر الدجال ، برقم ٧١٣١ .
ومسلم (٤/ ٢٢٤٨) فى كتاب (٥٢) الفتن وأشراط الساعة ، باب (٢٠) ذكر الدجال ، ٢٩٣٣ .

(٣) وفى معناه قولان : أحدهما : أن خفّض بمعنى : حقّر ، فمن تحقيره وهو أنه على الله تعالى عوره ، وأنه لايقدر على قتل أحد الا ذلك الرجل ، وأنه يضمحل أمره ، ثم يقتل .

=

فينا ، فقال : ما شأنكم ؟ قلنا : يارسول الله ! ذكرت الدجال غداة ، فخفّضت فيه ورفّعت ، حتى ظنناه في طائفة النخل ، فقال : غير الدجال أخوفُني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم ، فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيجُ نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم ، إنه شاب قطَط (١) ، عينه طافئة ، كأني أشبهه بعبد العزى بن قَطَنٍ ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، إنه خارج خَلّة بين الشام والعراق (٢) ، فعاث يمينا وعاث شمالا (٣) ، ياعباد الله ! فاثبتوا . قلنا : يارسول الله ! وما لَبْثه في الأرض ؟ قال : أربعون يوما ، يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم . قلنا : يارسول الله ! فذلك اليوم الذي كسنة ، أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا ، اقدروا له قدره . قلنا : يارسول الله ! وما اسراعه في الأرض ؟ قال : كالغيث استدبرته الرّيحُ ، فيأتي على القوم فيدعوهم ، فيؤمنون به ، ويستجيبون له ، فيأمر السماء فتمطر ، والأرضَ فتُنْبِت ، فتروح عليهم سارحتُهم أطول ما كانت ذُرًا (٤) ، وأسبغه ضروعا ، وأمدّه خواصر ، ثم يأتي القومَ فيدعوهم فيردون عليه قوله ، فينصرف عنهم ، فيصبحون مُمْحِلين (٥) ، ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، ويمر بالخربة فيقول لها : أخرجي كنوزك ، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل (٦) ،

وأن رفع: بمعنى عظّم وفخّم ، من تفخيمه وتعظيم فتنته والمحنة به هذه الأمور الخارقة للعادة ، وأنه ما من نبي الا وأنذر قومه .

والوجه الثاني : انه خفّض من صوته بعد طول الكلام والتعب ليستريح ، ثم رفع ليبلغ صوته كل أحد .

(١) شديد جعودة الشعر . (٢) سيظهر في مكان بين البلدين .

(٣) العيث: الفساد ، أو أشد الفساد والاسراع فيه .

(٤) الذرى بضم الذال : هي الأعالي والأسنمة .

(٥) اى أصابهم المحل ، اى الجدب والقحط ، من قلة المطر ويبس الأرض من الكلأ .

(٦) كجماعة النحل ، واليعاسب هي ذكور النحل .

ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف ، فيقطعه جزلتين رمية الغرض،(١) ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ، يضحك ، فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم ، فينزل عند المنارة البيضاء شرقيّ دمشق ، بين مَهْرُودَتَيْن (٢) ، واضعا كفيه على أجنحة ملكين ، اذا طأطأ رأسه قطر ، واذا رفع تحدّر منه جمان كاللؤلؤ (٣) ، فلا يحل لكافر (٤) يجد ريح نفسه إلا مات ، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرْفه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدّ (٥) ، فيقتله ، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه ، فيمسح عن وجوههم ، ويحدّثهم بدرجاتهم في الجنة ، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله الى عيسى : أني قد أخرجت عبادا لي ، لايَدانِ لأحد منهم بقتالهم (٦) ، فحرّز عبادي الى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائلهم على بُحَيْرة طبرية ، فيشربون مافيها ، ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماءٌ ، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابُه ، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبي الله عيسى (٧) وأصحابه ، فيرسل الله عليهم النّغف (٨) في رقابهم ، فيصبحون فرسى (٩) ، كموت نَفْسٍ واحدة . ثم يَهبِط نبي الله عيسى وأصحابه الأرض ، فلا يجدون في الأرض موضع شبر الا ملأهُ زَهَمُهم (١٠) ، ونَتْنهم ،

---

(١) فيقطعه قطعتين ، ويجعل بينهما مقدار رمية الغرض .

(٢) اى ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران .

(٣) يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه .

(٤) لايمكن ولايقع لكافر .

(٥) بلدة قريبة من بيت المقدس .

(٦) اى لاقدرة ولاطاقة لأحد منهم .

(٧) اى يدعو الى الله عز وجل .

(٨) النغف هو دود يكون في أنوف الابل والغنم .

(٩) اى قتلى ، واحدهم فريس .

(١٠) اى دسمهم .

فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البُخْت(١) ، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطرا لايكُنُّ (٢) منه بيت مدر (٣) ولاوبر ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلَفة (٤) ، ثم يقال للأرض : أنبتي ثمرتك ، وردّي بركتك ، فيومئذ تأكل العِصابة من الرمانة ، ويستظلون بقِحْفها (٥) ، ويبارك في الرِّسْل (٦) حتى أن اللِّقحة (٧) من الابل لتكفي الفئام من الناس ، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس ، فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا طيبة ، فتأخذهم تحت آباطهم ، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ، ويبقى شرار الناس ، يتهاجرون فيها تهارج الحمر(٨) ، فعليهم تقوم الساعة » (٩) .

وأخرج الشيخان عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة والمدينة ، وليس نقب من أنقابها الا عليه الملائكة صافين تحرسها ، فينزل بالسَّبَخة (١٠) ، فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج منها كل كافر ومنافق » (١١) ، واللفظ لمسلم .

---

(١) اى كجمال طوال الأعناق . (٢) اى لايمنع من نزول الماء .

(٣) هو الطين الصلب .

(٤) كالمرآة في صفائها ونظافتها ، وقيل : كمصانع الماء .

(٥) هو مقعر قشرها ، شبهها بقحف الرأس وهو فوق الدماغ .

(٦) هو اللبن . (٧) وهي القريبة العهد بالولادة .

(٨) يجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس كما يفعل الحمير .

(٩) أخرجه مسلم (٤ / ٢٢٥٠ ـ ٢٢٥٥) في كتاب (٥٢) الفتن ، باب (٢٠) ذكر الدجال ، برقم / ٢٩٣٧ .

(١٠) وفي القاموس (١ / ٢٧٠) : السبخة ـ محركة ومسكنة ـ : أرض ذات نزّ وملح .

(١١) البخاري (٤ / ٩٥) في كتاب (٢٩) فضائل المدينة ، باب (٩) لايدخل الدجال =

وقال الامام النووى : " وهذه الأحاديث التى ذكرها مسلم وغيره فى قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق فى صحة وجوده ، وأنه شخص بعينه ، ابتلى الله به عباده ، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذى يقتله ، ومن ظهور زهرة الدنيا ، والخصب معه ، وجنته وناره ، ونهريه ، واتباع كنوز الأرض له ، وأمره السماء أن تمطر فتمطر ، والأرض أن تنبت فتنبت ، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك ، فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ، ولا غيره ، ويبطل أمره ، ويقتله عيسى صلى الله عليه وسلم ، ويثبت الذين آمنوا .

هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار ، خلافا لمن أنكره ، وأبطل أمره من الخوارج والجهمية ، وبعض المعتزلة (١) ، وخلافا للبخارى المعتزلى وموافقيه من المعتزلة وغيرهم فى أنه صحيح الوجود ، ولكن الذى يدعى مخارق وخيالات لا حقائق لها ، وزعموا أنه لو كان حقا لم يوثق بمعجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وهذا غلط من جميعهم ، لأنه لم يدع النبوة فيكون ما معه

= المدينة ، برقم/١٨٨١ .

ومسلم (٤ /٢٢٦٥) فى كتاب (٥٢) الفتن وأشراط الساعة ، باب (٢٤) قصة الجساسة/٢٩٤٣ .

وأبو داود مختصرا (٤ /٤٩٦) فى كتاب (٣١) الملاحم ، باب (١٤) خروج الدجال / ٤٣٢١ .

والترمذى (٤ /٥١٠ـ٥١٣) فى كتاب (٣٤) الفتن ، باب (٥٩) ما جاء فى فتنة الدجال ، برقم ٢٢٤٠ . وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر .

وابن ماجه (٢/١٣٥٦ـ١٣٥٩) فى كتاب (٣٦) الفتن ، باب (٣٣) فتنة الدجال ، رقم/٤٠٧٥ .

ونسبه المنذرى للنسائى أيضا .

انظر فى شرح الحديث : النووى : شرح صحيح مسلم ١٨ /٦٣ ـ ٧٠ .

(١) انظر أيضا : القرطبى : التذكرة ٢ /٣٥١ ، ابن كثير : النهاية فى الفتن ١ /٨٤ .

كالتصديق له ، وانما يدعى الإلهية ، وهو فى نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ، ووجود دلائل الحدوث فيه ، ونقص صورته ، وعجزه عن إزالة العور الذى فى عينيه ، وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه (١) ، ولهذه الدلائل وغيرها لايغتر به إلا رَعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة رغبة فى سد الرمق ، أو تقية وخوفا من أذاه ، لأن فتنته عظيمة جدا ، تدهش العقول ، وتحير الألباب ، مع سرعة مروره فى الأمر ، فلا يمكث يتأمل الضعفاء حاله ، ودلائل الحدوث فيه والنقص ، فيصدقه من صدقه فى هذه الحالة . ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنته ، ونبهوا على نقصه ، ودلائل ابطاله ، وأما أهل التوفيق فلا يغترون به ، ولايخدعون لما معه ، لما ذكرنا من الدلائل المكذبة له مع ماسبق لهم من العلم بحاله " (٢).

" قال الخطابى : فان قيل : كيف يجوز أن يجرى الله الآية على يد الكافر ؟ فان إحياء الموتى آية عظيمة من آيات الأنبياء ، فكيف ينالها الدجال ، وهو كذاب مفتر ، يدعى الربوبية ؟ "

ثم أجاب الخطابى على هذا السؤال قائلا : " فالجواب : أنه على سبيل الفتنة للعباد ، اذ كان عندهم مايدل على أنه مبطل غير محق فى دعواه ، وهو أنه أعور ، مكتوب على جبهته كافر ، يقرأه كل مسلم ، فدعواه داحضة مع وسم الكفر ونقص الذات ، والقدر ، اذ لو كان إلهاً لأزال ذلك عن وجهه ، وآيات الأنبياء سالمة من

---

(١) انظر أيضا : ابن حجر : فتح البارى ١٣/٩٦ ، ١٠٣ ، وكذلك : ابن كثير : النهاية فى الفتن والملاحم ١/٨٣ ـ ٨٤ .

(٢) النووى : شرح صحيح مسلم ١٨/٥٨ ـ ٥٩ .

المعارضة ، فلا يشتبهان " (١).

وأضاف ابن حجر جوابا على السؤال المذكور قوله : " وفي الدجال مع ذلك دلالة بينة لمن عقل على كذبه ، لأنه ذو أجزاء مؤلفة ، وتأثير الصنعة فيه ظاهر مع ظهور الآفة به من عور عينيه ، فإذا دعا الناس إلى أنه ربهم فأسوأ حال من يراه من ذوي العقول أن يعلم أنه لم يكن ليسوي خلق غيره ويعدله ويحسنه ، ولا يدفع النقص عن نفسه ، فأقل ما يجب أن يقول : يا من يزعم أنه خالق السماء والأرض ، صور نفسك وعدلها وأزل عنها العاهة ، فإن زعمت أن الرب لا يحدث في نفسه شيئا ، فأزل ما هو مكتوب بين عينيك " (٢).

٢ ـ نزول عيسى عليه السلام:

وهو من أهم أشراط الساعة ، وأخطر الأحداث التي تكون بين يديها .. لقد دلت الأحاديث الصحيحة المتواترة (٣) ، وأجمعت الأمة على أن عيسى عليه السلام ينزل من السماء الدنيا في آخر الزمان ، قرب قيام الساعة ، أثناء وجود الدجال ، فيقتله ، ويحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (٤) ، ثم يمكث في الأرض ما شاء أن يمكث ، ثم يموت ، ويصلي عليه المسلمون ، ويدفن .. وقد تقدم حديث النواس بن

(١) نقله ابن حجر عن الخطابي في فتح الباري ١٠٣/١٣ .

(٢) ابن حجر : فتح الباري ١٠٣/١٣ .

(٣) قد نص على تواتر نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان غير واحد من الأئمة منهم الحافظ ابن كثير ، وابن عطية ، وأبو الوليد بن رشد ، والشوكاني ، والكتاني . انظر : التصريح بما تواتر في نزول المسيح ٥٨ـ٥٩ ، وهامش ص/٦٢ـ٦٥ ، ومختصر تفسير ابن كثير ٢٩٤/٣ .

(٤) ابن كمال باشا : رسالة في أفضلية النبي صلى الله عليه وسلم ق ١٦أ ، ١٧ب ، ١٩ب .

سمعان في ذلك .

وقد أخبر القرآن الكريم أن عيسى عليه السلام لم يقتله اليهود ، وإنما رفعه الله تعالى إليه ، وأنه لن يموت حتى ينزل قبل قيام الساعة . قال الله تعالى (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله ، وما قتلوه ، وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله اليه) رد وانكار لقتله ، واثبات لرفعه اليه ، الى منزلة عالية مما كان فيه (وكان الله عزيزا حكيما) (١) .

واستدل العلامة ابن كمال باشا بقوله تعالى (ويكلم الناس في المهد وكهلا ..) (٢) على نزوله قبل يوم القيامة ، حيث قال في تفسيره : " واستدل به على نزوله من السماء ، لأن رفعه اليه كان قبل أن يصير كهلا " (٣) .

وقال أيضا في تفسير قوله تعالى (وان من أهل الكتاب) أحد (إلا ليؤمنن به قبل موته) (٤) : " جملة قسمية وقعت صفة "لأحد" ، ويعود اليه الضمير الثاني ، والأول لعيسى ، أي : ما من يهودي ولانصراني الا ليؤمنن به قبل أن يموت ، ولو حين تزهق روحه ـ ولاينفعه إيمانه ـ بأن عيسى عبد الله ورسوله (٥) ، ويؤيد ذلك أنه قرئ : " إلا ليؤمنُنّ به قبل موتهم " بضم النون (٦) ، لأن " أحدا " في معنى

(١) النساء ١٥٧ـ١٥٨ . وتفسير ابن كمال باشا ٣٤١/١ (الحرم المكي) .

(٢) آل عمران/٤٦ . (٣) ابن كمال باشا : تفسيره ٢١٧/١ (الحرم المكي) .

(٤) النساء/ ١٥٩ .

(٥) وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما بسند صحيح ، وكذا صح عن مجاهد وعكرمة وابن سيرين وبه يقول الضحاك (الطبري : جامع البيان ٣٨٢/٩ـ٣٨٦ (ط. أحمد شاكر) . ومختصر تفسير ابن كثير ٤٥٧/١) .

(٦) وهي قراءة أبي رضى الله عنه (مختصر تفسير ابن كثير ٤٥٧/١) .

الجمع ، وهذا كالوعيد لهم ، والتحريض على معاجلة الايمان به قبل أن يضطروا اليه ، ولاينفعهم إيمانهم.

وقيل : الضميران لعيسى عليه الصلاة والسلام ، والمعنى : أنه اذا نزل من السماء آمن به أهل الملل جميعا ، فتكون الملة واحدة ،وهى ملة الاسلام ، وهذا يقتضى تخصيص أهل الكتاب بالذين هم يوجدون عند نزوله عليه السلام (١) ، وتعميم الحكم لغير الكتابى أيضا " (٢).

وقد ذكر العلامة ابن كمال باشا الرأى الراجح الصحيح فى تفسير الآية بصيغة التمريض ، وكأنه مال الى الرأى الذى ذكره أولا تبعا للقاضى البيضاوى (٣).

قال إمام المفسرين ابن جرير الطبرى بعد أن ذكر اختلاف أهل التأويل فى معنى الآية : " وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال : تأويل ذلك : وان من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى " (٤).

وقال الامام الحافظ ابن كثير بعد أن ذكر قول الطبرى : " ولاشك أن هذا الذى قاله ابن جرير هو الصحيح ، لأنه المقصود من

(١) وهو مروى عن ابن عباس والحسن وقتادة وأبى مالك وابن زيد (الطبرى : جامع البيان ٩/ ٣٨٠ـ ٣٨٢).

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ١/ ٣٤١ (الحرم المكى) مصححا ومتمما عن نسخة ينى جامع/ ٢٠.

(٣) فى أنوار التنزيل ٢/ ١٢٨. وكذلك أبو السعود فى إرشاد العقل السليم ٢/ ٢٥٢.

(٤) الطبرى : جامع البيان ٩/ ٣٨٦ (ط. أحمد شاكر).

سياق الآى فى تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه ، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك ، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك ، وانما شبه لهم ، فقتلوا الشبه ، وهم لايتبينون ذلك ، ثم انه رفعه اليه ، وانه باق حىّ ، وانه سينزل قبل يوم القيامة ، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة ... فيقتل مسيح الضلالة ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، يعنى : لايقبلها من أحد من أهل الأديان ، بل لايقبل الا الاسلام أو السيف ، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ، ولايتخلف عن التصديق به واحد منهم " (١) .

وهناك آية أخرى تشير الى نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة ، وأن نزوله من أشراط الساعة ، وهى قوله تعالى (وإنه) وإن عيسى عليه السلام (٢) (لعلم للساعة) (٣) : لأن حدوثه أو نزوله

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (المختصر ١/٤٥٨) ؛ وكذلك : النهاية فى الفتن ١/٩٣-٩٤ .

(٢) والضمير عائد على عيسى عليه السلام . وهو مروى عن ابن عباس والحسن وقتادة . (انظر : الطبرى : جامع البيان ٢٥/٥٤ ؛ الكشميرى : التصريح بما تواتر فى نزول المسيح /٢٨٩-٢٩١) ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى (وانه لعَلَم للساعة) أى أمارة ودليل على وقوع الساعة ... وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماما عادلاً وحكما مقسطا " (مختصر تفسير ابن كثير ٣/٢٩٤) .
وقال الحافظ ابن كثير : "والصحيح أنه - أى الضمير - عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام ، فان السياق فى ذكره ، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة ، كما قال تبارك وتعالى (وان من أهل الكتاب الاليؤمنن به قبل موته) اى قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام (ثم يوم القيامة يكون عليهم شهيدا) (النساء/١٥٩) (المصدر السابق)" .

(٣) الزخرف/٦١ .

من أشراط الساعة ، يعلم به دنوها (١) ... وقرئ (لَعَلَمٌ) أى لعلامة ولذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا . وفى الحديث: ينزل عيسى عليه السلام على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها : أفيق ، وبيده حربة ، يقتل بها الدجال ، فيأتى بيت المقدس والناس فى صلاة الصبح ، فيتأخر الامام ، فيقدمه عيسى عليه السلام ، ويصلى خلفه على شريعة محمد عليه الصلاة والسلام ، ثم يقتل الخنازير ، ويكسر الصليب ، ويخرب البيع والكنائس ، ويقتل النصارى الا من آمن به (٢) . وقيل : الضمير للقرآن ، فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها " (٣).

وأما الأحاديث الواردة فى نزوله قبل يوم القيامة فكثيرة ومتواترة (٤) .

منها : ما أخرجه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " والذى نفسى بيده ، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم صلى الله عليه وسلم حكما مقسطا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله

(١) أخرج ابن حبان فى صحيحه (الموارد ص ٤٣٥) عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله (وانه لعلم للساعة) قال : نزول عيسى بن مريم قبل يوم القيامة " .

(٢) لم أعثر على هذا الحديث بهذا اللفظ فى كتب السنة ، ولعل المؤلف ذكر الحديث بالمعنى ولم يتقيد بروايته لفظا ، وهذه الأوصاف أو الأمارات المذكورة واردة فى أحاديث مختلفة ، ذكرت بعضها قبل قليل .

(٣) البيضاوى : أنوار التنزيل ٥/ ٦٢ ، أبو السعود : إرشاد العقل السليم ٨/ ٥٣ . ولقد اخترتهما لأن ابن كمال باشا وتلميذه أبا السعود يعتمدان على البيضاوى غالبا .

(٤) وقد جمع غير واحد من العلماء أحاديث نزول عيسى عليه السلام فى تآليف مستقلة . منهم العلامة المحدث أنور شاه الكشميرى فى كتابه " التصريح بما تواتر فى نزول المسيح " ، فبلغت أحاديثه ٧٥ حديثا ماعدا الموقوف منها ، ومع الأخبار الموقوفة وصلت الى ١٠١ من الخبر .

(انظر المؤلفات الأخرى فى ذلك ، فى هامش الكتاب المذكور ص ٥٥ ـ ٥٧) .

أحمد (١) . واللفظ لمسلم .

ومنها : ما أخرجه الامام أحمد وأبو داود وابن جرير بطرق مختلفة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الأنبياء إخوة لعَلّات (٢) ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم ، لأنه لم يكن بيني وبينه نبيّ ، وانه نازل ، فاذا رأيتموه فاعرفوه : رجلا مربوعا الى الحمرة والبياض ، عليه ثوبان ممصران (٣) ، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويدعو الناس الى الاسلام ، فيُهلك الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام ، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ، وتقع الأمنة على الأرض ، حتى ترتع الأسود مع الإبل ، والنمار مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان بالحيات ، لاتضرهم فيمكث أربعين سنة ، ثم يتوفى ، ويصلي عليه المسلمون . (٤) . واللفظ هنا للامام أحمد .

وهناك أحاديث كثيرة أخرى ومتواترة عن رسول الله صلى الله عليه

(١) البخاري (٦/٤٩٠-٤٩١) في كتاب (٦٠) الأنبياء ، باب (٤٩) نزول عيسى بن مريم ، رقم/٣٤٤٨ .
ومسلم (١/١٣٥) في كتاب (١) الايمان ، باب (٧١) نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، رقم/١٥٥ .
والترمذي (٤/٥٠٦) في كتاب (٣٤) الفتن ، باب (٥٤) ماجاء في نزول عيسى بن مريم عليه السلام ، برقم/٢٢٣٣ . وقال : حسن صحيح .
وقد استدل ابن كمال باشا بهذا الحديث على أن نبينا آخر الأنبياء بعثة ، وأن عيسى عليه السلام آخرهم دعوة الى الحق (ر. في أفضلية النبي صلى الله عليه وسلم ، ق٦ أ) .
(٢) وقال ابن الاثير في النهاية (٣/٢٩١) : أولاد العلات : الذين أمهاتهم مختلفة ، وأبوهم واحد ، أراد أن ايمانهم واحد وشرائعهم مختلفة .
(٣) أي مصبوغان بالطين الأحمر .
(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٢/٤٠٦ ، ٤٣٧ . =

وسلم من رواية أبي هريرة ، وابن مسعود ، وعثمان بن أبي العاص ، وأبي أمامة ، والنواس بن سمعان ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ومجمّع بن حارثة ، وحذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنهم أجمعين (١) .

وقال القاضي عياض: " نزول عيسى عليه السلام، وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك ، وليس في العقل ولافي الشرع ما يبطله ، فوجب إثباته ، وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم ، وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى (وخاتم النبيين) (٢) ، وبقوله صلى الله عليه وسلم: " لانبي بعدي " (٣) ، وبإجماع المسلمين أنه لانبي بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وأن شريعته مؤبدة الى يوم القيامة لاتنسخ ، وهذا استدلال فاسد ، لأنه ليس المراد بنزول عيسى عليه السلام أنه ينزل نبيا بشرع ينسخ شرعنا ، ولافي هذه الأحاديث ولافي غيرها شيء من هذا ، بل صحت هذه الأحاديث ... أنه ينزل حكما مقسطا بحكم شرعنا ،

وأبو داود مختصرا (٤ /٤٩٨ـ٤٩٩)في كتاب (٣١)الملاحم، باب (١٤)خروج الدجال ، رقم ٤٣٢٤ .

والحاكم في المستدرك ٢ /٥٩٥ وقال :هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه "ووافقه الذهبي،وعبد الرزاق في المصنف ١١ /٤٠١ـ٤٠٢ .

وابن جرير في جامع البيان ٦ /٤٥٩ (برقم/ ٧١٤٥) ، وضعف أحمد شاكرهذا الاسناد وفي ٩ /٣٨٨ـ٣٨٩ (برقم ١٠٨٣٠)باسناد آخرصحيح من طبعة أحمد شاكر، و٦ /١٦ من طبعة بولاق .

(١) انظر: مختصر تفسير ابن كثير ١ /٤٥٨ـ٤٦٣ ، والتصريح بماتواتر في نزول المسيح .

(٢) الأحزاب/٤٠ .

(٣) أخرجه البخاري (٨ /١١٢)في كتاب (٦٤)المغازي، باب (٧٨)غزوة تبوك، رقم ٤٤١٦ . وأحمد في المسند ٣ /٣٣٨، و ٦ /٣٦٩، ٤٣٨ .

ويحيى من أمور شرعنا ما هجره الناس "(١).

وأما الإجماع في نزوله فقد ذكره العلامة السفاريني فقال : "فقد أجمعت الأمة على نزوله ، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة ، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه ، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه ينزل ، ويحكم بهذه الشريعة المحمدية ، وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء ، وإن كانت النبوة قائمة به ، وهو متصف بها "(٢).

هذا هو مذهب السلف رضي الله عنهم في نزول عيسى عليه السلام ، وهو ما ذكره العلامة ابن كمال باشا باختصار ، وهو ما نؤمن به ، ونعتقده ..

٣ ــ ظهور يأجوج ومأجوج :

وهذه العلامة قد ورد ذكرها في القرآن الكريم ، قال تعالى (ثم أتبع سببا ، حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لايكادون يفقهون قولا ، قالوا : ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ، قال : ما مكني فيه ربي خير ، فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال : انفخوا ، حتى إذا جعله نارا ، قال : آتوني أفرغ عليه قطرا ، فما

(١) نقله النووي في شرح صحيح مسلم ١٨/ ٧٥ــ٧٦ ؛ وانظر كذلك : القرطبي :التذكرة ١/ ٣٦٥ــ ٣٦٦ .

(٢) لوامع الأنوار ٢/ ٩٤ ــ ٩٥ .

استطاعوا أن يظهروه ، وما استطاعوا له نقبا ، قال : هذا رحمة من ربى ، فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء ، وكان وعد ربى حقا) [١].

وقال تعالى (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون ، واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين) [٢].

يرى العلامة ابن كمال باشا أن يأجوج ومأجوج اسمان لقبيلتين من ولد يافث [٣] .. لايعلم عددهم الا الله تعالى ، ولم يصح فى عددهم وصفاتهم شىء [٤] ... وأنهم مفسدون فى الأرض بالقتل والتخريب والاتلاف ...

وأما السدان اللذان نسب اليهما هما على ماذكره وهب : جبلان

---

(١) الكهف/٩٢ـ٩٨ . (٢) الأنبياء ٩٦ ـ ٩٧ .

(٣) وهو مروى عن مقاتل . قال الامام القرطبى فى التذكرة (٢/٣٨٥) بعد أن ذكر قول مقاتل : " وهذا أشبه ، كما تقدم ، والله أعلم " (انظر كذلك : ابن حجر : فتح البارى ١٣/١٠٧) .

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر والطبرانى والبيهقى فى البعث وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم ، ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معايشهم ، ولايموت رجل منهم الا ترك من ذريته ألفا فصاعدا ، وان من ورائهم ثلاث أمم : تاويل وتاريس ومنسك " (السيوطى : الدر المنثور ٥/٤٥٧) .

(٤) وقد ذكر ابن جرير الطبرى فى جامع البيان (١٦/١٤ـ١٨) عن وهب بن منبه أثرا طويلا عجيبا فى صفاتهم . قال الحافظ ابن كثير : " وفيه طول وغرابة ونكارة فى أشكالهم وصفاتهم وطولهم وقصر بعضهم وآذانهم " (انظر : مختصر تفسير ابن كثير ٢/٤٣٦) .

منيعان في السماء ، أملسان ، يزلق عليهما كل شيء (١) ، وانما سمى سدين لسدهما فجاج الأرض ، وكانت بينهما فجوة تلج فيها يأجوج ومأجوج ، وهذا المكان في منقطع أرض الترك ... (٢)

ثم ان فتح السد المنسوب اليهما من أمارات قيام الساعة ، وحينما انفتح السد وهم من كل حدب ينسلون ، أي من كل مرتفع من الأرض، يسرعون في المشي الى الفساد (٣).

وهذا مارآه العلامة ابن كمال باشا في يأجوج ومأجوج وخروجهما قبل يوم القيامة ..

ــ تعقيب ــ

إن خروج يأجوج ومأجوج ثابت بالكتاب والسنة الصحيحة ، واجماع الأمة (٤).

أما الكتاب فقد سبق أن ذكرناه أثناء عرض رأى العلامة ابن كمال باشا فيهما .. وأما السنة الصحيحة فقد ورد ذكرهما في أحاديث متعددة صحيحة ..

---

(١) روى ابن أبي حاتم من حديث عقبة بن عامر مرفوعا في قصة ذي القرنين: وانه سار حتى بلغ مطلع الشمس ، ثم أتى السدين ، وهما جبلان لينان يزلق عنهما كل شيء ، فبنى السدين" وفي اسناده ضعف. (ابن حجر: فتح الباري ٦/ ٣٨٥).

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٣٩ ب .

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٧٥ ب .

(٤) السفاريني : لوامح الأنوار ٢/ ١١٤ .

منها : ما أخرجه الامام مسلم وأصحاب السنن عن النواس بن سمعان الذى سبق ذكره ، وفيه خبر الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام ، وذكر يأجوج ومأجوج ، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ويبعث الله يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية ، فيشربون مافيها ، ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مرة ماء " .

ومنها : ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن زينب بنت جحش رضى الله عنها أنها قالت : استيقظ النبى صلى الله عليه وسلم من النوم محمرا وجهه وهو يقول : لااله الا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وعقد سفيان تسعين أو مائة ، قيل : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم ، إن كثر الخَبَثُ " (١) .

وما ذكره العلامة ابن كمال باشا من أن يأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام يؤيده ما أخرجه الشيخان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله ياآدم ! فيقول : لبيك وسعديك ، والخير فى يديك ، قال :

(١) البخارى (٦/ ٣٨١) فى كتاب (٦٠) الانبياء ، باب (٧) قصة يأجوج ومأجوج ، برقم/ ٣٣٤٦ . و (١٣/ ١١) فى كتاب (٩٢) الفتن ، باب (٤) قول النبى صلى الله عليه وسلم : ويل للعرب ، من شر قد اقترب ، برقم ٧٠٥٩ ، و (١٣/ ١٠٥-١٠٦) باب (٢٨) يأجوج ومأجوج ، برقم/ ٧١٥٣ .

ومسلم (٤/ ٢٢٠٧) فى كتاب (٥٢) الفتن وأشراط الساعة ، باب (١) اقتراب الفتن ، وفتح ردم يأجوج ومأجوج ، برقم/ ٢٢٨٠ .

والترمذى (٤/ ٤٨٠) فى كتاب (٣٤) الفتن ، باب (٢٣) ماجاء فى خروج يأجوج ومأجوج ، برقم/ ٢١٨٧ . وقال : حسن صحيح .

وابن ماجه (٢/ ١٣٠٥) فى كتاب (٣٦) الفتن ، باب (٩) مايكون فى الفتن ، برقم/ ٣٩٥٣ .

يقول : أخرج بعث النار ، قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، فذاك حين يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكرى ، وما هم بسكرى ، ولكن عذاب الله شديد ، فاشتد عليهم ذلك ، فقالوا : يارسول الله ! أينا ذلك الرجل ؟ قال : أبشروا ، فان من يأجوج ومأجوج ألفا ، ومنكم رجل " (١) واللفظ للبخاري .

وأما ماذكره في سدّ ي يأجوج ومأجوج ، فقد قال الحافظ ابن كثير فيهما : " وهما جبلان متناوحان بينهما ثغرة ، يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك ، فيعيثون فيها فسادا ، ويهلكون الحرث والنسل ، ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام كما ثبت في الصحيحين " (٢) . ثم ذكر الحديث السابق ذكره .

وقال أيضا في تفسير قوله تعالى (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) (٣) : " قد قدمنا أنهم من سلالة آدم عليه السلام ، بل هم من نسل نوح أيضا ، من أولاد يافث ، أي أبي الترك ، والترك شرذمة منهم (٤) ... وهذه صفتهم في حال خروجهم

---

(١) البخاري (١١/٣٨٨) في كتاب (٨١) الرقاق ، باب (٤٦) قوله عزوجل (إن زلزلة الساعة شيء عظيم) برقم/٦٥٣٠ . و (١١/٣٧٨) عن أبي هريرة في نفس الكتاب ، وباب (٤٥) الحشر ، برقم/٦٥٢٩ بألفاظ قريبة منه .
ومسلم (١/٢٠١) في كتاب (١) الايمان ، باب (٩٦) قوله : يقول الله لآدم : أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ، برقم/٢٢٢ .
والترمذي (٥/٣٢٢ـ٣٢٣) في كتاب (٤٨) التفسير ، باب (٢٣) ومن سورة الحج ، ٣١٦٨ .

(٢) مختصر تفسير ابن كثير ٢/٤٣٥ . (٣) الأنبياء/٩٦ .

(٤) انظر أيضا : ابن كثير : النهاية في الفتن ١/١٠٢ . وقد نقل الحافظ ابن عبد البر =

كأن السامع مشاهد لذلك ، ولا ينبئك مثل خبير، هذا إخبار الذى يعلم غيب السماوات والأرض ، لااله الا هو. وقال ابن جرير: رأى ابن عباس صبيانا ينزو بعضهم على بعض يلعبون ، فقال ابن عباس : هكذا يخرج يأجوج ومأجوج ، وقد ورد ذكر خروجهم فى أحاديث متعددة من السنة النبوية" (١).

وهناك أحاديث صحيحة أخرى ذكرت يأجوج ومأجوج (٢) ، ومجموع النصوص الواردة بذكرهم يفيد العلم اليقينى بظهور هذه الأمة المفسدة ، فى أواخر عمر هذه الدنيا ، فكان لابد للمؤمن من تصديق ماورد به القرآن والخبر الصحيح من أمرهم. وأما تحديد الزمن الذى يظهر فيه هذه الأمة ، والتفصيلات المتعلقة بأشكالهم وأوصافهم ، ومكان وجودهم قبل ظهورهم ، فكل هذا من أمور الغيب التى لايعلمها الا الله تعالى ، ونحن غير مكلفين بالبحث عنها (٣).

٤ ـ طلوع الشمس من مغربها :

لم أجد فيه كلاما لابن كمال باشا فيما اطلعت عليه من مؤلفاته سوى قوله المختصر الذى سبق ذكره فى أول أشراط الساعة ، ولذلك أكتفى بذكر مذهب السلف ..

ان طلوع الشمس من مغربها ثابت بالسنة الصحيحة والأخبار الصريحة ، بل وبالكتاب المنزل على النبى المرسل. قال تعالى (يوم يأتى

الاجماع على أنهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام (السفارينى :لوامع الأنوار ٢/ ١١٥).

(١) مختصر تفسير ابن كثير ٢/ ٥٢١ .

(٢) انظر فى أحاديث يأجوج ومأجوج :ابن كثير :النهاية فى الفتن ١/ ٩٩ـ١٠٣ .

(٣) انظر: د. ياسين : كتاب الايمان ص ١١٠ ، د. البوطى :كبرى اليقينيات الكونية ٣٣٤ـ ٣٣٥ .

بعض آيات ربك لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا)[١] وقال العلامة السفاريني : " أجمع المفسرون أو جمهورهم على أنها طلوع الشمس من مغربها "[٢] .

وأما السنة الصحيحة فقد أخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فاذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون ، فذاك حين (لاتنفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا)[١] ... "[٣] واللفظ للبخاري .

وأخرج مسلم وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم أنسه بعد ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيهما ما كانت[٤] قبل صاحبتها ، فالأخرى على اثرها قريبا "[٥] .

قال ابن أبي العز وابن كثير : " أي أول الآيات التي ليست مألوفة ، وان كان الدجال ، ونزول عيسى عليه السلام من السماء قبل

---

(١) الأنعام/١٥٨ .   (٢) السفاريني : لوامع الأنوار ٢/١٣٣ .

(٣) البخاري (١١/٣٥٢) في كتاب (٨١) الرقاق ، باب (٤٠) ، حديث رقم/٦٥٠٦ .
ومسلم (١/١٣٧) في كتاب (١) الايمان ، باب (٧٢) بيان الزمن الذي لايقبل فيه الايمان ، رقم/١٥٧ .

(٤) كذا في مسلم وشرحه للنووي ١٨/٧٧-٧٨ . وفي أبي داود : فأيتهما كانت .

(٥) مسلم (٤/٢٢٦٠) في كتاب (٣١) الفتن وأشراط الساعة ، باب (٢٣) في خروج الدجال .. رقم/٢٩٤١ .
وأبو داود (٤/٤٩٠-٤٩١) في كتاب (٣٤) الملاحم ، باب (١٢) أمارات الساعة ، =

ذلك ، وكذلك خروج يأجوج ومأجوج ، كل ذلك أمور مألوفة ، لأنهم بشر ، مشاهدة مثلهم مألوفة ، وأما خروج الدابة بشكل غريب غير مألوف ، ثم مخاطبتها الناس ووسمها اياهم بالايمان أو الكفر فأمر خارج عن مجارى العادات ، وذلك أول الآيات الأرضية ، كما أن طلوع الشمس من مغربها ـ على خلاف عادتها المألوفة ـ أول الآيات السماوية" (١).

وقال الحافظ ابن حجر فى معرض بيان تأليف الأحاديث الواردة فى ترتيب أشراط الساعة : " فالذى يترجح من مجموع الأخبار : أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة ، فى معظم الأرض ، وينتهى ذلك بموت عيسى بن مريم ، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوى ، وينتهى ذلك بقيام الساعة ، ولعل خروج الدابة يقع فى ذلك اليوم الذى تطلع فيه الشمس من المغرب " ، ثم نقل عن الحاكم قوله : " الذى يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة ، ثم تخرج الدابة فى ذلك اليوم ، أو الذى يقرب منه " ، وقال بعد ذلك : " والحكمة فى ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة ، فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلا للمقصود من إغلاق باب التوبة (٢) . وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التى تحشر

رقم/٤٣١٠ .

وابن ماجه (١٣٥٣/٢) فى كتاب (٣٦) الفتن ، باب (٣٢) طلوع الشمس من مغربها ، رقم/٤٠٦٩ .

والحاكم فى المستدرك ٥٤٧/٤ ـ ٥٤٨ .

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٥٦٦ ، ابن كثير : النهاية فى الفتن ١٠٩/١ ، ١١١ . وكذلك القرطبى : التذكرة ٣٩٦/٢ .

(٢) ونقل العلامة السفارينى فى لوامع الأنوار (١٤٢/٢) عن العلامة الشيخ مرعى قوله : =

الناس ، كما تقدم في حديث أنس في بدء الخلق في مسائل عبد الله ابن سلام ، ففيه : وأما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب" (١) .

وقال الحافظ ابن كثير بعد أن ذكر أحاديث طلوع الشمس من مغربها : " فهذه الأحاديث المتواترة ، مع الآية الكريمة دليل على أن من أحدث ايمانا أو توبة بعد طلوع الشمس من مغربها ، لا يقبل منه ، وانما كان كذلك - والله أعلم - لأن ذلك من أكبر أشراط الساعة وعلاماتها الدالة على اقترابها ودنوها ، فعومل ذلك الوقت معاملة يوم القيامة" (٢) .

٥ - خروج الدابة :

ان خروج الدابة ثابت بالكتاب والسنة . أما الكتاب فقوله تعالى (واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) (٣) .

قال العلامة ابن كمال باشا في تفسير هذه الآية الكريمة : قوله تعالى (واذا وقع القول عليهم) : " سمى معنى القول ومؤداه - وهو ما وعدوا من قيام الساعة وعذابه - بالقول ، ووقوعه : حصوله ، والمراد : مشارفتها ، وظهور أشراطها (أخرجنا لهم دابة) هي الجساسة في الحديث (٤) ، طولها ستون ذراعا (٥) ، ولها أربع قوائم

" وهذا كلام في غاية التحقيق " .

(١) ابن حجر : فتح الباري ٣٥٢/١١ . (٢) النهاية في الفتن والملاحم ١١٣/١ .
(٣) النمل / ٨٢ . انظر : السفاريني : لوامع الأنوار ١٤٦/٢ .
(٤) انظر أيضا : النسفي : مدارك التنزيل ٣٩٢/٣ .
(٥) ذكر الثعلبي من حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : =

وذنب وريش (١) ، وجناحان ، لايدركها طالب ، ولايفوتها هارب ، (من الأرض) أى من أرض مكة ، روى أنه عليه السلام سئل عن مخرجها ، فقال : من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى (٢) ، يعنى المسجد الحرام ، (تكلمهم) وقرئ : تَكْلِمُهم (٣) . وقال أبو الجوزاء (٤) : سألت عبد الله بن عباس رضى الله عنه : تُكَلِّمهم ، أو تكلِمُهم ؟ فقال : كل ذلك يفعل ، تُكَلِّم المؤمن ، وتَكْلِم الكافر (٥) . وقيل : تكلم بالعربية ، وتقول : (ان الناس كانوا بآياتنا) خروجها وسائر أحوالها ،

"دابة الأرض طولها ستون ذراعا ، لايدركها طالب ، ولايفوتها هارب" (ابن حجر : الكافى الشاف ص ١٢٥ برقم/١٢٧ ، وذكره السفارينى فى لوامع الأنوار ٢/١٤٦) .

(١) وهو مروى عن قتادة (الطبرى : جامع البيان ١١/٢٠) .

(٢) جمع ابن كمال باشا هنا أوصافها من أحاديث مختلفة . أخرج الطبرى فى جامع البيان (١١/٢٠) بسنده عن حذيفة بن اليمان يقول : وذكر الدابة ، فقال حذيفة : قلت : يا رسول الله ! من أين تخرج ؟ قال : من أعظم المساجد حرمة على الله ، بينما عيسى يطوف بالبيت ، ومعه المسلمون ، اذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل ، وينشق الصفا مما يلى المسعى ، وتخرج الدابة من الصفا ، أول مايبدو رأسها ، ملمعة ذات وبر وريش ، لم يدركها طالب ، ولن يفوتها هارب ، تسم الناس : مؤمن وكافر ، أما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب درى ، وتكتب بين عينيه مؤمن ، وأما الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء كافر" (انظر كذلك : ابن حجر : الكافى الشاف ص ١٢٥ ، السيوطى : الدر المنثور ٦/٣٨٠ ، الآلوسى : روح المعاني ٢٠/٢٣) .

(٣) الأول قراءة عامة قراء الأمصار ، والثانى قراءة أبى زرعة بن عمرو ، وهو بمعنى : تسمهم (جامع البيان ١١/٢٠) .

(٤) هو التابعى الجليل أوس بن عبد الله الرَّبَعى البصرى ت ٨٣هـ ، روى عن الصحابة منهم عائشة ، وابن عباس ، وابن عمر ، وابن عمرو رضى الله عنهم ، وكان زاهدا فاضلا . (الذهبى : سير أعلام النبلاء ٤/٣٧١ـ ٣٧٢ ، ابن سعد : الطبقات ٧/٢٢٣) .

(٥) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما كما فى الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ١٣/٢٣٨ ، والدر المنثور للسيوطى ٦/٣٧٨ ، ولباب التأويل للخازن ٣/٣٩٣ ، وفتح القدير للشوكانى ٤/١٥٢ .

فانها من آيات الله تعالى (لايوقنون) لايتيقنون " (١) . الى هنا ينتهي كلام ابن كمال باشا في تفسير الآية الكريمة (٢) .

تعقيب

قد ورد في ذكر الدابة أحاديث وآثار كثيرة ، بعضها صحيح ، وقد تقدم منها حديث حذيفة بن أسيد الغفاري ، وحديث عبد الله ابن عمرو بن العاص ، وأذكر هنا علاوة على ماسبق ذكره من الأحاديث فيها .

منها : ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " بادروا بالأعمال ستًّا : الدجال ، والدخان ، ودابة الأرض ، وطلوع الشمس من مغربها ، وأمر العامة (٣) ، وخويصة أحدكم (٤) " (٥) .

ومنها : ما أخرجه الترمذي وابن ماجه وابن جرير عن أبي

(١) وقال عطاء الخراساني : تكلمهم وتقول لهم (ان الناس كانوا بآياتنا لايوقنون) ، ويروى هذا عن علي وابن عباس ، واختاره ابن جرير الطبري شيخ المفسرين في تفسيره جامع البيان ٢٠/١١ ، انظر كذلك : مختصر تفسير ابن كثير ٦٨٢/٢ .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ٥٣٤ ب - ٥٣٥ أ .

(٣) قال قتادة أمر العامة : القيامة .

(٤) وخويصة ، تصغير خاصة ، وخويصة أحدكم : الموت (النووي : شرح صحيح مسلم ٨٧/١٨) .

(٥) مسلم (٤/٢٢٦٧) في كتاب (٥٢) الفتن وأشراط الساعة ، باب (٢٥) في بقية من أحاديث الدجال ، رقم/٢٩٤٧ .

هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تخرج الدابة ، معها خاتم سليمان ، وعصا موسى ، فتجلو وجه المؤمن بالعصا ، وتختم أنف الكافر بالخاتم ، حتى ان أهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا : يامؤمن ، ويقول هذا : يا كافر " (١).

وليس فيما صح من تلك الأخبار وصف لهذه الدابة التى تخرج فى آخر الزمان قبيل قيام الساعة عند فساد الناس. وما ذكر من أوصافها فى بعض الكتب ورد فى روايات لم تبلغ حد الصحة ، والمؤمن لاتعنيه معرفة هذه الأوصاف ، وحسبه أن يقف عند النص القرآنى والحديث النبوى الصحيح الذى يفيد أن خروج الدابة من علامات الساعة (٢).

وقال العلامة الآلوسى : " وقصارى ماأقول فى هذه الدابة ، أنها دابة عظيمة ، ذات قوائم ، ليست من نوع الانسان أصلا ، يخرجها

(١) الترمذى (٥/ ٣٤٠) فى كتاب (٤٨) التفسير ، باب (٢٨) ومن سورة النمل ، رقم ٣١٨٧. وقال : هذا حديث حسن غريب ، وفى الباب عن أبى أمامة وحذيفة بن أسيد ".
ابن ماجه (٢/ ١٣٥١-١٣٥٢) فى كتاب (٣٦) الفتن ، باب (٣١) دابة الأرض ، رقم/ ٤٠٦٦.
وأحمد فى المسند ٢/ ٢٩٥ ، ٤٩١.
وابن جرير فى جامع البيان ٢٠/ ١١. وكذلك الطيالسى ونعيم بن حماد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى فى البعث كما فى الدر المنثور للسيوطى ٦/ ٣٨١ ، وروح المعانى للآلوسى ٢٠/ ٢٢.

(٢) د. ياسين : كتاب الايمان ص ١٠٠ ، الشوكانى : فتح القدير ٤/ ١٥٣ ، سيد قطب : فى ظلال القرآن ٥/ ٢٦٦٧.

الله تعالى آخر الزمان من الأرض " (١) .

وأما ما قاله العلامة ابن كمال باشا من أن الدابة هي الجساسة في الحديث (٢) ، فهذا القول مروى عن ابن عمر (٣) ، وعبد الرحمن بن عمرو بن العاص (٤) رضى الله عنهم .

---

(١) روح المعانى ٢٠/٢٤ . انظر كذلك : القرطبى : التذكرة ٢/٣٤١ ، ٣٨٨ .

(٢) خبر الجساسة أخرجه مسلم (٤/٢٢٦١ـ ٢٢٦٤) من حديث فاطمة بنت قيس الطويل فى كتاب (٥٢) الفتن وأشراط الساعة ، برقم ٢٩٤٢ .
والترمذى (٤/٥٢١ـ ٥٢٢) فى كتاب (٣٤) الفتن ، باب (٦٦) برقم ٢٢٥٣ .
وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث قتادة عن الشعبى ، وقد رواه غير واحد عن الشعبى عن فاطمة بنت قيس .
وأبو داود (٤/٥٠٠ـ ٥٠١) مختصرا فى كتاب (٣١) الملاحم ، باب (١٥) فى خبر الجساسة ، رقم/٤٣٢٦ .
وابن ماجه (٢/١٣٥٤ـ ١٣٥٥) فى كتاب (٣٦) الفتن ، باب (٣٣) فتنة الدجال ، برقم/٤٠٧٤ .

(٣) انظر : القرطبى : التذكرة ٢/٣٤١ ، ٣٨٨ ، الجامع لأحكام القرآن ١٣/٢٣٥ .

(٤) النووى : شرح صحيح مسلم ١٨/٧٨ . وقال السفارينى فى لوامع الأنوار (٢/١٤٩) : " وهو مروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص " .

الفصل الثالث

اليوم الآخر وأحداثه

١ـ بداية اليوم الآخر .
٢ـ البعث والحشر .
٣ـ الشفاعة .
٤ـ العرض وأخذ الكتب وقراءتها .
٥ـ الحساب .
٦ـ الميزان .
٧ـ الصراط .
٨ـ الجنة والنار .

اليوم الآخر هو يوم القيامة ، وأوله : من وقت الحشر الى ما لا يتناهى على الصحيح (١) ... وسمى باليوم الآخر لتأخره عن الدنيا ، أو عن النشأة الأولى (٢) ، وله نحو ثلاثمائة اسم (١) .

ويندرج تحت هذا الفصل : الايمان بالبعث ، والحشر ، والصحف ، والحساب ، والميزان ، والصراط ، والحوض ، والشفاعة ، والجنة والنار وأحوالهما وما أعد الله تعالى لأهلهما اجمالا وتفصيلا (٣) .

ويتحقق الايمان باليوم الآخر ويكون تاما وكاملا بأمرين اثنين :

الأول : أن يؤمن العبد به بصورة اجمالية ، وهذا هو الحد الأدنى لتحصيل هذا الركن من أركان الايمان .

والثانى : أن يؤمن بكل ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمور الغيب التى تكون بعد البعث ، والتى وردت بها الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة (٤) .

وسأذكر فيما يلى أهم ما وردت به الآيات والأحاديث من هذه الأمور ، وأبين مذهب ابن كمال باشا فى كل واحدة منها على حدة ، وانقد ما يستحق النقد منه ، مع بيان مذهب أهل السنة والجماعة رضى الله عنهم فى هذا الأمر .

---

(١) الباجورى : تحفة المريد ص١٧٥ ، الآلوسى : روح المعانى ١/١٤٥ .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ١/١٥ ، ١٩ .

(٣) السلمان : الكواشف الجلية ص٣٢٧ ، انظر أيضا ابن كمال : شرح العشر/٧٨ أ ــ ب .

(٤) د . ياسين : كتاب الإيمان ص٨٨ .

١ ـ بداية اليوم الآخر :

يرى العلامة ابن كمال باشا ان يوم القيامة " اسم للحين الواسع الذى يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب .. " (١)

ويبدأ يوم القيامة بنفخ اسرافيل عليه السلام فى الصور النفخة الأولى كما قال تعالى " ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون " (٢)

وقال ابن كمال باشا فى تفسير هذه الآية : " قد نطقت الأخبار بأن ينفخ فى قرن ، حتى قال تعالى فى موضع آخر من التنزيل " فاذا نقر فى الناقور " (٣) اى فى الصور (٤) ، ففى نفخة الاصعاق (٥) جمع بين النقر والنفخ لتكون الصيحة أمد وأعظم " (٦) . ثم قال : " فالمراد من الصور : قرن ينفخ فيه النفخة الأولى للفناء ، وعليه عامة المفسرين " (٧)

ثم استشهد على كون الصور قرنا بالأحاديث المثبتة فى الصحاح ، منها ماروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : قال رسول

(١) ابن كمال باشا : شرح الحشر ٧٨ أ ـ ب .

(٢) الزمر/٦٨ . (٣) المدثر/٨ .

(٤) رواه البخارى تعليقا عن ابن عباس (١١/٣٦٧) فى كتاب (٨١) الرقاق ، باب (٤٣) نفخ الصور.
قال ابن حجر (١١/٣٦٨) :وصله الطبرى وابن أبى حاتم من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس .

(٥) أى نفخة الموت .

(٦) ابن كمال : شرح الحشر ٧٨ب، انظر أيضا : القرطبى : التذكرة ١/٢٢٧ .

(٧) ابن كمال : شرح الحشر ٧٨ ب .

الله صلى الله عليه وسلم: كيف أنعم ، وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبينه ، واضعا فمه ينتظر أن يؤمر ، فينفخ (١)".

وتابع ابن كمال حديثه: " وفي حديث صحيح مسلم (٢) من عبد الله بن عمرو: أول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله ويصعق. قال: ويصعق الناس. ثم يرسل الله تعالى مطرا كأنه الطل ، فينبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون" (٣).

وإثر هذه النفخة الأولى يموت أهل السماء والأرض كما قال تعالى " فصعق من في السموات والأرض الا من شاء الله" أي مات من شدة تلك الصيحة التي تخرج من الصور جميع من في السماوات ومن في الأرض" (٣). ويختل النظام الجاري في الكون ، حيث يقول صاحبنا ابن كمال باشا في صدد بيان التوفيق بين الآية الكريمة القائلة " ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا " (٤). وبين الآيات الواردة المبينة حال الجبال يوم القيامة مثل قوله تعالى " وسيرت الجبال فكانت سرابا " (٥) ، وقوله تعالى " يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا " (٦) ، وقوله تعالى "وبست الجبال

---

(١) أخرجه الترمذي (٤ / ٦٢٠) في كتاب (٣٨) صفة القيامة ، باب (٨) ما جاء في شأن الصور ، برقم ٢٤٣١ وقال: حسن. وأحمد ٣ / ٧٣.
وأبو يعلى في مسنده ، وكذلك ابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال ، كما في النهاية في الفتن ١ / ١٣٥.
وأخرجه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما كما في فتح الباري ١١ / ٣٦٨.

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم (٤ / ٢٢٥٨ - ٢٢٥٩) في كتاب (٥٢) الفتن وأشراط الساعة ، باب (٢٣) في خروج الدجال ومكثه في الأرض.. والنفخ في الصور ، وبعث من في القبور برقم / ٢٩٤٠.

(٣) ابن كمال باشا: شرح العشر ٧٨ ب.   (٤) الكهف / ٤٧.

(٥) النبأ / ٢٠.   (٦) المزمل / ١٤.

بسا فكانت هباء منبثا " (١) ، وقوله تعالى " هباء منثورا " (٢) ، وقوله تعالى " وتكون الجبال كالعهن المنفوش " (٣) :

" أما كونها كالعهن المنفوش فلا ينافى سيرها فى الجو كالسحاب ، بل يناسبه ويؤيده ، .. وكذا كونها سرابا ، لاينافيه ، بل يناسبه ، لأن معناه مثل سراب يرى على صورة الجبال ، ولم تبق حقيقتها لتخلخلها وانتقاش أجزائها ... وأما كونها كثيبا مهيلا ، والكثيب : الرمل المجتمع الكثير ، ومهيل مفعول من هلت الرمل أهيله هيلا : وذلك اذا حرك أسفله فسال أعلاه ، وأما كونها هباء منبثا ، وهباء منثورا ، اى غبارا منتشرا ، فبعد ما صار كالعهن والسراب ، وسار فى الجو كالسحاب . وذلك أنه ترجف الأرض والجبال أولا ، وحمل على هذا قوله تعالى " وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة " قال الفراء : اى زلزلتا ... ثم ينفصل الجبال عن الأرض ، وتسير فى الجو ، ثم تسقط ، فتصير كثيبا مهيلا ، ثم هباء منبثا ، ثم هباء منثورا ، ويرشد الى أن هذه الصيرورة لاتترتب على ذلك الرجفة ، ولاتعقبها بلا مهلة : أنها لم تعطف عليها بالفاء كما عطفت صيرورتها سرابا على سيرها فى الجو ، بل عطفت بالواو " (٤) .

ثم بين أن الأرض على حالها أثناء هذه التغييرات الواردة على الجبال اذ قال فى تفسير قوله تعالى : " ويسألونك عن الجبال ، فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا ، لاترى فيها عوجا ولا أمتا " (٥) : " فإن الظاهر منه أن الأرض على حالها ، والتغييرات المذكورة على الجبال

---

(١) الواقعة ٥ ـ ٦ . (٢) الفرقان/٢٣ . (٣) القارعة/٥ .

(٤) ابن كمال : شرح العشر ٧٧ ب .

(٥) طه/١٠٥ ـ ١٠٧ .

بعد ما أخذت من أماكنها . فان النسف : أخذ الشيء من مكانه بسرعة ... والقاع : الموضح المستوى ، والصفصف : الأرض الملساة ، فقوله " لاترى فيها عوجا " مؤكد للأول ، وقوله " ولا أمتا " مؤكد للثاني ".(١)

ويرى العلامة ابن كمال باشا كذلك أن تسيير الجبال وبروز الأرض قبل الحشر (٢) ، ويؤيد ذلك " مافي بعض الآيات من الدلالة على أن ذلك قبل الحشر ، منها قوله تعالى " فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة ، وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية " (٣) قالوا : هي النفخة الأولى ، لأن عندها فساد العالم ، وهكذا الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما " (٤).

وأما التغييرات الواقعة على السموات والكواكب والنجوم فيرى ابن كمال باشا أنها بعد جمع الناس في الموقف ، يقول في تفسير قوله تعالى " فيؤمئذ لايسأل عن ذنبه انس ولاجان " (٥) : (فيومئذ) فوقعت انشقاق السماء (٦) ، وذلك بعد جمع الناس في الموقف .

(١) ابن كمال : شرح العشر ٧٨ أ .

(٢) ويؤيد ماذهب اليه ابن كمال باشا ماقاله الحافظ ابن كثير في النهاية ١٤٨/١ : "... ان تبدل معالم الأرض فيما بين النفختين : نفخة الصعق ونفخة البعث ، فتسير الجبال ، وتميد الأرض ، ويبقى الجميع صعيدا واحدا ، لا اعوجاج فيها ، ولا روابي ، ولا أودية ، قال الله تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ، فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجا ولا أمتا) (طه ١٠٥ـ١٠٧) اى لا انخفاض فيها ، ولا ارتفاع .

(٣) الحاقة / ١٣ـ١٨ .

(٤) ابن كمال باشا : شرح العشر ٧٨ أ .

(٥) الرحمن / ٣٩ .

(٦) ورد قبلها بآيتين قوله تعالى : " فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان " (الرحمن / ٣٧) ثم " فيومئذ .../ الآية .

قال الامام القرطبي في تذكرته (١) : ان انشقاق القمر ، وتناثر النجوم (٢) ، وطمس الشمس قد ذكر المحاسبي وغيره : أن ذلك يكون بعد جمع الناس في الموقف ، وهو مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما " (٣).

وقد أكد ابن كمال باشا هذا المعنى في مكان آخر من رسالته . فقال في تفسير قوله تعالى " فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون " (٤) : " فان قلتَ : ما وجه التوفيق بين نفي السؤال هنا ، وإثباته في قوله تعالى " وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون " (٥) . قلت : إقبال بعضهم على بعض بالسؤال عقيب نفخة البعث ، قبل أن يطوى السماء كطي السجل ، كما هو الظاهر من قوله تعالى " ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم " (٦) ومن قوله تعالى " يتخافتون بينهم إن لبثتم الا عشرا (٧) " ; وانقطاع السؤال بعد ما صار السماء كالمهل والجبال كالعهن على ما نطق به قوله تعالى " يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولايسأل حميم حميما " (٨).

ثم تابع العلامة ابن كمال حديثه قائلا : " فان قلت : مبنى ما ذكرته على أن طي السماء بعد البعث ، فهل يساعده النقل ؟

---

(١) ٢٤٤/١ وانظر كذلك : الحليمي : المنهاج ٤٤٧/١ـ٤٤٨ .

(٢) في الرسالة : ونثار النجوم ، والتصويب من التذكرة ٢٤٤/١ .

(٣) ابن كمال باشا : شرح العشر ٨٣ أ . وقال الحافظ ابن كثير في النهاية ١٤٣/١ : والظاهر ــ والله أعلم ــ أن هذا انما يكون بعد نفخة الصعق .

(٤) المؤمنون/١١١ .

(٥) الصافات/٢٧ ، الطور/٢٥ .

(٦) يونس/٤٥ .

(٧) طه/١٠٣ .

(٨) المعارج/٨ ــ ١٠ .

قلت: نعم ، خرج الختلي أبو القاسم اسحاق بن ابراهيم في كتاب " الديباج " عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت) [١] قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا أول من تنشق عنه الأرض ، فأجلس جالسا في قبري ، فيفتح لي باب (من) [٢] السماء حتى انظر الى العرش ، ثم يفتح لي باب عن يميني حتى انظر الى الجنة ومنازل أصحابي ، وإن الأرض تحركت تحتي ، فقلت لها : مالك أيتها الأرض ؟ قالت: إن ربي أمرني أن ألقي ما في جوفي ، وأن أتخلى (فأكون) [٢] كما كنت اذ لا شيء فيّ ، وذلك قوله عز وجل (وألقت ما فيها وتخلت) [٣] . وقد مر في شرح الآية نقلا عن التذكرة أن انشقاق القمر ، وتناثر [٤] النجوم ، وطمس الشمس بعد جمع الناس في الموقف " [٥].

وقد بين الله تعالى التغيير الواقع في السماوات والأرض بقوله تعالى " يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهار " [٦] وقال العلامة ابن كمال باشا في تفسيرها : " اي تبدل الأرض المعهودة أرضا أخرى ، والسماوات المشهودة سماوات أخرى . والتبديل هو التغيير ، اما في الذات ... واما في الصفات ... فعن علي رضي الله عنه : تبدل أرضا من فضة ، وسماوات من ذهب [٧].

---

(١) الانشقاق ١ - ٢ . (٢) زيادة من القرطبي في التذكرة ٢٢٧/١ .

(٣) الانشقاق/٤ . انظر كذلك :التذكرة ٢٢٧/١ ، وروح المعاني ١٠١/٣٠ .

(٤) في الرسالة :وتأثر ، والتصحيح من التذكرة ٢٤٤/١ .

(٥) ابن كمال باشا : شرح العشر ٨٤ ب . (٦) ابراهيم/٤٨ .

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة ، وابن جرير (١٦٥/١٣) ، وابن المنذر ، =

وعن ابن مسعود رضي الله عنه : يحشر الناس على أرض بيضاء ، لم يخطى عليها أحد خطيئة (١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : هي تلك الأرض ، وانما تغير صفاتها . وأنشد :

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ... ولا الدار بالدار التي كنت تعلم (٢)

ويدل عليه ماروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه عليه السلام قال : " تبدل الأرض ، فتُبْسط ، وتمد مد الأديم العكاظي " (٣) ، " لا ترى فيها عوجا ولا أمتا " (٤) .

ويرى العلامة ابن كمال باشا أن العذاب يرفع من أهل البرزخ بين النفختين ، وبينهما أربعون عاما .

قال رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى : " قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا " (٥) " فان قيل : كيف قالوا " من بعثنا من مرقدنا " (٥) وهم من المعذبين في قبورهم ؟ قلنا : إن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : ينامون نومة فيقولون : من بعثنا من مرقدنا ؟ (٦)

وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور ٥٧/٥ ، وانظر كذلك : القرطبي : التذكرة ٢٣٩/١ ، والالوسي : روح المعاني ٢٥٤/١٣ .

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ، واسناده جيد كما قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٨/٧ ، وابن جرير ١٦٤/١٣ ، وانظر كذلك : القرطبي : التذكرة ٢٣٩/١ ، والسيوطي : الدر المنثور ٥٦/٥ - ٥٧ ، والآلوسي : روح المعاني ٢٥٤/١٣ .

(٢) انظر : القرطبي : التذكرة ٢٣٨/١ ، والآلوسي : روح المعاني ٢٥٤/١٣ - ٢٥٥ .

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره كما في تذكرة القرطبي ٢٣٨/١ .

(٤) طه/١٠٧ . (٥) يس/٥٢ .

(٦) أخرجه الفريابي وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم كما في روح المعاني ٣٢/٢٣ .

وقال أبو صالح : اذا نفخ النفخة الأولى رفع العذاب عن أهل القبور ، وهجعوا هجعة الى النفخة الثانية (١) ، بينهما أربعون سنة (٢) ، (٣)

— تعقيب —

وبعد هذا العرض الموسع لرأى العلامة ابن كمال باشا فى بداية اليوم الآخر - يوم القيامة - نستطيع أن نقول أن ما ذهب اليه ، لاغبار عليه ، ولاشىء يرد عليه ، حيث اعتمد فى ذلك على مذهب السلف وجمهور العلماء رضى الله عنهم ، اذ اعتمد على الآيات الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة ، وأقوال السلف فى تفسيرهما ،

(١) وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنه : انظر : البيهقى عذاب القبر ص ١٧٣ ، والمصدر السابق أيضا .

(٢) أخرجه البخارى (٨ / ٥٥١-٥٥٢) فى كتاب (٦٥) التفسير - تفسير سورة (٣٩) الزمر ، باب (٤) (ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض الا من شاء الله) برقم ٤٨١٤ ، وبرقم / ٤٩٣٥ .

ومسلم (٤ / ٢٢٧٠) فى كتاب (٥٢) الفتن وأشراط الساعة ، باب (٢٨) ما بين النفختين ، برقم / ٢٩٥٥ .

ومالك فى الموطأ (١ / ٢٣٩) فى كتاب (١٦) الجنائز ، باب (١٦) جامع الجنائز ، كلهم بلفظ "أربعون" دون ذكر "عاما" . قال الحافظ ابن حجر فى الفتح (٨ / ٥٥٢) : "وزعم بعض الشراح أنه وقع عند مسلم "أربعين سنة" ولا وجود لذلك . نعم أخرج ابن مردويه من طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش فى هذا الاسناد : "أربعون سنة" ، وهو شاذ . ومن وجه ضعيف عن ابن عباس قال : ما بين النفخة والنفخة أربعون سنة" اهـ .

وقال النووى فى شرح صحيح مسلم ١٨ / ٩٢ : " وقد جاءت مفسرة من رواية غيره فى غير مسلم اربعون سنة" ولم يبين من هو الغير ؟

وقال البيهقى فى عذاب القبر ص ١٧٥ : "وكأن أبا هريرة لم يحفظ عن النبى صلى الله عليه وسلم ما أراد بالأربعين . وأهل التفسير يقولون : هى أربعون سنة" .

(٣) ابن كمال باشا : شرح العشر ٧٩ ب . انظر كذلك تفسيره ٥٥٩ ب .

وبخاصة ما ذهب اليه ابن عباس ترجمان القرآن وحبر هذه الأمة ، رضى الله عنهم أجمعين .

وذلك واضح أثناء تخريجى ما اعتمد عليه العلامة ابن كمال باشا من أقوال السلف .

٢ ـ البعث والحشر :

البعث : وهو فى الأصل : النقل باعتماد يوجب الاسراع الى الشىء (١) .

وفى اصطلاح علماء أصول الدين : أن يبعث الله تعالى الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ، ويعيد الأرواح اليها (٢) .

البعث والمعاد والحشر ألفاظ مترادفة (٣) يستعمل كل واحد منها مكان الآخر .. وعند الاطلاق يراد به المعاد الجسمانى ، اذ هو الذى يجب اعتقاده ، ويَكْفُر منكره (٤) .

والمعاد من المسائل التى دار النقاش الحاد حولها بين المقرين به والمنكرين له ... فلذلك نرى أن صاحبنا العلامة ابن كمال كما هو عادته يؤلف رسالة مستقلة " فى بيان المعاد الجسمانى ، وتفصيل ما وقع فيه من الخلاف بين السلف " (٥) .

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ٢٤٩ أ .

(٢) التفتازانى : شرح العقائد ١٣٤ ـ ١٣٥ ، السفارينى : لوامع الأنوار ٢ / ١٥٧ ، الأحمد نكرى : جامع العلوم .

(٣) التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ٢ / ٣٣ (ط ـ القاهرة) .

(٤) السفارينى : لوامع الأنوار ٢ / ١٥٧ ، محمد عبده بين الفلاسفة والمتكلمين ص ٦٠٦ .

(٥) ابن كمال : رسالة فى بيان حشر الأجساد ٢١ ب ضمن مجموعة بجامعة الملك سعود بالرياض .

نقل العلامة ابن كمال باشا عن الفاضل الشريف في شرحه للمواقف (١) في " أن الأقوال الممكنة في مسئلة المعاد لا تزيد على خمسة :

الأول : ثبوت المعاد الجسماني فقط ، وهو قول أكثر المتكلمين النافين للنفس الناطقة .

والثاني : ثبوت المعاد الروحاني فقط ، وهو قول الفلاسفة الإلهيين .

والثالث : ثبوتهما معا ، وهو قول كثير من المحققين كالحليمي ، والغزالي والراغب ، وأبي زيد الدبوسي ، ومعمر من قدماء المعتزلة ، وجمهور من متأخري الامامية ، وكثير من الصوفية ، فانهم قالوا : الانسان بالحقيقة هو النفس الناطقة (٢) ، وهي المكلف والمطيع والعاصي والمثاب والمعاقب ، والبدن يجري منها مجرى الآلة ، والنفس باقية بعد فساد البدن ، فاذا أراد الله تعالى حشر الخلائق خلق لكل واحد من الأرواح بدنا يتعلق به ، ويتصرف فيه كما كان في الدنيا ..

والرابع : عدم ثبوت شيء منهما ، وهذا قول القدماء من الفلاسفة الطبيعيين .

والخامس : التوقف في هذه الأقسام ، وهو المنقول عن جالينوس ، فانه قال : لم يتبين لي أن النفس هل المزاج الذي ينعدم عند الموت ، فيستحيل إعادتها ، أو هي جوهر باق بعد فساد البنية فيمكن المعاد حينئذ ؟ " .

---

(١) ص ٥٨٢ .

(٢) والنفس عندهم جوهر بسيط فرد متميز . انظر : الرازي : المطالب العالية ٧/ ٣٨ ، والمحصل ٣٢٧ – ٣٢٨ ، والآمدي : ابكار الأفكار ٢/ ٢٠١ ب ، والآلوسي : روح المعاني ٢٣/ ٥٧ .

ثم علق على كلام الجرجاني بقوله : " ولا يذهب عليك أن هاهنا احتمالا آخر ، فهو القول بثبوت أحدهما والتوقف في الآخر ، وهذا في الحقيقة احتمالان آخران أحدهما : القول بثبوت المعاد الروحاني والتوقف في المعاد الجسماني ، وثانيهما : القول بثبوت المعاد الجسماني والتوقف في المعاد الروحاني . فالأقوال الممكنة في هذا المقام سبعة ، لا خمسة كما توهمه الفاضل المذكور " (١) .

المعاد الجسماني ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين :

يرى العلامة ابن كمال باشا أن " البعث بعد الموت للثواب والعقاب ، وأداء الحقوق فيما بينهم حق ثابت ، لقوله تعالى " وأن الله يبعث من في القبور (٢) " .. (٣)

وأن المعاد الجسماني واجب سمعا " لأنه قد ثبت جواز الإعادة عقلا ، فاذا أخبر الشارع عن وقوعها ، وورد السمع بها لزم القول بوجوبها (٤) ، ودليل ورود السمع بها ماتعلمه بالضرورة والنقل المتواتر

---

(١) ابن كمال باشا : ر. في بيان حشر الأجساد ق ٢٤ أ مع تصويب الأخطاء الواردة فيها من النسخ الأخرى ومن شرح المواقف، انظر أيضا : المذاهب في المعاد بالتفصيل : ابن سينا : رسالة أضحوية في أمر المعاد ٩١ـ٩٦ ، البغدادي : أصول الدين / ٢٣٢ ـ ٢٣٣ .

(٢) الحج / ٧ . (٣) ابن كمال باشا : المنيرة ص ١٣ .

(٤) وقال العلامة ابن كمال في تفسير قوله تعالى (يونس/٤) (اليه مرجعكم جميعا) بالبعث من القبور يوم النشور ... (وعد الله حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده) بعد بدئه وإهلاكه ، استئناف ، كالدليل لما تقدم ـ أي لقوله (اليه مرجعكم جميعا) ـ ، وذلك أنه تعالى لما أخبر عن وقوع الحشر والنشر ، ذكر بعده مايدل على كونه ممكن الوقوع في نفسه ، بقوله (انه يبدأ الخلق) ، لأن إمكان الوجود أولا ، يدل على إمكانه ثانيا ، ثم ذكر مايدل على وقوعه بقوله (ثم يعيده) "تفسيره ٣١١ أ .

من إخبار جميع الأنبياء بالمعاد الجسماني ، والشريعة طافحة بما ورد على لسان الرسول المؤيد بالمعجزات الدالة على صدقه ، من الآيات ، والأخبار الدالة على وقوع حشر الأجساد ونشرها " (١).

وهذه الأدلة السمعية الدالة على وقوع البعث الجسماني لاتقبل التأويل والعدول عن ظاهرها ، قال ابن كمال باشا : " وقال الآمدي في أبكار الأفكار (٢) بعد التفصيل المشبع بذكر الآيات والأحاديث الدالة على وقوع المعاد الجسماني : " والأدلة السمعية في ذلك متسع ، لايحويه كتاب ، ولايحصره خطاب ، وكلها ظاهرة في الدلالة على حشر الأجساد ونشرها ، مع إمكان ذلك في نفسه ، فلا يجوز تركها من غير دليل " (٣).

ثم ورد في بعض هذه الأدلة السمعية المعاد الروحاني ، وفي بعضها الآخر المعاد الجسماني . " أما الروحاني ففي مثل قوله عز من قائل " فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين " (٤) ، "للذين أحسنوا الحسنى وزيادة " (٥) ، " ورضوان من الله أكبر " (٦) .

وأما الجسماني فقد جاء أكثر من أن يحد ، وأكثره مما لايقبل التأويل ، مثل قوله عز من قائل : " قال من يحيي العظام وهي رميم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة " (٧) ، " فاذا هم من

(١) ابن كمال : رسالة في بيان حشر الأجساد ٢٢ أ . نقلا عن الآمدي في أبكار الأفكار ١٩٧/٢ ب .

(٢) ١٩٩/٢ أ .

(٣) ابن كمال باشا : ر. في بيان حشر الأجساد ٢٣ أ .

(٤) السجدة/١٧ .

(٥) يونس/٢٦ .

(٦) التوبة/٧٢ .

(٧) يس/٧٨ـ ٧٩ .

الأجداث الى ربهم ينسلون " (١)، " فسيقولون من يعيدنا، قل الذى فطركم أول مرة " (٢)، " أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه، بلى قادرين على أن نسوى بنانه " (٣)، " أإذا كنا عظاما نخرة " (٤)، " وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا، قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء " (٥)، " كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها " (٦)، " يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير " (٧)، " وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما " (٨)، " أفلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور " (٩) مما لا يمكن أن يحصى " (١٠).

ولذلك أجمع المسلمون على المعاد البدنى، بعد اختلافهم فى معنى المعاد. فقال القائلون بإمكان إعادة المعدوم ان الله تعالى يعدم المكلفين، ثم يعيدهم، وقال القائلون بامتناعه إن الله تعالى يفرق أجزاء أبدانهم الأصلية، ثم يؤلف بينها، ويخلق فيها الحياة " (١١).

ويرى العلامة ابن كمال باشا " أن المتفق عليه عند أهل الحق وقوع المعاد الجسمانى مطلقا، وأما تعيين أنه بالايجاد بعد الإعدام، أو بالجمع بعد التفريق فمختلف فيه فيما بينهم، والسمع لا يعين واحدا

(١) يس/٥١ .　　(٢) الاسراء/٥١ .

(٣) القيامة/٣ ـ ٤ .　　(٤) النازعات/١١ .

(٥) فصلت/٢١ .　　(٦) النساء/٥٦ .

(٧) ق/٤٤ .　　(٨) البقرة/٢٥٩ .　　(٩) العاديات/٩ .

(١٠) ابن كمال باشا: ر. فى بيان حشر الأجساد ٢٢ أ ـ ب نقلا عن الطوسى فى تلخيص المحصل ص٣٤٠ .

(١١) ابن كمال باشا: ر. فى بيان حشر الأجساد ق/٢٢ أ نقلا عن الطوسى أيضا فى تلخيص المحصل ص٣٤٠ .

منهما على القطع .

فقول الامام الرازى فى المحصل : (١) " أجمع المسلمون على المعاد ، بمعنى جمع الأجزاء بعد افتراقها ، خلافا للفلاسفة " ليس بذلك لما عرفت: أن الوفاق والخلاف فى أصل المعاد ، لا فى وصفه " (٢).

ثم عضد رأيه بقول صاحب المواقف (٣) : " هل يعدم الله تعالى الأجزاء البدنية ، ثم يعيدها ، أو يفرقها ويعيد فيها التأليف ؟ الحق أنه لم يثبت ذلك ، ولا جزم فيه نفيا ولا إثباتا ، لعدم الدليل أى على شيء من الطرفين - " (٤).

" وبتقدير أن تكون الإعادة للأجسام بتأليف أجزائها بعد تفرقها (٥) ، فهل تجب اعادة عين ماتقضّى (٦) ومضى من التأليفات فى الدنيا ، أو أن الله تعالى يجوز أن يؤلفها بتأليف آخر ؟ ...

---

(١) ص ٣٣٩ .

(٢) ابن كمال : ر. فى بيان حشر الأجساد ق ٢٣ ب - ٢٤ أ ، وانظر أيضا : الآلوسى :روح المعانى ٦١/٢٣ حيث اعتمد فيه على ابن كمال باشا .

(٣) ص ٣٧٣ ، وشرح المواقف للجرجانى ٥٨٢ .

(٤) انظر هذا الرأى أيضا عند الجوينى فى الإرشاد ص ٣٧٤ ، والآمدى فى غاية المرام ص ٣٠١ ، وأبكار الأفكار ١٩٩/٢ أ ، والجرجانى فى شرح المواقف ص ٥٨٢ ، والسفارينى فى لوامح الأنوار ١٦٠/٢ ، والغزالى فى الاقتصاد ص ١٣٤ ، والرازى فى الأربعين/٢٩٣ .

(٥) وهذا هو الذى ذهب اليه فى تفسير قوله تعالى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم) قال فيه : " بالموت وتفتيت الأجزاء (ومنها نخرجكم) بالبعث وجمع الأجزاء على الصورة السابقة ... " تفسيره ٤٥٧ ب .

(٦) وفى القاموس (٣٨١/٤) للفيروزآبادى : "تقضّى :فنى وانصرم كانقضى " .

فذهب أبو هاشم الى المنع من إعادتها بمنع آخر ... ومذهب ماعداه من أهل الحق أن كل واحد من الأمرين جائز عقلا ، ولا دليل على التعيين من سمع وغيره ...

ولا مانع أن تكون الإعادة بمثل ذلك التأليف ، لا بعينه " (١)

وكأنه يميل الى أن الاعادة بالمثل وليست بالعين ، اذ يقول : " وها هنا أمر آخر ، لابد من التنبيه عليه ، وهو أن اللازم في المعاد الجسماني هو وجود بدن ما ، لا وجود البدن الأول بعينه ... وظاهر قوله تعالى " أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم " (٢) مساعد له ، فلا توقف فى ثبوت ما هو الضرورى فى الدين فى هذه المسألة على صحة إعادة المعدوم بعينه ، على أصل من قال بإعدام الأجسام ...

فمسألة إعادة المعدوم ليست من مبادئ مسألة حشر الأجساد كما زعمه صاحب المواقف ... وقد وته فيه الآمدى ... " (٣)

وهناك مسألة أخرى هامة ، دار النقاش حولها من قديم الزمان الى يومنا هذا ، ألا وهى موقف الفلاسفة الاسلاميين وعلى رأسهم ابن سينا من قضية المعاد ، وحاول ابن كمال باشا أن يدافع عن ابن سينا فيها اعتمادا على ماورد فى كتابه " النجاة " حيث قال فيه (٤) : " يجب أن تعلم أن المعاد : منه مقبول من الشرع ، ولا طريق

(١) ابن كمال باشا : ر. فى بيان حشر الأجساد ٢٣ ب ، نقلا عن أبكار الأفكار ١٩٩/٢ أ .

(٢) يس/٨١ .   (٣) ابن كمال باشا : ر. فى بيان حشر الأجساد ق/٢٥ أ .

(٤) ص ٢٩١ .

الى إثباته الا عن طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة ، وهو الذى للبدن عند البعث ، وخيرات البدن وشروره معلومة لاتحتاج الى أن تعلم .

وقد بسطت الشريعة الحقة ، التى أتانا بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حال السعادة والشقاوة ، التى بحسب البدن .

ومنه ماهو مدرك بالعقل والقياس البرهانى ، وقد صدقته النبوة ، وهو السعادة والشقاوة ، الثابتتان بالمقاييس التى للأنفس ، وان كانت الأوهام منا تقتصر عن تصورها الآن ، لما توضحهم من العلل .

والحكماء الإلهيون رغبتهم فى إصابة هذه السعادة ، أعظم من رغبتهم فى إصابة السعادة البدنية ، بل كأنهم لايلتفتون الى تلك ، وان أعطوها ، فلا يستعظمونها فى جانب هذه السعادة ، التى هى مقاربة الحق الأول ".(١)

وهذا النص فى نظر ابن كمال يثبت المعاد الجسمانى .. اذ علق عليه بقوله : " فان قلت: أليس قولهم باستحالة عدم تناهى الأبعاد ، وقولهم بأن النفس الناطقة غير متناهية ، ألزماهم الانكار للمعاد الجسمانى ، اذ على تقدير وقوعه يلزم اجتماع الأبدان الغير المتناهية فى الوجود ، اذ لابد لكل نفس من بدن ، فيلزم عدم تناهى الأبعاد ؟

قلت: ذلك وهم ، سبق اليه فهم بعض الناظرين فى هذا

(١) ابن كمال باشا : ر. فى بيان حشر الأجساد ٢٤ ب .

المقام ، وأثبته فى شرح العقائد العضدية (١) ، وليس الأمر كما توهمه ، فان حشر الأجساد اللازم ، على تقدير وقوع المعاد الجسمانى ، هو حشر المكلفين ، من المطيع المستحق للثواب ، والعاصى المستحق للعقاب ، لاحشر جميع أفراد البشر ، مكلفا كان ، أو غير مكلف ، فانه ليس من ضروريات الدين ، لأن الأخبار المنقولة فيه ، لم تصل الى حد التواتر ، ولم ينعقد عليه الإجماع ، بل كان مختلفا فيه فيما بينهم ، فلم يكن الاعتقاد به من شرائط الاسلام ، وقد نبه عليه الفاضل الطوسى فى التجريد حيث قال : " والسمع دل عليه ، ويتأول فى المكلف بالتفرق " ، وقال الشارح : يعنى لاإشكال فى غير المكلفين ، فانه يجوز أن ينعدم بالكلية ، ولا يعاد ، وأما بالنسبة الى المكلفين فانه يتأول العدم بتفرق الأجزاء .

وفى تلخيص المحصل أيضا (٢) حيث قال : وقال القائلون بامكان إعادة المعدوم ان الله تعالى يعدم المكلفين ، ثم يعيدهم .

ونبه الآمدى فى كلامه المنقول عن أبكار الأفكار (٣) حيث قرر الخلاف فى إعادة المكلفين .

والمكلف من بلغ الحلم ، وبلغ اليه الحكم ، ولاخفاء فى أن عدم تناهى جميع أفراد البشر لايستلزم عدم تناهى المكلفين منهم ، فلايلزم من القولين المنقولين إنكار ماهو الضرورى فى الدين فى هذه المسألة " (٤) .

(١) وهو جلال الدين الدوانى فى شرح العقائد العضدية انظر كذلك ص٦٠٦ المطبوع بعنوان : محمد عبده بين الفلاسفة والمتكلمين .

(٢) ص ٣٤٠ .   (٣) أبكار الأفكار ١٩٧/٢ ب .

(٤) ابن كمال باشا : ر. فى بيان حشر الأجساد ٢٤ ب ــ ٢٥ أ مع تصويب الأخطاء الواردة فيها اعتمادا على نسخ الرسالة الأخرى ومصادرها ، دون ذكر الخلافات اللفظية .

هذا ، وقال العلامة في تفسير قوله تعالى " ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كافرين "(١) مبينا حكمة الاعادة والبعث: " وهو إشارة الى السبب الداعى الى البعث، المقتضى له ، من حيث الحكمة ، وهو الميز بين الحق والباطل ، والمحق والمبطل ، بالثواب والعقاب "(٢).

هذا هو رأى العلامة ابن كمال باشا فى مسألة المعاد ، وموطن الوفاق فيه ، والخلاف ، وموقفه من رأى الفلاسفة ، ودفاعه عنهم أمام خصومه ، ومحاولة بحثه عن مخرج لهم فى إلزام خصومهم بإنكارهم للمعاد الجسمانى ...

ـ تعقيب ـ

وبعد هذا العرض الموسع لرأى العلامة ابن كمال باشا فى مسألة المعاد نستطيع أن نقول :

١ ـ إنه مع السلف رضى الله عنهم فى أصل المسألة ، وهو إثبات المعاد الجسمانى ، إذ " هذه الأجساد هى التى تبعث كما نطق به الكتاب والسنة "(٣).

٢ ـ وأما فى كيفية المعاد فقد خالف ما ذهب اليه السلف،

(١) النمل/ ٣٩ .

(٢) ابن كمال باشا : تفسيره/ ٣٩٩ ب ، وانظر كذلك ٣١١/أ .

(٣) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٣١٦/٤ .

ووافق المتكلمين القائلين بأن الأجسام مركبة من الجواهر الفردة ، فإعادتها إما عن عدم ، أو عن جمع بعد تفريق ..

يقول شارح الطحاوية (١) منتقدا لرأى المتكلمين ومثبتا لقول السلف " والقائلون بأن الأجسام مركبة من الجواهر المفردة ، لهم فى المعاد خبط واضطراب ، وهم فيه على قولين: منهم من يقول: تعدم الجواهر ، ثم تعاد . ومنهم من يقول: تفّرق الأجزاء ، ثم تجمع ...

والقول الذى عليه السلف وجمهور العقلاء: أن الأجسام تنقلب من حال الى حال ، فتستحيل ترابا ، ثم ينشئها الله نشأة أخرى ، كما استحال فى النشأة الأولى: فانه كان نطفة ، ثم صار علقة ، ثم صار مضغة ، ثم صار عظاما ولحما ، ثم أنشأه خلقا سويا . كذلك الإعادة: يعيده الله تعالى بعد أن يبلى كله الا عجْب الذنب (٢) ، كما ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: " كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب ، منه خلق ابن آدم ، ومنه يركب " (٣).

---

(١) ص ٤٦٣ ـ ٤٦٤ ، وانظر كذلك: ابن تيمية: مجموع الفتاوى ١٧/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦ .

(٢) عجب الذنب ـ بفتح العين ، وإسكان الجيم ـ: أى العظم اللطيف ، الذى فى أسفل الصلب ، وهو رأس العصعص ، ويقال له: عجم ، بالميم . النووى: شرح صحيح مسلم ١٨/ ٩٢ ، القرطبى: التذكرة ١/ ٢٠٤) .

(٣) أخرجه البخارى (٨/ ٥٥١ ـ ٥٥٢) فى كتاب (٦٥) التفسير ، تفسير سورة (٣٩) الزمر ، باب (٤) " ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات والأرض الا من شاء الله " برقم/ ٤٨١٤ ، وفى سورة (٧٨) عم يتساءلون ، باب (١) " يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا " رقم/ ٤٩٣٥ .

ومسلم (٤/ ٢٢٧٠ ـ ٢٢٧١) فى كتاب (٥٢) الفتن وأشراط الساعة ، باب (٢٨) =

وفي حديث آخر: " ان السماء تمطر مطرا كمني الرجال ، ينبتون في القبور كما ينبت النبات " (١).

فالنشأتان نوعان تحت جنس ، يتفقان ويتماثلان من وجه ، ويفترقان ويتنوعان من وجه. والمعاد هو الأول بعينه ، وان كان بين لوازم الإعادة ولوازم البداءة فرق ، فعجب الذنب هو الذي يبقى ، وأما سائره فيستحيل ، فيعاد من المادة التي استحال اليها ".

٣ ـ وأما دفاعه عن ابن سينا ، وتشبثه بما وجده في النجاة من تصريحه بالبعث الجسماني ـ حسب فهمه ـ ، وتوهين ما ألزمه صاحب شرح العضدية وتوهيمه فهو ناشيء عن عدم إحاطة بكتب ابن سينا المتعددة ، ومنهجه الذي لابد لدارسه أن يسير على هداه.

يقول استاذنا الفاضل الدكتور سليمان دنيا رحمه الله:

= ما بين النفختين ، برقم/ ٢٩٥٥ .

وأبو داود (٥/١٠٨) في كتاب (٣٤) السنة ، باب (٢٥) في ذكر البعث والنشور ، برقم ٤٧٤٣ .

والنسائي (٤/١١١ ـ ١١٢) في كتاب (٢١) الجنائز ، باب (١١٧) أرواح المؤمنين ، برقم/ ٢٠٧٧ .

وابن ماجه (٢/١٤٢٥) في كتاب (٣٧) الزهد ، باب (٣٢) ذكر القبر والبلى ، رقم ٤٢٦٦ .

وأحمد ٢/٣٢٢ ، ٤٢٨ .

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير في حديث طويل عن أبي الزعرا موقوفا على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٣١ ـ ٣٣٣) ونبه على أن فيه جزءا مخالفا للحديث الصحيح .

وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٥٩٨ ـ ٦٠٠) وصححه على شرطهما ، ورده الذهبي بأنهما ما احتجا بأبي الزعراء.

" أمـــــران :

أولـــهمـــا : أن الفلاسفة لـم يلـزمهـم القـول بانكـار البعـــث الجسمانـــى ، ولكنهـم صرحــوا بـــه تصريحـــا ، وهـاك قـول ابـن سينـــا فـــى كتابـــه " رسـالة أضحـويـــة فـــى أمـــر المعـــاد " (١) :

" لكنـــا نبيـن بـيـانـــا بـرهانيـــا ، أنـــه لايمكـــن أن تعـــود النفـــوس بعـــد المـــوت الـــى البـــد ن ، البتـــة " ٠

وثانيهمـــا : أن ابـــن سينـــا لـــم يعـــترف بـأن هنـــاك بعثـــا جسمانيـــا أصـــلا ، لابمعـــنى مفهـــوم ، ولا بمعـــنى غـير مفهـــوم ، وإذا كـــان قـــد قســم البعـــث ــ فـــى كتابيـــه " النجـاة " و " الشفـــاء " ــ الـــى روحانـــى وجسمانـــى ، فقـــال فيهمـــا بنـص واحـــد " ٠ ثـم ذكـــر أستـــاذنـــا النـــص الـــذى نـقـــل العـــلامـــة ابـــن كمـــال باشـــا فـــى رسـالتـــه ، وعلـــق عليـــه :

" فليـــس معـــنى ذ لـــك أن ابـــن سينـــا يعـــترف بـأن هنـــاك بعثـــا جسمانيـــا ، بـــل كـــل مايفيـــد ه هـــذا النـــص أن الشريعـــة قـــد أخبـرت بــــه ، وليـــس بـــلازم عنـــد ابـــن سينـــا أن كـــل مـــا أخـــبرت بـــه الشريعـــة يكـــو ن كما

(١) ص ١٢٢ (ط٠ عاصى) ، ص٨٩ ط٠ دار الفكر٠ وقال فى ص ١١٤ : " فليكـــن هذا كافيا فى مناقضة الجاعلين المعاد للبد ن وحد ه ، أو للنفس والبد ن معا " وقال فى ص١٢٦ أيضا : " فاذا بطل أن يكو ن المعا د للبد ن وحد ه ، وبطل أن يكو ن للبد ن والنفس جميعا ، وبطل أن يكو ن للنفس على سبيل التناسـخ فالمعاد اذ ن للنفس وحد ها على ماتقرر بعد أن كا ن المعاد موجودا " ٠
كما صرح أيضا فى ص ١٠٤ " أن الماد ة الموجود ة للكائنات لاتفى بأشخـــاص الكائنات الخالية اذا بعثت " ٠

ثم ان معنى المعاد عند ابن سينا هو سعاد ة النفس أو شقاوتها بعـــد مفارقتها البد ن ، اذ يقول فى ص ١٤٤ :
" والألم السرمد ى شقاو ة ، واللذ ة السرمدية الجو هرية ، الغير مشوبة سعاد ة ٠ فالنفس بعد الموت اما شقية ، واما سعيد ة ، وذلك هو المعاد " ٠

أخبرت به ، يقول ابن سينا نفسه عن ذلك فى " النجاة " (١) — بعد عدة صفحات من النص السابق — :

" وكذلك يجب عليه — أى على النبى — أن يقرر عندهم — أى البشر — أمر المعاد على وجه يتصورون كيفيته ، وتسكن اليه نفوسهم ، ويضرب للسعادة والشقاوة أمثالا ، مما يفهمونه ويتصورونه .

وأما الحق فى ذلك فلا يلوح لهم منه الا أمرا مجملا " .

فالبعث الجسمانى الذى يتحدث عنه القرآن ، ليس له — عند ابن سينا — معنى مفهوم ، ولا معنى غير مفهوم ، لكنه مجرد تمثيل لتفهيم العامة ، ويزيدنا ابن سينا تصريحا بهذا المعنى ، فى كتابه المخصص لبحث مسألة البعث " رسالة أضحوية فى أمر المعاد " (٢) حيث يقول :

" فظاهر من هذا كله أن الشرائع واردة لخطاب الجمهور بما يفهمونه ، مقربا ما لا يفهمونه الى أفهامهم ، بالتشبيه والتمثيل . ولو كان غير ذلك لما أغنت الشرائع البتة ، وكيف يكون ظاهر الشرع حجة فى هذا الباب ..

ولو فرضنا الأمور الأخروية روحانية بعيدة عن إدراك بداية الأذهان لحقيقتها ، لم يكن سبيل الشرائع فى الدعوة اليها ، والتحذير عنها ، منبها بالدلالة عليها ، بل بالتعبير عنها بوجوه من التمثيلات المقربة الى الأفهام .

فكيف يكون وجود شىء ، حجة على وجود شىء آخر ، ولو لم يكن الشىء الآخر ، على الحالة المفروضة ، لكان الشىء الأول

(١) ص ٣٠٥ . (٢) ص ١٠٣ ط . عاصى ، ص ٥٠ ط . دار الفكر .

على حالته ".

فليس اذن بعث جسمانى البتة ، وانما هو تصوير وتمثيل " (١)

ويقول أستاذنا أيضا فى معرض بيان منهج ابن سينا فى كتبه ، وأقدار كتبه عند مؤلفها :

" انه لا يسوغ للباحث أن يستمد أفكار ابن سينا من أى كتاب له يقع فى اليد ، بل ان مستمد أفكار ابن سينا كتب خاصة ، نبه عليها ابن سينا نفسه.

وقد رأينا كيف صرح ابن سينا فى كتابه " النجاة " و " الشفاء " بالبعث الجسمانى ، ثم فى كتابه "رسالة أضحوية فى أمر المعاد " ينفيه نفيا باتا قاطعا .

ولقد صرح ابن سينا نفسه ، بالتفريق بين كتبه فى هذا الشأن ، فقال فى فاتحة كتابه " الشفاء " مايلى :

" ولى كتاب غير هذين الكتابين - يعنى كتاب " الشفاء " وكتاب " اللواحق " - أوردت فيه الفلسفة على ما هى فى الطبع ، وعلى ما يوجبه الرأى الصريح الذى لا يراعى فيه جانب الشركاء فى الصناعة، ولا يتقى فيه من شق عصاهم ، ما يتقى فى غيره ، وهو كتابى فى " الفلسفة المشرقية " .

وأما هذا الكتاب - يعنى " الشفاء " - فأكثر بسطا ، وأشد مع الشركاء من المشائين ، مساعدة. ومن أراد الحق الذى لا مجمجة فيه ، فعليه بطلب ذلك الكتاب ، ومن أراد الحق على طريق ترضى

(١) د. سليمان دنيا : مقدمة " الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والمتكلمين " ص١٧ - ١٩ .

ما ، الى الشركاء ، وبسط كثير ، وتلويح بما لو فطن له ، استغنى عن الكتاب الآخر ، فعليه بهذا الكتاب - يعنى "الشفاء" - .." (١)

فهذا هو الوزن الصحيح لكتب ابن سينا ، وهذه أقدارها عنده.

فلا يحق لنا أن نخلع عليها قداسة من عند أنفسنا ، تجرنا الى خطأ فى التقدير ، والى خطأ فى الاستنباط.

ووا ضح أن ابن سينا يبرز ميزتين فى كتاب "الشفاء".

الأولى : هى قوله : " ومن أراد الحق على طريق فيه ترض ما ، الى الشركاء " ، ومعنى هذا القول : أن ابن سينا يقول فى كتاب "الشفاء" أقوالا مجاراة لقوم ، يسميهم الشركاء ، وشركاؤه فى هذا الكتاب - كما هو واضح لمن قرأه - ليسوا هم المشائين وحدهم ، ولكن لعلماء الكلام نصيب فى هذه الترضية.

والثانية : هى قوله : " وتلويح بما لو فطن له استغنى عن الكتاب الآخر" ، ومعنى هذا القول : أن ابن سينا يذكر الى جانب القول الذى يراعى فيه ترضية شركائه ، ما يشير الى رأيه الحق فى المسألة.

وقد مر بنا تصريحه الصريح بالبعث الجسمانى ، ومر بنا قوله بعد ذلك : " وكذلك يجب - أى على النبى - أن يقرر عندهم - أى البشر - أمر المعاد على وجه يتصورون كيفيته ، وتسكن اليه نفوسهم ، ويضرب للسعادة والشقاوة أمثالا مما يفهمونه ، ويتصورونه.

وأما الحق فى ذلك فلا يلوح لهم منه الا أمرا مجملا.

---

(١) ص ١٠ جزء المنطق ، الأميرية ١٩٥٣ م.

وهو أن ذلك شيء ، لاعين رأته ، ولاأذن سمعته " .

هذان عرضان لمسألة واحدة في نفس كتاب " الشفاء " :

أحدهما : صريح واضح .

والآخر : رمز واشارة .

ففي ضوء ماذكره ابن سينا نفسه ، يفهم القول الصريح على أنه ترضية للشركاء ، ويفهم الرمز والاشارة ، على أنهما رأيه الحق في المسألة .

فعلى هذا — وعلى فرض أن ليس لدينا كتب أخرى ككتاب " رسالة أضحوية في أمر المعاد " الذي نقلنا منه تصريح ابن سينا تصريحا باتا قاطعا ، بنفي عودة الأجسام الى الأبدان — لوقيل : ان الحق عند ابن سينا أن الأجسام لاتبعث ، لم يكن هذا القول بعيدا عن الصواب " (١) .

ولايكون من حق العلامة ابن كمال باشا أن يقول إن ذلك استنباط واستنتاج لايغنيان شيئا الى جانب تصريحه الصريح بالبعث الجسماني ..

٤ — وأما قول العلامة ابن كمال باشا باعادة المكلفين فقط من بين أفراد البشر في معرض دفاعه عن ابن سينا ، وبحثه عن مخلص له من إلزام خصومه ، وزعمه أن الأخبار المنقولة فيه لم تصل الى حد التواتر فهو من غلطاته رحمه الله ...

يقول العلامة الآلوسي في تفسيره بعد أن نقل كلام ابن

---

(١) د . سليمان دنيا : مقدمة " الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والمتكلمين " ٢٠ — ٢٢ . وانظر في الكتاب نفسه ص ٦٢٠ تصريح العلامة الدواني بافكار ابن سينا المعاد الجسماني ..

كمال باشا فى حصر الحشر على المكلفين فقط : " وأما قصر الحشر على المكلفين ، دون غيرهم من المجانين والصغار، والذين لم تبلغهم الدعوة ، ونحوهم فليس بشىء ، والأخبار فى ذلك كثيرة، ولعلها من قبيل التواتر المعنوى ، على أنها لو لم تكن كذلك لاداعى الى عدم اعتبارها ، والقول بخلاف ماتدل عليه ، كما لايخفى " (١).

ثم ان العلماء اختلفوا قديما وحديثا فى مسألة أطفال المشركين، الذين ماتوا وهم صغار ، وآباؤهم كفار ، ماذا حكمهم ؟

وقد ذكر الحافظ ابن حجر فى فتح البارى عشر أقوال للعلماء فيها ، وليس من بينها القول أنهم لايحشرون ، سوى رواية عن ثمامة ابن أشرس " أنهم يصيرون ترابا " (٢) ، ومع ذلك يفهم من قوله انهم يصيرون ترابا بعد الحشر ، مثل البهائم ..

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله مبينا لرأى السلف فى المسألة بعد أن ذكر حديث أبى هريرة (٣) فى امتحان المعتوه والأصم والهرم ومن مات فى الفترة:

" وقد جاءت بذلك عدة آثار مرفوعة الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن الصحابة والتابعين ، بأنه فى الآخرة يمتحن أطفال المشركين وغيرهم ممن لم تبلغه الرسالة فى الدنيا . وهذا

---

(١) روح المعانى ٢٣/ ٦٢ .

(٢) ٣/ ٢٤٦ انظر حول مسألة أطفال المشركين وأقوال الناس فيها ورأى السلف: ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٣٩٧-٤٠٢، ٤٣٥-٤٣٧، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (المختصر ٢/ ٣٦٨-٣٧١) ، ابن حجر: فتح البارى ٣/ ٢٤٦-٢٤٧، البيهقى: الاعتقاد ١٠٨-١١٢ .

(٣) أخرجه الامام أحمد فى المسند (ط. أحمد شاكر) ٤/ ٢٤ .

تفسير قوله " الله أعلم بما كانوا عاملين " .

وهذا هو الذى ذكره الأشعرى فى المقالات (١) عن أهل السنة والحديث ، وذكر أنه يذهب اليه (٢) ".

ونصر هذا القول الحافظ البيهقى فى كتاب الاعتقاد (٣) ، والحافظ ابن كثير فى تفسيره (٤) ، وغيرهم من محققى العلماء والحفاظ والنقاد .

ومعناه أنهم يحشرون أولا ، ثم يمتحنون ، خلاف ماقاله ابن كمال باشا ..

وكذلك قصره الحشر على المكلفين فقط يخالف ماقاله هو فى تفسير قوله تعالى " ومامن دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم مافرطنا فى الكتاب من شئ ، ثم الى ربهم يحشرون " (٥) حيث قال فيه : " والمقصود أن من يضبط أحوال الدواب والطير كلها ، وأعمالها ، ويحشرها ، فينصف بعضها من بعض كما روى : أنه يأخذ للجماء من القرناء ، ويجازى كلها كيف يهملكم " . (٦)

وماقاله أيضا فى تفسير قوله تعالى : " يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا " (٧) : " أى حين مت، كما كان سائر الحيوانات ، فان الانسان مخصوص من بينها بالروح الباقى بعد الموت ، وهذا وجه ماقيل : يحشر سائر الحيوانات

---

(١) ص ٢٩٦ . (٢) درء تعارض العقل والنقل ٨/ ٤٠١ وأيضا ٤٣٦ـ٤٣٧ .
(٣) ص ١١١ـ١١٢ . (٤) تفسير القرآن العظيم (المختصر) ٢/ ٣٦٩ـ٣٧٠ .
(٥) الأنعام/ ٣٨ . (٦) ابن كمال باشا : تفسيره ١/ ٣٦٤ (الحرم) .
(٧) النبأ/ ٤٠ .

للاقتصاص ، ثم ترد ترابا ، فيود الكافر حالها " (١) .

وقال العلامة القرطبي في حشر البهائم في الآخرة " اختلف الناس في حشر البهائم ، وفي قصاص بعضها من بعض .

فروى عن ابن عباس : أن حشر الدواب والطير موتها . وقاله الضحاك .

وروى عن ابن عباس في رواية أخرى : أن البهائم تحشر وتبعث . قاله أبو ذر وأبو هريرة وعمرو بن العاص والحسن البصري وغيرهم ، وهو الصحيح ، لقوله تعالى " وإذا الوحوش حشرت " (٢) ، وقوله " ثم إلى ربهم يحشرون " (٣) " (٤) .

ونسب الآلوسي هذا القول إلى الجمهور ، فقال : " وإلى حشر البهائم ، والاقتصاص لبعضها من بعض ذهب الجمهور " (٥) .

وتبين مما سبق أن العلامة ابن كمال باشا خالف نفسه في قصره الحشر على المكلفين فقط ، كما خالف الجمهور ، ورأى السلف رضي الله عنهم أجمعين ..

---

(١) ابن كمال باشا : تفسير سورة النبأ ضمن رسائله ١ / ٤٠ .

(٢) التكوير/ ٥ . (٣) الأنعام/ ٣٨ .

(٤) القرطبي : التذكرة ١ / ٣٣٦ ــ ٣٣٧ وانظر كذلك : الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٤٢٠ ــ ٤٢١ ، ١٩/ ١٨٧ ، ٢٢٧ .

(٥) روح المعاني ٣٠/ ٢٨ ، وانظر أيضا ٣٠/ ٦٥ ــ ٦٦ .

٣ ـ الشفاعة ـ

الشفاعة لغة مشتقة من الشفع الذى هو ضد الوتر، فكأن المشفوع له كان فردا ، فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه (١).

وعرفا : هى السؤال فى التجاوز عن الذنوب من الذى وقعت الجناية فى حقه (٢).

ذهب العلامة ابن كمال باشا الى " أن النبى عليه السلام شفيع مشفّع يوم المحشر ، ينتفع بشفاعته عصاة المؤمنين " (٣)، " لأن المؤمن ـ وإن ارتكب الكبيرة ـ لايُحْرَم عن شفاعته عليه السلام ، كيف، وقد قال عليه السلام (٤) : " شفاعتى لأهل الكبائر

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٥٨ (الحرم) ، أبو السعود : إرشاد العقل السليم ١/٩٩، السفارينى : لوامع الأنوار ٢/٢٠٤ .

(٢) السيد الشريف: التعريفات ص٨٦، وكذلك السعد :شرح العقائد /١٥٠ .

(٣) ابن كمال باشا :رسالة فى مدح السعى وذم البطالة ٢ ص٣٨٩ .

(٤) أخرجه أبو داود (٥/١٠٦)فى كتاب(٣٤)السنة ، باب(٢٣)فى الشفاعة برقم/٤٧٣٩ ،

والترمذى (٤/٦٢٥)فى كتاب(٣٨)صفة القيامة، باب(١١) ، برقم/٢٤٣٥

وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

وابن حبان (موارد الظمآن) /٦٤٥ برقم ٢٥٩٦ .

وأحمد ٣/٢١٣، وابن أبى عاصم فى السنة ص٣٨٥، والحاكم ١/٦٩، وابن خزيمة فى التوحيد ص٢٧١، والبيهقى فى البعث(كما فى تخريج أحاديث شرح العقائد للسيوطى ص٥٨ اذ لم أجده فى البعث والنشور المطبوع ولعله ناقص)

والطبرانى فى الصغير ١/١٦٠ كلهم عن أنس.

وأخرجه أيضا الترمذى برقم/٢٤٣٦،

وابن ماجه (٢/١٤٤١)فى كتاب(٣٧)الزهد ، باب(٣٧)ذكر الشفاعة ، برقم ٤٣١٠ ،

=

من أمتي "(١) .

ويرى أنه صلى الله عليه وسلم " ذو مقام محمود . وروى الترمذي (٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : المقام المحمود : هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي " قال : هذا حديث حسن . فالمقام : الموضع يقوم فيه الانسان للأمور الجليلة ، ومعنى كونه " محمودا " أنه تعالى يقيمه عليه السلام فيه ، فيشفع ، فيحمده الخلق "(٣) .

وهذه هي الشفاعة العظمى ، وهي مختصة به صلى الله عليه وسلم من بين سائر النبيين والصديقين وغيرهم . وشفاعته هذه

= والحاكم ٦٩/١ ، وابن خزيمة في كتاب التوحيد ص ٢٧١ ،
والبيهقي في البعث ص ٥٥ كلهم عن جابر رضي الله عنه .
والبيهقي في البعث عن كعب بن عجرة (كما في النهاية ٣٢٦/٢ ، وتخريج أحاديث شرح العقائد ص ٥٩) ،
والطبراني في الكبير (١٨٩/١١ ، برقم ١١٥١٤ ، عن ابن عباس
والخطيب في تاريخه (١١/٨) عن ابن عمر رضي الله عنهم ..
وقال علي القاري في شرح الفقه الأكبر ص ١٣٨ : فهو حديث مشهور في المبنى ، بل الأحاديث في باب الشفاعة متواترة المعنى " وقاله التفتازاني أيضا في شرح العقائد ص ١٤٩ .

(١) ابن كمال باشا : شرح الأربعين ص ٤٤ ، وكذلك : تفسيره ٥٨٩ ب .

(٢) الترمذي (٣٠٣/٥) في كتاب (٤٨) تفسير القرآن ، باب (١٨) ومن سورة بني اسرائيل ، برقم ٣١٣٧ وقال : هذا حديث حسن .
والامام أحمد ٤٤١/٢ ، والبيهقي في الدلائل ٤٨٤/٥ ، وابن حجر : في الكافي الشاف ص ١٠١ رقم ٣٠٠ .

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٢٢ ب مع استدراك ما سقط منه من نسخة يني جامع برقم/١٦٢٠/٣٤٩ ب .

ليست منحصرة على أمته وإنما هي عامة للخلائق مؤمنهم وكافرهم ، ويدخل فيها أمته صلى الله عليه وسلم من باب الأولية ...

وقال العلامة ابن كمال باشا مثبتا الشفاعة لمن ارتضاه الله تعالى من الأخيار كالعلماء والشهداء والأولياء ، ورادا على من أنكرها من المعتزلة :

" وشفاعة الأنبياء عليهم السلام ، والأولياء والصلحاء ، لكل عصاة من المؤمنين ـ ولو كانوا من أصحاب الكبيرة ـ حق ثابت ، لقوله عليه السلام (١) : " أنا شفيع لعصاة المؤمنين من أمتي " (٢).

وكذلك استشهد ببعض الآيات لاثبات الشفاعة وقال في تفسير قوله تعالى " إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع الا من بعد إذنه ... " (٣) : " كقوله " يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون الا من أذن له الرحمن " (٤) ، وفيه إثبات الشفاعة لمن أذن له " (٥) .

وقال أيضا في تفسير قوله تعالى " يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولايشفعون الا لمن ارتضى " (٦) : لمن ارتضاه وأهله للشفاعة " (٧).

وذكر في تفسير قوله تعالى : " يوم يقوم الروح والملائكة صفا

(١) لم أعثر على هذا الحديث بهذا اللفظ في مظانها من كتب الحديث ، ولعله رواية حديث " شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي " بالمعنى .

(٢) رسالة المنيرة ص ١٤ . (٣) يونس / ٣ .

(٤) النبأ / ٣٨ . (٥) ابن كمال باشا : تفسيره ٣١٠ ب .

(٦) الأنبياء / ٢٨ . (٧) ابن كمال باشا : تفسيره ٤٦٩ ب .

لايتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا "(١) : " هما شرطان : اذن الرحمن ، وقول الصواب ، وهو الشفاعة لمن ارتضى ، لقوله تعالى " ولايشفعون الا لمن ارتضى "(٢). (٣)

ثم نراه يدافع عن عقيدة أهل السنة والجماعة فى تفسير الآيات التى تشبثت بها المعتزلة فى انكارهم الشفاعة لأهل الكبائر ، وقصرهم إياها على المطيعين والتائبين لرفع الدرجات وزيادة المثوبات(٤) ، مثل قوله تعالى : " واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا ولايقبل منها شفاعة ولايؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون "(٥) قالوا : وهى عام فى شفاعة النبى وغيره .

فقال ابن كمال باشا فى تفسيرها : " وانما قنطهم ـ أى اليهود ، لأن الخطاب لهم ـ الاقناط الكلى ، لأن اليهود كانوا يزعمون أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم ، ولما كان الخطاب لليهود ، كان تقديره : لاتجزى نفس مامنكم عن نفس مامنكم ، فلا دلالة فيه على أن الشفاعة لاتقبل للعصاة مطلقا ، وكأنه أريد بالآية نفى أن يَرفع العذاب أحد عن أحد من كل وجه محتمل "(٦) .

وقال أيضا فى تفسير قوله تعالى " .. وماللظالمين من أنصار "(٧) : ولايلزم من نفى النصرة نفى الشفاعة ، لأن النصرة دفع بقهر "(٨) ، وأما الشفاعة فبعد إذنه تعالى لأهلها ..

(١) ابن كمال باشا :تفسير سورة النبأ ص ٣٩ .
(٢) الانبياء/ ٢٨ .
(٣) ابن كمال باشا :تفسير سورة النبأ ص ٣٩ .
(٤) حول رأى المعتزلة فى الشفاعة انظر :القاضى عبد الجبار :شرح الاصول الخمسة ٦٨٨ـ ٦٩١ وكذلك :ابن كمال باشا :تفسيره ١ /١٧٥ـ١٧٦ (الحرم المكى) .
(٥) البقرة/ ٤٨ .
(٦) ابن كمال باشا :تفسيره ١ /٥٩ (الحرم المكى) .
(٧) آل عمران/ ١٩٢ .
(٨) ابن كمال باشا : ١ /٢٦٧ (الحرم المكى) .

- تعقيب -

ان " شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم من السمعيات ، وردت بها الآثار ، حتى بلغت مبلغ التواتر المعنوى ، وانعقد عليها إجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة " (١).

وقد ذكر جمهور من العلماء أن أحاديث الشفاعة بلغت مبلغ التواتر ، منهم على سبيل المثال : ابن أبى عاصم فى السنة (٢) ، والحافظ ابن كثير (٣) ، وعلى القارى (٤) ، والتفتازانى (٥) ، والقاضى عياض ، والنووى (٦) وغيرهم كثيرون .

يقول مقرر مذهب السلف شيخ الاسلام ابن تيمية : " أجمع المسلمون على أن النبى صلى الله عليه وسلم يشفع للخلق يوم القيامة ، بعد أن يسأله الناس ذلك ، وبعد أن يأذن الله له فى الشفاعة ، ثم أن أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفق عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، واستفاضت به السنن من أنه صلى الله عليه وسلم يشفع لأهل الكبائر من أمته ، ويشفع أيضا لعموم الخلق .

فله صلى الله عليه وسلم شفاعات يختص بها ، لا يشركه فيها أحد ، وشفاعات يشركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين ، لكن

(١) السفارينى : لوامع الأنوار ٢/٢٠٨ ، وكذلك : السعد : شرح المقاصد ٥/١٥٨ .
(٢) ص ٣٨٥ .
(٣) النهاية فى الفتن ٢/٣١٤-٣١٥ .
(٤) شرح الفقه الأكبر ١٣٨ .
(٥) شرح العقائد /١٤٩ .
(٦) شرح صحيح مسلم ٣/٣٥ .

ماله فيها أفضل مما لغيره ، فانه صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق وأكرمهم على ربه عز وجل ، وله من الفضائل التى ميزه الله بها على سائر النبيين مايضيق هذا الموضع عن بسطه ، ومن ذلك : " المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والآخرون ".

وأحاديث الشفاعة كثيرة متواترة ، منها فى الصحيحين أحاديث متعددة ، وفى السنن والمسانيد مما يكثر عدده.

وأما الوعيدية من الخوارج والمعتزلة فزعموا أن الشفاعة إنما هى للمؤمنين خاصة فى رفع بعض الدرجات ، وبعضهم أنكر الشفاعة مطلقا " (١).

وهو كلام وجيز وجامع حول موضوع الشفاعة ..

وقال فى موضع آخر (٢) :

" وله صلى الله عليه وسلم فى القيامة ـ ثلاث شفاعات ـ (٣) :

---

(١) التوسل والوسيلة ضمن مجموع الفتاوى ١/ ٣١٣ ـ ٣١٤ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٤٧/٣ ـ ١٤٨ .

(٣) لقد وصل الحافظ ابن كثير أنواع شفاعاته صلى الله عليه وسلم الى ثمانية أنواع، وتابعه فيها تلميذه ابن أبى العز، ونقل كلامه فى شرح الطحاوية ٢٥٢ ـ ٢٥٨، دون إشارة اليه..

النوع الأول : شفاعته صلى الله عليه وسلم لفصل القضاء بين العباد ويريحهم من مقامهم ذلك، وهى الشفاعة العظمى ، والمقام المحمود ، الخاصة به.

النوع الثانى : شفاعته صلى الله عليه وسلم فى أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، ليدخلوا الجنة.

النوع الثالث: شفاعته صلى الله عليه وسلم فى أقوام آخرين قد أمر بهم الى النار، أن لايدخلوا .

النوع الرابع: شفاعته صلى الله عليه وسلم فى رفع درجات من يدخل الجنة =

أما الشفاعة الأولى : فيشفع فى أهل الموقف ، حتى يقضى بينهم ، بعد أن تتراجع الأنبياء : آدم ونوح وابراهيم وموسى ، وعيسى بن مريم ، عن الشفاعة ، حتى تنتهى اليه .

وأما الشفاعة الثانية : فيشفع فى أهل الجنة أن يدخلوا الجنة ، وهاتان الشفاعتان خاصتان له .

وأما الشفاعة الثالثة : فيشفع فيمن استحق النار ، وهذه الشفاعة له ، ولسائر النبيين ، والصديقين وغيرهم .

فيشفع فيمن استحق النار أن لايدخلها ، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها .

ويخرج الله تعالى من النار أقواما بغير شفاعة ، بل بفضله ورحمته . ويبقى فى الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا ، فينشىء

فيها ، فوق ماكان يقتضيه ثواب أعمالهم ، وقد وافقت المعتزلة على هذه الشفاعة خاصة ، وخالفوا فيما عداها من المقامات ، مع تواتر الأحاديث فيها .

النوع الخامس : شفاعته صلى الله عليه وسلم فى أقوام يدخلون الجنة بغير حساب .

النوع السادس : شفاعته صلى الله عليه وسلم فى عمه أبى طالب ، أن يخفف عذابه ، لما رواه مسلم (١٩٥/١ برقم ٣٦٠) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذُكر عنده أبو طالب فقال : " لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة ، فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه ، يغلى منه دماغه " .

النوع السابع : شفاعته صلى الله عليه وسلم لجميع المؤمنين قاطبة ، فى أن يؤذن لهم فى دخول الجنة .

النوع الثامن : شفاعته صلى الله عليه وسلم فى أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار ، فيخرجون منها ، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث .

(ابن كثير : النهاية فى الفتن ٢/ ٣١٢ ـ ٣١٥ مع تصرف ، واختصار ، وحذف الأدلة على كل نوع منها . انظر كذلك : القرطبى : التذكرة ١/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩) .

الله لها أقواما فيدخلهم الجنة " ا هـ .

وبعد عرض كلام العلامة بن كمال باشا على كلام مقرر مذهب السلف شيخ الاسلام ابن تيمية يتبين موافقته إياه في إثباته الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولغيره من الأنبياء والرسل والصديقين والشهداء والصالحين يوم الفزع الأكبر .

٤ ـ العرض ، وأخذ الكتب وقراءتها ، ورأى ابن كمال باشا فيهما :

أ ـ العرض : المراد من العرض هو إظهار الله تعالى أعمال الناس وابرازها ليتعرف صاحبها بذنوبه (١) .

يرى العلامة ابن كمال باشا أن الناس يعرضون على الله تعالى ، بعد النفخة الثانية والحشر في الموقف ، كما يعرض الجيش على السلطان ليأمرهم . قال في تفسير قوله تعالى (ولو ترى اذ وقفوا على ربهم) (٢) :

" والسؤال للتوبيخ ، كما يوقف العبد الجاني بين يدى سيده ليعاتبه ، ضمن الوقوف معنى العرض ، ولذلك قال " على ربهم " ، والمعنى : اذ عرضوا على ربهم موقوفين ، وقد أفصح عن هذا المعنى قوله تعالى (وعرضوا على ربك صفا) (٣) ، وقوله تعالى (ولو ترى اذا الظالمون موقوفون عند ربهم) (٤) " . (٥)

(١) ابن حجر : فتح البارى ١١ / ٤٠٢ . (٢) الانعام / ٣٠ . (٣) الكهف / ٤٨ .

(٤) والآية في نسخة ينى جامع والحرم المكى (اذ المجرمون موقوفون عند ربهم) وهو سبق خاطر من المؤلف ، اذ ليس في القرآن آية بهذا النص .
سورة سبأ / ٣١ .

(٥) ابن كمال باشا : تفسيره ١ / ٣٦٠ (الحرم المكى) .

وقال أيضا فى تفسير قوله تعالى (يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية) (١) : " والعرض عبارة عن المحاسبة والمساءلة ، شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان ، لا لتعرّف أحوالهم كما قيل ـ لأنه لايناسب المقام ، بل ليأمر فيهم " (٢) . ثم قال :

" وروى أن فى القيامة ثلاث عرضات ، فأما عرضتان : فاعتذار واحتجاج وتوبيخ ، وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب ، فيأخذ الفائز كتابه بيمينه ، والهالك كتابه بشماله " (٣) .

---

(١) الحاقة/١٨ .

(٢) ابن كمال باشا : شرح الحشر فى معشر الحشر ٧٨ ب ، وتفسيره ٤٣٣ أ .

(٣) أخرجه الترمذى (٦١٧/٤) فى كتاب (٣٨) صفة القيامة ، باب (٤) ما جاء فى العرض ، حديث رقم ٢٤٢٥ ، عن أبى هريرة وقال : ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبى هريرة . وقد رواه بعضهم عن على الرفاعى عن الحسن عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال أبو عيسى : ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبى موسى " .

قال الحافظ ابن كثير فى " النهاية " ٢٣٢/٢ : " والعجب ان الترمذى روى هذا الحديث عن أبى كريب ، عن وكيع ، عن على بن على ، عن الحسن ، عن أبى هريرة ، عن النبى ، فذكر مثله . قال الترمذى : " ولا يصح هذا الحديث ... " الى آخر كلامه السابق ذكره ، وقال : " قلت ـ القائل هو ابن كثير ـ : الحسن قد روى له البخارى عن أبى هريرة ، وقد وقع فى مسند أحمد التصريح بسماعه منه ، والله أعلم .

وقد يكون الحديث عنده عن أبى موسى وأبى هريرة ، والله أعلم .

وأما الحافظ البيهقى فرواه عن طريق مروان الاصفر ، عن أبى وائل ، عن عبد الله بن مسعود من قوله مثله سواء . " انتهى كلام ابن كثير رحمه الله .

وأخرجه ابن ماجه (١٤٣٠/٢) فى كتاب (٣٧) الزهد ، باب (٣٣) ذكر البعث ، حديث رقم ٤٢٧٧ ، عن الحسن ، عن أبى موسى الاشعرى .

وأخرجه أيضا أحمد (٤١٤/٤) عن أبى موسى ، وأبو بكر بن أبى الدنيا كما فى شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٦٨ ، والنهاية لابن كثير ٢٣١/٢ ، وأبو بكر البزار =

ويدخل في معنى العرض عنده ابراز الأعمال واظهارها ، وتمثلها بصورها وهيئاتها ، فيرى الناس أعمالهم الحسنة والسيئة ، وقد أكد ابن كمال باشا هذا الرأي في مواطن من تفسيره ، ورسالته المتعلقة بتفسير الآيات الواردة في أحوال وأهوال المحشر ..

قال رحمه الله تعالى في تفسير سورة " النازعات " (١) في تفسير قوله تعالى " يوم يتذكر الانسان ما سعى " (٢) : " عند تمثيل الأعمال بصورها وهيئاتها على ما نطقت به الأحاديث ، وسيأتي تفسيره في سورة الزلزلة " .

وقال أيضا مؤكدا هذا الرأي في تفسير قوله تعالى " يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا " (٣) : " واظهار حضور العمل بنفسه من الخير والشر على ما نطق به الخبر عن خير البشر ، فلا يجوز الصرف عنه بلا صارف " (٤).

فما هو التفصيل الذي وعدنا به ابن كمال باشا في تمثل الأعمال ، وما هي الأخبار والأحاديث التي نطقت به ، ودلت عليه . يقول رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى " ووضع الكتاب " صحائف الأعمال في الميزان أو في أيدي العباد .... " فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ووجدوا ما عملوا " من خير وشر " حاضرا " بوجوده في

عن أبي موسى الأشعري كما في التذكرة للقرطبي ١ / ٣١٢ .
والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ١ / ٥٢٧ ،
وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي موسى رضي الله عنه كما في الدر المنثور ٨ / ٢٧١ .

(١) ق / ٢٤ (ب) أحمد الثالث برقم ١٥٤١ . (٢) النازعات / ٣٥ .
(٣) آل عمران / ٣٠ .
(٤) تفسير ابن كمال باشا ١ / ٢١٢ (مكتبة الحرم المكي الشريف ٢٨٠ تفسير) .

الخارج ، على ما دل عليه قوله " يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم " (١) ، لا بوجوده فى الكتابة ، لأنه إعادة فى المعنى السابق " ولا يظلم ربك أحدا " (٢) باحضار مالم يعملوا ، ولا بعدم احضار بعض ما عملوا " (٣).

ويقول أيضا فى تفسير قوله تعالى " يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم " (٤) : " نفس العمل يتصور ويرى ، ثم يجزى عليه ، على ما دل عليه قوله تعالى " وأن ليس للانسان الا ما سعى ، وأن سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى " (٥) . وقد قال المفسرون على وقف ما ورد به الآثار فى قوله تعالى " وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم " (٦) : إن المومن إذا خرج من قبره استقبله شىء هو أحسن الأشياء صورة وأطيبها ريحا ، ويقول : أنا عملك الصالح طالما ركبتك فى الدنيا ، فاركبنى اليوم أنت ، فذلك قوله تعالى " يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا " (٧)، قالوا : ركبانا ، وقد قال النبى عليه السلام : عظموا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم (٨) ـــ

(١) سورة الزلزلة/٦ . (٢) سورة الكهف/٤٩ .

(٣) تفسير ابن كمال ق ٤٣٣ ب باهمال تفسير بعض أجزاء الآية .

(٤) سورة الزلزلة/٦ . (٥) سورة النجم ٣٩ ـ ٤١ .

(٦) سورة الأنعام/٣١ . (٧) سورة مريم/٨٥ .

(٨) هو الحديث الثالث عشر من أربعين ابن كمال باشا ص٤٧ ، قال فى تخريجه : ذكره امام الحرمين فى النهاية ـ نهاية المطلب فى دراية المذهب ـ ، وفى اسناد الديلمى عن أبى هريرة رضى الله عنه : " استفرهوا ضحاياكم فانها مطاياكم على الصراط " ... فقوله : " استفرهوا مطاياكم " اطلبوا الجيد منها " ا هـ .
قال ابن حجر فى تلخيص الحبير (١٣٨/٤) : لم أره .. أخرجه صاحب "مسند الفردوس" من طريق ابن المبارك عن يحى بن عبيد الله بن موهب عن أبيه عن أبى هريرة رفعه "استفرهوا ضحاياكم فانها مطاياكم على الصراط" ويحى =

وأن الكافر اذا خرج من قبره استقبله شيء هو أقبح الأشياء صورة وأخبثها ريحا ، فيقول : أنا عملك الطالح ، طالما ركبتني في الدنيا ، فأنا أركبك اليوم ، فذلك قوله تعالى " وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم " (١) . فالمرئي نفس العمل ، ومن غفل عن هذا صرفه عن ظاهره (٢) ، وقال في تفسير قوله تعالى " ليروا أعمالهم " : جزاء أعمالهم . " فمن يعمل مثقال ذرة " مقدار نملة صغيرة " خيرا يره " أي يرى نفس ذلك العمل الخير ، " ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره " (٣) أي يرى نفس ذلك العمل الشر ، ثم يجعل خير الكافر هباء منثورا ، أي غبارا متفرقا لايمكن جمعه ... فذلك اى إبطال حسناتهم بعد مارأوها ، وتوقعوا منها النفع أشد إيجاعا لهم وإيلاما ، ويغفر شر المجتنب عن الكبائر ، قال الله تعالى " ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم " (٤) ، وذلك ، أي العفو والمغفرة بعد ما رأوا سيئاتهم ، وخافوا عن ضررها أوقع في نفوسهم إفضالا وإنعاما . وكل من لفظي العام في المقامين (٥)

ضعيف جدا " .

وذكره المتقي في " كنز العمال " (٥ / ٨٨) ونسبه للديلمي في " مسند الفردوس" أيضا .

(١) سورة الأنعام / ٣١ . والحديث أخرجه ابن جرير الطبري من حديث عمرو ابن قيس (جامع البيان ١١ / ٣٢٧) ، وذكره ابن كثير مختصرا عن ابن أبي حاتم (مختصر تفسير ابن كثير ١ / ٥٧٤) ، وكذلك السيوطي في (الدر المنثور ٣ / ٢٦٣) ونسبه لابن جرير وابن أبي حاتم .

(٢) وهم مثل الزمخشري والقاضي البيضاوي ومن حذى حذوهم ...
انظر : ابن كمال باشا : رسالة الفرائد ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

(٣) سورة الزلزلة ٧ ـ ٨ . (٤) سورة النساء / ٣١ .

(٥) اى لفظ " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره " ولفظ " ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره " في الآيتين .

على طرفة عمومه غير منصرف عن الظاهر المتبادر " (١) .

وهو لا يكتفي باثبات إراءة الله تعالى أعمال العباد ، وانما ينتقد كل من يخالف ذلك من الذين يصرفون هذه الألفاظ عن معانيها الظاهرة ، ويزعمون أن المرئي : جزاء العمل ، لانفسه ، فيقول : " ومن زعم أن المرئي جزاء العمل ، لانفسه ، وقال : لعل حسنة الكافر ، وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب والعقاب ، فقد رسا على كند الخطأ (٢) في كل من مقامي كلامه .

أما في الأول : فلأنه خالف فيه نص الكتاب الدال على حبوط خير الكافر ، وعلى أن لا أثر له في الآخرة ، حيث كان هباء منثورا ، وشبه بالتراب في عدم النفع به ، لا من جهة الافضاء الى الثواب ، ولا من جهة الانجاء من شدة العقاب .

وقوله تعالى " والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها " (٣) صريح في أنه ليس لهم تخفيف العذاب ...

وأما في الثاني : فلأنه خالف فيه نص الحديث الصحيح ، وهو ما روى أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه وقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه يتغديان ، اذ أنزلت عليه هذه الآية ـ أعني قوله تعالى " فمن يعمل مثقال ذرة " الآية ـ فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم يده عن الطعام ، ثم قال : من عمل منكم خيرا في الدنيا يُرِه جزاءه في الآخرة ، ومن عمل

(١) ابن كمال باشا : شرح العشر في معشر الحشر ق ٨٠ (ب) .

(٢)

(٣) سورة فاطر/ ٣٦ .

منكم شرا يره فى الدنيا مصيبات وأمراضا ، ومن يك فيه مثقال ذرة من خير يدخل الجنة" (١) . والحديث مذكور فى التيسير (٢) .

وفى حديث آخر : " ما أصاب المؤمن من مكروه ، فهو كفارة لخطاياه ، حتى نخبة النملة" (٣) ، وهى عضها .

وفى حديث آخر : " ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها ، الا كتبت له بها درجة ، ومحيت عنه بها خطيئة" (٤) والحديثان مذكوران فى تفسير سورة البقرة من الكشاف .

بل خالف فيه نص الكتاب ، وهو قوله تعالى " ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم" (٥) ، فانه صريح فى أن سيئة مجتنب الكبائر لاتؤثر فى نقص الثواب ، اذ لو كانت مؤثرة فيه يلزم ان لاتكون مكفرة ، وهو خلاف مدلول النص" (٦) .

(١) والحديث أخرجه ابن مردويه ، كما ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٨/ ٥٩٤ ، وله شاهد من حديث أنس أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، والبيهقى فى شعب الايمان ، وابن أبى حاتم وابن جرير (٣٠/ ١٧٣) ، وجماعة" (السيوطى : الدر المنثور ٨/ ٥٩٣ ، الهيثمى : مجمع الزوائد ٧/ ١٤٤) .

(٢) التيسير فى التفسير لأبى حفص عمر بن محمد النسفى (ت ٥٣٧هـ) ق/ ٥٠٦ أ . (مكتبة ولى الدين جار الله برقم ١٤٠ تفسير ، وعنه ميكروفلم بمركز البحث العلمى برقم ٩٥٥ تفسير) .

(٣) قال الحافظ ابن حجر فى " الكافى الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف" ص ٦ : " لم أجده .. وأصل الحديث دون ما فى آخره مروى بطرق كثيرة " .

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩١) فى كتاب (٤٥) البر والصلة ، باب (١٤) ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض ... رقم ٢٥٧٢ ،
والامام أحمد ٦/ ٤٣ ، ١٧٥ .

(٥) سورة النساء/ ٣١ .

(٦) ابن كمال باشا : شرح العشر فى معشر الحشر ق/ ٨٠ ب ـ ٨١ (أ) .

ـ تعقيب على رأى ابن كمال باشا ـ

ان الناس يعرضون على الله تعالى ، ويطلعون على أعمالهم خيرا كانت أو شرا ، وذلك حق ، دل عليه الكتاب والسنة وأقوال أئمة السلف .

وأما دليل العرض من الكتاب علاوة على ما ذكره ابن كمال باشا فهو قوله تعالى " وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا " (١) وقوله تعالى " يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار " (٢) .. فهذه الآيات تدل دلالة قاطعة على العرض على الله تعالى يوم القيامة ..

وأما أدلته من السنة فهى كثيرة : منها ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ليس أحد يحاسب يوم القيامة الا هلك ، فقلت : يارسول الله ! اليس قد قال الله تعالى " فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا " (٣) ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انما ذلك العرض ، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة الا عُذب " (٤) .

(١) الكهف/٤٨ . (٢) ابراهيم/٤٨ . (٣) الانشقاق ٧ ـ ٨ .

(٤) البخارى (فتح ١١ / ٤٠٠) فى كتاب (٨١) الرقاق ، باب (٤٩) من نوقش الحساب عذب ، حديث رقم ٦٥٣٧ .

ومسلم (٤ / ٢٢٠٤) فى كتاب (٥١) الجنة ، باب (١٨) اثبات الحساب ، حديث رقم/٢٨٧٦

وأبو داود (٣/٤٧١) فى كتاب (١٥) الجنائز ، باب (٣) عيادة النساء ، ٣٠٩٣ ،

والترمذى (٤/٦١٧) فى كتاب (٣٨) صفة القيامة ، باب (٥) من نوقش الحساب عذب ، حديث رقم/٢٤٢٦ .

وأحمد ٦/٤٧ .

ومنها أيضا ما أخرجه الشيخان عن عدى بن أبى حاتم رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مامنكم من أحد الا سيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان ، ثم ينظر فلا يرى شيئا قُدَّامه ، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار ، فمن استطاع منكم أن يتقى النار ولو بشق تمرة " (١).

وهناك أحاديث كثيرة تدل على العرض على الله تعالى يوم القيامة ، ذكرها الامام القرطبى فى التذكرة (٢) ، والحافظ ابن كثير فى النهاية فى الفتن (٣).

قال الامام الشوكانى: " وليس ذلك العرض عليه سبحانه ليعلم به ما لم يكن عالما به ، وانما هو عرض الاختبار والتوبيخ بالأعمال " (٤).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: " تعرضون على عالم السر والنجوى ، الذى لايخفى عليه شىء من أموركم ، بل هو عالم بالظواهر والسرائر والأعمال " (٥).

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه: " حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، فانه أخف

---

(١) البخارى (فتح ١١/ ٤٠٠) فى كتاب (٨١) الرقاق ، باب (٤٩) من نوقش الحساب عذب ، برقم/٦٥٣٩ ، وفى التوحيد ، برقم ٧٤٤٣.
ومسلم (٢/ ٧٠٣) فى كتاب (١٢) الزكاة ، باب (٢٠) الحث على الصدقة ولو بشق تمرة.. ، برقم ١٠١٦ ،
والترمذى (٤/ ٦١١) فى كتاب (٣٨) صفة القيامة والرقائق والورع ، باب (١) فى القيامة ، حديث رقم ٢٤١٥ وقال: حسن صحيح.
(٢) ١/ ٢٧٠ ـ ٢٧٤ . (٣) ٢/ ٢٣٠ ـ ٢٣١ . وانظر كذلك شرح الطحاوية ٤٦٥ ـ ٤٦٦ .
(٤) فتح القدير ٥/ ٢٨٢ . (٥) مختصر تفسير ابن كثير ٣/ ٥٤٣ .

عليكم في الحساب غدا ، وتزينوا للعرض الأكبر » (١) .

وأما ماذهب اليه ابن كمال باشا من أن الأعمال كلها خيرها وشرها سوف يحضرها الله تعالى يوم القيامة ،ويُرِيها صاحبَها فهو كذلك مدلول الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وقول أئمة السلف رضي الله عنهم ..

أما الآيات القرآنية فقد ذكرها ابن كمال باشا وفسرها أحسن تفسير .

وأما الأحاديث النبوية الشريفة التي تدل على تمثل الأعمال يوم القيامة بصور حسنة أو سيئة ورؤية صاحبها إياها (٢) :

فمنها ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي أمامة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اقرأوا القرآن ، فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه ، اقرأوا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران ، فانهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو كأنهما غيايتان (٣) ، أوكأنهما فِرْقان من طير صوافّ تُحَاجان عن أصحابهما ، اقرأوا سورة البقرة فان أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولايستطيعها البطلة (٤) » (٥) .

ومنها أيضا ماأخرجه البيهقي وغيره من حديث طويل في

---

(١) القرطبي :التذكرة ١ / ٣١١ ، ابن كثير :مختصر تفسير ابن كثير ٣ / ٥٤٣ .

(٢) انظر هذا الموضوع عند ابن قيم الجوزية :في حادي الأرواح الى بلاد الأفراح ٢٠١ ـ ٢٠٢

(٣) الغمامة والغياية كل شيء أظل الانسان فوق رأسه .

(٤) البطلة : السحرة .

(٥) مسلم (١ / ٥٥٣)في كتاب (٦)صلاة المسافرين وقصرها ، باب (٤٢)فضل قراءة القرآن و سورة البقرة ، حديث رقم/ ٨٠٤ .

عذاب القبر عن البراء بن عازب ، وفيه " ... ويمثل له ـ اى للمؤمن ـ عمله فى صورة رجل ، حسن الوجه ، طيب الريح ، حسن الثياب ، فيقول : ابشر بما أعد الله لك ، ابشر برضوان من الله ، وجنات فيها نعيم مقيم ، فيقول : بشرك الله بخير ، من أنت ، فوجهك الذى جاء بالخير ؟ فيقول : هذا يومك الذى كنت توعد ، أنا عملك الصالح ، فوالله ماعلمتك الا كنت سريعا فى طاعة الله ، بطيئا عن معصيته ، فجزاك الله خيرا ... " وفى حق الكافر " ... ويتمثل له عمله فى صورة رجل قبيح الوجه ، منتن الريح ، قبيح الثياب ، فيقول : أبشر بعذاب الله وسخطه ! فيقول : من أنت ، فوجهك الوجه الذى جاء بالشر ؟ فيقول : أنا عملك الخبيث ، والله ماعلمتك الا كنت بطيئا فى طاعة الله ، سريعا فى معصيته ... " (١) .

ومنها أيضا ما أخرجه ابن أبى شيبة (٢) ، وابن الضريس عن كعب انه قال : " يمثل القرآن لمن كان يعمل به فى الدنيا يوم القيامة كأحسن صورة رآها ، وأحسنها وجها ، وأطيبها ريحا ، فيقوم بجنب صاحبه ، فكلما جاءه روع هدأ روعه وسكنه وبسط له أمله ، فيقول له : جزاك الله خيرا من صاحب ، فما أحسن صورتك ، وأطيب ريحك ،

(١) أخرجه البيهقى فى عذاب القبر ص ٣٥ ـ ٣٩ وقال : هذا حديث كبير صحيح الاسناد رواه جماعة من الائمة الثقات عن الاعمش " .
وأخرجه أبو داود (٥ / ١١٤) فى كتاب (٣٤) السنة ، باب (٢٧) فى المسألة فى القبر وعذاب القبر ، رقم ٤٥٧٣ ،
وأحمد ٤ / ٢٨٧ ورجاله رجال الصحاح (مجمع الزوائد ٣ / ٥٢) ،
والحاكم فى المستدرك ١ / ٣٧ ـ ٣٨ .

(٢) المصنف ١٠ / ٤٩٣ ـ ٤٩٥ حديث رقم ١٠٠٩٥ .

فيقول له : أما تعرفني ؟ تعال اركبني ، فطالما ركبتك في الدنيا ، أنا عملك ، إن عملك كان حسنا ، فترى صورتي حسنة ، وكان طيبا فترى ريحي طيبة ، فيحمله فيوافي به الرب تبارك وتعالى ، فيقول : يارب - وهو أعرف به منه - قد شغلته في أيامه في حياته في الدنيا ، أظمأت نهاره وأسهرت ليله ، فشفعني فيه ، فيوضع تاج الملك على رأسه يكسى حلة الملك ، فيقول : يارب قد كنت أرغب له عن هذا ، وأرجو له منك أفضل من هذا ، فيعطى الخلد بيمينه والنعمة بشماله ، فيقول : يارب إن كل تاجر قد دخل على أمله من تجارته ، فيشفع في أقاربه . وإن كان كافرا مثل له عمله في أقبح صورة رآها وأنتنها ، فكلما جاءه روع زاده روعا فيقول : قبحك الله من صاحب ، فما أقبح صورتك وما أنتن ريحك ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أما تعرفني ؟ أنا عملك ، ان عملك كان قبيحا فترى صورتي قبيحة ، وكان منتنا فترى ريحي منتنة ، فيقول : تعال أركبك ، فطالما ركبتني في الدنيا ، فيركبه ، فيوافي بطالله ، فلا يقيم له وزنا " (١).

ومنها أيضا ما أخرجه القاضي أبو العلاء صاعد بن محمد الأستوائي (ت ٤٣٢هـ) (٢) ، وابن عبد البر (٣) (واللفظ له) عن ابراهيم النخعي في قوله تعالى : " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة " (٤) ، قال : يجاء بعمل الرجل فيوضع في كفة ميزانه يوم القيامة ، فيخف ، فيجاء بشيء أمثال الغمام أوقال مثل السحاب فيوضع في

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور ٤٦٦/٥ . وهذا الحديث يؤيد ماذكره ابن كمال باشا في تفسير الآية " وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم " .

(٢) كتاب الاعتقاد ، ق /٥٠ ب .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ٤٦/١ ، القرطبي : التذكرة ٣٨٧/١ ، ابن كثير : النهاية في الفتن ٢٢٨/١ .

(٤) الأنبياء/٤٧ .

كفة ميزانه فيرجح ، فيقال له : أتدرى ما هذا ؟ فيقول : لا ، فيقال له : هذا فضل العلم الذى كنت تعلمه الناس ، أو نحو هذا " .

وهذه الأحاديث وأشباهها تدل دلالة قاطعة على ان الأعمال تتمثل بصور حسنة أو سيئة فيراها أصحابها يوم القيامة ...

وهو ما ذهب اليه ترجمان القرآن ، حبر هذه الأمة ابن عباس رضى الله عنهما .

فقد أخرج ابن جرير [١] ، وابن المنذر ، والبيهقى [٢] عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره " [٣] قال : ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا أو شرا فى الدنيا الا أراه الله إياه ، فأما المؤمن فيريه حسناته وسيئاته ، فيغفر له من سيئاته ويثيبه بحسناته ، وأما الكافر فيريه حسناته وسيئاته فيرد عليه حسناته ، ويعذبه بسيئاته " [٤].

وهو كذلك رأى ابن جرير الطبرى امام المفسرين فى تفسيره [٥] .

فما الحكمة من رؤية الناس أعمالهم يوم القيامة واطلاعهم عليها ؟

لقد أشار الى ذلك العلامة ابن كمال باشا بقوله " وذلك اى إبطال حسناتهم بعد ما رأوها – يعنى الكفار – وتوقعوا منها النفع أشد إيجاعا لهم وإيلاما ... وذلك أى العفو والمغفرة بعد ما رأوا – يعنى

(١) جامع البيان ١٧٣/٣٠ ، مع تصحيح بعض ألفاظه .
(٢) كتاب البعث والنشور ص ٨٢ . (٣) الزلزلة/٧ .
(٤) أورده كذلك السيوطى فى الدر المنثور ٥٩٥/٨ .
(٥) انظر رأيه بالتفصيل : جامع البيان ١٧٣/٣٠ ، ٤٤/٢٧ .

المؤمنين ـ سيئاتهم وخافوا عن ضررها أوقع في نفوسهم إفضالا وإنعاما " (١) .

ويقول البقاعي في تفسيره : " الكافر يوقف على ماعمله من خير ، على أنه جوزى به في الدنيا ، أو أنه أحبط لبنائه على غير أساس الايمان ، فهو صورة بلا معنى ، ليشتد ندمه ، ويقوى حزنه وأسفه ، والمؤمن يراه ليشتد سروره به ، وفي جانب الشر يراه المؤمن ويعلم انه قد غفر له ، فيكمل فرحه ، والكافر يراه فيشتد حزنه وترحه " (٢) .

ب ـ أخذ الكتب وقراءتها :

المراد من الكتب : الكتب التي كتبتها الملائكة وأحصوا مافعله كل إنسان من سائر أعماله في الدنيا القولية والفعلية (٣) .

ذهب العلامة ابن كمال باشا الى أن كل جماعة يدعون في الموقف بإمامهم الذي اتبعوه في الدنيا من نبي أو زعيم أو كتاب ، ليعطى كل واحد من المدعوين كتاب عمله . قال في تفسير قوله تعالى " يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم " (٤) : " يدعى كل جماعة من الانس بمن

(١) شرح الحشر في معشر الحشر ق / ٨٠ ب .

(٢) الصابوني : تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ٤/ ٥٨٥ـ٥٨٦ ، وانظر في ذلك أيضا : النيسابوري : غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٢٧/ ٥٣ (بهامش الطبري) .

(٣) السفاريني : لوامع الانوار ٢/ ١٨٠ ، البيجوري : تحفة المريد ١٧٧ .

(٤) الاسراء/ ٧١ .

ائتموا به من نبي أو مقدم في الدين أو كتاب ، أو دين. قال الامام القرطبي (١) : وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى " يوم ندعو كل أناس بإمامهم " فقال : كل يدعى بإمام زمانهم ، وكتاب ربهم ، وسنة نبيهم (٢) ، فيقول : هاتوا متبعي ابراهيم ، هاتوا متبعي موسى ، هاتوا متبعي عيسى عليهم السلام ، هاتوا متبعي الشيطان ، هاتوا متبعي رؤساء الضلالة ، إمامَ هدى وإمام ضلالة " (٣).

ثم قال في قوله تعالى (فمن أوتي كتابه) : " كتاب عمله ، وفيه دلالة على أن الدعوة المذكورة لإعطاء كل من المدعوين كتاب عمله ، فالفاء للتعقيب ... (فأولئك يقرأون كتابهم) لكمال صحوهم ووفور عقلهم ، والذين يؤتون كتابهم بشمالهم فهم لتحيرهم وترددهم لا يقرأون كتابهم ، وأشار اليه في قوله (وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه) (٤) حيث لم يذكر القراءة فيه. ويؤيد هذه الإشارة تعليق القراءة على إتيان الكتاب باليمين ، وفي قوله " ياليتني " دلالة ظاهرة على انطلاق لسانهم وعدم احتباسها عن التكلم ، وتعليق القراءة باتيان الكتب باليمين يدل على من أوتي كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة حبست ألسنتهم عن القراءة (٥) ، ولذلك لم يذكرهم " (٦).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٢٩٧ ، وانظر كذلك : السيوطي : الدر المنثور ٥ / ٣١٦ ـ ٣١٧ .

(٢) أخرجه ابن مردويه عن علي رضي الله عنه مرفوعا كما في الدر المنثور ٥ / ٣١٧ .

(٣) ابن كمال باشا : شرح العشر ٨٢ أ ، وتفسيره ٤٢١ أ (دار الكتب) ، وقد جمع ابن كمال باشا الآثار المروية عن الصحابة والتابعين في تفسير الآية وساقها دون عزو الى أصحابها .

(٤) الحاقة / ٢٥ .

(٥) اى عن القراءة الكاملة : انظر في ذلك : السفاريني : لوامع الانوار ٢ / ١٨١ .

(٦) ابن كمال باشا : شرح العشر ٨٢ ب ، وتفسيره ٤٢١ ب .

ويرى ابن كمال باشا أن الناس جميعا مؤمنهم وكافرهم ، وقارئهم وأميهم يقرأون كتبهم ويطلعون على مافيها حيث يقول : " وان شئت زيادة تحقيق فى أن كل أحد مؤمنا كان أو كافرا ، قارئا كان أو أميا يقرأ كتابه يوم القيامة فاسمع مانتلو عليك ، قال الله تعالى : " وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا " اى هيكلا مصورا بصور أعماله ، "يلقاه منشورا" لظهور تلك الهيئات فيه بالفعل مفصلة ، لامنطوية ، كما كانت قبل ذلك عند كونها فيه بالقوة ، " اقرأ كتابك "(١) على إرادة القول ، فيقرأ قارئا كان أو غير قارئ ، لأن الأعمال هناك متمثلة بصورها وهيئاتها ، فيعرف كل أحد لاعلى سبيل الكتابة بالحروف فلا يعرفها الأمى ، وهذا وجه ما روى عن قتادة (٢) : يقرأ ذلك اليوم من لم يكن فى الدنيا قارئا . "(٣)

---

(١) الاسراء/ ١٣ ــ ١٤ .

(٢) أخرجه ابن جرير فى جامع البيان (١٥/ ٤١) وابن أبى حاتم كذلك (السيوطى : الدر المنثور ٥/ ٢٥٠) .

وقال الحسن أيضا : يقرأ الانسان كتابه أميا أو غير أمى (القرطبى :التذكرة ١/ ٣١٥) .

(٣) ابن كمال باشا : شرح العشر ق ٨٢ ب بشئ من الاختصار ، وتفسيره ٤١٤ (أ) .

ان نشر الصحف وأخذها باليمين والشمال مما يجب الإيمان به لثبوته بالكتاب والسنة والإجماع ، ومن أنكره كفر ..

وأما الكتاب فقوله تعالى " واذا الصحف نشرت " (١) ، قال الثعلبى : اى التى فيها أعمال بنى آدم ، نشرت للحساب (٢) ، وقوله تعالى " فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ، وينقلب الى أهله مسرورا ، وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا " (٣) . وقوله تعالى " وأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه " (٤) .

فهذه الآيات الكريمات والتى ذكرها ابن كمال باشا من قبل تدل دلالة ظاهرة على أن العباد يعطون كتبهم التى كتبتها الحفظة الكرام الكاتبون فى الدنيا ، ويطلعون على مافيها ، ويقرأونها ، " وقراءة الكتب بين يدى الله تعالى فى الموقف حق ثابت ، لقوله تعالى " اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (٥) " (٦) .

وأما الأحاديث التى دلت على أخذ الكتب وقراءتها فقد سبق منها فى عرض الأعمال على الله تعالى " ... وأما الثالثة ـ اى العرضة الثالثة ـ ففيها تنشر الكتب ، فيأخذ الفائز كتابه بيمينه ، والهالك كتابه بشماله " (٧) .

---

(١) التكوير/ ١٠ .
(٢) السفارينى :لوامع الأسرار ٢/ ١٨٠ .
(٣) الانشقاق ٧ ـ ١٢ .
(٤) الحاقة/ ١٩ .
(٥) الاسراء/ ١٤ .
(٦) ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص ١٣ .
(٧) جزء من الحديث الذى قد سبق تخريجه .

وعن عائشة رضى الله عنها أنها ذكرت النار فبكت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مايبكيك ؟ قالت : ذكرت النار فبكيت ، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما فى ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا ، عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل ، وعند الكتاب حين يقال (هاؤم اقرأوا كتابيه) (١) حتى يعلم أين يقع كتابه ، أفى يمينه أم فى شماله أم من وراء ظهره ، وعند الصراط اذا وضع بين ظهرى جهنم " (٢).

وعنها أيضا أنها قالت : يارسول الله ، هل تذكرون أهليكم يوم القيامة ؟ قال : أما فى مواطن ثلاثة فلا ، الكتاب ، والميزان ، والصراط " (٣).

أخرج الترمذى وحسنه (٤) ، والبزار وابن أبى حاتم وابن حبان (٥) والحاكم وصححه وابن مردويه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قول الله " يوم ندعو كل أناس بإمامهم " (٦) ، قال : يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ، ويمد له فى جسمه ستون ذراعا ، ويبيض وجهه ، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤ يتلألأ ، فينطلق الى أصحابه ، فيرونه من بعيد فيقولون : اللهم ائتنا بهذا ، وبارك

---

(١) الحاقة/١٩ .

(٢) أخرجه أبو داود (٥/٦١٦) فى كتاب (٣٤) السنة ، باب (٢٨) فى ذكر الميزان ، رقم الحديث ٤٧٥٥ ،
وأحمد مطولا ٦/١١٠ ، وفى سنده ابن لهيعة وقد وثق وبقية رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ١٠/٣٦٢) .

(٣) أخرجه أحمد ٦/١٠١ .

(٤) الترمذى (٥/٣٠٢) فى كتاب (٤٨) التفسير ، باب (١٨) ومن سورة بنى اسرائيل ، رقم الحديث/٣١٣٦ .

(٥) الموارد ص ٦٤١ ـ ٦٤٢ . (٦) الاسراء/٧١ .

لنا في هذا ، حتى يأتيهم فيقول : أبشروا ، لكل رجل منكم مثل هذا . قال : أما الكافر ، فيسود وجهه ، ويمد له في جسمه ستون ذراعا على صورة آدم ، فيلبس تاجا ، فيراه أصحابه ، فيقولون : نعوذ بالله من شر هذا ، اللهم لاتأتنا بهذا ، قال : فيأتيهم فيقولون : اللهم أخْزِه ، فيقول : أبعدكم الله ، وان لكل رجل منكم مثل هذا " (١).

فنقول بعد عرض رأى ابن كمال باشا،في أخذ الصحف وقراءتها على الآيات الكريمة والأحاديث النبوية : انه تمسك بمذهب السلف فيه حيث إنهم يؤمنون بأخذ العباد صحائفهم وكتبهم من غير تأويل (٢).

٥ ـ الحساب:

المراد من الحساب: توقيف الله تعالى العباد ، قبل الانصراف من المحشر ، على أعمالهم وأقوالهم واعتقاداتهم ، خيرا كانت أو شرا ، تفصيلا (٣) ، وذلك بعد أخذ كتبهم (٤) ، في العرضة الثالثة على الله تعالى ، كما سبق بيانه ..

رأيه في الحساب:

وذهب العلامة ابن كمال باشا الى أن الله تعالى يعرّف عباده بأعمالهم العلانية والسرية ، ويقررهم بها ، ثم يغفر لمن يشاء ،

(١) انظر كذلك :السيوطي :الدر المنثور ٣١٧/٥ .

(٢) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ١٤٦/٣ .

(٣) السفاريني : لوامع الأنوار ١٧١/٢ـ١٧٢ ، الشيخ بخيت :القول المفيد / ٦٤ .

(٤) القرطبي :التذكرة ٣١٥/١ ، السفاريني :لوامع الأنوار ١٧٣/٢ .

ويعذب من يشاء ، وهذا حق ثابت لامحالة " .

قال في تفسير قوله تعالى " وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله " (١) راويا عن الحسن أنه " قال : ليس يعاقب الله تعالى عبدا ، يوم القيامة ، أسرّ عملا أو أعلنه ، من حركة جوارحه ، أو هم في قلبه ، دون أن يعرّفه إياه يوم القيامة حتى يقرّر، ثم يغفر مايشاء لمن يشاء ، ويعذب من يشاء بما شاء (فيغفر لمن يشاء) من أهل المغفرة ، (ويعذب من يشاء) من أهل العقوبة ، وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب. وفي الآية دلالة على وقوع الحساب ، فتكون حجة على من أنكره من المعتزلة والروافض " (٢).

سؤال الرسل ومن أرسل اليهم :

ويرى ابن كمال باشا ان السؤال عام للمكلفين من الإنس والجن ، والرسل ومن أرسل اليهم ، قال في تفسير قوله تعالى (فلنسئلن) اى يجمعن الخلائق ، فلنسئلن (الذين أرسل اليهم) هم الأمم ، عما أجابوا به الرسل ، لقوله تعالى " ماذا أجبتم المرسلين " (٣) ، والمراد به التوبيخ والتقريع ، لاالاستخبار ولاالتقرير ، لقوله تعالى " فعميت عليهم الأنباء يومئذ " (٤) (ولنسئلن المرسلين) (٥) عما أجيبوا به ، لقوله تعالى " يوم يجمع الله الرسل فيقول : ماذا أُجِبتم ؟ " (٦) ، والمنفي في قوله تعالى " ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون " (٧) السؤال

(١) البقرة/ ٢٨٤ .
(٢) ابن كمال باشا : تفسيره ٢٣٣ ب .
(٣) القصص/ ٦٥ .
(٤) القصص/ ٦٦ .
(٥) الأعراف/ ٦ .
(٦) المائدة / ١٠٩ .
(٧) القصص/ ٧٨ .

عن الذنب ، لامطلق السؤال ، فلا ينافي هذا ، حتى يحتاج الى التوفيق بالاختلاف في الأوقات (١) ، أو في معنى السؤال " (٢) .

وهناك بون شاسع بين سؤال الفريق الأول وهم الأمم حيث ان سؤالهم سؤال تعنيف وتعذيب ، وبين سؤال الفريق الثاني ، اذ سؤالهم سؤال تشريف وتكريم (٣) .

وأما نفي السؤال الوارد في بعض الآيات فهو بمعنى استفسار واستخبار - مثل قوله تعالى " فيومئذ لايسأل عن ذنبه إنس ولاجان " (٤) " فلا ينافي ذلك قوله تعالى " أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما " (٥) لأنه سؤال توبيخ وتقرير ، لاسؤال استفسار واستخبار (٦) ... ثم ان النفي المذكور لاينافي مافي بعض الآيات من إثبات السؤال ، لأنه سؤال عن الباعث على الذنب نفسه . قال ابن عباس رضي الله عنه : لايسألون هل عملتم كذا وكذا ، بل يسألون لم عملتم كذا " (٧) ، وهو التوفيق بين قوله تعالى " فوربك لنسألنهم " (٨) وبين هذه الآية " (٩) اي " فيومئذ لايسأل عن ذنبه إنس ولاجان " (١٠) .

---

(١) مثل القرطبي حيث يقول في التذكرة ١ / ٣٥١ : "القيامة مواطن ، فموطن يكون فيه سؤال وكلام ، وموطن لايكون ذلك ، فلاتتناقض الآي والأخبار " وأبي السعود في تفسيره ٨ / ١٨٢ .

(٢) ابن كمال باشا : شرح العشر ٨٣ أ .

(٣) ابن كمال باشا :تفسيره ٢٣٣ ب .

(٤) الرحمن/ ٣٩ . (٥) النمل / ٨٤ .

(٦) قال ابن عباس:حيث ذكر السؤال فهو سؤال توبيخ وتقرير ، وحيث نفي فهو استخبار محض عن الذنب. (الالوسي : روح المعاني ٢٧ / ١١٤).

(٧) الطبري : جامع البيان ١٤ / ٤٦ ، القرطبي :التذكرة ١ / ٣٥١ ، ابن كثير :تفسيره (المختصر) ٣ / ٤٢٠ .

(٨) الحجر/ ٩٢ . (٩) ابن كمال باشا :شرح العشر ٨٣ أ ، وكذلك :رسالة الفرائد ص ٢٧٨ .

(١٠) الرحمن/ ٣٩ .

" وأما عدم السؤال عن الذنب فلعدم الحاجة اليه ، لا بالنظر الى السائل ، وذلك ظاهر ، ولا بالنظر الى الحاضرين إظهارا لاستحقاق المذنبين بالجزاء الموعود لهم ، لظهور الذنب أيضا .

وحينئذ دل على ذلك ما ذكره صاحب التيسير في تفسير قوله تعالى " يومئذ تحدث أخبارها "(١) روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ هذه الآية فقال : أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فان أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها كذا وكذا ، في يوم كذا وكذا ، فهذه أخبارها "(٢) . وقال مقاتل : تخبر بما عمل عليها ، تقول للمؤمن : وحد الله عليّ ، وصلى عليّ ، وصام وحج وزكى ، وتقول للكافر : كفر علي ، وأشرك وزنى وسرق ، حتى ود الكافر انه سبق الى النار .

وما ذكره في تفسير قوله تعالى " وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم "(٣) من أن الكافر اذا خرج عن قبره استقبله شيء هو أقبح الأشياء صورة ، وأخبثها ريحا ، فيقول : أنا عملك الفاسد ، طالما ركبتني في الدنيا فأنا أركبك اليوم(٤) .

وشهادة الأعضاء ، والجلود على ما نطق به نص الكتاب أصدق خبر في هذا الباب "(٥) .

---

(١) الزلزلة/ ٤ .

(٢) أخرج الترمذي (٥/ ٤٤٦) في كتاب (٤٨) تفسير القرآن ، باب (٨٨) (ومن سورة اذا زلزلت) حديث رقم/ ٣٣٥٣ وقال : حديث حسن صحيح .
وابن حبان في صحيحه (الموارد ص ٦٤١) .

(٣) الأنعام/ ٣١ . (٤) سبق تخريجه .

(٥) ابن كمال باشا : شرح العشر ١٨٣ أ ــ ب . قال الله تعالى في شهادة الأعضاء : "ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون ، حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم =

ويرى أيضا ان الله سبحانه وتعالى يحشر الخلائق من الدواب والطير ، فينصف بعضها من بعض ، وأنه يأخذ للجماء من القرناء[(١)]، ثم يصير البهائم ترابا فيود الكافر حالها[(٢)].

هذا ، وان قدرة الله تعالى تتسع لمحاسبة الخلق كلهم معا ، كما تتسع قدرته لاحداث خلائق كثيرة معا . قال تعالى " والله سريع الحساب "[(٣)] : اى سريع حسابه للخلائق مع كثرة أعدادهم وأعمالهم لكمال علمه وقدرته ، ولأنه لايحتاج الى عدد وعقد ، ولا يشغله حساب عن حساب ، ولا لبث فى السؤال والجواب[(٤)].

ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه : وسئل عن محاسبة الخلق ؟ فقال : كما يرزقهم فى غداة واحدة ، كذلك يحاسبهم فى ساعة واحدة[(٥)].

سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ، وقالوا : لجلودهم لما شهدتم علينا ، قالوا انطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون " (فصلت ١٩ ـ ٢١) وقال تعالى " اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون " (يس/ ٦٥) وقال تعالى " يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون " (النور/ ٢٤).

(١) أخرج مسلم (٤/ ١٩٩٧) فى كتاب (٤٥) البر ، باب (١٥) تحريم الظلم برقم ٢٥٨٢ ، والترمذى (٤/ ٦١٤) فى كتاب (٣٨) صفة القيامة ، باب (٢) ماجاء فى شأن الحساب والقصاص ، برقم ٢٤٢٠ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لَتُؤَدُّن الحقوق الى أهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء " .

(٢) ابن كمال باشا : تفسير سورة النبأ ص ٤٠ (ضمن رسائله) ، وتفسيره ١/ ٣٦٤ (الحرم).

(٣) البقرة/ ٢٠٢ ، النور/ ٣٩ .

(٤) ابن كمال باشا : تفسيره ١/ ١٤٧ ، ٣٧٢ ، و ٥٠٤ ب .

(٥) القرطبى : التذكرة ١/ ٢٧٩ .

ـ نـــــقـــــــد ـ

ان الحساب ثابت بالكتاب والسنة واجماع أهل الحق بلا ارتياب (١) .

وأما أدلته من الكتاب فقد ذكرها صاحبنا العلامة ابن كمال باشا وبينها على أحسن وجه وأبينه .

وأما الأحاديث الدالة على الحساب يوم القيامة فكثيرة :

منها ما أخرجه الترمذى عن أبى برزة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيم فعل ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه " (٢).

وقال : حسن صحيح .

ومنها ما أخرجه الشيخان عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وقد سبقت الإشارة اليه عند الكلام عن عرض الأعمال على الله تعالى (٣).

ومنها ما أخرجه البخارى وغيره عن صفوان بن محرز المازنى قال : بينما أنا أمشى مع ابن عمر رضى الله عنهما آخذ بيده ، اذ عرض رجل فقال : كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النجوى ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول : أتعرف ذنب

---

(١) السفارينى : لوامع الأنوار ٢/١٧١ .

(٢) الترمذى (٤/٦١٢) فى كتاب (٣٨) صفة القيامة ، باب (١) فى القيامة ، رقم الحديث ٢٤١٧ .

(٣) ص / ٥٨٦ .

كذا ، أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : نعم أى رب ، حتى اذا قرّره بذنوبه ، ورأى فى نفسه أنه هلك قال : سترتها عليك فى الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى كتاب حسناته ، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد : (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) (١) " (هود / ١٨) .

فان الناس متفاوتون فى السؤال والحساب ، فمنهم من يحاسب حسابا يسيرا بلا مناقشة ولاتشديد ، وانما تعرض عليهم أعمالهم ، ثم ان الله تعالى يتجاوز عن سيئاتهم ويغفرها لهم كما بينه حديث عائشة و صفوان بن محرز المازنى السابق ذكرهما ..

ومنهم من يحاسب حسابا عسيرا ، مناقشة وتدقيقا ، فهؤلاء لابد أن يهلكوا أو يعذّبوا كما ورد أيضا فى الحديثين السابقين ، وفى قوله تعالى " فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير " (٢).

ومنهم من يدخل الجنة بغير حساب كما ورد فى الأحاديث الصحاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) ، وعموم الآيات الكريمة مخصوص بأحاديث من يدخل الجنة بغير حساب " (٤) .

---

(١) البخارى (الفتح ٥ / ٩٦) فى كتاب (٤٦) المظالم ، باب (٢) قول الله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين) ، حديث رقم ٢٤٤١ ، وأيضا برقم ٧٥١٤ .
وابن ماجه (١ / ٦٥) فى المقدمة ، باب (١٣) فيما أنكرت الجهمية ، برقم ١٨٣ .
والإمام أحمد ٢ / ٧٤ ، ١٠٥ .

(٢) المدثر ٨ ــ ١٠ .

(٣) انظر الأحاديث الواردة فى ذلك : ابن كثير : النهاية فى الفتن ٢ / ٢٥٣ ــ ٢٦٠ ، ٤١٢ ــ ٤١٣ ، القرطبى : التذكرة ٢ / ٢٣ ــ ٢٨ ، البخارى (الفتح) ١١ / ٤٠٥ ــ ٤٠٦ ، مسلم ١ / ١٩٧ ــ ٢٠٠ .

(٤) السفارينى : لوامع الأنوار ٢ / ١٧٥ .

أخرج الشيخان عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفا — أو سبعمائة ألف (شك فى أحدهما) — متماسكين ، آخذ بعضهم ببعض ، حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة ، ووجوههم على ضوء القمر ليلة البدر " (١) واللفظ للبخارى •

هذا ، وقد سلك العلامة ابن كمال باشا مذهب ابن عباس رضى الله عنهما فى التوفيق بين الآيات المثبتة للسؤال ، اذ هو سؤال توبيخ وتقريع ، وسؤال عن الباعث على الذنب ، وبين الآيات النافية له ، اذ المنفى سؤال استخبار واستفسار ، وسؤال عن الذنوب نفسها ، ولا داعى الى السؤال عنها ، لأن الأعمال يوم القيامة متصورة ومتمثلة كما سبق رأيه مفصلا فى عرض الأعمال على الله تعالى ، وأن الشهود من الأرض ، وأعضاء الإنسان تشهد على ما فعله العبد فى الدنيا ، وذلك عند الانكار ، وأن الله تعالى " يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور " (٢) و " يعلم السر وأخفى " (٣) •

يقول امام المفسرين الطبرى فى جامع البيان (٤) فى معرض التوفيق بين الآيات : " فأما الذى هو عن الله منفى من مسألته خلقه ، فالمسألة التى هى مسألة استرشاد واستثبات فيما لا يعلمه السائل عنها ويعلمه المسئول ، ليعلم السائل علم ذلك من قبله ،

(١) البخارى (الفتح ١١/٤٠٦) فى كتاب (٨١) الرقاق ، باب (٥٠) يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب ، رقم/ ٦٥٤٣ •

مسلم (١/١٩٧) فى كتاب (١) الايمان ، باب (٩٤) الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ، رقم/ ٣٧٣ •

(٢) غافر/١٩ • (٣) طه/٧ •

(٤) ١٢/٣٠٨ (ط • محمود شاكر).

فذلك غير جائز أن يوصف الله به ، لأنه العالم بالأشياء كلها قبل كونها ، وفي حال كونها ، وبعد كونها ، وهي المسألة التي نفاها جل ثناؤه عن نفسه بقوله " فيومئذ لايسأل عن ذنبه إنس ولاجان " (١) ، وبقوله " ولايسأل عن ذنوبهم المجرمون " (٢)، يعني لايسأل عن ذلك أحد منهم مسألة إستثبات ، ليعلم علم ذلك من قبل مَن سأل منه ، لأنه العالم بذلك كله ، وبكل شيء غيره " .

٦ ـ الميزان والوزن:

الوزن في اللغة " وضع الشيء بإزاء المعيار بما يظهر منزلته منه في ثقل المقدار الى الزيادة.

وفي الشرع: " هو عبارة عما يعرف به مقادير الأعمال " (٣).

وقيل :هو " ما توزن به أعمال العباد " (٤).

والوزن: " لاظهار مقادير الأعمال ، ليكون الجزاء بحسبها " (٥)، هذا هو معنى الميزان عند علماء العقيدة.

---

(١) الرحمن/ ٣٩ . (٢) القصص/ ٧٨ .

(٣) النسفي :الاعتماد ، ق/ ٩٧ (أ) ، القاري: شرح الأمالي ص ٤٠ ، الصابوني : البداية ص ٩٢ .

(٤) شيخ الاسلام ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٤/ ٣٠٢ ، الشيخ بخيت: القول المفيد / ٦٠ .

(٥) القرطبي : التذكرة ١/ ٣٧٧ ، ابن كثير: النهاية في الفتن والملاحم/ ٢٢٢ .

رأى العلامة ابن كمال باشا فى الميزان والوزن :

واذا ذهبنا الى ابن كمال باشا لنطلع على رأيه فى الميزان فانه يرى أن صحائف أعمال العباد هى التى توزن يوم القيامة بميزان حقيقى ، له لسان وكفتان ، ويتمسك فى ذلك بما ورد فى الأخبار الصحاح ، وظواهر النصوص ، فيقول : " الجمهور على أن صحائف الأعمال توزن بميزان ، له لسان وكفتان ، ينظر اليه الخلائق، إظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة " (١) . وهو لايكتفى باثبات هذا ، وانما ينتقد كل من يخالف ذلك . فقد عرض لرأى الضحاك والأعمش ثم كر عليهما بالنقد ، مفندا أدلتهما ومبطلا إياها من خلال ما ثبت من النصوص ، مقتفيا فى ذلك أثر أهل السنة والجماعة .
قال : " قال الضحاك والأعمش : الوزن والميزان بمعنى العدل فى القضاء ، وذكر الميزان ضرب مثل ، كما تقول : هذا الكلام فى وزن هذا وفى وزانه ، أى يعادله ويساويه ، وإن لم يكن هناك وزن .
وقال الزجاج : هذا شائع من جهة اللسان " (٢) .

وبين أن قولهم هذا مخالف لما ورد فى الأسانيد الصحاح ، وإجماع الأمة على الأخذ بظواهر النصوص ومنع التأويل فى القرون الفاضلة الأولى ، وعضد رأيه بقول الإمامين القشيرى والقرطبى ، قال : " والأولى أن يتبع ما جاء فى الأسانيد الصحاح من ذكر الميزان .
ولقد أحسن القشيرى حيث قال : لو حمل الميزان على هذا ، فليحمل الصراط على الدين الحق ، والجنة والنار على مايرد على الأرواح

(١) ابن كمال باشا : رسالة فى حقيقة الميزان ٢ / ٣٨١ ، وتفسيره ق ٢٣٢ ب .
(٢) ابن كمال باشا : رسالة فى حقيقة الميزان ٢ / ٣٨١ .

دون الأجساد (من الأحزان والأفراح)(١) ، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة ، والملائكة على القوى المحمودة "(٢) .

ثم قال العلامة ابن كمال باشا : " وقد اجتمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل . قال الامام القرطبي في سورة الأعراف(٣) : " واذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظاهر ، وصارت هذه الظواهر نصوصا "(٤) .

وقد استدل العلامة ابن كمال باشا بحديث قدسي على أن الميزان فوق السماوات السبع ، فقال : " وروى عن النبي عليه السلام أن الله تعالى يقول يوم القيامة لآدم عليه السلام : أبرز الى جانب الكرسي عند الميزان ، وانظر الى مايرد اليك من أعمال بنيك ، فمن رجح خيره على شره مثقال حبة فله الجنة ، ومن رجح شره على خيره مثقال ذرة فله النار ، حتى تعلم أني لا أعذب إلا ظالما "(٥) .
أقول : دل الحديث على أن الميزان فوق السماوات السبع "(٦) .

---

(١) مابين المعقوفتين زيادة من التذكرة للقرطبي ١ / ٣٨٣ .
(٢) ابن كمال باشا : رسالة في حقيقة الميزان ٢ / ٣٨١ .
(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٧ / ١٦٥ .
(٤) ابن كمال باشا : رسالة في حقيقة الميزان ٢ / ٣٨١ .
(٥) جزء من الحديث الذي أخرجه ابن أبي الدنيا عن الحسن كما في " النهاية في الفتن والملاحم " لابن كثير ٢ / ٢٢٨ ، والحكيم الترمذي في " نوادر الأصول " ٢ / ٦٦ عن أبي هريرة بلفظ : " ... يا آدم قد جعلتك حكما بيني وبين ذريتك ، قم عند الميزان ، فانظر مايرفع اليك من أعمالهم ، فمن رجح منهم خيره على شره مثقال ذرة فله الجنة ، حتى تعلم أني لاأدخل النار منهم الا ظالما " ، وليس فيهما عند المتقي في كنز العمال " ١٤ / ٦٤٤ لفظ " .. الى جانب الكرسي ... " ولفظ " ومن رجح شره على خيره مثقال ذرة فله النار . " .
(٦) ابن كمال باشا : رسالة في حقيقة الميزان ٢ / ٣٨٢ .

ونرى العلامة ابن كمال باشا يستدل بحديث أنس رضي الله عنه على أن الوزن بعد اجتياز الصراط ، لأنه على متن جهنم ، والسماوات السبع طبقاتها ، يقول في ذلك : " فالوزن بعد العبور عن الصراط ، لأنه على متن جهنم ، والسماوات السبع طبقاتها ، يشهد بذلك أي أن الميزان وراء الصراط ما رواه الترمذي عن أنس رضي الله عنه - وقال : حديث حسن - ، وهو أنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة ، قال : أنا فاعل إن شاء الله تعالى ، قلت : فأين أطلبك ؟ قال : أول (ماتطلبني) (١) على الصراط ، قلت : فان لم ألقك ؟ قال : فاطلبني عند الحوض ، قلت : فان لم ألقك ؟ قال : فاطلبني عند الميزان ، فاني لاأخطىء هذه الثلاثة مواطن " (٢)

وأما مسألة وزن أعمال الكفار يوم القيامة فيرى ابن كمال باشا أن أعمالهم توزن لعموم ظواهر الآيات والأحاديث الكثيرة .. قال في تفسير قوله تعالى " ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون " (٣) اي يجحدون ، قد دل على أن الكفار أعمالهم أيضا توزن ، وأن من خفت موازينهم هم الكفار " (٤) . ثم

---

(١) في المطبوعة : طلبني ، والتصويب من " الترمذي " ، ومن نسخة المحمودية ٢٥٩٧ ق/ ١١١ (أ) .

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٢١-٦٢٢) في كتاب (٣٨) صفة القيامة ، باب (٩) ماجاء في شأن الصراط ، حديث رقم ٢٤٣٣ ، وقال : هذا حديث حسن غريب لانعرفه الا من هذا الوجه .
والامام أحمد ٣/ ١٧٨ .
وفي الترمذي وأحمد والتذكرة للقرطبي ١/ ٤١٠ ، والنهاية لابن كثير ١/ ٢٠٨ ذكر أولا : الصراط ، ثم الميزان ، ثم الحوض . وقد قدم ابن كمال باشا ذكر الحوض على الميزان كما ترى .

(٣) سورة الأعراف/ ٩ .   (٤) ابن كمال باشا : رسالة في حقيقة الميزان ٣٨٣ .

مضى يؤكد رأيه فى ذلك قائلا : " فان قلت: أليس قد دل قوله تعالى " فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا " (١) على أن الكافر لايوزن؟ قلت: لا ، لانه فى حق منكر الحشر من الكفار ، لافى حق الكافر مطلقا ، دل على ذلك سياق الآية المذكورة ، وهو قوله تعالى " أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم " ولابعد فى اختصاص الحكم المذكور بهذا النوع من الكافر ، على أنهم أولوا عدم إقامة الوزن بالازدراء به ، وقالوا فى تفسيره: أى لانجعل لهم خطرا وقدرا " (٢).

وذكر العلامة ابن كمال باشا عن حذيفة رضى الله عنه أنه قال : " صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام. يقول الله تعالى : ياجبريل : زن بينهم ، فرد من بعضهم على بعض. قال : وليس ثمة ذهب ولافضة ، فان كان للظالم حسنات أخذ من حسناته فرد على المظلوم ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات المظلوم فيحمل على الظالم ، فيرجع الرجل وعليه مثل الجبال " (٣).

---

(١) سورة الكهف/ ١٠٥.

(٢) ابن كمال باشا : رسالة فى حقيقة الميزان ٣٨٣ .

(٣) ابن كمال باشا : رسالة فى حقيقة الميزان. والحديث أخرجه ابن أبى الدنيا بطوله مع اختلاف فى بعض الألفاظ ، كما فى " النهاية " لابن كثير ٢٢٧ ، وذكره ابن جرير واللالكائى مختصرا كما فى " التذكرة " للقرطبى ١/ ٣٩٠ ، و " لوامع الأنوار " للسفارينى ٢/ ١٨٥ ، مرعى بن يوسف الكرمى : تحقيق البرهان فى إثبات حقيقة الميزان ص ٣٠ .

ـ تحليل ونقد ـ

نلاحظ ان ابن كمال باشا سلك طريق السلف في إثبات الوزن والميزان ـ كما هو منهجه في المباحث السمعية ـ ولم يخرج عن رأيهم ، حيث استدل على إثبات الوزن والميزان بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، وذكر ان " الميزان حق ثابت ، لقوله تعالى " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة " (١) ، ولقوله تعالى " والوزن يومئذ الحق ، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون " (٢) . كما استدل فيه بالأسانيد الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثيرة ، اذ " بلغ القدر المشترك منها حد التواتر ، والحمل على الحقيقة ممكن فيجب الايمان بذلك بلا تأويل " (٣) .

أ ـ وماذهب اليه من أن صحائف الأعمال هي التي توزن يوم القيامة ، فهو مذهب المفسرين من أهل السنة والجماعة (٤) . قال العلامة السفاريني : " والحق ـ ماقدمناه ـ أن الموزون صحف الأعمال ، وصححه ابن عبد البر والقرطبي وغيرهما ، وصوبه الشيخ مرعي في بهجته (٥) ، وذهب اليه جمهور من المفسرين . وقد سئل رسول

---

(١) سورة الأنبياء/٤٧ . ابن كمال باشا : رسالة المنيرة ص ١٣ .

(٢) سورة الأعراف/٨ ـ ٩ . ابن كمال باشا : شرح العشر في معشر الحشر ٨٧ ب .

(٣) الشيخ بخيت: القول المفيد ص ٦١ ، وانظر كذلك : السفاريني : لوامع الأنوار البهية ١٨٥/٢ ، مرعي بن يوسف الكرمي : تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان ٢٥ ـ ٢٦ .

(٤) انظر : الفخر الرازي : مفاتيح الغيب ٢٥/١٤ ، الكرمي : تحقيق البرهان ص ٣٢ .

(٥) وكذلك في تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان ص ٢٥ ، ٣٢ ـ ٣٣ .

الله صلى الله عليه وسلم عما يوزن يوم القيامة ، فقال : الصحف ، ذكره الفخر الرازى (١) ، وغيره (٢) ، وحكاه ابن عطية عن أبى المعالى ..." (٣) . وقال ابن عطية الغرناطى المفسر : وهو أقربها (٤) .

ويؤيد ذلك حديث البطاقة الذى رواه الامام الترمذى وحسنه ، وابن ماجه ، والامام أحمد ، وابن حبان فى صحيحه ، والحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله سيخلص رجلا من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا ، كل سجل مثل مد البصر ، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتى الحافظون ؟ فيقول : لا يارب ، فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يارب ، فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة ، فانه لاظلم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة فيها " أشهد ان لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله " فيقول : احضر وزنك ، فيقول : يارب ، وما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فقال : انك لاتظلم ، قال : فتوضع السجلات فى كفة ، والبطاقة فى كفة ، فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة ، فلا يثقل مع اسم الله شىء" (٥) .

---

(١) مفاتيح الغيب ١٤/ ٢٥ .

(٢) مثل : النسفى فى "الاعتماد " ق / ٩٧ ب .

(٣) السفارينى : لوامع الأنوار البهية ٢/ ١٨٧ ، مرعى بن يوسف الكرمى : تحقيق البرهان فى إثبات حقيقة الميزان ٣٢ ــ ٣٣ .

(٤) انظر : الكرمى : تحقيق البرهان ص ٣٣ .

(٥) أخرجه الترمذى فى السنن (٥/ ٢٤ ــ ٢٥) فى كتاب (٤١) الايمان ، باب (١٧) ماجاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا اله الا الله ، حديث رقم/ ٢٦٣٩ .
وابن ماجه فى السنن (٢/ ١٤٣٧) فى كتاب (٣٧) الزهد ، باب (٣٥) مايرجى من رحمة الله يوم القيامة ، حديث رقم/ ٤٣٠٠ ، وقال بدل قوله فى أول الحديث : " ان الله سيخلص رجلا من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة : يصاح برجل من =

ب ـ وقد وردت أحاديث أخرى بوزن الأعمال أنفسها ، وان كانت أعراضا ، الا ان الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجساما ، كما في " صحيح مسلم " (١) عن أبى مالك الأشعرى، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان .. " .

وفى الصحيحين (٢) أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : " كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان الى الرحمٰن : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم " واللفظ لمسلم.

وفى حديث آخر صحيح : " ... اقرأوا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران . فانهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو كأنهما غيايتان (٣) ، أو كأنهما فِرْقان من طير صواف (٤) ، تحاجان عن أصحابهما ... " (٥)

أمتى على رؤوس الخلائق ..." وذكر الحديث، والامام أحمد فى المسند ٢/ ٢١٣ ، وفى روايته : " فلا يثقل شىء بسم الله الرحمن الرحيم " .
والحاكم فى المستدرك ١/ ٦ وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى .
انظر كذلك : تخريج أحاديث شرح العقائد ص ٥٥ للسيوطى ، وفرائد القلائد فى تخريج أحاديث شرح العقائد ص ٣٩ للقارى .

(١) (١/ ٢٠٣) فى كتاب (٢) الطهارة ، باب (١) فضل الوضوء ، حديث رقم ٢٢٣ .

(٢) البخارى (فتح ١٣/ ٥٣٧) فى كتاب (٩٧) التوحيد ، باب (٥٨) قول الله تعالى "ونضع الموازين القسط ليوم القيامة" ، حديث رقم ٧٥٦٣ .
ومسلم (٤/ ٢٠٧٢) فى كتاب (٤٨) الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب (١٠) فضل التهليل والتسبيح والدعاء ، حديث رقم ٢٦٩٤ .

(٣) الغمامة والغياية : كل شىء أظل الانسان فوق رأسه .

(٤) اى قطيعان أو جماعتان .

(٥) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٣) فى كتاب (٦) صلاة المسافرين وقصرها ، باب (٤٢) فضل =

جـ - وقد جاء أيضا ان العامل نفسه يوزن كما أخرج البخارى (١) ومسلم (٢) عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " انه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة ، لا يزن عند الله جناح بعوضة ، وقال : اقرأوا " فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا " (٣).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٤) : " وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحا ، فتارة توزن الأعمال ، وتارة توزن محالها ، وتارة يوزن فاعلها ، والله أعلم ".

وأما استدلاله بحديث قدسى على أن الميزان فوق السماوات السبع بين الجنة والنار فيؤيده ما ذكره الحكيم الترمذى فى " نوادر الأصول " (٥) ، ونقله عنه القرطبى فى " التذكرة " (٦) ، وابن كثير فى " النهاية فى الفتن " (٧) فقال : " وجاء فى الخبر : ان الجنة يؤتى بها فتوضع عن يمين العرش يوم القيامة ، والنار عن يسار العرش ، ويؤتى بالميزان فينصب بين يدى الله تعالى ، وكفة الحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة ، وكفة السيئات عن يسار

قراءة القرآن وسورة البقرة ، حديث رقم / ٨٠٤ ،
والامام أحمد ٥/ ٢٥١ ، ٢٥٥ .

(١) فى الصحيح (فتح ٨/ ٤٢٦) فى كتاب (٦٥) التفسير ، سورة الكهف ، باب (٦) " أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم " ، حديث رقم ٤٧٢٩ .

(٢) فى الصحيح (٤/ ٢١٤٧) فى كتاب (٥٠) صفات المنافقين وأحكامهم ، حديث رقم/ ٢٧٨٥ .

(٣) سورة الكهف/ ١٠٥ .

(٤) مختصر تفسير ابن كثير ٢/ ٧ ، وانظر كذلك : ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ٤٧٣ - ٤٧٥ .

(٥) ١ / ٢٢٠ . (٦) ١/ ٣٨٣ . (٧) ص ٢٢٩ .

العرش مقابل النار" .

وكذلك ماذكره الفخر الرازي في تفسيره (١) : " عن عبد الله بن سلام ان ميزان رب العالمين ينصب بين الجن والانس ، يستقبل به العرش ، إحدى كفتي الميزان على الجنة ، والأخرى على جهنم ، ولو وضعت السماوات والأرض في إحداهما لوسعتهن ، وجبريل آخذ بعموده ينظر الى لسانه".

وأما ذكر العلامة ابن كمال باشا السماوات السبع مكانا لجهنم ، وطبقات لها ، فهو غير وارد في الأحاديث والآثار ، بل الوارد عكس ذلك .

روى الامام البيهقي في " البعث والنشور " (٢) عن عبد الله بن سلام أنه قال : " الجنة في السماء ، والنار في الأرض " .

وروى أيضا عن أبي الزعراء قال : قال عبد الله : " الجنة في السماء السابعة العليا ، والنار في الأرض السابعة السفلى " (٣) ثم

---

(١) ٢٥/١٤ ، وانظر كذلك : السفاريني : لوامح الأنوار البهية ١٨٤/٢ ، والكرمي : تحقيق البرهان ص ٢٨ .

(٢) ص ٢٦٤ . وهذا الحديث جزء من الحديث الذي أورده ابن حجر في " المطالب العالية " (٢٩/٤ و ٣٨٢) وعزاه الى الحارث . وقال محققه الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي في تعليقه على هذا الحديث (ص ٣٨٣ هامش) : " وساقه البوصيري بلفظ الحاكم ، وحكى عنه أنه قال : حديث صحيح الاسناد ، وليس بموقوف ، فان عبد الله ابن سلام مع تقدمه في معرفة قديمة من جملة الصحابة ، وقد اسنده بذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير موضع ، والله أعلم " . الحاكم : المستدرك ٥٦٩/٤ .
وروى الحديث كذلك ابن خزيمة ، وابن أبي الدنيا كما في التخويف من النار لابن رجب الحنبلي ص ٤٥ .

(٣) البعث والنشور ٢٦٦ . ورواه كذلك أبو نعيم في الحلية ١٠٣/٧ ، ورواه ابن =

قرأ "إن كتاب الأبرار لفي عليين"، "وإن كتاب الفجار لفي سجين" (١).

وقال الامام البيهقي بعد أن ذكر الأحاديث والآثار في موضع الجنة والنار: "حديث البراء بن عازب (٢)، وأبي هريرة (٣) في عذاب القبر ، وماذكرا عن النبي صلى الله عليه وسلم في موضع روح المؤمن (٤) يدل على هذا" اى على أن الجنة في السماء، والنار في الأرض، والله تعالى أعلم.

ثم ان ابن كمال باشا نفسه يقول في تفسير قوله تعالى: "يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار" (٥) : " ولايبعد أن يجعل الله تعالى الأرض جهنم ، والسموات الجنة ، على ما أشعر به قوله تعالى "كلا إن كتاب الفجار (٦) لفي سجين" (٧)

منده وزاد فيه: " فاذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء" كما في التخويف من النار ص ٤٥ .

(١) سورة المطففين، الآية ١٨ و ٧ .

(٢) أخرجه البيهقي في "عذاب القبر" ٣٥ــ ٣٩ و ٥٨ــ ٦١ ورواه عن أبي هريرة بطرق عديدة، وقال فيه ص ٣٩: " هذا حديث كبير، صحيح الإسناد ، رواه جماعة من الأئمة الثقات عن الأعمش ".

(٣) أخرجه البيهقي أيضا في "عذاب القبر" ٤٧ــ ٥٠ وذكر طرق الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) وفي حديث البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في روح المؤمن : "... حتى ينتهي به الى السماء الدنيا ، فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها حتى ينتهي بها الى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين في السماء السابعة ..."

وقال في روح الكافر: "...حتى ينتهي بها الى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم "لاتفتح لهم أبواب السماء" (الأعراف/ ٤٠)الى آخر الآية. قال : فيقول الله تبارك وتعالى :اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السابعة السفلى ...".

(٥) ابراهيم/ ٤٨ .   (٦) في تفسير ابن كمال باشا :كتاب الأبرار، وهو خطأ ظاهر.

(٧) المطففين/ ٧ .

وقوله "كلا ان كتاب الأبرار لفي عليين" (١).

والحاصل: أن الجنة فوق السماء السابعة، وسقفها العرش، وأن النار في الأرض السابعة على الصحيح المعتمد، وبالله التوفيق (٢).

وأما رأيه في وزن أعمال الكفار يوم القيامة:

١ — فهو يتناسب وعموم ظواهر الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة، كما قال القاضي منذر بن سعيد البلوطي: "وظواهر أكثر الآيات والأحاديث تقتضي وزن أعمال الكفار، وأول لها ما اقتضى ظاهره خلاف ذلك، وهو قليل بالنسبة اليها" (٣).

وقال العلامة الآلوسي في تفسير الآية الثامنة والتاسعة من سورة الأعراف: "وظاهر النظم الكريم أن الوزن ليس مختصا بالمسلمين، بل الكفار أيضا توزن أعمالهم التي لا تتوقف لها على الاسلام، والى ذلك ذهب البعض.. (٤) وذهب الكثير الى أن الوزن مختص بالمسلمين" (٥).

٢ — ان الكفار مخاطبون بأصول الدين وفروعه، مسئولون عنها، محاسبون بها، مجزيون على الإخلال بها، لأن الله تعالى يقول "وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة" (٦) فهي وعيد لهم على منعهم الزكاة، ويقال للمجرمين "ما سلككم في سقر، قالوا لم نك من المصلين..." (٧).

---

(١) المطففين/١٨. تفسير ابن كمال باشا ق ٣٨٥ (أ).

(٢) السفاريني: لوامع الأنوار ٢/٢٣٩.

(٣) الآلوسي: روح المعاني ١٧/٥٥، وانظر كذلك: ٣٠/٢٨٤.

(٤) مثل الحليمي في المنهاج ١/٣٨٧، والقرطبي في التذكرة ١/٣٧٧، وابن كثير في النهاية/٢٢٩، والقاري في شرح الفقه الأكبر/١٤٠ وغيرهم.

(٥) الآلوسي: روح المعاني ٨/٨٥.   (٦) فصلت ٦ — ٧.

(٧) المدثر ٤٢ — ٤٣. انظر: الحليمي: المنهاج ١/٣٨٧، القرطبي: التذكرة ١/٣٧٧ — ٣٧٨.

٣ ـ يدل على محاسبة الكفار، ووزن أعمالهم قوله تعالى " فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون، تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون، ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون " (١).

٤ ـ " قال أكثر المفسرين: المراد من قوله " ومن خفت موازينه " الكافر، والدليل عليه القرآن والخبر والأثر. أما القرآن فقوله تعالى " فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون " (٢) ولا معنى لكون الانسان ظالما بآيات الله الا كونه كافرا بها، منكرا لها، فدل على أن المراد من هذه الآية أهل الكفر ... أما الأثر: فلأن ابن عباس وأكثر المفسرين حملوا هذه الآية على أهل الكفر " (٣).

٥ ـ وأما الذين يقولون بعدم وزن أعمال الكفار فيستدلون بظاهر الآية الكريمة " فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا " (٤). قال الحافظ ابن كثير في تفسيرها: " لا نثقل موازينهم، لأنها خالية عن الخير " (٥).
وأخرج البخاري في تفسير هذه الآية الكريمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرأوا " فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا " (٦).

وقال ابن أبي حاتم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يؤتى بالرجل الأكول الشروب العظيم، فيوزن بحبة فلا يزنها " قال، قرأ " فلا نقيم لهم يوم

(١) المؤمنون ١٠٢ ـ ١٠٥. (٢) الأعراف/٩.
(٣) الفخر الرازي: مفاتيح الغيب ١٤/٢٧، وانظر كذلك: الحليمي: المنهاج ١/٣٨٧، القرطبي: التذكرة ١/٣٧٧ ـ ٣٧٨.
(٤) الكهف/١٠٥. (٥) مختصر تفسير ابن كثير ٢/٤٣٩. (٦) قد سبق تخريجه.

القيامة وزنا "(١) . وهذه الأحاديث وردت في تفسير هذه الآية الكريمة ، وهي صريحة بوزن أعمال الكافر .

٦ ـ على أن بعض المفسرين ذكروا في معنى هذه الآية أقوالا :

أ ـ إنما يثقل الميزان بالطاعة ، وإنما توزن الحسنات والسيئات ، والكافر لاطاعة له .

ب ـ انهم لايعتد بهم ، ولايكون لهم عند الله قدر ولا منزلة (٢) .

جـ ـ انه قال " فلانقيم لهم " لأن الوزن عليهم ، لالهم ، ذكره ابن الأنباري (٣) .

د ـ انه تعالى لايقيم لهم وزنا نافعا ، وهي نظير قوله تعالى " وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا " كالهباء في عدم نفعه ، وحصول فائدته (٤) .

فما الحكمة من وزن أعمال المؤمنين والكفار ، مع ان الله تعالى عالم بكل شيء ، فيعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ؟

وأشار صاحبنا ابن كمال باشا الى حكمة الميزان بقوله " اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة " .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : " وقد توزن أعمال السعداء وان كانت راجحة ، لاظهار شرفهم على رؤوس الأشهاد ، والتنويه بسعادتهم ونجاتهم ، وأما الكافر فتوزن أعمالهم وان لم تكن لهم حسنات تنفعهم ، يقابل بها كفرهم ، لاظهار شقائهم وفضيحتهم على رؤوس الخلائق " (٥) والله أعلم .

---

(١) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (المختصر) ٤٣٩/٢ ، والنهاية في الفتن والملاحم ٢٢٥/٢ .

(٢) انظر : الشوكاني : فتح القدير ٣١٦/٣ ، الرازي : مفاتيح الغيب ١٧٤/٢١ .

(٣) ابن الجوزي : زاد المسير في علم التفسير ١٩٨/٥ .

(٤) السفاريني : لوامع الأنوار ١٨٥/٢ .

(٥) ابن كثير : النهاية في الفتن والملاحم ٢٢٩/٢ ، وانظر كذلك : القرطبي : التذكرة ٣٨٤/١ ـ ٣٨٥ .

٧ ـ الصراط:

أصل الصراط: الطريق ، ولكنه طريق " لا التواء فيه ، ولا اعوجاج بل يكون على جهة القصد " (١) . ويلفظ بالسين أيضا ـ وهو الأصل ـ فيقال : السراط ، واشتقاقه من " سرط " اى ابتلع ، وبابه: تعب.

وقيل : سمى بذلك لأنه يسترط السابلة (المارة) اى يبتلعهم (٢) .

وأما الصراط فى اصطلاح علماء الشرع فيطلق على معنيين :

(أحدهما) فى الدنيا : وهو المنهج الذى شرعه الله تعالى لعباده ، وأمرهم باتباعه والتزامه ، وهو المعنىّ بقوله تعالى " وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه " (٣) وقوله تعالى " اهدنا الصراط المستقيم " (٤).

(ثانيهما) فى الآخرة : وهو الجسر الذى ينصب على نار جهنم يوم القيامة ، فيجتاز عليه الناس على اختلاف مذاهبهم وأضرابهم وتفاوت درجاتهم (٥) ، " فمنهم من يمر كلمح البصر ، ومنهم من يمر كالبرق الخاطف ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كالفرس الجواد ، ومنهم من يمر كركاب الابل ، ومنهم من يعدو عدوا ، ومنهم من يمشى مشيا ، ومنهم من يزحف زحفا ، ومنهم من يخطف فيلقى فى جهنم ، فان الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم " (٦)

ومن استقام على الصراط الذى هو دين الحق فى الدنيا ،

---

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٩ ، وشرح الأربعين ص ٤٧ .

(٢) الفيروزآبادى :القاموس ٢/٣٧٧ ، الفيومى :المصباح المنير ١/٢٧٤ (سرط)

(٣) سورة الأنعام/ ٣ .   (٤) سورة الفاتحة/٦ .

(٥) د.البوطى :كبرى اليقينيات الكونية ٣٥٣ ، ابن كمال : شرح الأربعين ص ٤٧ ، ورسالة فى بيان عقيدة أهل السنة ١٩٣ب (مكتبة الحرم المكى ١٥١/ ٦٠).

(٦) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٣/١٤٦ ـ ١٤٧ .

استقام على هذا الصراط فى الآخرة.

قال الامام الغزالى : " فمن استقام فى هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا ، ومن عدل عن الاستقامة فى الدنيا ، وأثقل ظهره بالأوزار وعصى ، تعثر فى أول قدم من الصراط وتردّى " (١).

والصراط قبل الميزان حسب استدلال ابن كمال باشا من حديث أنس رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشفع لى يوم القيامة ، قال : أنا فاعل ان شاء الله ، قلت : فأين أطلبك ؟ قال : أول ماتطلبنى على الصراط ، قلت : فان لم ألقك ؟ قال : فاطلبنى عند الحوض ، قلت : فان لم ألقك ؟ قال : فاطلبنى عند الميزان ، فانى لاأخطئ هذه الثلاثة مواطن " (٢).

والمرور على الصراط عام لجميع الناس: الأنبياء والشهداء والصديقين، والمؤمنين والكفار. قال ابن كمال باشا : " فان الناس كلهم يعبرون على الصراط ، ـ (اذ) لاكرامة فى العبور على الصراط ، انما الكرامة فى كيفيته ، وهى أن يكون على وجه السلامة ـ ، دل على ذلك ماروى عنه عليه السلام أنه قيل له : اذا طويت السماوات وبدلت الأرضون أين يكون الخلق يومئذ ؟ فقال : إنهم على جسر جهنم " (٣). ويؤيد ماذهب اليه ابن كمال باشا

(١) الغزالى : إحياء علوم الدين ٤ / ٥٢٤ ، انظر أيضا : ابن رجب الحنبلى : التخويف من النار ص ١٧٤ ، ١٧٦ .

(٢) ابن كمال باشا : رسالة فى حقيقة الميزان ص ٣٨٢ ، والحديث قد سبق تخريجه.

(٣) ابن كمال : ر. فى حقيقة الميزان ص ٣٨٣. وذكر الامام ابن كمال باشا الحديث بالمعنى ، أخرجه الترمذى (٥ / ٣٧٢) فى كتاب (٤٨) تفسير القرآن ، باب (٤١) =

عائشة رضى الله عنها قالت: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى " يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات"، فأين يكون الناس يومئذ ؟ قال : " على الصراط " (١).

ثم ان " عبور الكفار على الصراط من جملة ما أعد الله لهم من العذاب فى الدار الآخرة ، لأنه يكون فى حقهم على أشق وجه وأتعبه " (٢).

ـ تعقيب على ابن كمال باشا ـ

وقد ورد فى ذكر الصراط جملة من الآيات والأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لذلك نرى أن العلامة ابن كمال باشا تمسك فى إثبات الصراط بهذه الآيات والأحاديث، قال :

" والصراط ـ وهو جسر ممدود على جهنم يمر عليه الخلائق ـ حق " (٣)،

ومن سورة الزمر، حديث رقم ٣٢٤١. بلفظ "حدثتنى عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل " والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه " قال : فقلت: فأين الناس يومئذ يارسول الله ؟ قال :على جسر جهنم " قال :حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٥٠) فى كتاب (٥٠) صفات المنافقين ، باب (٢) فى البعث والنشور حديث رقم ٢٧٩١.

والترمذى (٥/ ٢٩٦) فى كتاب (٤٨) التفسير، باب (١٥) ومن سورة ابراهيم ، حديث رقم ٣١٢١.

وابن ماجه (٢/ ١٤٣٠) فى كتاب (٣٧) الزهد ، باب (٣٣) ذكر البعث، حديث رقم ٤٢٧٩.

(٢) ابن كمال باشا : ر. فى حقيقة الميزان ٣٨٣ .

(٣) ابن كمال : رسالة فى بيان عقيدة أهل السنة ق/ ١٩٣ب ضمن مجموع برقم ١٥١ فى =

لقوله تعالى " فاهدوهم الى صراط الجحيم " (١) . وكذلك فسر جمع من علماء السلف (٢) " الورود " فى قوله تعالى " وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ، ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا " (٣) بالمرور على الصراط ، وقال ابن أبى العز : " وهو الأقوى والأظهر " (٤) .

لما روت أم مبشر رضى الله عنها قالت : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة : " لايدخل النار ان شاء الله من أصحاب الشجرة أحد ، الذين بايعوا تحتها ، قالت : بلى ، يارسول الله ، فانتهرها ، فقالت حفصة " وان منكم الا واردها " (٥) فقال النبى صلى الله عليه وسلم ، قد قال الله عز وجل : " ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٦) " (٧) .

وقال العلامة ابن كمال باشا : " ان المراد هنا الدخول (٨) بطريق الكناية كما فى قوله تعالى " فأوردهم النار " (٩) وقوله

مكتبة الحرم المكى الشريف ، وانظر هذا المعنى أيضا : السفارينى : لوامع الأنوار ١٩٢/٢ .

(١) الصافات / ٢٣ ، انظر : ابن قطلوبغا : شرح المسايرة ص ٢٤٥ .

(٢) منهم ابن مسعود وابن عباس وقتادة وعبد الرحمن بن زيد ، انظر : القرطبى التذكرة ٤٠٤/١ ، ابن كثير : تفسير القرآن العظيم (المختصر) ٤٦١/٢-٤٦٢ .

(٣) مريم / ٧١ - ٧٢ .

(٤) شرح الطحاوية ص ٤٧١ ، وبه قال أيضا ابن كثير فى " النهاية فى الفتن والملاحم " ص ٢٦٩ ، وشيخهما شيخ الاسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى ٢٧٩/٤ .

(٥) سورة مريم / ٧١ ، ٧٢ . (٦) سورة مريم / ٧١ ، ٧٢ .

(٧) رواه مسلم (١٩٤٢/٤) فى كتاب (٤٤) فضائل الصحابة ، باب (٣٧) من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان رضى الله عنهم ، حديث رقم / ٢٤٩٦ .

(٨) وهذا القول مروى أيضا عن ابن عباس وابن مسعود وخالد بن معدان ، وابن جريج وغيرهم ، القرطبى : التذكرة ٤٠٥/١ ، ابن كثير : النهاية / ٢٧٠ .

(٩) سورة هود / ٩٨ .

" لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها "(١) ، لقوله عليه السلام: "الورود : الدخول ، لايبقى برّ ولا فاجر الا دخلها ، فتكون على المؤمنين بردا وسلاما ، كما كانت على ابراهيم "(٢) ، و " تقول النار للمؤمن: جز يامؤمن ، أطفأ نورك لهبي "(٣) ، وهو الظاهر من قوله " ونذر الظالمين فيها جثيا " ، قال : " ونذر " ، ولم يقل : وندخل ... فانهم يمرون والنار خامدة على ماورد في الخبر (٤) ، ولذلك " لايسمعون حسيسها "(٥) .

قال القرطبي في المخاطب في قوله تعالى " وان منكم ... " : " وقال الجمهور: المخاطب: العالم كله ، ولا بد من ورود الجميع ، وعليه نشأ الخلاف في الورود ." ثم قال : " والصحيح أن الورود : الدخول ، لحديث أبي سعيد كما ذكرنا "(٦) .

---

(١) سورة الأنبياء/ ٩٩ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٢٩، ورجاله ثقات (مجمع الزوائد ١٠/ ٣٦٣) ، والحاكم في المستدرك ٥/ ٥٨٧ فقال : " هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرّجاه " ، ووافقه الذهبي .

(٣) رواه الطبراني ، وفيه سليم بن منصور بن عمار ، وهو ضعيف كما " مجمع الزوائد " ١٠/ ٣٦٣، وأبو نعيم في الحلية ٩/ ٣٢٩ ، (والحكيم السمرقندي في نوادر الأصول ١ / ٢٦٤) ، وابن كثير في النهاية ٢/ ٢٧١ وقال : هذا حديث غريب جدا . انظر ابن كمال باشا : تفسير سورة النبأ ٣٦ حيث صححه.

(٤) وذكر ابن المبارك قال : أخبرنا سفيان ، عن رجل ، عن خالد بن معدان ، قال : قالوا : ألم يعدنا ربنا أنا نرد النار؟ فقال : إنكم مررتم بها وهي خامدة. (ابن كثير: النهاية ٢/ ٢٧١ ، القرطبي : ١/ ٤٠٥).

(٥) سورة الأنبياء/ ١٠٢ . تفسير ابن كمال باشا / ٤٤٨ ب .

(٦) القرطبي : التذكرة ١/ ٤٠٧ .

وقال البزدوى ـ بعد أن قال : ان الورود هو الدخول ـ : " ودخول المؤمنين كلهم لايكون الا على الصراط "(١) والله تعالى أعلم .

وأما تقديمه الصراط على الميزان فهو خلاف ماورد في ذلك عن العلماء الأعلام ، اذ أن نصوصهم صريحة في أن الميزان قبل الصراط ...

١ ـ قال الحليمي في المنهاج (٢) ، ونقل عنه القرطبي (٣) ، وابن أبي العز (٤) ، وابن كثير (٥) نقل ارتضاء وقبول : " واذا انقضى الحساب ، كان بعده وزن الأعمال للجزاء ، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة ، فان المحاسبة لتقرير الأعمال ، والوزن لإظهار مقاديرها (٦) دبرها ليكون الجزاء بحسبها ".

وكذلك بين العلامة السفاريني (٧) مراتب المعاد حيث قال :
" اعلم أن مراتب المعاد : البعث والنشور ، ثم المحشر ، ثم القيام لرب العالمين ، ثم العرض ، ثم تطاير الصحف وأخذها باليمين وأخذها بالشمال ، ثم السؤال والحساب ، ثم الميزان " .

٢ ـ لو كان الميزان بعد الصراط للزم عبور الناس عليه ، ونجاتهم جميعا من الوقوع في النار ، مع أن الأحاديث صريحة في أن الكفار

---

(١) البزدوى : أصول الدين ص ١٦١ .
(٢) المنهاج في شعب الإيمان ٣٨٧/١ .
(٣) التذكرة ٣٧٧/١ . (٤) شرح العقيدة الطحاوية ٤٧٢ .
(٥) النهاية في الفتن والملاحم ٢٢٢/٢ .
(٦) في المنهاج : معانيها ، والتصحيح من المصادر السابقة .
(٧) لوامع الأنوار ١٨٤/٢ .

لايجاوزون الصراط ، بل يكبون على وجوههم فى النار قبل أن يجاوزوه ، وكذلك عصاة المؤمنين ، ثم المؤمنون يخرجون منها ، والكفار يخلدون فيها . وهل الكفار بعد جوازهم على الصراط ، ونجاتهم من النار يرجعون اليها بعد الوزن ؟ وهذا لم يقل به أحد ، فيما أعلم .

٣ – وأما حديث أنس رضى الله عنه استشهد به ابن كمال باشا على كون الصراط بعد الميزان ، قال الامام الترمذى عقب الحديث : " هذا حديث حسن غريب لانعرفه الا من هذا الوجه " ، وقال الحافظ ابن كثير معلقا على كلامه (١) : " والمقصود أن ظاهر هذا الحديث يقتضى أن الحوض بعد الصراط ، وكذلك الميزان أيضا ، وهذا لا أعلم به قائلا " (٢) .

وأما كون الصراط جسرا ممدودا على متن جهنم ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة طويل (٣) " ... ويضرب الصراط بين ظهرى جهنم ، فأكون أنا وأمتى أول من يُجيز ، ولايتكلم يومئذ الا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم ، وفى جهنم (٤) كلاليب (٥)

---

(١) النهاية فى الفتن والملاحم ١/٢٠٨ .

(٢) بل صرح الواحدى تقديم الميزان على الصراط ، وجزم به صاحب " كنز الأسرار " ، انظر الآلوسى : روح المعانى ٣٠/٢٨٣ .

(٣) أخرجه البخارى (فتح ١٣/٤١٩) فى كتاب (٩٧) التوحيد ، باب (٢٤) قول الله تعالى " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) حديث رقم ٧٤٣٧ .
ومسلم (١/١٦٣ – ١٦٥) فى كتاب (١) الايمان ، باب (٨١) معرفة طريق الرؤية ، حديث رقم ٢٩٩ .

(٤) لفظ البخارى : (وبه) اى فى الجسر المنصوب على جهنم .

(٥) جمع كلّوب وهو حديدة معطوفة الرأس .

مثل شَوْك السعدان (١) ، هل رأيتم السعدان ؟ قالوا : نعم يارسول الله ، قال : فانها مثل شوك السعدان ، غير أنه لايعلم ماقدرُ عظمها الا الله ، تَخْطَف الناس بأعمالهم ، فمنهم المؤمن بقى بعمله (٢) ، ومنهم المجازَى حتى ينجى " .

وفيهما أيضا من حديث أبى سعيد الخدرى طويل (٣) : "... ثم يضرب الجسر على جهنم ، وتحل الشفاعة . ويقولون : اللهم سلم سلم " ، قيل : يارسول الله ، وما الجسر ؟ قال : دَحْضٌ مَزَلّة (٤) ، فيه خطاطيف (٥) وكلاليب وحسَك (٦) ، تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان ، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والرّكاب ، فناج مسلّم ، ومخدوش مرسل ، ومكدوس (٧) فى نار جهنم ..." .

وأما كون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف ففى مسلم (٨) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : بلغنى أن الجسر أدق من الشعرة ، وأحد من السيف " ، " ومثله لايقال من قبل الرأى ، فله حكم المرفوع" (٩) .

---

(١) جمع سعدانة ، وهى نبت له شوكة عظيمة من كل الجوانب .

(٢) لفظ البخارى : " فمنهم الموبق بعمله ، ومنهم المخردل " أى المقطع أو المصروع .

(٣) أخرجه البخارى (فتح ١٣ / ٤٢٠) فى كتاب (٩٧) التوحيد ، باب (٢٤) قول الله تعالى " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) حديث رقم ٧٤٣٩ .
ومسلم (١ / ١٦٧ـ ١٧١) فى كتاب (١) الايمان ، باب (٨١) معرفة طريق الرؤية ، حديث رقم ٣٠٢ .

(٤) الدحض والمزلة بمعنى واحد ، وهو الموضع الذى تزل فيه الاقدام ولاتستقر .

(٥) الخطاطيف جمع خُطاف وهو الحديدة المعوجة كالكلوب يختطف بها الشىء .

(٦) فهو شوك صلب من حديد . (٧) مدفوع من ورائه . (٨) مسلم ١ / ١٧١ .

(٩) الكمال بن أبى شريف : المسامرة ص ٢٤٤ .

وروى الحاكم في المستدرك (١) عن سلمان رضي الله عنه: " ... ويوضع الصراط مثل حد الموسى ... " وقال: على شرط مسلم، ووافقه الذهبي .

وبعد ذكر هذه الأحاديث تبين مدى تمسك ابن كمال باشا بها في إثبات الصراط ، وسلوكه مسلك السلف الصالح رضي الله عنهم في التمسك بالنصوص ، وإثبات ما ورد فيها من المعاني الحقيقية..

هذا وذكر الامام القرطبي ، وشيخ الاسلام ابن تيمية: اذا عبر المؤمنين الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض ، فاذا هذّبوا ونقّوا أذن لهم في دخول الجنة (٢).

وروى أبو سعيد الخدرى رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يخلص المؤمنون من النار ، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى اذا هذّبوا ونقّوا أذن لهم في دخول الجنة ، فوالذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا " (٣).

وأنكر كثير من المعتزلة الصراط ، وأولوا النصوص الواردة فيه (٤).

(١) ٤/٥٨٦ .

(٢) القرطبي: التذكرة ١/٤١١ ، ابن تيمية: مجموع الفتاوى ٣/١٤٧ .

(٣) أخرجه البخارى (فتح ١١/٣٩٥) في كتاب (٨١) الرقاق ، باب (٤٨) القصاص يوم القيامة ، وهى الحاقة ، حديث رقم ٦٥٣٥ .
وأحمد ٣/١٣ .

(٤) الكمال بن أبي شريف: المسامرة ص ٢٤٥ .

وقد أجمعت الأمة السالفة قبل ظهور المخالفين على أن الصراط جسر على متن جهنم ، وأن عبور الخلائق كلهم عليه [١] .

وأما الحكمة من الصراط ، " قال البدر الزركشي : ومن الحكمة في الصراط ورفعه أن يظهر للمؤمنين من عظيم فضل الله تعالى النجاة من النار ، ولتصير الجنة أسر لقلوبهم بعد ، وليتحسر الكافر بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم في العبور " [٢] والله تعالى أعلم .

٨ ـ الجنة والنار والخلود في كل منهما :

إن المراد من الجنة : دار الثواب التي أعدها الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين ، سميت بها لما فيها من الجنان [٣] .

ومن النار : دار العقاب التي أعدها الله تعالى للكفار [٤] .

وقد جاء في الآثار أن الجنة درجات ، وأن النار دركات [٥] .

---

(١) ابن كمال باشا : ر. في حقيقة الميزان (ضمن رسائل ابن كمال) ٣٨٢/٢ .

(٢) السفاريني : لوامع الأنوار ١٩٤/٢ .

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٨/١ و ٥٠ .

(٤) السفاريني ٢١٩/٢ . (٥) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٨/١ .

ـ رأى العلامة ابن كمال باشا فى الجنة والنار والخلود فيهما ـ

ولقد نص العلامة ابن كمال باشا على أن " الجنة والنار حق ثابت ، وهما مخلوقتان الآن ، لاتفنيان ، ولايفنى أهلهما ، لقوله تعالى فى حق المؤمنين (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)(١) ، وفى حق الكافرين (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)(٢) "(٣) .

وأكد الامام ابن كمال باشا هذه المعانى فى تفسير الآيات المتعلقة بالجنة وخلود المؤمنين فيها ، والنار وخلود أهلها من الكفار .

وأسوق هنا بعض تلك النصوص لتوضيح رأيه فى الموضوع بالتفصيل ..

ـ الجنة والنار مخلوقتان الآن ـ

قال الامام المحقق فى تفسير قوله تعالى (فاتقوا النار التى أعدت للكافرين)(٤) : " ان الاعداد ، وهو التهيئة والارصاد ، أكثر استعماله فى الموجود ، وقد يستعمل فيما هو فى معنى الموجود ، كما فى قوله تعالى (أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما)(٥) .

(١) وردت الآية فى القرآن أكثر من مرة : البقرة ٨٢ ، الاعراف ٤٢ .

(٢) اى دائمون فيها ، لايموتون ، ولايخرجون عنها (تفسير ابن كمال ١٥٣/١) .
وردت الآية فى القرآن أكثر من مرة : البقرة ٣٩ ، ٢١٧ ، ٢٥٧ .

(٣) ابن كمال باشا :المنيرة ص ١٣ . (٤) البقرة/ ٢٤ . (٥) الاحزاب/ ٣٥ .

فدلالة الآية على أن النار مخلوقة الآن ، كما هو مذهب أهل الحق ، ليست بقوية "(١).

وقال أيضا في قوله تعالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) (٢) : " وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة " (٣).

وسأعقب على قوليه المختلفين في هاتين الآيتين بعد اكمال عرض رأيه في الموضوع.

- خلود الجنة والنار -

يرى الامام ابن كمال باشا أن الجنة ودوام نعيمها ، والنار وبقاء عذابها أمر ثابت ، وأن أهليهما أبديان دائمان ، لايفنيان (٤).

- خلود الجنة -

قال في قوله تعالى (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٣٦. (٢) آل عمران/١٣٣.
(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ١/٢٤٥. (٤) ابن كمال باشا : كتاب الرد على الفرق/٧أ.

أزواج مطهرة وهم فيها خالدون"(١) : "الخلد : البقاء الدائم الذى لاينقطع ، قال الله تعالى (وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون) (٢) ، وتقييده بالتأبيد بقوله (خالدين فيها أبدا) يقطع التجوز ، فان استعماله فى الثبات المديد وان لم يدم متعارف شائع" (٣) .

وقال فى تفسير قوله تعالى (لايمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين) (٤) : " نص فى الخلود ، وبه تتم النعمة" (٥) ، ويكونون آمنين عن الزوال عنها .

وقال فى قوله تعالى مؤكدا خلودهم فى الجنة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا . خالدين فيها لايبغون عنها حولا) (٦) : " اى لايطلبون عنها التحول ... وفيه تأكيد الخلود ، لأنهم اذا لم يريدوا الانتقال عنها لاينتقلون لعدم الاكراه فيها " (٧) .

وقال أيضا فى قوله تعالى (وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والأرض الا ماشاء ربك) قال الزجاج : هذا من باب " حتى يلج الجمل فى سم الخياط " (٨) ، و" لايذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى " (٩) (عطاء غير مجذوذ) (١٠) غير مقطوع، وهو تصريح بأن الثواب لاينقطع ، وتنبيه على أن المراد من الاستثناء

---

(١) البقرة/٢٥ . (٢) الانبياء/٣٤ . (٣) ابن كمال باشا :تفسيره ١ / ٤٠ .

(٤) الحجر/٤٨ . (٥) ابن كمال باشا :تفسيره ٣٩٠ ب . (٦) الكهف ١٠٧ـ١٠٨

(٧) ابن كمال باشا :تفسيره ٤٤١ أ . (٨) الاعراف/٤٠ . (٩) الدخان/٥٦ .

(١٠) هود / ١٠٨ .

هاهنا ليس الانقطاع ، وفى قوله فى الأشقياء " ان ربك فعال لما يريد " (١) فى مقابلة هذا القول فى السعداء (٢) يرجح نقل الأشقياء الى ما هو أغلظ من عذاب النار من عقوبات يقتضيها سخط الله تعالى وما يعلمها " (٣).

- خلود النار وأهلها -

قال فى تفسير قوله تعالى (ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا ، الا طريق جهنم خالدين فيها أبدا) (٤) : " لجرى حكمه السابق ووعده المحتوم على أن من مات على الكفر فهو لا يخرج من النار " (٥).

وقال فى قوله تعالى (وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار) (٦) : لجعل الجملة اسمية تفيد الدوام بحسب العرف ... اى وما هم بخارجين من النار دائما مادامت لهم هم ، ولتخصيص السلب بهم اى بالمشركين من بين المكلفين لقوله تعالى (ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) (٧) اى هم خاصة ليسوا بخارجين من النار ، كقوله : هم القوم كل القوم

(١) هود / ١٠٧ . (٢) اى فى مقابلة " عطاء غير مجذوذ " .
(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٤٤أ . (٤) النساء ١٦٨ـ ١٦٩ .
(٥) ابن كمال باشا : تفسيره ١ / ٣٤٤ . (٦) البقرة ١٦٧ .
(٧) النساء / ٤٨ .

يا أم خالد ، لا لسلب التخصيص ، فان أداة السلب متأخرة عن أداة التخصيص معنى ، وان تقدمت عليها لفظا ، والباء في الخبر لتأكيد النفي " (١).

وقال أيضا في قوله تعالى (والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم فيموتوا) اى لا يؤتون بموت ثان فيستريحوا .
يقال : قضى عليه : اذا أماته ، قال تعالى " فوكزه موسى فقضى عليه " (٢) ، فلا بد من صرف قوله (فيموتوا) عن الحقيقة الى المجاز صونا له عن وصمة اللاغية (٣) . وقرئ : فيموتون ، عطفا على (يقضى) وادخالا له في حكم النفي ، أي لايقضى عليهم الموت ، فلا يموتون ، كقوله " ولا يؤذن لهم فيعتذرون " (٤) ، (ولا يخفف عنهم من عذابها) (٥) من عذاب جهنم ، كقوله تعالى " كلما خبت زدناهم سعيرا " (٦) ، فان فيه دلالة على أن مظنة الخفة في غيرهم ، منبئة عن الشدة في حقهم " (٧) .

وقال أيضا في قوله تعالى : (خالدين فيها مادامت السموات والأرض الا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد) (٨) : " انتصاب (خالدين) على أنها حال مقدرة ، أي مدة دوام السماوات والأرض ، والمراد بهذا التوقيت : التأبيد على طريقة العرب في قولهم : ما أقام ثبير ، وما لاح كوكب ، وغير ذلك مما يذكرونه في مقام

(١) ابن كمال باشا : تفسيره ١٢٢/١ . (٢) القصص/ ١٥ .
(٣) ولو فسر الامام (لايقضى عليهم) بأن لا يحكم عليهم بموت ثان ، كما فسره البيضاوى في أنوار التنزيل (٤/ ١٨٣) ، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم (٧/ ١٥٤) ، والالوسى في روح المعاني (٢٢/ ٢٠٠) لما احتاج الى العدول عن الحقيقة الى المجاز ، واستراح .
(٤) المرسلات/ ٣٦ . (٥) فاطر/ ٣٦ . (٦) الاسراء/ ٩٧ .
(٧) ابن كمال باشا : تفسيره/ ٥٩٠ (أ) . (٨) هود / ١٠٧ .

المبالغة في نفي الانقطاع ، ولايسبق الى الفهم منهما الا التأبيد (١) ، لاتعليق مدتهما بمدة بقائهما . ويجوز أن يراد التعليق على أن المراد من السماوات سماوات الآخرة وأرضها (٢) ، فانه لابد لأهلها من مُقلة ومَظلة ، وهو معلوم من النصوص كقوله تعالى " يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات " (٣) ، وقوله تعالى " وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء " (٤) ، وليس فيه تشبيه ما يعرف بما لايعرف " (٥) .

ولقد اضطرب رأى العلامة ابن كمال باشا في المراد من الاستثناء في هذه الآية (هود / ١٠٧) ، وفي آية الأنعام (١٢٨) ، ورجح رأيين مختلفين في كل واحدة منهما مع أن سياق الآيتين واحد ، كما قاله الحافظ ابن كثير (٦) .

قال في الأولى : " استثناء من الخلود في عذاب النار ، لأن الكفار ينقلون من حر النار الى برد الزمهرير ، والرد بأن النار عين دار العقاب غير وارد ، لأننا لاننكر استعمال النار فيها تغليبا " (٧) ، مع أن الامام ابن كمال باشا ضعف هذا الرأى في سورة الأنعام حيث قال في تفسير قوله تعالى " قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله " من عصاة المؤمنين (٨) ، واستعمال (ما) في

(١) وهو اختيار الامام ابن جرير الطبري في جامع البيان ١٢ / ٧٠ .

(٢) وهو قول طائفة من المفسرين منهم الضحاك (القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٩ / ٩٩) .

(٣) ابراهيم / ٤٨ . (٤) الزمر ٧٤ .

(٥) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٤٣ ب . (٦) مختصر تفسير ابن كثير ٢ / ٢٣٣ .

(٧) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٤٤ أ .

(٨) وهو قول قتادة والضحاك وأبو سنان وغيرهم (القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٩ / ٩٩) ، واختيار الطبري في جامع البيان ١٢ / ٧١ .

ذوى العقول شائع ، كما فى قوله تعالى " الا ما رحم ربى "(١) ، وفى قوله تعالى " فانكحوا ما طاب لكم "(٢) ... وقيل : من الأوقات التى ينقلون فيها من النار الى الزمهرير ، وفيه من الحاجة الى صرف النار عن معناها العلمى الى اللغوى "(٣).

وعلى كلا الرأيين فهو لا يقول بفناء النار وعذابها وأهلها ، سواء أخذنا رأيه القائل ان الاستثناء عائد الى عصاة المؤمنين ، أم قلنا أنه عائد الى الخلود فى عذاب النار ...

وقال أيضا فى تفسير قوله تعالى (ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها أحقابا)(٤) : ظرف ، وهو جمع حقب ، وهو الدهر ، ولم يرد به عدد مخصوص بل الأبد(٥) ، اذ لا يكاد يستعمل الا حيث تتابع الأزمنة وتواليها .

وقيل : الحقب ثمانون سنة(٦) ، أو سبعون ألف سنة(٧) ، فعلى تقدير صحته ، ليس فيه ما يقتضى تناهى الأحقاب حتى يعارض مفهومه منطوقه الدال على خلود الكفار ، لجواز أن يكون أحقابا مترادفة ، كلما مضى حُقب تبعه حقب آخر الى غير النهاية(٨) ،

(١) يوسف/ ٥٣ . (٢) النساء/ ٣ .

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ١/ ٣٩٧ .

(٤) النبأ ٢١ ـ ٢٣ .

(٥) وهو اختيار ابن جرير أيضا فى جامع البيان ٣٠/ ٩ .

(٦) أخرجه البزار عن أبى هريرة (الهيثمى : مجمع الزوائد ٧/ ١٣٦) ، والطبرى فى جامع البيان ٣٠/ ٨ عن أبى هريرة وعلى وابن عباس رضى الله عنهم ، وانظر كذلك : القرطبى : الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ١٧٨ .

(٧) روى ذلك الطبرى فى جامع البيان ٣٠/ ٨ عن الحسن رحمه الله تعالى .

(٨) وهو مروى عن الحسن وقتادة (مختصر تفسير ابن كثير ٣/ ٥٩٢) ، الخازن : لباب =

وانما استعير جمع القلة محافظة للفاصلة " (١).

وكأن الامام ابن كمال باشا عنى بمن يقول بفناء النار في تفسير قوله تعالى (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) ليتجدد لهم ذوق العذاب (ان الله كان عزيزا حكيما) (٢) العزيز القادر الغالب ، والحكيم الذى لايفعل الا الصواب ، انما قاله لأنه قد يقع في القلب تعجب من كون الكريم الرحيم يعذب الشخص الضعيف الى هذا الحد العظيم أبد الآباد ، فقيل : ليس هذا بعجب، لأنه القادر على ذلك ، وكما أنه رحيم فهو أيضا حكيم ، والحكمة تقتضى ذلك " (٣).

وبعد أن سقنا النصوص الطويلة في الجنة والنار ، ووجودهما الآن ، وأبديتهما مع أهليهما نعرض رأيه على عقيدة السلف رضى الله عنهم حتى يتبين لنا مدى بعده أو قربه منها .

التأويل ٣٤٧/٤) وانظر كذلك : أبو السعود : ارشاد العقل السليم ٩١/٩، البيضاوى : أنوار التنزيل ١٧٠/٥ .

(١) ابن كمال باشا : تفسير سورة النبأ ص ٣٦ . (٢) النساء/٥٦ .

(٣) ابن كمال باشا : تفسيره ٣٠٠/١ .

بيان مذهب السلف في الجنة والنار :

يرى السلف رحمهم الله تعالى أن الجنة والنار حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ، والايمان بهما واجب ، واعتقاد وجودهما حق لازب (١) ، خلافا لبعض المعتزلة والقدرية (٢) .

قال الامام أبو حنيفة رحمه الله - وهو أحد أئمة السلف - : " والجنة والنار حق ، وهما مخلوقتان لأهلهما ، لقوله تعالى في حق المؤمنين " أعدت للمتقين " (٣) ، وفي حق الكفرة " أعدت للكافرين " (٤) ، خلقهما الله تعالى للثواب والعقاب " (٥) .

فبهذا يظهر أن العلامة ابن كمال باشا مع السلف في هذا الموضوع ، غير أن قوله في قوله تعالى " أعدت للكافرين " : " فدلالة الآية على أن النار مخلوقة الآن ، كما هو مذهب أهل الحق ، ليست بقوية " (٦) غير سديد ومخالف لما قاله هو في قوله تعالى " أعدت للمتقين " اذ قال فيه : "وفيه دليل على أن الجنة مخلوقة " (٧) ، فما الفرق بين صيغة الآيتين وسياقهما ؟ فواحدة منهما فيها دليل على خلق الجنة ، وثانيتهما دلالتها على خلق النار ليست بقوية ، أو ليست هذه الا تحكما محضا ..

(١) السفاريني : لوامع الأنوار ٢/ ٢١٩ ، ٢٣١ .

(٢) الكمال بن أبي شريف: المسامرة بشرح المسايرة ٢٤٧ ، ابن حزم: الفصل في الملل ٤/ ١٤٥ ، الجرجاني : شرح المواقف ٥٨٤ ، ابن كمال باشا : كتاب الرد على الفرق/ ٧ أ .

(٣) آل عمران/ ١٣٣ . (٤) البقرة/ ٢٤ .

(٥) أبو حنيفة : الوصية ص ٧ ، وانظر أيضا : ابن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية ٤٧٦ ، القاري: شرح الفقه الأكبر/ ١٤٦ .

(٦) ابن كمال باشا : تفسيره ١/ ٣٦ . (٧) ابن كمال باشا : تفسيره ١/ ٢٤٥ .

وقال الحافظ ابن كثير: " وقد استدل أكثر أئمة السنة بهذه الآية على أن النار موجودة الآن لقوله " أعدت " أي أرصدت وهيئت "(١) ...

وأما الأحاديث الدالة على وجود الجنة والنار فكثيرة (٢)، منها ما أخرجه الشيخان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن أحدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة " (٣)، واللفظ لمسلم.

ومنها ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: مالي لا يدخلني

(١) مختصر تفسير ابن كثير ١/ ٤٣، وانظر كذلك: البيضاوي: أنوار التنزيل ١/ ١١٧، النسفي: مدارك التنزيل ١/ ٣٥، أبو السعود: إرشاد العقل السليم ١/ ٦٨ حيث استدلوا جميعا بهذه الآية على أن النار مخلوقة معدة الآن.

(٢) انظر الأحاديث الواردة في وجود الجنة والنار: ابن كثير: النهاية في الفتن والملاحم ٢/ ٤٠٧-٤٠٨، ٤١٣-٤١٦، ابن قطلوبغا: شرح المسايرة ٢٥٠-٢٥٢، ابن أبي العز: شرح العقيدة الطحاوية ٤٧٦-٤٧٩، السفاريني: لوامع الأنوار ٢/ ٢٣٣.

(٣) أخرجه البخاري (الفتح ٦/ ٣١٧) في كتاب (٥٩) بدء الخلق، باب (٨) ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم ٣٢٤٠.

ومسلم (٤/ ٢١٩٩) في كتاب (٥١) الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب (١٧) عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، رقم/ ٢٨٦٦.

والنسائي (٤/ ١٠٦) في كتاب (٢١) الجنائز، باب (١١٦) وضع الجريدة على القبر رقم/ ٢٠٧٠،

ومالك في الموطأ ١/ ٢٣٩،

والبيهقي في عذاب القبر ص ٦٣ .

الا ضعفاء الناس وسقطهم ... "(١)

وقال الحافظ ابن كثير: " والجنة والنار موجودتان الآن، معدتان لأصحابهما، كما نطق بذلك القرآن، وتواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة، المستمسكين بالعروة الوثقى، وهي السنة المثلى الى قيام الساعة، خلافا لمن زعم أن الجنة والنار لم يخلقا بعد، وانما يخلقان يوم القيامة، وهذا القول صدر ممن لم يطلع على الأحاديث المتفق على صحتها في الصحيحين وغيرهما من كتب الاسلام المعتمدة المشهورة بالأسانيد الصحيحة والحسنة، مما لايمكن دفعه ولارده لتواتره، واشتهاره "(٢).

– خلود الجنة والنار مع أهليهما :

يرى السلف رحمهم الله تعالى أيضا أن الجنة والنار لاتفنيان أبدا ولاتبيدان . قال الامام أبوحنيفة في الوصية (٣) : " وأهل الجنة في الجنة خالدون، وأهل النار في النار خالدون، لقوله تعالى في حق المؤمنين " أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون " (٤) وفي

(١) أخرجه البخاري (الفتح ٨/٥٩٥) في كتاب (٦٥) التفسير، باب (١) "وتقول هل من مزيد" من سورة ق، رقم/ ٤٨٥٠ .
ومسلم (٤/٢١٨٦) في كتاب (٥١) الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب (١٣) النار يدخلها الجبارون، رقم/ ٢٨٤٦ .

(٢) النهاية في الفتن ٢/٤٠٧ .

(٣) الوصية ص٧، انظر ايضا : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٧٦، القاري: شرح الفقة الأكبر ص ١٤٦ .

(٤) البقرة ٨٢، الأعراف ٤٢ .

حق الكفار " أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " (١) .

وقد ذكر العلامة ابن كمال ما يوافق أدلة أهل السنة والجماعة على خلود الجنة والنار وخلود أهليهما من الكتاب ، ذكرنا مع تفسيرها فيما سبق ..

وأما الأحاديث الدالة على خلود الجنة والنار وأهليهما :
فمنها ما رواه الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا صار أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار ، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم يذبح ، ثم ينادى مناد : يا أهل الجنة ! لاموت ، يا أهل النار ! لاموت ، فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرحهم ، ويزداد أهل النار حزنا الى حزنهم " (٢) .

ومنها ما أخرجه الشيخان أيضا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح ، فيوقف بين الجنة والنار ، فيقال : يا أهل الجنة ! هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ، ويقولون : نعم ، هذا الموت ، قال : ويقال : يا أهل النار ! هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم ، هذا الموت ، قال : فيؤمر به فيذبح ، قال : ثم يقال : يا أهل الجنة !

---

(١) البقرة ٣٩ ، ٢١٧ ، ٢٥٧ .

(٢) أخرجه البخارى (الفتح ١١/٤١٥) فى كتاب (٨١) الرقاق ، باب (٥١) صفة الجنة والنار ، رقم ٦٥٤٨ .

ومسلم (٤/٢١٨٩) فى كتاب (٥١) الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب (١٣) النار يدخلها الجبارون ، رقم ٢٨٥٠ .

خلود فلا موت ، ويا أهل النار ! خلود فلا موت ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم " وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون "(١) ، وأشار بيده الى الدنيا "(٢) . والللفظ لمسلم.

فقال العلامة السفارينى بعد أن ذكر الآيات والأحاديث الدالة على خلود الجنة والنار وأهليهما : " فثبت بما ذكرنا من الآيات الصريحة ، والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلودا مؤبدا ، كل بما هو فيه من نعيم وعذاب اليم ، وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة ، فاجمعوا أن عذاب الكفار لاينقطع ، كما أن نعيم أهل الجنة لاينقطع ، ودليل ذلك الكتاب والسنة "(٣).

وأما الاجماع فقد ذكره الامام ابن حزم فى مراتب الاجماع(٤) – وأقره شيخ الاسلام ولم يعقبه – : " وأن الجنة حق ، وأنها دار نعيم أبدا ، لاتفنى ولايفنى أهلها بلا نهاية ... وأن النار حق ، وأنها دار عذاب أبدا ، لاتفنى ولايفنى أهلها أبدا بلا نهاية ... ".

أقول بعد هذا العرض الطويل ان إمامنا ابن كمال باشا لم يحد عن منهجه فى مباحث الجنة والنار بخاصة ومباحث السمعيات بعامة ، وهو اتباع ما ورد فى الكتاب والسنة وقبوله من غير تأويل ، وهو مذهب السلف رضوان الله عليهم أجمعين ...

(١) مريم/ ٣٩ .
(٢) أخرجه البخارى (الفتح ٨/ ٤٢٨) فى كتاب (٦٥) التفسير ، باب (١) " وأنذرهم يوم الحسرة " من سورة مريم ، رقم ٤٧٣٠ .
ومسلم (٤/ ٢١٨٨–٢١٨٩) فى كتاب (٥١) الجنة وصفة نعيمها ، باب (١٣) النار يدخلها الجبارون ، رقم ٢٨٤٩ .
(٣) لوامع الأنوار ٢/ ٢٣٤ ، وانظر كذلك : ابن قطلوبغا : شرح المسايرة ص ٢٥٢ ، القرطبى : التذكرة ٢/ ١٠٣ ، ابن كثير : النهاية فى الفتن ٢/ ٣٠٠ ، ٣٤١ .
(٤) ص ١٧٣ وكذلك : الفصل فى الملل ٤/ ١٤٥ ، ١٤٨ .

(الخاتمـــــــة)

بعد أن اكتمل هذا البحث المتواضع على الصورة التى يراها القارىء الكريم أحب أن أذكر خلاصة موجزة كل الإيجاز لما دار من المباحث فيـــه ، وهى تعتبر النتائج لمثل هذا البحث، إذ لا ينتظر فى مثل هذه الموضوعات الوصول الى مخترعات جديدة. أكثر من معرفة آراء الرجال، وجمعها فى مباحثها، وترتيبها، ثم تقويمها تقويما سليما .

فالشخصية التى دار حولها البحث هو " ابن كمال باشا "، أحد المتبحرين فى العلوم العقلية والنقلية، وفنون عديدة منها فى القرن العاشر .

١- أثبتت الرسالة انه ولد فى بيت إمارة ووزارة، أخذ تعليمه الأول فى سن مبكرة ، حفظ القرآن الكريم ، ودرس اللغة وبعض كتب الادب .
ثم التحق بالجيش وشارك فى الحملات الجهادية ضد الكفرة فى اوروباء ثم ترك الجيش وانتقل الى صفوف العلماء بعد الخامس والعشرين من عمره، فلازم العلماء المشهورين فى عصره، ثم تقلد الوظائف العديدة من التدريس والقضاء والإفتاء، وقضى حياته كلها فى خدمة العلم .

٢- كما أثبتت الرسالة أن ابن كمال باشا خلف آثارا كثيرة فى أنواع العلوم، يقدر (٣٦٩) كتابا ورسالة، عبارة عن شروح وحواش وتعليقات على كتب السابقين، ورسائل فى مسائل غامضة، ما من فن الا وله فيه مصنف أو مصنفات، وكتبها باللغات الثلاث : العربية والفارسية والتركية ، حاولت استقصاءها مع الإشارة الى اماكن وجودها من الموجودة منها .

٣- كما وضحت الرسالة أن العصر الذى عاش فيه ابن كمال باشا عصر جهاد فى أوروبا، وان الدولة التى عاش فى ظلها اهتمت اهتماما بالغا باللغة العربية والعلوم الاسلامية، وأنشأ لها مدارس كثيرة فى أماكن عديدة.
وهذا ما يتعلق بشخصية ابن كمال باشا وعصره .

واما ما يتعلق بآرائه ....

٤- بينت الرسالة أن ابن كمال باشا ذهب فى معرفة الله تعالى إلى أن العقل يمكن أن يدرك وجوبها، ولكن الوجوب لا يكون الا ممن تملك الإيجاب، وهو الله تعالى، وأشرنا الى الفرق الدقيق بين رأى الامام ابن كمال - والماتريديه - ورأى المعتزلة، فالعقل عند المعتزلة موجب، وعند الماتريديه آلة لمعرفة الوجوب، وبينا أن قيام الحجة على البشر بالرسل والوحى، وليس بالعقل .

٥- وفى وجود الله عز وجل استدل بدليل الآفاق والأنفس على وجوده تعالى، وهو أمر اتفق فيه مع السلف، الا أنه وافق المتكلمين فى الاستدلال بحدوث الأعراض والأجسام على حدوث العالم، زاعما انه طريقة ابراهيم الخليل عليه السلام، وهذا أمر خالف فيه السلف، وقد بينت أن هذه الطريقة مبتدعة باطلة .

٦- وفى الاستدلال على الوحدانية بدليل التمانع وافق كذلك المتكلمين، وخالف فيه السلف، إذ الغاية الأسمى من إنزال الكتب وإرسال الرسل هو توحيد الإلهية الذى يتضمن توحيد الربوبية، وهو أمر فطرى لم يختلف فيه الملل والنحل .

٧- وفى أسماء الله تعالى يقول بتوقيفية أسماء الله تعالى، وإثبات جميع ما ورد فى النصوص منها، وهذا أمر وافق فيه السلف رضى الله عنهم .

٨- وأثبت فى باب الصفات ثمانى صفات فقط وهى الحياة ، والقدرة ، والعلم، والارادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام ، والتكوين ، متفقا فى ذلك مع الماتريدية

وأرجع جميع صفات الأفعال الى صفة التكوين،وقال بثبوت الصفات الذاتية والفعلية دون تفرقة بينهما فى القول بأزليتها .

إلا أنه تابع المتأخرين من المتكلمين فى تأويل الصفات الخبرية مخالفا فيها إمامه وباقى أئمة السلف .

وأما فى صفة الكلام قال بانه معنى واحد،قديم ازلى،وليس بحرف ولا صوت ، وانه كلام نفسى،وأما اللفظى فهو عبارة عن ذلك المعنى القديم،وبذلك وافق المتكلمين الاشاعرة والماتريدية،وخالف فيها مذهب السلف ، فقد بينت أن رأيه هذا ليس له دليل من الكتاب والسنة،وأقوال الائمة .

٩- وأما فى مباحث أفعال الله تعالى فهو يوافق السلف فيها، اذ يرى أن الله يفعل لحكمة،وأن أفعالها معللة بحكم ومصالح العباد،وأن الافعال حسنة لذاتها وقبيحة لذاتها،والعقل يدرك حسن بعض الأفعال وقبحها،وأن للعباد أفعالا اختيارية يثابون ويعاقبون عليها،وأن العباد مختارون فى أفعالهم وأعمالهم،والله خالقها،وأن كل ما يقع فى الكون بمشيئة الله تعالى وإرادته،والله قدّر الأشياء فى الأزل على حسب علمه الأزلى، كما وافق السلف فى إثبات رؤية الله تعالى فى الاخرة وفى النوم كذلك .

١٠- وفى باب النبوات يرى أن إرسال الرسل جائز،بل واجب بقضية الحكمة ، فبينت معناها،وأشرت الى الفرق بينه وبين إيجاب المعتزلة اللطف على الله تعالى،وتعرضت لرأيه فى تعريف النبى والرسول والفرق بينهما مع الإشارة الى اضطراب رأيه فيه .

١١- وأما رأيه فى أبواب السمعيات يوافق رأى السلف فيها، إذ هو يثبت ويؤمن بجميع المسائل المتعلقة باليوم الآخر ومقدماتها من سؤال القبر وعذابه

أو نعيمه، واشراط الساعة، وأحداث اليوم الآخر من البعث الجسماني، والحشر، والشفاعة والعرض وأخذ الكتب وقراءتها، والحساب والميزان والصراط والجنة والنار وأنهما مخلوقتان الآن، وأنهما لا تفنيان.

فهذه تعتبر مجمل النتائج بالنسبة لهذا البحث، فإن أصبت فمن الله عز وجل، وإن اخطأت فمني ومن الشيطان، وما توفيقي الا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب ... وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .



قائمة المصـــادر

* القرآن الكريـــــــــم .

أولا: مؤلفات ابن كمال باشـــا :

١) اشارات لطيفة ونكات شريفة في علم الكلام (= تحقيق الكلام في علم الكلام) (خ) ضمن مجموعة في مكتبة الحرم المكي الشريف برقم ١٥٠/ ٢٣ .

٢) تغيير التنقيح (ط) ،مطبعة جمال أفندى ، استانبول ،١٣٠٤هـ .

٣) تفسير ابن كمال باشا (خ) من سورة الفاتحة الى سورة الأعراف ، اعتمدت على نسخة الحرم المكي الشريف / ٢٨٠ تفسير. ومن الاعراف الى نهاية الصافات ،نسخة دار الكتـــب المصرية رقم / ٦٣٣٨ . وكذلك نسخة ينى جامـــــــع باستانبـــول برقم / ٢٠ .

٤) تفسير سورة الطارق (خ) ضمن مجموعة بأحمد الثالث برقم / ١٥٤١.

٥) تفسير سورة الملك (ط) ت . د . حسن ضياء الدين عتر ، دار البشائر الاسلامية ، بيروت / ١٤٠٧هـ .

٦) تفسير سورة النازعات (خ) ضمن مجموعة بأحمد الثالث برقم /١٥٤١.

٧) تفسير سورة النبأ (ط) ضمن " رسائل ابن كمال باشا " مطبعـــــــة اقدام ، استانبول ١٣١٦هـ .

٨) حاشية على تجريد الطوسي (خ) ضمن مجموعة بالمحمودية برقم / ٢٥٩٧ .

٩) حاشية على تغيير التنقيح له ، (ط)مع " تغيير التنقيح " بمطبعـــة جمال أفندى ، استانبول ،١٣٠٤هـ .

١٠) حاشية على حاشية السيد الشريف على الكشاف للزمخشرى (خ) بالمكتبة المركزيـــة بالجامعـــة برقم / ٣٧٧.

١١) حاشية على شرح طوالع الأصفهاني (خ) بجار الله آفندى باستانبـــول برقـــم / ١١٦٩ .

١٢) رسائل ابن كمال باشا (وفيها ٣٦ رسالة له) (ط) بمطبعة اقدام ، استانبول ، ١٣١٦هـ .

١٣) رسالة الاختلاف بين الأشاعرة والماتريدية (ط) بمطبعة جمال أفندى ، ضمن مجموعة ، استانبول ،١٣٠٤هـ .

١٤) رسالة الفرائد (ط) ضمن " رسائل ابن كمال باشا " بمطبعة اقدام ، استانبول ، ١٣١٦هـ .

١٥) رسالة في أفضلية النبي صلى الله عليه وسلم (خ) بالمكتبة الوطنية بتونس برقم ١٨٠٦٦ ، وعنها ميكروفلم بمركز البحث العلمي بالجامعة برقم / ٢٤٥ .

١٦) رسالة في إكفار قزلباش (الروافض) (خ) بالمحمودية برقم/٢٥٩٧ .

١٧) رسالة في بيان الروح (خ) بمكتبة فاتح برقم / ٥٣٣٧ مجاميع .

١٨) رسالة في بيان سر عدم نسبة الشر الى الله تعالى (ط) ضمن " رسائل ابن كمال باشا " ، مطبعة اقدام ، استانبول ١٣١٦هـ .

١٩) رسالة في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة (خ) ضمن مجموعة في مكتبة الحرم المكي الشريف برقم / ١٥١ .

٢٠) رسالة في تحقيق أن القرآن معجز (خ) ضمن مجموعة بالمحمودية برقم / ٢٥٩٧ .

٢١) رسالة في أن الممكن لايكون أحد الطرفين أولى به من نفسه (خ) ضمن مجموعة بالمحمودية برقم / ٢٥٩٧ .

٢٢) رسالة في تحقيق التغليب (خ) ضمن مجموعة بالمحمودية برقم/٢٥٩٧.

٢٣) رسالة في تحقيق الخواص والمزايا (خ) ضمن مجموعة ببرنستون برقم ٢٩٠٤ ، وعنها ميكروفلم بمركز البحث العلمي برقم / ٣٧٧ .

٢٤) رسالة في تحقيق زيادة الوجود على الماهية (خ) ضمن مجموعة بالمحمودية برقم / ٢٥٩٧.

٢٥) رسالة في تحقيق القول بأن الشهداء أحياء في الدنيا (ط) ضمن " رسائل ابن كمال باشا" مطبعة اقدام ، استانبول ١٣١٦هـ .

٢٦) رسالة في تحقيق المعجزة وبيان وجه دلالتها على صدق من يدعي النبوة (ط) ضمن " رسائل ابن كمال باشا " باستانبول ١٣١٦هـ .

٢٧) رسالة في تحقيق الوجود الذهني (خ) ضمن مجموعة بالمحمودية برقم / ٢٥٩٧ .

٢٨) رسالة في تفصيل الايمان ،(خ) بالمكتبة الوطنية بتونس برقم ١٨٠٦٦ ، وعنها ميكروفلم بمركز البحث العلمي بالجامعة برقم / ٢٤٥ .

٢٩) رسالة في حقيقة الميزان (ط) ضمن " رسائل ابن كمال باشا " بمطبعة اقدام ، استانبول ،١٣١٦هـ .

٣٠) رسالة في حشر الأجساد (خ) ضمن مجموعة بمكتبة الحرم المكي الشريف برقم / ١٥١.

٣١) رسالة في رؤية الله تعالى في المنام (خ) بدار الكتب المصرية برقم ٢٢٩ مجاميع تيمور ،وعندى عنها صورة .

٣٢) رسالة في رفع مايتعلق بالضمائر من الأوهام (ط) ضمن " رسائل ابن كمال باشا " بتحقيق د . ناصر سعد الرشيد ، ط . النادى الأدبي ، بالرياض ، ١٤٠١هـ .

٣٣) رسالة في الشخص الانساني (= الروح) (ط) ضمن " رسائل ابن كمال باشا " باستانبول ١٣١٦هـ .

٣٤) رسالة في علوم الحقائق وحكمة الدقائق (خ) ضمن مجموعة ببرنستون برقم ٢٩٠٤ ،وعنها ميكروفلم بمركز البحث العلمي / ٣٧٧ .

٣٥) رسالة في القضاء والقدر (ط) ضمن " رسائل ابن كمال باشا " ، باستانبول / ١٣١٦هـ .

٣٦) رسالة في مسألة خلق القرآن (خ) بالمحمودية برقم ٢٥٩٧ مجاميع واعتمدت كذلك - مع البيان - على ميكروفلم بمركز البحث العلمي برقم / ٦٧٣.

٣٧) شرح الأربع والعشرين حديثا (خ) ضمن مجموعة بالمحمودية برقم/٢٥٩٧.

٣٨) شرح الأربعين (ط) ضمن " رسائل ابن كمال باشا " باستانبول ،١٣١٦هـ .

٣٩) شرح العشر في معشر الحشر (خ) ببرنستون برقم ٣٣٣٠ مجاميع ،وعنها ميكروفلم بمركز البحث العلمي برقم / ٤٢١.

٤٠) شرح القصيدة الخمرية لابن الفارض (خ) ضمن مجموعة بمكتبة الحرم المكي الشريف برقم / ١٥١ .

٤١) شرح المقالة المفردة في الكلام للايجي (خ) ضمن مجموعة ببرنستون برقم ٨٣٢ ، وعنها ميكروفلم بمركز البحث العلمي بالجامعة برقم ٦٧٣ .

٤٢) عقائد مختصرة (بالتركية) (خ) ضمن مجموعة بمكتبة طيرنوالي برقم / ١٨٦٠.

٤٣) كتاب الرد على الفرق (= المقالات في بيان أهل البدع والضلالات) (خ) ، بمكتبة جامعة ليدن برقم ٤/٢٦٣٦ ،وعندى عنها صورة ، وكذلك بالمكتبة المركزية برقم / ١٦٠٤(خ) الا أنه ناقص ،سقطت منه ورقتان من الوسط .

ثانيا: المصادر العامة :

الآلوسي : أبو الثنا شهاب الدين محمود البغدادى (ت ١٢٧٠هـ) :

٤٤)- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ،دار الفكر ، بيروت ،١٤٠٣هـ .

الآمدى : سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي (ت ٦٣١ هـ) .

٤٥) أبكار الأفكار (خ) مكتبة آيا صوفيا – ٢١٦٦ وعنها ميكروفلم في مركز البحث العلمي بالجامعة برقم ٥٤ عقيدة .

٤٦) غاية المرام في علم الكلام ،ت . حسن محمود عبد اللطيف ،ط . المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ،١٣٩١هـ – ١٩٧١م.

أحمد بن حنبل : الامام (ت ٢٥٢ هـ) :

٤٧) كتاب الرد على الجهمية والزنادقة ،ضمن عقائد السلف،ت . علي سامي النشار – عمار الطالبي ،ط . منشأة المعارف ، الاسكندرية ،١٩٧١م .

٤٨) المسند ، المكتب الاسلا مي ،بيروت ،بدون تاريخ .

الأزهرى : أبو منصور محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ):

٤٩) تهذيب اللغة ،ت.عبد السلام هارون ، ط . الدار المصرية للتأليف والترجمة ،القاهرة ،١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

الاسفراييني : أبو المظفر شاهفور بن طاهر بن محمد (ت ٤٧١هـ):

٥٠) التبصير في الدين ،ت.محمد زاهد الكوثرى ،ط . الأنوار ،القاهرة ١٣٥٩هـ .

الأشعرى : الامام أبو الحسن علي بن اسماعيل (ت ٣٣٠ هـ):

٥١) الابانة عن أصول الديانة ،ت . فوقية حسين ،دار الانصار ،القاهرة ، ١٣٩٧هـ .

٥٢) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ،عناية: هلموت ريتر ،ط . دار نشر فرانز شتاينر بفيسبادن ،الثانية ،١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.

ابن أبي أصيعبة : أحمد بن القاسم :

٥٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ،ت. نزار رضا،مكتبة الحياة ، بيروت .

الأصفهاني : أبو نعيم أحمد بن عبد الله (٤٣٠هـ):

٥٤) تاريخ بغداد ، ط . مكتبة المثنى ،الأولى ،١٣٤٩هـ .

٥٥) دلائل النبوة ،ت ،محمد رواس قلعه جي ،ط . دار النفائس الثانية ، بيروت ،١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

ابن الأنباري : أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧):

٥٦) الداعي الى الاسلام في أصول علم الكلام ،ت . سيد باغجوان ،ط . دار البشائر الاسلامية ،الأولى ،بيروت ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

الايجي : عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد

٥٧) المواقف في علم الكلام ،عالم الكتب ،بيروت ،بدون تاريخ .

ابن اياس : أبو البركات محمد بن أحمد (ت ٩٣٠ هـ) :

٥٨) بدائع الزهور في وقائع الدهور ،ت . محمد مصطفى ،ط. عيسى الحلبي ، القاهرة ،١٣٨٠ هـ .

الباقلاني: القاضي أبوبكر محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ):

٥٩) كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة ، تصحيح الأب رتشرد يوسف مكارثي ،المكتبة الشرقية ، بيروت ،١٩٥٨م .

٦٠) كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ،ت . عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت ،١٤٠٧هـ .

ابن بالي : علي بن بالي بن محمد الرومي المعروف بمنق (ت ٩٩٢هـ):

٦١) العقد المنظوم في أفاضل الروم ،وهو ذيل على الشقائق النعمانية لطاشكبرى زاده ،دار الكتاب العربي ،بيروت ،١٣٩٥هـ .

البخـــاري : الامام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ) :

٦٢) الجامع الصحيح ، المطبوع مع شرحه " فتح البارى " ترقيم محمد فــؤاد عبد الباقي ، تصحيح محب الدين الخطيب ، المكتبـــة السلفية ، القاهرة .

٦٣) خلق أفعال العبــاد ،ضمن عقائد السلف ،ت . علي سامي النشـــار ، عمار الطالبي ،ط . منشأة المعارف ، الاسكندريـــة ، ١٩٧١م.

البخـــاري : عبد العزيز البخـــارى :

٦٤) كشف الأسرار على أصول الامام فخر الاسلام البزدوى ، طبعة مصورة عن طبعة استانبول ،كراتشي ،باكستان .

بخيـــــت : الشيخ محمد بخيت المطيعي :

٦٥) القول المفيد شرح وسيلة العبيد في علم التوحيد ،ط . المطبعـــة الخيريـــة الأولى ، القاهرة ١٣٢٦هـ .

بروكلمـــان : كارل

٦٦) تاريخ الأدب العربي (بالألمانية) ،مطبعة بريل ،ليدن ،١٩٤٣م.

البـــزدوى : أبو اليسر محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت ٤٩٣هـ) :

٦٧) أصول الدين ،ت . هانز بيترلنس ،ط . عيسى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م.

البـــزدوى : فخر الاسلام ،أبو الحسن علي بن محمد بن الحسين .

٦٨) أصول البزدوى ، المطبوع مع شرحه " كشف الاسرار " للبخاري .

البستانـــي :

٦٩) دائرة المعارف ،بيـــروت ، ١٩٦٠م.

البغـــدادى : اسماعيل باشا (١٣٤٠هـ):

٧٠) ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، استانبول ، ١٩٤٥م .

٧١) هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ،ط . استانبول .

٧٢) أصول الدين ،ط . استانبول ١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م.

٧٣) الفرق بين الفرق ،ت . محمد زاهد الكوثرى ،ط. عزت العطار ، القاهرة ١٣٦٧هـ .

البغوي : أبو محمد حسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ) :

٧٤) شرح السنة ،ت . شعيب الأرنؤوط ، المكتب الاسلامي ،بيروت ،١٤٠٣هـ .

البوطي : د . محمد سعيد رمضان :

٧٥) كبرى اليقينيات الكونية ،ط . دار الفكر ، الثامنة ،دمشق ،١٩٨٢م.

البياضي : كمال الدين أحمد (١٠٩٢هـ):

٧٦) إشارات المرام من عبارات الإمام ،ت . يوسف عبد الرزاق ،ط . مصطفى البابي الطبي ، الأولى ، القاهرة ،١٣٦٨- ١٩٤٩م.

البيجوري : ابراهيم بن محمد (ت ١٢٧٧هـ):

٧٧) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد - دار الكتب العلمية ،بيروت ١٤٠٣هـ.

البيضاوي : أبو سعيد عبد الله بن عمر (٦٨٥هـ):

٧٨) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،مؤسسة شعبان للنشر ،بيروت .

البيهقي : الحافظ أبوبكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ):

٧٩) الأسماء والصفات ، ط. دار الكتب العلمية ، الأولى ،بيروت ١٤٠٥هـ .

٨٠) الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد ،ت . كمال يوسف الحوت ،عالم الكتب ، بيروت ،١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٨١) دلائل النبوة ،ت . عبد المعطي قلعه جي ،دار الكتب العلمية ،بيروت،١٤٠٥هـ

٨٢) عذاب القبر وسؤال الملكين ، المكتب السلفي لتحقيق التراث الاسلامي ، مصر .

٨٣) كتاب البعث والنشور ،ت . عامر أحمد حيدر ،ط . مركز الخدمات والأبحاث الثقافية ، الأولى ،بيروت ،١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

الترمذي : أبو عبد الله محمدبن علي الحكيم (ت ٣٢٠هـ):

٨٤) نوادر الأصول ، ت .د .السيد الجميلي وزميله ،دار الريان ،القاهرة ،١٤٠٨هـ .

الترمذي : الامام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩ هـ):

٨٥) الجامع الصحيح (السنن) ،ت . أحمد شاكر ،ومحمد فؤاد عبد الباقي وابراهيم عطوه عوض ،دار احياء التراث العربي ، بيروت .

التفتازاني : سعد الدين مسعود بن عمر (ت٧٩١هـ):

٨٦) التلويح على التوضيح لصدر الشريعة المحبوبي (ت ٧٤٧هـ) ،دار الكتب العلمية ، بيروت ،بدون تاريخ .

٨٧) شرح العقائد لعمر النسفي (ت٥٣٧هـ) ،ط . استانبول ،١٣١٠هـ .

٨٨) شرح المقاصد، ت . عبد الرحمن عميره ،ط . عالم الكتب الأولى ، بيروت ، ١٤٠٩هـ .

التميمي : تقي الدين عبد القادر (ت ١٠٠٥هـ):

٨٩) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، ت. عبد الفتاح محمد الحلو ، ط . دار الرفاعي الأولى ، الرياض ،١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

التميمي : أبو الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز

٩٠) اعتقاد الامام أحمد بن حنبل ،ملحق طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ، ط . محمد حامد الفقي ،١٣٧١ هـ ، ١٩٥٢م.

التهانوى : محمد علي الفاروقي :

٩١) كشاف اصطلا حات الفنون ،ت . لطفي عبد البديع ،المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، القاهرة ،١٩٦٣م /وطبعة الهند .

ابن تيمية : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ) :

٩٢) بغية المرتاد ،ت . موسى بن سليمان الدويش ،ط . مكتبة العلوم والحكم ، الاولى ، المدينة المنورة ،١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م.

٩٣) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ،ت . محمد بن عبد الرحمن ابن قاسم ،مطبعة الحكومة ،مكة المكرمة ،١٣٩١هـ

٩٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ،مطابع المجد التجارية ،بدون تاريخ.

٩٥) درء تعارض العقل والنقل ،ت . محمد رشاد سالم ،ط. جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٩٦) شرح العقيدة الأصفهانية ،تقديم حسنين مخلوف ،دار الكتب الحديثة ، مصر .

٩٧) مجموعة الرسائل الكبرى ،مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة ، ١٣٨٦هـ .

٩٨) مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل ،لجنة التراث العربي .

٩٩) منهاج السنة النبوية ،ت . محمد رشاد سالم ،ط. مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ،١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

١٠٠) النبوات : المطبعة السلفية ومكتبتها ،القاهرة ١٣٨٦هـ

الجبوري : د. عبد الله :

١٠١) فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد ،ط. رئاسة ديوان الأوقاف ،بغداد ،ج ١ ،١٣٩٣هـ ،ج٢ ، ١٣٩٤هـ .

الجرجاني : السيد الشريف أبو الحسن علي بن محمد (ت ٨١٦ هـ):

١٠٢) التعريفات ، مطبعة أحمد كامل ،استانبول ،١٣٢٧هـ .

١٠٣) ومعه متممات التعريفات ، لمؤلف مجهول .

١٠٤) شرح المواقف ،مطبعة الحاج محرم أفندى ،استانبول ١٢٨٦هـ .

الجزيري : عبد الرحمن

١٠٥) توضيح العقائد في علم التوحيد ، مطبعة الارشاد ، مصر ،١٩٤٥م.

الجليند : د . محمد السيد :

١٠٦) الامام ابن تيمية وقضية التأويل ، مكتبات عكاظ ،السعودية،١٤٠٣هـ .

١٠٧) مقدمة لكتاب التوحيد لابن تيمية ،ط . مطبعة التقدم الثانية، القاهرة ١٣٩٩هـ .

ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (٥٩٧هـ) :

١٠٨) زاد المسير في علم التفسير ، المكتب الاسلامي ، بيروت ١٣٨٥هـ .

١٠٩) مناقب الامام أحمد بن حنبل ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ .

١١٠) الموضوعات ، ط. دار الفكر ، الثانية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .

الجوهري : أبو نصر اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ) :

١١١) الصحاح ، ت . أحمد عبد الغفور عطار ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ .

الجويني : إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله ، أبو المعالي (ت٤٧٨هـ) :

١١٢) الإرشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، ت . محمد يوسف موسى ، وزميله ، مكتبة الخانجي ، مصر ١٣٦٩هـ .

١١٣) العقيدة النظامية ، ت . محمد زاهد الكوثري ، مطبعة الأنوار ، القاهرة ، ١٣٦٧هـ .

حاجي خليفه : مصطفى بن عبد الله (١٠٦٧هـ) :

١١٤) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، استانبول ١٩٤١ م .

الحاكم : أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت٤٠٥هـ) :

١١٥) المستدرك على الصحيحين ، ط . حيدر آباد ، ١٣٣٤ـ ١٣٤٢هـ .

ابن حجر : شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على العسقلاني (ت٨٥٢هـ) :

١١٦) تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، تصحيح وتعليق السيد عبد الله هاشم اليماني المدني ، المدينة المنورة ، ١٣٨٤هـ .

١١٧) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، تصحيح محب الدين الخطيب ، المكتبة السلفية ، القاهرة .

١١٨) الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ، طبع مع " الكشاف " ، دار المعرفة ، بيروت .

١١٩) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ،ت ٠ الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي ،ط ٠ المطبعة العصرية ،الأولى ،الكويت ، ١٣٩٣هـ ٠

ابن حجر الهيتمي : شهاب الدين أحمد بن حجر (ت٩٧٤هـ) :

١٢٠) الفتاوى الحديثية ، مصورة دار المعرفة عن الطبعة المصرية ، بيروت ٠

الحديدى : د ٠ محمد أبو النور :

١٢١) عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة اليهم ، مطبعة الامامة ، مصر ٠

ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ):

١٢٢) الفصل في الملل والاهواء والنحل ،ت ٠ عبد الرحمن عميره وزميله ، مكتبات عكاظ ، السعودية ،١٤٠٢هـ ٠

١٢٣) مراتب الاجماع ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،بدون تاريخ ٠

ملا حسين ابن اسكندر الحنفي :

١٢٤) الجوهرة المنيفة في شرح الوصية للامام أبي حنيفة ،ط ٠ الشئون الدينية ،قطر ،بدون تاريخ ٠

حلمي : د ٠ مصطفى

١٢٥) الحياة الروحية في الاسلام ،ط ٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب الثانية ، ١٩٨٤م٠

الحليمي : أبو عبد الله الحسين بن حسن (ت ٤٠٣ هـ) :

١٢٦) المنهاج في شعب الإيمان ،ت ٠ حلمي فودة ،دار الفكر ،بيروت ،١٣٩٩هـ

الحمد : د ٠ أحمد ناصر :

١٢٧) ابن حزم وموقفه من الإلهيات ،ط ٠ جامعة أم القرى ،الاولى ،١٤٠٦هـ ٠

١٢٨) رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها ،معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى ،١٤١١هـ ٠

الحميضـــي : د . عبد الرحمن بن ابراهيم :

١٢٩) خوارق العادات في القرآن الكريم ،ط . شركة مكتبات عكاظ للنشر ، السعوديـة ،١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

ابن الحنائـــي : علي بن محمد الحَميدى (٩٧٩هـ) :

١٣٠) طبقات الفقهاء ، المنسوب خطأ لطاشكبرى زاده ،نشر أحمد نيلـــة ، الموصل ،١٩٥٤م.

أبو حنيفـــة : الامام نعمان بن ثابت الكوفـي (ت ١٥٠هـ):

١٣١) الفقـه الأكبر ، المطبوع ضمن الرسائل الخمسللا مام ،دار القلـم للنشـر مع الترجمـة التركية ،استانبول ،١٩٨١م.

١٣٢) الوصية ، المطبوع ضمن الرسائل الخمـس .

الخـــازن : علاء الدين علي بن محمد البغدادى :

١٣٣) لباب التأويل في معاني التنزيل ،ط . دار المعرفة ،(المصـورة عن طبعة الميمنية ، القاهرة ،١٣١٧هـ) ،بيروت .

ابن خزيمـة : محمد بن اسحاق :

١٣٤) كتاب التوحيد ،ت . محمد خليل هراس ،تصوير دار الكتب العلمية بيروت ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

خفاجـي : د . محمود أحمـد :

١٣٥) في العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ، تحليل ونقد ،الجزء الأول ،ط . الاولى ،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

ابن خلكـــان : أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ):

١٣٦) وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ،ت . احسان عباس ،دار الثقافة بيـــروت .

الدار قطنـي : الامام أبو الحسن علي بن عمر (ت ٣٨٥هـ):

١٣٧) كتاب الروّية ،ت . ابراهيم محمد العلي وزميله ،مكتبة المنـار ، الزرقاء ، الاردن ،١٤١١هـ .

الدارمـــي : أبو سعيـــد (ت٢٨هـ) :

١٣٨) الرد على الجهميـة ،ضمن عقـائد السلف ،ت ٠ علي سامي النشـــار ، وزميلـه ، منشأة المعارف،الاسكندرية ،١٩٧١م٠

الدارمـــي : الامام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن (ت٢٥٥هـ) :

١٣٩) السنن ،ت ٠ محمد أحمد دهمان ،دار احياء السنة النبويـة ٠

أبوداود : سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ) :

١٤٠) السنن ،ت ٠ عزت عبيد دعاس ، الطبعة الأولى ،١٣٨٨هـ ٠

الـدواني : جلال الديـن ٠

١٤١) شرح العقائد العضديـة ،ت ٠ سليمان دنيا ، بعنوان "الشيخ محمـد عبده بين الفلاسفة والمتكلمين " ط ٠ عيسى الحلبي ، القاهرة ،١٣٧٧هـ ٠

ابن الديبـــع : عبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني (ت٩٤٤هـ) :

١٤٢) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار ،ت ٠ عبد الله بن ابراهيـــم الأنصارى ، مطابع قطر الوطنيـة ، قطـر ٠

الذهبـــي : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمـان (٧٤٨هـ) :

١٤٣) تلخيص المستدرك ، بهامش المستدرك للحاكم ٠

١٤٤) سير أعلام النبلاء ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ،١٤٠١هـ ٠

١٤٥) العلو للعلي الغفار ، تصحيح عبد الرحمن عثمان ،ط ٠ دار الفكـــر ، الثانية ، بيروت ، ١٣٨٨هـ ٠

الرازى : فخر الدين محمد بن عمر بن الحسيـــن (ت ٦٠٦هـ) :

١٤٦) الأربعين في أصول الدين ،ت ٠ د.أحمد حجازى السقا ، الكليـــات الأزهريـة ،مصر ٠

١٤٧) أساس التقديس ،ت. د. أحمد حجازى السقا ، مكتبة الكليـــــات الأزهرية ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٤٨) لوامع البينات شرح أسماء اللـه تعالى والصفات ،ت. طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م. القاهـــــرة .

١٤٩) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، ت. طه عبد الرؤوف سعد ،ط. دار الكتاب العربي ، الأولى ،بيروت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٥٠) مفاتيح الغيب (= التفسير الكبير) ،دار الكتب العلمية ،طهران .

الراغـــــب : أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ):

١٥١) الذريعة الى مكارم الشريعة ،ت. أبو اليزيد العجمي ،ط. دار الوفاء ، الثانية ، المنصورة ،١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

ابن رجب الحنبلي : أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد (٧٩٥هـ):

١٥٢) التخويف من النـار ،ت. بشير محمد عيون ،ط . دار البيان الاولى، دمشق، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٥٣) الذيل على طبقات الحنابلة ،تصحيح محمد حامد الفقي ،ط. السنـــة المحمديـة ، القاهرة ، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م.

رزق الحجـــر :

١٥٤) ابن الوزير اليمني ومنهجه الكلامي ،ط. الدار السعودية ،الاولى جدة ،١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

ابن رشـــد : القاضي محمدبن أحمـــد (٥٩٥) :

١٥٥) مناهج الأدلـة في عقائد الملـة ،ت. محمود قاسم ،مكتبة الانجلو المصريـة ، الطبعة الثانية ، القاهرة .

الزبيـــــدي : محمد بن الحسين ،أبو الغيض (ت ١٢٠٥هـ) :

١٥٦) اتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين ،ط . الميمنيـــة ، القاهرة ، ١٣١٢هـ .

الزركلـــي : خير الديـــن :

١٥٧) الاعلام ، ط . دار العلم للملايين ، الخامسة ،بيروت ،١٩٨٠م.

الزمخشـــرى : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (٥٣٨هـ) :

١٥٨) أساس البلا غة ،ط . دار المعرفـة ،بيروت ،١٤٠٢هـ .

١٥٩) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ،دار المعرفة ،بيروت .

أبو زهـــرة : محمـــد :

١٦٠) تاريخ المذاهب الاسلامية ،دار الفكر العربي ،بدون بيانات أخرى .

زيـــدان : جرجـي :

١٦١) تاريخ آداب اللغة العربيـة ،دار الهلال ،القاهـرة .

سالـــم عبد الرزاق أحمـــد :

١٦٢) فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ،ط . وزارة الأوقاف والشئون الدينيـة ، العراق ،١٣٩٧، ١٩٧٧ م.

السخـــاوى : محمد بن عبد الرحمـن (ت٩٠٢هـ) :

١٦٣) المقاصد الحسنة ، ت . عبد الله محمد الصديق ،ط . دار الكتـــب العلميـة ،الأولى ،بيروت ،١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

ابن سعـــد : محمد (ت ٢٣٠هـ) :

١٦٤) الطبقات الكبرى ،دار بيروت ،دار صادر ،بيروت ،١٣٧٧هـ .

أبو السعـــود : محمد بن محمد العمادى (ت ٩٨٢هـ) :

١٦٥) إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ،دار إحياء التراث العربي ،بيروت .

١٦٦) رسالة في بيان لفظ جلبي ، مخطوطة بالمحمودية بالمدينة المنورة ضمن مجموعة برقم / ٢٧٨٧ .

١٦٧) رسالة في الرياء والاستخفاف بالدين والجهر بالذكر والتغني واللحن ، المطبعة العمومية ، تونس ،١٣١٧هـ .

السفاريني : محمد بن أحمد :

١٦٨) لوامع الأنوار البهية ،ط . المكتب الاسلامي الثامنة ،بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

السمرقندى : شمس الدين (ت بعد ٦٩٠هـ):

١٦٩) الصحائف الإلهية ،ت . أحمد عبد الرحمن الشريف ،مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٤٠٥هـ .

السمرقندى : علاء الدين أبوبكر محمد بن أحمد (ت ٥٣٩هـ):

١٧٠) ميزان الأصول في نتائج العقول ،ت . محمد زكي عبد البر ،مطابع الدوحة القطرية ،١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

ابن سيناء : أبو علي الحسين :

١٧١) رسالة الأضحوية في المعاد ، ت . حسن عاصي ،ط . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، الاولى ،بيروت١٤٠٤هـ -١٩٨٤م

١٧٢) النجاة في الحكمة ... ،ط . الكردى ، الثانية، القاهرة ، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ):

١٧٣) أحوال الروح ،(خ) في مكتبة برنستون ،برقم/ ٨٣٢ ،وعنها ميكروفلم بمركز البحث العلمي بالجامعة برقم / ٦٧٣ .

١٧٤) تخريج أحاديث شرح المواقف للجرجاني ،ت . حمدى بن عبد المجيد السلفي ،مكتبة دار الاقصى ،الكويت ،١٤٠٥هـ .

١٧٥) تخريج أحاديث شرح العقائد للسعد ، طبع مع الكتاب السابق ذكره.

١٧٦) الدر المنثور ،ط . دار الفكر ، الأولى ،بيروت ١٤٠٣هـ

الشاطبي : أبو اسحاق ابراهيم بن موسى اللخمي (ت ٧٩٠هـ) :

١٧٧) الموافقات ، مكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، (بعناية محمد دراز) .

*) الاعتصام ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، بدون تاريخ .

شكعة : د . مصطفى :

١٧٨) جلال الدين السيوطي مسيرته العلمية ومباحثه اللغوية ، مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ) :

١٧٩) الملل والنحل ، ت . عبد العزيز محمد الوكيل ، ط . الحلبي ، القاهرة ١٣٧٨هـ .

١٨٠) نهاية الاقدام في علم الكلام ، ت . الفردجيوم ، مكتبة المثنى ، بغداد .

شيخ زاده : عبد الرحيم بن علي :

١٨١) نظم الفرائد وجمع الفوائد ، المطبعة العامرة ، استانبول /١٢٨٨هـ.

الصابوني : نور الدين أحمد بن محمود (ت ٥٨٠ هـ) :

١٨٢) البداية في أصول الدين ، ت . بكر طوبال أوغلي ، مطبعة محمد هاشم الكتبي ، دمشق / ١٣٩٩هـ .

الصابوني : محمد علي :

١٨٣) مختصر تفسير ابن كثير ، ط . دار القرآن الكريم ، السادسة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ .

الصاعدي : أبو العلا صاعد بن محمد الاستوائي (ت ٣٤٢هـ) :

١٨٤) كتاب الاعتقاد ، (خ) جامعة ليدن برقم ١٩٧٧ ، وعندى عنها صورة

صدر الشريعة : عبيد الله بن مسعود المحبوبي (ت ٧٤٧هـ) :

١٨٥) التوضيح في حل غوامض التنقيح ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

الصفصافي : أحمد المرسي :

١٨٦) معجم صفصافي (تركي - عربي) الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٧٩م

الصنعاني : عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١هـ):

١٨٧) المصنف ، ت . حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ١٤٠٣هـ .

طاشكبرى زاده : أحمد بن مصطفى بن خليل (ت ٩٦٨هـ):

١٨٨) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٣٩٥هـ .

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ):

١٨٩) جامع البيان في تفسير آى القرآن ، الأميرية ببولاق ، ١٣٢٨هـ .

الطناحي : د . محمود محمد :

١٩٠) الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم ، مكتبة الخانجي ، بالقاهرة ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م .

الطوسي :

١٩١) تلخيص المحصل للرازى ، ت . طه عبد الرؤوف سعد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٤هـ ، مع المحصل .

الطيالسي : أبوداود سليمان بن داود :(٢٠٤هـ) :

١٩٢) المسند ، مصورة دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .

الظواهري : محمد الحسيني :

١٩٣) التحقيق التام في علم الكلام ، مكتبة النهضة المصرية ، الأولى ، القاهرة ، ١٣٥٧هـ .

ابن عابدين : محمد آمين بن عمر :

١٩٤) رسالة رفع الاشتباه عن عبارة الأشباه ، ضمن رسائل ابن عابدين بدون مكان الطبع والتاريخ .

* - ردالمحتار على الدر المختار ، دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ .

عبد الباقـــي : محمد فؤاد :

١٩٥) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ،مؤسسة جمال للنشر ، بيروت .

ابن عبد البـر : أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبي (٤٦٣هـ):

١٩٦) تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ،مكتبة القدسى ، القاهرة، ١٣٥٠هـ

* ـ الإستذكار ،ت. على النجدى ناصف،لجنة إحياء التراث العربى ،القاهرة، ١٩٧٠م .

١٩٧) جامع بـيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ،مطبعـــة المنيرة /القاهرة / ١٣٤٦هـ .

عتـــر : د . حسن ضياء الديــن :

١٩٨) بينات المعجزة الخالــدة ،دار النصر ،حلب / ١٣٩٥هـ .

١٩٩) نبوة محمد في القرآن الكريم ،دار البشائر الاسلامية / بيـــروت ١٤١٠هـ .

العجلونـي : اسماعيل بن محمـــد (ت ١١٦٢هـ):

٢٠٠) كشف الخفا ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنـــة الناس ، تصحيح أحمد القلاش ،ط . مؤسسة الرسالـــة الرابعة ،بيروت ١٤٠٥هـ .

ابن عـــدى : أبو أحمد عبد الله بن عدى (ت٣٦٥هـ):

٢٠١) الكامل في ضعفاء الرجال ،ط. دار الفكر ،بيروت ١٤٠٥هـ .

أبو عذبـــة : الحسن بن عبد المحسن :

٢٠٢) الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية ،ت . عبد الرحمن عميرة ط . عالم الكتب ،الاولى ،بيروت، ١٤٠٩هـ ــ ١٩٨٩م.

ابن العربـــي : القاضي أبوبكـر محمد بن عبد الله المعافرى (ت٥٤٣هـ):

٢٠٣) عارضة الأحوذى بشرح صحيح الترمذى ،تصوير دار العلـم للجميـــع ، بيروت .

ابن أبي العـــز : علي بن علي بن محمـــد :

٢٠٤) شرح العقيدة الطحاوية ،ط . المكتب الاسلا مي ، السابعة ،بيروت، ١٤٠٣هـ .

العصامي : عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي (ت ١١١١هـ):

٢٠٥) سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالى ، المكتبة السلفية ، القاهرة ،١٣٧٩هـ ،اهتمام قاسم درويش فخرو .

العظم : جميل بك :

٢٠٦) عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون تصنيفا فمائة فأكثر ، المطبعة الأهلية ، بيروت ، ١٣٢٦هـ .

ابن العماد : أبو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ):

٢٠٧) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، المكتب التجارى للطباعة ، بيروت .

القاضي عياض : بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ):

٢٠٨) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ،ت . نور الدين قرة على وزملائه مكتبة الفارابي ،مؤسسة علوم القرآن ،دمشق ،

الغامدى : د . أحمد عطيه :

٢٠٩) البيهقي وموقفه من الإلهيات ،ط . الجامعة الاسلامية ،الثانية ، المدينة المنورة ،١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

الغزالي : أبو أحمد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ):

٢١٠) إحياء علوم الدين ،مؤسسة الحلبي ، مصر ١٣٨٧هـ .

٢١١) المنقذ من الضلال ،ت . عبد الحليم محمود ، دار الكتب الحديثة ١٣٩٤هـ .

٢١٢) تهافت الفلاسفة ،ت . سليمان دنيا ،ط . دار المعارف ، الخامسة ، مصر .

الغزى : نجم الدين (ت١٠٦١هـ):

٢١٣) الكواكب السائره بأعيان المائة العاشرة ،ت . جبرائيل سليمان جبور ، بيروت ،بدون تاريخ .

ابن الغــزى : محمد بن عبد الرحمن (ت١١٦٧هـ) :

٢١٤) ديوان الاسلام (خ) دار الكتب المصريـــة ، خ ٢٢٠٨ ٠

الفيروز أبادى : مجد الدين محمد بن يعقــوب (ت ٨١٧هـ) :

٢١٥) القاموس المحيط ،ط ٠ مصطفى البابي الحلبي ، الثانية ، ١٣٧١هـ ٠

الفيومــي : أحمد بن محمد بن علـي (ت ٧٧٠هـ) :

٢١٦) المصباح المنير ،المكتبة العلميـة ،بيروت ٠

القــارى : علي بن سلطان محمد الهروى المكي ، الشهير بملا علي القارى ، (١٠١٤هـ) :

٢١٧) الاسرار المرفوعة ،ت ٠ محمد لطفي الصباغ ،ط ٠ المكتب الاسلا مــي ، الثانية ، بيروت ،١٤٠٦هـ ٠

٢١٨) شرح الأمالي ، دار صلاح بليجي ، استانبول ،بدون تاريـخ ٠

٢١٩) شرح الشفـــا ، تصوير دار الكتب العلميـة ،بيروت ٠

٢٢٠) شرح الفقـه الأكبر ،ط ٠ دار الكتب العلمية ، الأولى ،بيروت ١٤٠٤هـ

٢٢١) فرائد القلائد على أحاديث شرح العقائد ،ت٠ مشهور حسن سلمـــان ، المكتب الاسلا مي ، دار عمار ،١٤١٠هـ ٠

٢٢٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيـح ، الميمنية ، القاهرة ،١٣٠٩هـ ٠

القاسمـي : جمال الديـــــن :

٢٢٣) تاريخ الجهمية والمعتزلة ، موسسة الرسالة ،بيروت ،١٣٩٩هـ ٠

٢٢٤) دلائل التوحيد /دار الكتب العلميـة ،بيروت ،١٤٠٥هـ ٠

القاضي عبد الجبـار : أبو الحسن أحمد بن حنبل الأسد آبادى :

٢٢٥) شرح الأصول الخمسة ،ت ٠ عبد الكريم عثمان ،مكتبة وهبه ، القاهرة ، ١٩٦٥م٠

القرطبي : محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ) :

٢٢٦) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ،ت.د .أحمد حجازي السقا، مصر.

٢٢٧) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ،ت. فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٨هـ .

٢٢٨) الجامع لأحكام القرآن ،ط. مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية .

قطب الدين المكي : محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد النهروالي الهندي (ت ٩٩٠هـ) :

٢٢٩) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، بهامش خلاصة الكلام للشيخ أحمد زيني دحلان ، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٥ هـ .

ابن قطلوبغا : قاسم بن قطلوبغا (ت ٨٧٩هـ) :

٢٣٠) شرح المسايرة لابن الهمام ، المطبوع بهامش المسايرة ، المطبعة الأميرية ،مصر ،١٣١٧هـ .

قنديل : د. لطفي صالح :

٢٣١) ابن كمال باشا، رسائله البلاغية ،دراسة وتحقيق ،رسالة الماجستير بكلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر برقم ١٠٠٢ .

ابن قيم الجوزية : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ) :

٢٣٢) حادي الأرواح الى بلاد الأفراح ،مطبعة المدني ،القاهرة ،١٣٨٤هـ .

٢٣٣) الروح ، تصوير دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٣٩٥هـ .

٢٣٤) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ،دار المعرفة بيروت ، ١٣٩٨هـ .

٢٣٥) مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ،ت. محمد حامد الفقي ،تصوير دار الفكر ،بيروت .

٢٣٦) مفتاح دار السعادة ، تصوير دار الكتب العلمية ،بيروت .

ابن كثيـــر : عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشـــي (ت٧٧٤هـ):

٢٣٧) تفسير القرآن العظيم ،ت . محمد ابراهيم البنا وزملائه ،طبعـــة الشعب ، القاهرة .

٢٣٨) النهاية في الفتن والملاحم ،تصحيح أحمد عبد الشافي ،دار الكتـــب العلميـــة ،بيروت ،١٤٠٨هـ .

كحـــالة : عمر رضـــا :

٢٣٩) معجم المؤلفين ، تراجم مصنفي الكتب العربية ، مكتبة المثنـــى ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .

الكرمـــي : مرعي بن يوسف الحنبلـــي (١٠٣٣هـ):

٢٤٠) أقاويل الثقات ،ت . شعيب الأرنؤوط ،مؤسسة الرسالة ،بيروت،١٤٠٦هـ

٢٤١) تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان ، ت . مشهور حسن سليمان ، دار ابن القيم للنشر .

الكستلـــي : مصلح الدين مصطفى (٩٠١هـ):

٢٤٢) حاشية الكستلي على شرح العقائد للسعد ،استانبول ١٣٠٧هـ .

الكشميـــرى : محمد أنور شاه الهندى (١٣٥٢هـ):

٢٤٣) التصريح بما تواتر في نزول المسيح ،ت . عبد الفتاح أبو غـــدة ، مكتب المطبوعات الاسلامية ،ودار القرآن الكريـــم ، بيروت ،١٤٠١هـ .

الكفـــوى : محمود بن سليمان (ت ٩٩٠هـ):

٢٤٤) كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار ، مخطـــوط بمكتبة المحمودية برقم ٢٥٧٥ بالمدينة المنورة .

الكلنبوى : المحقق إسماعيـــل :

٢٤٥) حاشية الكلنبوى على الجلال من العقائد ،ط . استانبول ،١٣٠٧هـ .

الكمال بن أبي شريـــف :

٢٤٦) المسامرة بشرح المسايرة لابن الهمام ، المطبعة الأميريـة ، بولاق ،١٣١٧هـ .

كمال هاشم نجـــا :

٢٤٧) مذكراتـه في العقيدة لطلاب الدراسات العليا الشرعية بجامعة أم القرى لعام ١٤٠٢هـ .

الماتريـــدى : أبو منصور محمد بن محمد بن محمـود (ت ٣٣٣هـ) :

٢٤٨) كتاب التوحيـد ،ت . فتح اللـه خليف ، طبعة مصورة ، استانبول،١٩٧٩م

ابن ماجـــه : أبو عبد اللـه محمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ) :

٢٤٩) السنن ،ت . محمد فؤاد عبد الباقـي ،ط عيسى الحلبي ،مصـر .

مالـــك : الامام ابن أنـس (ت ١٧٩هـ) :

٢٥٠) الموطأ ،ت . محمد فؤاد عبد الباقي ،ط . عيسى الحلبي ،مصر .

المتقـــى : على بن حسام الدين عبد الملك بن قاضيخان الهندى(ت٩٧٥هـ) :

٢٥١) كنز العمال ،ط . مكتبة التراث الاسلا مي ،الأولى ،حلب ،١٣٩٠هـ

المحلى الرمال : الشيخ أحمد بن علـي :

٢٥٢) تاريخ غزوة السلطان سليم مع قانصوه الغورى ،مخطوط بمكتبـة عارف حكمت بالمدينـة المنورة تحت رقم ٣٧٩٣ (٩٠٠/٤٧).

محمد أيوب علي : الدكتـــور

٢٥٣) عقيدة الاسلام والامام الماتريدى ، المؤسسة الاسلامية ،بنغلادش١٤٠٤هـ

محمد حـــرب : الدكتـــور :

٢٥٤) العثمانيون في التاريخ والحضارة ،دار العلم ،دمشق ،١٤٠٩هـ .

محمد فريد بك المحامي :

٢٥٥) تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ت . احسان حقي ،دار النفائس ، بيروت ،١٤٠٣هـ .

محمد نعيم ياسين : الدكتور :

٢٥٦) كتاب الإيمان ، مكتبة التراث الاسلامي ، القاهرة ،بدون تاريخ .

المدخلي : الدكتور محمد بن ربيع هادى :

٢٥٧) الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى ،مكتبة لينه ، دمنهور،١٤٠٩هـ

مسلم: الامام أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى (ت ٢٦١هـ):

٢٥٨) الصحيح ،ت . محمد فؤاد عبد الباقي ،ط . عيسى الحلبي ،مصر ١٣٤٧هـ .

مغفور عثمان :

٢٥٩) النبوة والرسالة في الاسلام ،رسالة الماجستير بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز ، عام ١٣٩٧هـ .

المناوي : محمد عبد الرؤوف (ت ١٠٣١هـ):

٢٦٠) التوقيف على مهمات التعاريف ،ت . محمد رضوان الداية ،دار الفكر دمشق ،١٤١٠هـ .

٢٦١) فيض القدير شرح الجامع الصغير ،الطبعة الأولى ،١٣٥٦هـ .

ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن عبد القوى (٦٥٦هـ):

٢٦٢) لسان العرب ،دار صادر - دار بيروت ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

الموصلي : محمد بن الموصلي :

٢٦٣) مختصر الصواعق المرسلة ، مصورة رئاسة البحوث العلمية والافتاء الرياض .

النسائي : أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب (ت ٣٠٣هـ):

٢٦٤) السنن ،ترقيم عبد الفتاح أبو غدة ،دار البشائر الاسلامية ،بيروت،١٤٠٦هـ

النسفي حافظ الدين عبد الله بن أحمد (ت ٧١٠هـ):

٢٦٥) الاعتماد في الاعتقاد ،مخطوط بمكتبة فاتح باستانبول تحت رقم ٣٠٨٥ ، وعنها ميكروفيلم بالمكتبة المركزية بالجامعة برقم ٤٤٥٠.

٢٦٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل بهامش" لباب التأويل " للخازن، دار المعرفة ،بيروت .

النسفي: أبو حفص عمر (ت٥٣٧هـ):

٢٦٧) التيسير في التفسير، مخطوط بمكتبة ولي الدين جار الله تحت رقم / ١٤٠ ، وعنه ميكروفلم في مركز البحث العلمي برقم ٩٥٥ تفسير .

النسفي: أبو المعين ميمون المكحولي (ت ٥٠٨هـ):

٢٦٨) تبصرة الأدلة ،ت. السيد محمد الأنور ، رسالة دكتوراة بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر ، رقم ٨٧٢ .

٢٦٩) التمهيد لقواعد التوحيد ،ت. حبيب الله حسن أحمد ، دار الطباعة المحمدية ، مصر ،١٤٠٦هـ .

النشار : الدكتور على سامي :

٢٧٠) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ،ط. دار المعارف الثانية ، مصر .

أبو نواس :

٢٧١) ديوانه ، القاهرة ،١٨٩٨م.

النووي : الامام محيي الدين يحيى بن شرف :

٢٧٢) شرح صحيح مسلم ،في ١٨ جزءًا ، ١٣٤٩هـ .

هراس : الدكتور محمد خليل :

٢٧٣) ابن تيمية السلفي ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٤٠٤هـ .

الهيثمي : نور الدين علي بن أبي بكر (٨٠٧ هـ) :

٢٧٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ،مؤسسة المعارف ،بيروت ،١٤٠٦هـ .

٢٧٥) موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان ،ت . محمد عبد الرزاق حمزه ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،بدون تاريخ .

ابن الوزير : محمد بن ابراهيم بن علي (ت ٨٤٠هـ) :

٢٧٦) البرهان القاطع في إثبات الصانع ، المطبعة السلفية ،مصر ، ١٣٤٩هـ .

٢٧٧) ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ، مطبعة المعاهد مصر ،١٣٤٩هـ .

ونسك :

٢٧٨) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى ، مكتبة بريل ،ليدن ١٩٣٦م

٢٧٩) مفتاح كنوز السنة ، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي ، ترجمان السنة ، لاهور .

ابن أبي يعلى : أبو الحسين محمد بن محمد :

٢٨٠) طبقات الحنابلة ،دار المعرفة للطباعة والنشر ،بيروت .

ثالثا: الدوريات :

الجوابي : د . محمد الطاهر :

٢٨١) " مؤلفات ابن كمال باشا المخطوطة بالمكتبة الوطنية بتونس" - مقال ضمن " ندوة ابن كمال باشا " (المطبوعة باللغة التركية) ص ٢٦٩- ٣٠٥ .

طلس : أسعد

٢٨٢) دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها - مقال بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ،المجلد / ٢١ .

العبيدي : د . رشيد عبد الرحمن :

٢٨٣) جهود ابن كمال باشا في اللغة العربية - مقال بمجلة المجمع العلمي العراقي ، الجزء الأول ، المجلد ٣٨ ، رجب ، ١٤٠٧هـ .

٢٨٤) الدراسات اللغوية عند ابن كمال باشا في القرن العاشر الهجرى ، مقال بمجلة البحث العلمي والتراث الاسلامي (جامعة أم القرى) العدد الأول ، ١٣٩٨هـ .

٢٨٥) رسالة في تحقيق معنى كاد لابن كمال باشا - مقال بمجلة كلية الدراسات الاسلامية ، بغداد ، العدد ٥ ، ١٣٩٣هـ

٢٨٦) كتاب التنبيه على غلط الجاهل والنبيه ، مقال بمجلة المورد العراقية ، العدد ٤ ، ١٩٨٠م .

فجال : الدكتور محمود :

٢٨٧) ابن كمال باشا حياته ومؤلفاته - مقال بمجلة عالم الكتب المجلد العاشر ، العدد ٣ ، محرم ١٤١٠هـ .

قنيبي : الدكتور حامد صادق :

٢٨٨) تحقيق معنى النظم والصياغة لابن كمال باشا - مقال بمجلة الجامعة الاسلامية ، العددان ٧١ - ٧٢ ، السنة ١٨ ، ١٤٠٦هـ .

٢٨٩) * ابن اياس (دراسات وبحوث) - اشراف د . أحمد عزت عبد الكريم (محاضرات ألقيت في الندوة التي نظمتها الجمعية المصرية للدراسات التاريخية بالاشتراك مع المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية) ط . الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ١٩٧٧م .

رابعا: فهارس المكتبـــــات :

هذا، وقد رجعت بشأن مؤلفات ابن كمال باشـا الى عديد مـــن فهارس المكتبـات ، وأفدت بصفـة عامة من فهارس مكتبات استانبـــول، وفهرس لخزانـة التيموريـة ، وفهرس دار الكتب المصرية ، وفهرس المكتبـة الأزهريـة ، وفهرس معهد المخطوطـات العربيـة بالقاهرة ، وفهرس مكتبـة برلين ، وفهرس المكتبة الوطنية بباريس ،وفهرس المخطوطات العربيـــة بمكتبـة جامعة بربستون بالولايات المتحدة ، وفهرس المكتبة الظاهريـــة بدمشق ، وفهرس مكتبة الحرم المكي الشريف ، وفهرس مكتبة عارف حكمـت ، والمحموديـة بالمدينـة المنورة ، وفهرس المخطوطات بمكتبة جامعـــــة الملك سعود ، والكشاف عن مخطوطـات خزائـن الأوقاف ببغداد (من اعداد محمد أسعـــد أطلس) وغيرها من فهارس مكتبـات العالم .

خامسا : المصادر باللغـة التركيـــة :

Atsız : Nihal,
1 - Kemalpaşa - Oğlunun Eserleri:
Şarkiyat Mecmuası VI, s. 71 - 112,
VII, s. 83 - 135, İstanbul, 1972.

(مؤلفات ابن كمال باشا ،مقال بمجلة الشرقيات،العددان ٦ـ٧، ١٩٧٢م .)

2 - Kemalpaşaoğlu, Şemseddin Ahmed,
Türk Ansiklopedisi, 21. cilt, Milli
Eğitim Basımevi, İstanbul, s - 478 - 481.

(ابن كمال باشا ، شمس الدين أحمد ، مقال بالموسوعة التركيـة،المجلد ٢١ ، ص ٤٧٨ ـ ٤٨١ .)

3- Birgili Mehmet Efendi (981 H.) Bibliyografyası, Milli Eğitim Basımevi, İstanbul, 1966.

(كشف بيبليوغرافى لمؤلفات محمد أفندى البركلى (ت. ٩٨١ هـ))

Aydemir: Dr. Abdullah,

4- Ebussuûd Efendi ve Tefsirdeki Metodu, Diyanet Yayınları, Ankara.

(أبو السعود أفندى ومنهجه فى التفسير)

Boltacı: Dr. Cahit,

5- XV - XVI. Asırlar Osmanlı Medreseleri, İstanbul, 1976.

(المدارس العثمانية فى القرنين الخامس والسادس عشر الميلادى)

Bilmen: Ömer Nasûhi,

6- Büyük Tefsir Tarihi, Bilmen Yayınları, İstanbul, 1974.

(طبقات المفسرين)

Çelebi: Kâtip,

7- Seyahatnâme, İstanbul.

(رحلة كاتب جلبى)

Kılıç, Dr. Mustafa,

8- İbn Kemâl, Hayatı, Tefsire Dair Eserleri ve Tefsirdeki Metodu, Tez, Atatürk Üniversitesi, İslâmi İlimler

Fakültesi, Erzurum, 1981.

(ابن الكمال ،حياته ، ومؤلفاته فى التفسير ، ومنهجه فيه • رسالة دكتوراه بجامعة أتاتورك بكلية العلوم الإسلامية بأرضروم)

Kınalızāde, Hasan Çelebi,

9 - Tezkiratü'ş-Şuarā , T. T. K. Basımevi, Ankara , 1979.

(تذكرة الشعراء)

Konyalı : İbrahim Hakkı :

10 - Konya Tarihi , Konya, 1964.

(تاريخ قونيا)

Uzunçarşılı : Prof. İsmail Hakkı,

11 - Osmanlı Devletinin İlmiye Teşkilatı, T.T.K. Ankara, 1984.

(تشكيلات الدولة العثمانية العلمية)

12 - Osmanlı Tarihi, T.T.K. Ankara, 1975.

(تاريخ عثمانى)

Parmaksızoğlu : İsmet,

13 - Kemalpaşazāde , İslam Ansiklopedisi, (6/561-566) , Milli Eğitim Basımevi, İstanbul , 1977.

(كمال باشا زاده ، مقال بالموسوعة الاسلامية ٦/ ٥٦١ـ ٥٦٦)

Tahir Bey : Bursalı ,

14 - Osmanlı Müellifleri, İst.

(المؤلفين العثمانيين)

Yaltkaya : Şerafettin,
15- Molla Lutfi, Tarih Semineri Dergisi, II.
(المولى لطفي ، مقال بمجلة الدراسات التاريخية)

* İlmiye Sâlnâmesi , İstanbul, 1344H.
(السنوية العلمية)

* Şeyhülislam İbn Kemâl (Sempozyumu) , Türkiye Diyanet Vakfı Yayınları , № 36 , Ankara , 1986.
(ندوة شيخ الإسلام ابن كمال)

فهرس الموضوعـــات

* * *